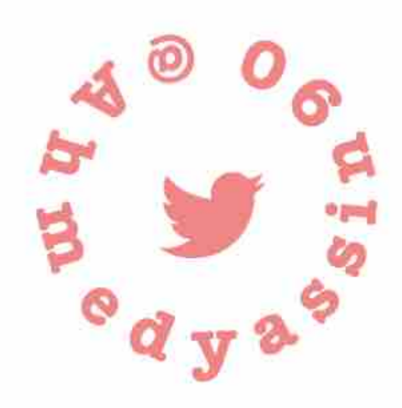

روسيا
تنادى بحق العودة على القمة
بقلم
ممدوح عبد المنعم
تصوير
أحمد ياسين



تصوير
أحمد ياسين

روسيا

تنادي بحق العودة على القمة



تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90

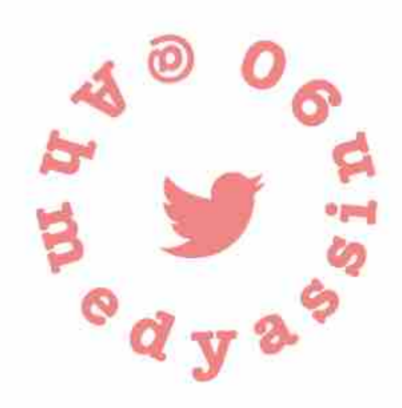
روسيا

تنادى بحق العودة على القمة

تصوير
أحمد ياسين

بقلم :

ممدوح عبد المنعم



تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90

مقدمــه

إن صراع الإمبراطوريات كما أوضحه عالم الحضارات وليم سميث و كذلك العالم (تشارليز ف دوران) فى منحنى يعتبر هو المرجع الأساسى حتى الآن الذى أرى من خلاله أحداث الماضى وكأنها ماثلة أمام عينى لأن أحداث التاريخ مازالت هى المنهل فى البحث والدراسة أمام صانعوا الإستراتيجية والرؤية المستقبلية فهماً لسلبيات الأحداث وتجنبها ودعماً للإيجابيات إعمالا بالحكمة القائلة من عرف التاريخ رأى نصف المستقبل ويوضح وليم سميث فى منحنى الحضارات أن الإمبراطوريات تتعرض لأربعة مراحل من الصراع فى دورة الحياة وتبدأ المرحلة الأولى عند بداية الصعود نحو القمة والمرحلة الثانية قبل القمة مباشرة وتكون فى العادة والأعم مع من يجلس على القمة ؟! تليها مرحلة كمون وسكون على القمة لفترة قد تكون طويلة أو قصيرة تبعاً لقواعد وأسس متانة معتلى القمة وقوة ومكانه محاولى الصعود أو الاقتراب ... ثم تأتى المرحلة الثالثة أو النقطة الثالثة فى منحنى الامبراطوريه والتى تعانى منها الإمبراطورية الأمريكية وهى قبل السقوط (أو الهبوط) والتى فطن إليها صانعوا الإستراتيجية الأمريكية فى معالجات ساعدت على البقاء على القمة ساهم فيها فطنه صانعوا الإستراتيجية وساهم فيها إلى حد بعيد من كان عليهم الصعود إلى القمة وأخص وأعنى هنا (الإمبراطورية الصينية) والتى رشحها الجميع صعوداً إلى القمة وتلك المعالجة استلزم معها دراسة كاملة أعدها بريجنسكى أحد صانعى الإستراتيجية الأمريكية فى كتابه (الفرصة الثانية) والتى استوجبت التعقيب عليها فى كتاب منفصل .. ولكن هنا استوجب أيضاً التأمل فى منحنى الامبراطوريات وتحديد نقطة وأهميتها البالغة ليكون التأمل فى النقطة الرابعة والأخيرة فى منحنى دوره

حياة الإمبراطوريات كما أوضحها عالم الحضارات « وليم سميث» وهى الصراع فى محاولة العودة إلى القمة والتى أرى أن روسيا تقف فى بؤره هذه النقطة (تطالب بحق العودة ؟!!

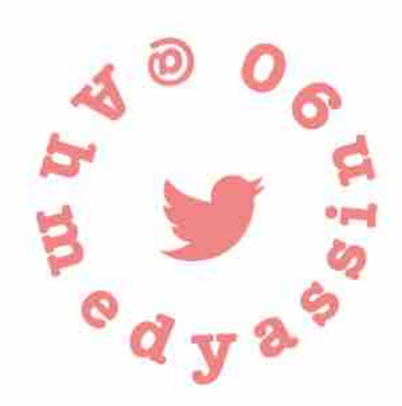
وفى دروب التاريخ وأوراقه بحثاً لم أجد مثلاً يقاس عليه النجاح فى العودة إلى القمة إلا أن تكون نقطه الارتكاز فى هذه النقطة لم تكن ناتجة عن إنهيار كامل أو سقوط كامل يصعب معه العودة إلى القمة ؟!! وهذا ما توصلت إليه بعد تأمل وتروى لأحداث بدت تظهر ملامحها بعد الافاقه من صدمه السقوط والتى لا شك كانت لها تبعات وعوارض وظواهر أذهلت الجميع فى شتى أنحاء الأرض معادين ومتأملين ومشفقين أيضاً ؟! بداية من معالجة ظواهر الانفتاح على السوق الدولية وظهور ضوء وملامح ديمقراطية فى داخل دولة تزعمت الحكم الشمولى لفترة طويلة ؟! ثم ملامح للتماسك ولم الشمل والحركة برؤية وتأنى وأقول (بثقة أيضاً) أنه وعلى ما يبدو لم يكن سقوطاً كاملا ومروعاً كما كان يراه الآخرون فى العالم ؟! ثم ظهرت وثائق و أحداث ما كان يحدث قريباً خلف الأبواب المغلقة ؟! فى أزمة غزو العراق ثم المساندة المانعة لإسقاط نظام الدولة الإسلامية الشيعية فى إيران بحيث لا تصل إلى الغزو المباشر !!؟ ولا تصل أيضاً العقوبات إلى مرحلة الاختناق البطئ والموجع حفاظاً على تأمين الحدود الروسية الجنوبية وبما لا يسمح بغلقها أمام التطلع نحو أحداث الشرق الأوسط الجديدة والسريعة والمذهلة أيضاً ... ثم ما حدث فى مجلس الأمن عندما علق رئيس الوزراء ووزير الخارجية القطرى حمد بن جاسم آل خليفة على متابعة تطورات الأحداث العالمية ورؤيته لروسيا الجديدة بمنظور الاتحاد السوفيتى السابق (فى لحظة السقوط) مؤنباً مندوب روسيا فى مجلس الأمن ومحذراً إياه من استخدام حق الفيتو فى مجلس الأمن فى المشكلة السورية والتى ترتبط إلى

حد بعيد بالمشكلة الإيرانية ؟! فسمع درساً سوف يظل يعانى من تبعاته لفترة طويلة بل أقول بلا نهاية عندما رد عليه المندوب الروسى قائلاً أحترم نفسك فأنت ضيف على مجلس الأمن ولا أتوجه إليك بحديث وما يدور فى المجلس هو بين دول عظمى وإذا تطاولت أكثر من ذلك يمكن أن ترى دولتك (يعنى قطر) غير موجودة على خريطة العالم غداً ؟!! وهذا الحوار يدعو إلى التأمل قبل الإسهاب فهى النقطة الحرجة التى بدى منها أن روسيا تنادى بحق العودة من النقطة الرابعة إلى القمة وهذا ما دعانى إلى التفصيل فى أوراق هذا الكتاب ...

المؤلف

الباب الأول

« روسيا وحق العودة »



تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90

الفصل الأول

مقدمة الأحداث

إن الاتحاد السوفيتى السابق وكما أرى لم يكن انهياره فى المقتل لأن البنية الأساسية لدوله من الدرجة الأولى لم تنهار أيضاً لحد الموت وكانت من القوة بالقدر الذى مكنها بعودة سريعة إلى الحياة .. وأن انتقال السلطة لجيل شاب جديد « بوتن» تم بسلاسة وهدؤء (مشيئة الأقدار) وليس فى الواقع بدافع المحافظة على كيان الدولة ونظره إلى التاريخ أو عودة إلى الصواب بقدر ما كانت وليده رغبه شخصية وهدف خاص فكر فيه « بوريس بلتسين «بعدما رأى بوادر التشقق قبل الإنهيار بتساقط أربع حكومات خلال أشهر معدودة كادت تطيح بما بقى للدولة من هيبة ووقار وتذكر تفاصيل معاركه مع غريمه التاريخى «ميخائيل جورباتشوف» وقراره الذى سحبت بموجبه سيارة «جوربا تشوف، التى لم يجدها الرئيس السابق فى انتظاره لدى خروجه من مسكنه ومنعه من دخول مؤسسته للأبحاث السياسية وتذكر ما كان مادة مثيرة خلال عشاء أقامة الأستاذ « عثمان العمير» رئيس تحرير جريدة الشرق الأوسط فى فندق « سافوى « بقلب العاصمة «موسكو» مع «الكسندر ليخوتال» السكرتير الصحفى ومساعد « ميخائيل جوربا تشوف» فى المؤسسة التى تحمل أسمه للدراسات السياسية فى إبريل سنة ١٩٩٢ عن السبب الذى أفسد مزاج « جوربا تشوف» وجعله غير بشوش أثناء الحديث معه فقال « ليخوتال» « لعلك تذكر أنه وصل متأخراً عن موعده ولقد كان ذلك بسبب سحب السيارة المخصصة له وأن الأمر يتعلق بجهاز تليفون السيارة ولم تكن التليفونات المحمولة قد انتشرت آنذاك

فى موسكو وعلى ذلك قرر الأستاذ/ « العمير» التعاقد لتقديم تليفون خاص باسم جورباتشوف هدية من مكتب جريدة الشرق الأوسط فى موسكو وكان كل ذلك يدور فى مخيلة «يلتسين» وما يمكن أن يقع فيه مثلما فعل أيضاً مع سلفه «ميخائيل جورباتشوف «فى الخامس والعشرين من ديسمبر ١٩٩١ حين رفض انتظار واستقبال «جوربا تشوف» ليتسلم منه «الحقيبة النووية ؟!! (وهى رمز السلطة) عقب إلقاء خطاب الرحيل بحجة أنه لن يستقبل رئيساً سابقاً وطلب من المارشال «شابو شينكوف» آخر وزير دفاع للإتحاد السوفيتى تسلمها بدلاً منه ولعلة تذكر أيضاً أن جهاز «الكرملين» وتحت جنح الظلام سارع برفع اللافتة التى كانت تحمل أسم جورباتشوف على باب مكتبه فى «الكرملين» وهو ماعلم به الرئيس السوفيتى السابق صبيحة اليوم التالى والذى كان قد حدد موعداً للقاء رئيس تحرير جريدة «إيميمورى اليابانية» وأضطر إلى لقاء ضيفة فى مكتب رئيس سكرتاريته «جريجورى ريفينكو ... ؟!! من أجل ذلك فكر « يلتسين» طويلاً حتى لا يلاقى ذلك المصير الذى صنعه مع ميخائيل جورباتشوف وقرر أن يكون المصير مع شخصية شابه مغمورة لا توجد معها ضغائن أو عداوات سابقة تحقق له الهدف ويتحقق لهذه الشخصية الآمال والأحلام (أو ما يفوق الأحلام أيضاً ؟!) أى أن المسألة بدت فى إطار يقترب من جوهر «الصفقة» التى لابد لها وأن تتناول ما يحتاجه « بوريس يلتسين» من ضمانات تكفل له تأمين ستقبله ومستقبل عائلته التى طالتها الاتهامات بالرشوة والفساد .. ؟! وقد كان « يلتسين» لكل هذا فى حاجة إلى تأمين نفسه من أخطار الملاحقة والمساءلة والمحاكمة وهو ما توعده به « الشيوعيون» ولهذا استطاع « يلتسين» انتزاع مرسوم رئاسى وقعه « بوتن» واستطاع لاحقاً انتزاع التصديق عليه من جانب مجلس « الدوما» (البرلمان) ليصبح له فاعليه القانون، ونصه « مرسوم

حول الضمانات لرئيس روسيا الاتحادية وأعضاء عائلته بغية تأمين الضمانات القانونية والاجتماعية وغيرها لرئيس روسيا الاتحادية الذى توقف عن القيام بمهامه ولأعضاء عائلته وحتى إقرار القانون الاتحادى المناسب :

قــــرر :

- رئيس روسيا الاتحادية الذى يتوقف عن القيام بمهامه وبغض النظر عن السن يملك الحق فى ضمان شهرى مدى الحياة يقدر بـ ٧٥٪ من مرتب رئيس روسيا الاتحادية.
- يمنح رئيس روسيا الاتحادية الذى يتوقف عن القيام بمهامه حراسة مدى الحياة فى أماكن تواجده الدائمة والمؤقتة بموجب كل الإجراءات التى ينص عليها القانون الاتحادى حول الحراسة الحكومية بما فى ذلك توفير أجهزة الاتصالات الخاصة وسبل المواصلات (تذكر عزيزى القارئ الموقف مع جورباتشوف) .
- يحتفظ رئيس روسيا الاتحادية الذى يتوقف عن مهامه وأعضاء أسرته المقيمون معه بحق التمتع بالخدمات الطبية التى كان يتمتع بها حتى لحظة توقفه عن القيام بمهامه..
- التأمين الإجبارى على حياة وصحة الرئيس الذى يتوقف عن القيام بمهامه خصماً من مصروفات الميزانية الاتحادية بقيمة تعادل المرتب السنوى لرئيس روسيا الاتحادية.
- يتمتع الرئيس الذى يتوقف عن القيام بمهامه بالحصانه ولايمكن محاسبته جنائياً ولا إدارياً أو احتجازه أو اعتقاله أو تفتيشه أو مسائلته وتسرى حصانه الرئيس الذى يتوقف عن القيام بمهامه على المسكن ومقر العمل

ووسائل المواصلات التى يستخدمها وكذلك وسائل الاتصال وما يملك من وثائق أو متاع فضلاً عن مراسلاته ...

- بمنح الرئيس الذى يتوقف عن القيام بمهامه إحدى « داتشات» (استراحات) الحكومة مدى الحياة ..
- يملك الرئيس الذى يتوقف عن القيام بمهامه حق توظيف طاقم من المساعدين على حساب بنود الميزانية الاتحادية ويكون أفراد الطاقم مسئولين عن عملهم أمامه فقط .. (موسكو فى ٣١ ديسمبر ١٩٩١) .

وكان يلتسين قد عقد أمره واستقر رأيه على الإعلان عن استقالته عقب مداولات كثيرة مع أقرب مساعديه وأبنته « تاتيانا» وفى صبيحة ٣١ ديسمبر قام بتوقيع قانون انتخاب الرئيس الذى يقضى عملياً بإجراء الانتخابات الرئاسية فى موعدها الدستورى أى فى يونيو عام ٢٠٠٠ لكنه فى ذات الوقت كان قد قرر إطلاع بطريرك الكنيسة الروسية « ألكسى الثاني» على حقيقة ما عقد عليه النية ليحظى بمباركته فيما استدعى كبار رجال الدولة والحكومة وفى مقدمتهم وزراء الدفاع والداخلية والخارجية لإعلانهم بنبأ الاستقالة فى نفس الوقت الذى كان المصورون والمخرج وكبار رجال ديوان « الكرملين» يستعدون لتسجيل ما قال يلتسين أنه يريد قوله .. ونقل بعض الحاضرين أن الرئيس وما أن فرغ من إلقاء كلمته حتى امتدت يده إلى جيبه لتناول منديله فيما أشاح بوجهه الذى احتواه ذلك المنديل مما دفع المصور إلى تشغيل الكاميرا مجدداً لتسجيل هذه اللحظة التاريخية ودموع الرجل الفولاذى الذى طالما واجه اقسى اللحظات المأساوية والمصيرية بجسارة يحسد عليها تقدمت إليه أبنته « تاتيانا» والتى كانت تشغل آنذاك فى ديوان الكرملين منصب مستشارة الرئيس منذ نجاحه فى انتخابات عام ١٩٩٦ لتمسك بيده فى محاولة لتهدئة روعه لكنها لم تستطع

بدورها مواجهة الموقف الذى بدا فوق طاقتها لتناسب دموعها على وجنتيها...

عزيزى القارئ تلك كانت نقطة البداية نحو عصر جديد بدأت فيه روسيا مدركه موقعها فى النقطة الرابعة (بعد السقوط) وبدم جديد وروح جديدة لا أنكر معها أنها تمت بسلاسة وسلام وكانت (رغم كونها فى إطار صفقه خاصة) إلا أنها كانت فى مصلحة الشعب الروسى لإنقاذ ما يمكن إنقاذه (حدث بالفعل) وأرى أنها مشيئة الأقدار وقدرتها وحدها التى أوجدت تطابقاً مذهلاً بين المصلحة الخاصة لرئيس سابق (يلتسين) ومصلحة الأمة الروسية لتعاود النداء من جديد بنداء حقه العودة من النقطة الرابعة فى محاولة للصعود على القمة ليس إمبراطورية كما يتصور البعض ولكن كما وصفت نفسها دوله من الدرجة الأولى فى العالم (دولة عظمي) لها الرأى والمصالح أيضاً ...

وماذا بعد التنحى:

لم يكن هناك فى موسكو من يعرف بوجود فلاديمير بوتن بل ولم يكن ثمة من يتوقع أن يصل مثل هذا الشاب المتوسط القامة النحيف الجسد «الصموت» الغامض إلى عرش « الكرملين» بمثل هذه السهولة حتى فلاديمير بوتن نفسه لم يكن يحلم بما وصل إليه وهو الذى اعترف بأن أقصى ما كان يحلم به لم يتعدى الالتحاق بجهاز (الكي. جى . بي) بعد أفكار راودته حول الالتحاق بكلية الطيران المدنى ... وقد كشف « بوتن» فيما بعد عن أن كابوس انهيار الاتحاد السوفيتى لم يفارقه قط وأن مخاوف أن تلقى «روسيا» نفس المصير ظلت تؤرقه وتناديه بالعمل من أجل دعم هيبة الدولة ومؤسساتها العسكرية ... ؟!! وذلك بعد أن كشف له «يلتسين» كما يراوده من قلق وحزن دفين ومخاوف من المستقبل المجهول ... وقد حدد يلتسين لحظة اللقاء الأول مع « بوتين» إلى عام ١٩٩٧ وكان نائباً أول لرئيس

ديوان « الكرملين» بعد عمله رئيساً للإدارة المركزية للرقابة فى الديوان حيث ظهر « بوتن» (كما رأى يلتسين) على خلاف الآخرين غير محب للظهور حريصاً على أن تكون إجاباته على أسئلة الرئيس واضحة وطبيعية فى الوقت الذى بدا فيه مستعداً لمواجهة أى تحد بنفس القدر من الوضوح والدقة وهو ما آثار فضوله فى البداية ولكن سرعان ما تعود على طباع مثل هذه الشخصية التى كانت تضطلع بمهام الإدارة فى غياب رئاسته « ودارت العجلة وتحرك الزمن الذى لا يقف عند مشهد أو حادثة ليقول بوتن فى خطاباته التى ألقاها إلى الأمة على مدى سنوات حكمه لتحديد ملامح المسيرة فيما عكست سياساته وتوجهاته التى أودعها «إستراتيجية الأمن القومي» « ومنظومة الأمن الإعلامي» و» مذهب السياسة الدفاعية» «وأطر سياسته الخارجية» وبوادر حركة صوب إيقاظ الأمة واستعادة مواقع الوطن وإن ظل الغموض يكتنف العلاقة الجدلية بين الرسالة والوسيلة وجوانب التناقضات بينهما .. ؟!



الفصل الثانى

نظـــام الحكـــم

روسيا الاتحادية دولة فيدرالية ديمقراطية ذات نظام حكم رئاسى.

التقسيم الإدارى تتكون البلاد من ٨٣ وحدة إدارية فيدرالية متساوية الحقوق. وهى عبارة عن إحدى وعشرين جمهورية، وست دوائر ذاتية الحكم، وإقليم واحد ذو حكم ذاتى وسبع وأربعين مقاطعة. كما توجد مدينتان فيدراليتان وهما العاصمة موسكو ومدينة سانت بطرسبورغ. وهناك أيضا ثمانية أقاليم.

جميع هذه الكيانات مقسمة إلى ٨ دوائر فيدرالية وبينها:

١. الدائره الفيدرالية الوسطى التى تضم اقاليم روسيا الوسطى .

٢. الدائره الفيدرالية الجنوبية التى تضم اقاليم جنوب روسيا باستثناء شمال القوقاز .

٣. الدائره الفيدرالية الشمالية الغربية التى تضم اقاليم شمال غرب روسيا .

٤. دائره الشرق الأقصى الفيدرالية التى تضم اقاليم الشرق الأقصى الروسى .

٥. دائره سيبيريا الفيدرالية التى تضم اقاليم سيبيريا.

٦. دائره الأورال الفيدرالية التى تضم اقاليم منطقة الاورال.

٧. دائرة الفولغا الفيدرالية التى تضم اقاليم منطقة نهر الفولغا .

٨. دائرة شمال القوقاز الفيدرالية التى تضم اقاليم منطقة شمال القوقاز واقليم ستافروبول رئيس الدولة : فلاديمير بوتين الدستور أقر الدستور الروسى باستفتاء عام سنة ١٩٩٣.

وكان مدفيديف وقع فى ٣٠ ديسمبر عام ٢٠٠٨ القانون الخاص بادخال تعديلات على الدستور الروسى المتعلقة بتمديد فترة صلاحيات رئيس الدولة ومجلس الدوما. وقد اعتمد القانون فى مجلس الدوما ٢١ ديسمبر ، وصادق عليه المجلس الفيدرالى فى ٢٦ ديسمبر. وتتضمن التعديلات فى القانون زيادة فترة صلاحيات رئيس الدولة من ٤ إلى ٦ سنوات ومجلس الدوما من ٤ إلى ٥ سنوات.

التشكيل الوزارى دميترى مدفيديف – رئيس الوزراء والأديان الرئيسية بين سكان الإتحاد الروسى .

- المسيحية :

- نسبة المسيحيين الأرثوذكس حوالى ٨٠٪ من سكان روسيا، وكانت بداية انتشارها منذ عام ٩٨٨ م. كما توجد فئات قليلة من البروتستانت والكاثوليك.

- الإسلام :

- انتشر الدين الإسلامى فى روسيا تزامنا مع الدين المسيحي.
- نسبة المسلمين تزيد عن ١٤٪ تقريبا من سكان روسيا، وتتمركز الغالبية فى وسط البلاد .

- **اليهودية:**

- نسبة اليهود ٢٪ من سكان روسيا.

العملة :

- العملة الرسمية هى الروبل وتساوى مائة كوبيك.
- فئات العملة الورقية المتداولة حالياً : ١٠٠٠ روبل – ٥٠٠ روبل – ١٠٠ روبل – ٥٠ روبلا – ١٠ روبلات. وصدرت فى شهر يوليو ٢٠٠٦ عملة ورقية من فئة ٥٠٠٠ روبل.

اللغـة :

واللغة الرسمية فى البلاد هى الروسية. هناك لغات أخرى إلى جانب اللغة الرسمية فى أماكن مختلفة من البلاد، فمثلا فى جمهورية تتارستان تعتمد اللغة التترية إلى جانب اللغة الروسية الرسمية. اللغة الروسية هى اللغة الأكثر إستخداما من بين اللغات السلافية فى أوربا.

العلم والشعار الوطنى :

أ – العلم: قماش مستطيل يتكون من ثلاثة أشرطة أفقية متساوية (علم روسيا الاساسي) – الشريط الأعلى أبيض اللون، والأوسط أزرق اللون، والأسفل أحمر. نسبة عرض العلم الى طوله ٢ : ٣.

ب – الشعار: نسر برأسين على درع أحمر اللون (شعار الإمبراطورية الروسية). وفوق النسر توجد ثلاثة تيجان تاريخية لبطرس الأكبر (فوق كل من الرأسين تاج صغير وفوق هذين التاجين تاج كبير)، ويمسك النسر بمخالبه الصولجان ورمز الدولة. وعلى صدر النسر درع أحمر وعليه فارس يصيب تنينا برمحه. هذا وقد أصدر بوتين مرسوماً بتبنى لحن النشيد الوطنى للاتحاد السوفييتى

السابق لحناً للنشيد الوطنى لروسيا الاتحادية (موسيقى ألكسندروف). وقد صادق مجلس الدوما على رموز الدولة الجديدة فى جلسة تاريخية فى الثامن عشر من ديسمبر/كانون الأول عام ٢٠٠٠.

أهم المدن :

موسكو (العاصمة)، سانت بطرسبورغ، نيجنى نوفغورود، نوفوسيبيرسك، يكاتيرينبورغ، سامارا، أومسك، أوفا، قازان، تشيلابينسك، بيرم.

السكان والقوميات :

عدد سكان روسيا يبلغ ١٤٢ مليون و٢٠٠ ألف نسمة. ٧٣٪ منهم يعيشون فى المدن. وترتفع نسبة الوفيات قياسيا بنسبة الولادات وذلك حسب الإحصائيات الرسمية الروسية فى الأول من يناير عام ٢٠٠٧. ومن المتوقع أنه إذا إستمر عدد سكان البلاد فى الانخفاض فقد يصبح عدد السكان بحلول عام ٢٠١٠ حوالى ١٣٧ مليون نسمة فقط .

القوميات فى روسيا :

يوجد فى روسيا عددا من القوميات هى حسب التوالي: الروسية، التتارية، الأوكرانية، البشكيرية، الجوفاشية، الشيشانية، والأرمنية، حيث يبلغ عدد هاتين القوميتين مليون شخص. فيما عدا إحدى عشر أقلية قومية أخرى يبلغ عدد أفرادها نصف مليون شخص. بينما تشكل القومية الروسية الأكثرية حيث تبلغ ١١٦ مليون نسمة، أى حوالى ٨٠٪ من عدد السكان.

الإسلام فى روسيا :

يعود تاريخ الإسلام فى روسيا إلى ما قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة تقريبا. فقد أعتنق الدين الإسلامى فى منطقة حوض الفولغا رسميا

قبل قرن من إعلان الأرثوذكسية دينا لروسيا. ويعتبر الإسلام الآن فى روسيا هو الدين الثانى فى البلاد بعد المسيحية (الأرثوذكسية) . يعيش فى روسيا فى الوقت الحاضر وفقا لتقييمات الخبراء من ١١ إلى ٢٤ مليون مسلم. ويتركزون تقليديا فى وسطوجنوب حوض الفولغا ومنطقة الأورال وشمال القوقاز وسيبيريا. ويوجد عدد من المسلمين فى موسكو وبطرسبورغ ومدن كبرى أخرى. يتوزع المسلمون فى روسيا على ٤٠ قومية أكبرها التتر، إذ يبلغون ٥ ملايين مسلم (تشكل نسبتهم حوالى ٤٪ من السكان). وهذا يعنى أن التتر يحتلون المرتبة الثانية بعد الروس من حيث عدد السكان فى روسيا. يأتى بعدهم البشكير (حوالى مليون شخص)، والشيشان الذين يشكلون مليون مسلم تقريبا، وفقا للإحصاءات الرسمية الروسية التى أجريت مؤخرا. يوجد أيضا فى روسيا مجلس المفتين الذى أسس فى عام ١٩٩٦. يضم هذا المجلس عددا من الإدارات الدينية للمسلمين وينسق نشاطاتها. والجدير بالذكر أن روسيا أصبحت فى عام ٢٠٠٥ عضواً مراقبا فى منظمة المؤتمر الإسلامي .

جغرافية روسيا :

الموقع الجغرافى :

تمثل روسيا جسرا بين قارتى أوروبا وآسيا. إذ يحدها من الشرق بحر بيرنغ وبحر أخوتسك وبحر اليابان، وهذه البحار الثلاثة تتفرع من المحيط الهادئ. ومن الغرب تحدها بيلوروسيا (روسيا البيضاء) ولاتفيا وإستونيا وخليج فنلندا والنرويج، ويقع إقليم كالييننغراد الروسى بين ليتوانيا وبولندا. بينما يحدها من الشمال بحر بارنتس وبحر كارا وبحر لابتيف وبحر شرق سيبريا وبحر تشوكوتكا، وجميع هذه البحار تتفرع من المحيط المتجمد الشمالي. أما من الجنوب فتحدها الصين ومنغوليا وكازاخستان

وأذربيجان وجورجيا والبحر الأسود. بينما تجاورها من أقصى الجنوب الشرقى كوريا الشمالية. ومن هنا يتبين الموقع الأستراتيجى لروسيا. تعتبر روسيا أكبر دولة فى العالم، فمساحتها تغطى أكثر من تسع مساحة العالم تقريبا، وهى تمتد لحوالى عشرة آلاف كم من الغرب إلى الشرق. ولهذا يمكن تقسيمها إلى ثلاث مناطق، الأولى الجزء الأوروبى من روسيا ويقع إلى الغرب من جبال الأورال، وسيبيريا التى تمتد شرقاً من جبال الأورال، وأقصى شرق روسيا بما فيه أقصى الجنوب الشرقى و ساحل المحيط الهادئ.

البحيـرات :

تطل روسيا على بحر قزوين الذى يعتبر أكبر بحيرة مالحة فى العالم. وهناك بحيرة بايكال الشهيرة التى تعتبر أعمق بحيرة فى العالم (يصل عمقها إلى ١٦٢٠ مترا) وفيها حوالى ٢٠٪ من احتياطى المياه العذبة على وجه الأرض (٢٣ ألف كلم مكعب) يصل طول البحيرة إلى ٦٣٦ كلم ومتوسط عرضها ٤٨ كلم.

الأنهار:

تكثر الأنهار فى روسيا وأكبرها، لينا، ينيسي، أوب، أمور، إرطيش. وأشهرها نهر الفولغا الذى يعتبر أطول الأنهار فى أوروبا.

البحار:

تطل روسيا على العديد من البحار ويوجد فيها الكثير من الموانئ على بحر البلطيق وبحر بارنتس فى الشمال وموانئ على البحر الأسود فى الجنوب، وموانئ أيضاً فى مناطق فلاديفستوك الواقعة على المحيط الهادئ بالقرب من اليابان.

المناخ فى روسيا:

يتنوع المناخ فى روسيا بشكل كبير نظراً لمساحتها الهائلة. ويتسم بالاعتدال فى فصل الصيف، حيث تتراوح درجات الحرارة ما بين ١–٣٠ درجة مئوية فوق الصفر، والبرودة فى فصل الخريف. أما فى الشتاء فالبرودة قاسية، إذ تتراوح درجات الحرارة ما بين ٠–٥٠ درجة مئوية تحت الصفر. كما تتميز المناطق الشمالية والمناطق القريبة من القطب الشمالى بشتائها الطويل والبارد وبصيفها القصير والبارد نسبيا. أما المناطق التى تشمل موسكو وسانت بطرسبورغ فمناخها قارى معتدل.

الموارد الطبيعية:

تمتلك روسيا الكثير من الموارد الطبيعية كالنفط والغاز الطبيعى والحديد والنيكل والألماس والفوسفات والفضة والرصاص والذهب والأخشاب.

الأديان الرئيسية لسكان روسيا الاتحادية:

لا توجد فى روسيا احصائيات رسمية للعضوية فى المنظمات الدينية اوالانتماءات الى الاديان والمعتقدات الدينية. ويحظر القانون مطالبة المواطنين بالادلاء بمعلومات عن انتمائهم الديني. وهناك استطلاعات اجتماعية لرأى السكان الروس تدل على الانتماءات الدينية والطائفية للمواطنين الروس.

وبموجب بعض المعلومات غير الرسمية فان التركيب الدينى والطائفى فى روسيا الاتحادية كان فى عام ٢٠١٠ على النحو التالي:

نسبة المسيحيين الأرثوذكس حوالى ٨٠٪ من سكان روسيا، وكانت بداية انتشار الارثوذكسية منذ عام ٩٨٨ م. كما توجد فئات قليلة من البروتستانت والكاثوليك. الإسلام: انتشر الدين الإسلامى فى روسيا تزامنا مع الدين المسيحي.

وتربو نسبة المسلمين على ١٤٪ تقريبا من سكان روسيا ، وتتمركز الغالبية منهم في وسط البلاد.– اليهودية : نسبة اليهود ٢٪ من سكان روسيا.

وبحسب استطلاع رأى السكان لعموم روسيا الذى اجراه المركز الروسى لدراسة الرأى العام فى مارس عام ٢٠١٠ فان سكان البلاد يتوزعون وفق الانتماء الدينى كالتالي :

- الارثوذكس – نسبة ٧٥٪
- المسلمون – نسبة ٥٪
- الكاثوليك والبروتستان واليهود والبوذيون – نحو ١٪
- طوائف اخرى – نسبة نحو ١٪
- غير المؤمنين باى دين – نسبة ٨٪.

نبذة عن منصب عمدة موسكو :

بدأ تاريخ منصب عمدة موسكو منذ ٣ قرون، اى عام ١٧٠٨ حين اصدر الامبراطور بطرس الاول مرسوما قيصريا يقضى بتقسيم اراضى الامبراطورية الروسية الى محافظات. وقد تم استحداث ٨ محافظات بما فيها محافظة موسكو. وتم تعيين محافظ فى كل منها. واصبح البويارين (النبيل القريب من القيصر) تيخون ستريشنيف مربي بطرس الكبر اول محافظ فى موسكو.

واتصف نظام ادارة المحافظات فى روسيا آنذاك بتعقيد كبير، علما انه وجد فى محافظة موسكو، على سبيل المثال، مسؤولان فى آن واحد. وهما المحافظ العسكرى والمحافظ المدنى الذى خضع للمحافظ العسكري. وتولى المحافظ المدنى ادارة الشرطة والشؤون المالية والاقتصادية والقضائية وكان

من واجبه تعيين الموظفين المرؤوسين من قبله والسيطرة على مؤسسات الحكم الذاتى وبلدية المدينة والمحافظة. اما المحافظ العسكرى فخضع للامبراطور مباشرة وتولى الاشراف على نشاط ادارة المدينة والمحافظة. اصدر الامبراطور نيقولاى الثانى عام ١٩٠٥ مرسوما قيصريا قضى باستحداث وظيفة عمدة موسكو. ومنذ ذلك الحين تولى

المحافظ العسكرى الاشراف على كل من المحافظ المدنى وعمدة موسكو.

اعتبر منصب عمدة موسكو منصبا هاما للغاية للمكانة التى كانت موسكو تشغلها فى البلاد اقتصاديا وسياسيا واداريا. ولذلك لم يشغله لغاية قيام ثورة عام ١٩١٧ الا كبار المسؤولين، بمن فيهم الممثلون عن اسرة القيصر. وكان الجنرال القيصري يوسف مروزوفسكي آخر عمدة فى موسكو تولى هذا المنصب عام ١٩١٥ بالاضافة الى منصب قائد حامية موسكو العسكرية.

بعد قيام ثورة فبراير عام ١٩١٧ كان مفوضون عن الحكومة المؤقتة يديرون موسكو. ثم تولى ادارتها العمدة فاديم رودنيف.

شهدت فترة ما بين عام ١٩٠٧ و ١٩١٧ ٥٩ محافظا مدنيا وعسكريا فى موسكو.وكانت ادارة موسكو برئاسة عمدتها قبل عام ١٩١٨ سلطة تنفيذية فى المدينة.

بعد قيام ثورة اكتوبر عام ١٩١٧ فى روسيا الغى منصب عمدة المدينة وتم حل مجلس الدوما فى موسكو وتشكيل مجلس مدينة موسكو (موس سوفيت) باعتباره هيئة عليا للسلطة التشريعية فى المدينة . ومن صلاحيات مجلس السوفيت فى المدينة تعيين لجنة تنفيذية تولت ادارة كافة الشؤون الاقتصادية فى العاصمة. وشهد عام ١٩٣١ تقسيم الاقليم الى مدينة موسكو

ومقاطعة موسكو مما جعل موسكو كيانا اداريا مستقلا.واعتبر رئيس ادارة مجلس السوفيت، ثم رئيس اللجنة التنفيذية لمجلس السوفيت فى موسكو فى اول سنوات السلطة البلشفية رئيسا حقيقيا فى المدينة. وكان كل من فيكتور نوغين ونيقولاى بلغانين وليف كاميميف و فلاديمير بروميسلوف وغافرييل بوبوف ونيقولاى غونتشار يتولون ادارة مجلس السوفيت فى موسكو. شهدت ثلاثينات القرن الماضى تنامى نفوذ سلطة الحزب الشيوعى على كل المستويات. لذلك انتقلت السلطة الحقيقية فى المدينة الى ايدي لجنة موسكو الحزبية. واعتبر السكرتير الاول فى لجنة موسكو الحزبية شخصية ذات نفوذ ليس على مستوى المدينة فحسب بل وفى البلاد كلها.

وكان كل من فياتشيسلاف مولوتوف و لازار كاغانوفيتش ونيكيتا خروشوف ويكاترينا فورتسيفا يتولون ادارة لجنة الحزب فى المدينة. وكان فيكتور غريشين يشغل هذا المنصب خلال ١٨ عاما. وبدأ بوريس يلتسين يرتقى فى السلم الهرمى الحزبى والحكومى من منصب السكريتير الاول للجنة موسكو الحزبية. شهدت تسعينات القرن الماضى تغيرات جذرية فى ادارة البلاد وموسكو. ففقد الحزب الشيوعى وظيفته القيادية الرائدة وحلت محله هيئات الحكم الذاتي. وابتداءا من يونيو عام ١٩٩١ انقسمت السلطة فى موسكو الى السلطة التنفيذية، التى صارت تمثلها ادارة موسكو، والسلطة التشريعية، وهى مجلس السوفيت فى موسكو (موس سوفيت).

وانتخب غافرييل بوبوف اول رئيس لادارة موسكو، او بالاحرى عمدة للمدينة فى يونيو عام ١٩٩١ لكنه تخلى طوعا عن هذا المنصب بعد سنة فتولى ادارة موسكو يورى لوجكوف الذى بقى يشغل هذا المنصب خلال الاعوام ال ١٨ الاخيرة، وقد تم انتخابه عمدة فى موسكو فى اعوام ١٩٩٦

و١٩٩٩ و٢٠٠٣ وفى عام ٢٠٠٧ قام مجلس الدوما فى موسكو باقراره فى هذا المنصب بترشيح من رئيس الدولة. وفى ٢٨ سبتمبر عام ٢٠١٠ تمت تنحيته من منصب عمدة موسكو بقرار صادر عن رئيس روسيا. شهد عام ١٩٩٣ اعتماد الدستور الروسى الجديد الذى تم بمقتضاه حل مجلس السوفيت فى موسكو واستحداث مجلس الدوما فى موسكو. الذى يعتبر السلطة التشريعية للمدينة. اما السلطة التنفيذية فهى حكومة موسكو. كان عمدة موسكو قبل عام ٢٠٠١ يترأس حكومتها فى آن واحد. لكن ميثاق موسكو الجديد الغى منصب رئيس حكومة موسكو، الا ان الحكومة نفسها ظلت تخضع للعمدة.

وينص ميثاق المدينة على ان عمدة موسكو هو اعلى مسؤول فى المدينة، يترأس حكومتها التى تعد بدورها هيئة عليا للسلطة التنفيذية فى المدينة. ويقوم العمدة بتشكيل الحكومة ويتخذ قرار اقالتها ويحدد بنية الهيئات التنفيذية فى المدينة ويحل مشاكل التنمية الاجتماعية والاقتصادية فى العاصمة. ويقوم بادارة اقتصاد المدينة ويمثل العاصمة فى علاقاتها مع شتى هيئات السلطة فى البلاد ويوقع القوانين التي يقوم مجلس الدوما بسنها او يرفضها، ويقوم باداء غيرها من المهام فى اطار صلاحياته، التى تعد ملزمة للتنفيذ فى داخل موسكو. كما انه يصدر مراسيم وتوجيهات ويراقب تنفيذهادى عمدة موسكو ختم يرسم عليه شعار المدينة وعلامة منصبه تبلغ مدة صلاحيات عمدة موسكو ٥ سنوات.

تاريخ مجلس الدولة فى روسيا الاتحادية :

وقع فلاديمير بوتين فى الأول من سبتمبر عام ٢٠٠٠ مرسوما يقضى بتشكيل « مجلس الدولة فى روسيا الاتحادية ». وكان أول مجلس دولة فى الإمبراطورية الروسية قد ظهر قبل ٢٠٠ سنة، حيث أمر الإمبراطور الكسندر الأول بتأسيس المجلس ليكون مؤسسة حكومية استشارية تابعة للامبراطور. فى عام ١٩٠٦ قرر

الإمبراطور نيقولاى الثانى تغير بنية المجلس، وأسس مجلس الدوما (البرلمان) ومجلس الدولة (الأعيان). بعد ثورة فبراير الغى مجلس الدولة حتى عام ١٩٩١ حيث أعاد تأسيسه ميخائيل غورباتشوف رئيس الاتحاد السوفيتي.

إلا أن هذا المجلس لم يستمر طويلا نظرا لتفكك الاتحاد السوفيتيمجلس الدولة الحالى – مؤسسة استشارية لا ذكر لها فى دستور روسيا الاتحادية. يتكون المجلس من رئيس وأعضاء يعملون بدون مقابل. يترأس المجلس رئيس روسيا الاتحادية، أعضاء المجلس – رؤساء السلطات التنفيذية للكيانات الفيدرالية الروسية.

يعقد المجلس اجتماعا واحدا كل ٣ أشهر فى الكرملين لمناقشة المشاكل ذات الأهمية المتميزة للدولة الروسية .أما هيئة رئاسة المجلس فتتكون من ٨ أعضاء (ممثل عن كل دائرة فيدرالية) يعينهم رئيس الدولة ويجتمعون مرة فى كل شهر، وتجدد تركيبة الهيئة كل ٦ أشهر.

أول اجتماع لمجلس الدولة فى روسيا الاتحادية كان فى ٢٢ نوفمبر عام ٢٠٠٠ فى قاعة الكسندر بقصر الكرملين الكبير تمت خلاله مناقشة إستراتيجية تطور الدولة لغاية عام ٢٠١٠ .

وتم فى الاجتماع الذى انعقد فى ٢٢ يناير عام ٢٠١٠ لأول مرة مناقشة تطور النظام السياسى فى البلد. وعقد أعضاء هيئة رئاسة المجلس عام ٢٠١٠ ثلاثة اجتماعات فى ابريل ومايو ويونيو. كما اتفق على إمكانية عقد اجتماعات المجلس خارج العاصمة موسكو.

الفصل الثالث

ثورة أكتوبر ووصول البلاشفة إلى السلطة في عام ١٩١٧

وقد حدثت فى ٢٥ أكتوبر عام ١٩١٧ بالتقويم الشرقي ٧ نوفمبر فى مدينة بطروغراد (سانت بطرسبورغ) انتفاضة كان فلاديمير لينين منظراً ومنظماً لها . وقد أصبح فيما بعد اول رئيس للحكومة السوفيتية. وآنذاك قام العمال والجنود والبحارة المسلحون بالاستيلاء على مبانى البريد والهاتف والتلغراف والقصر الشتوي وأطاحوا بالحكومة المؤقتة، واعلنوا سلطة السوفيت بزعامة الحزب الشيوعى التى ظلت قائمة لاحقا فترة تزيد عن ٧٠ سنة. ولم تتسبب الانتفاضة فى إسالة الدماء. فيما دويت اطلاقات النيران المنفردة من حين الى آخر أثناء اقتحام القصر الشتوى الذى كان سابقا مقرا للقياصرة الروس. و هناك اقامت الحكومة المؤقتة بعد أن تخلى نيقولاى الثانى عن العرش فى مارس عام ١٩١٧ . واعتقل وزراء الحكومة المؤقتة ، وزجّ بهم فى قلعة بطرس وبولس. اما رئيس الحكومة كيرينسكى فاختفى وهرب الى خارج البلاد.

سبقت ثورة اكتوبر فى روسيا ثورة فبراير عام ١٩١٧ و قبلها ثورة اعوام ١٩٠٥ – ١٩٠٧. وكان يوم ٧ نوفمبر عيداً رسمياً بارزاً فى العهد السوفيتى يقام فيه العرض العسكرى والمسيرات الشعبية الضخمة فى الساحة الحمراء بموسكو

واعتدت المانيا النازية على الاتحاد السوفيتى فى ٢٢ يونيو عام ١٩٤١. فلما وصلت القوات الالمانية الى مشارف موسكو اصبحت العرض العسكرى يوم ٧ نوفمبر عام ١٩٤١ اهمية سياسية وعسكرية كبرى لتأثيره على معنويات القوات السوفيتية المدافعة عن موسكو. وبالرغم من وقوع العاصفة الثلجية فى هذا اليوم كانت الساحة الحمراء مهددة بالقصف الجوى المعادي. وقد حمتها من قاذفات العدو طائرات مقاتلة. اما الجنود المشاركون فى العرض العسكرى فتم نقلهم الى خط المجابهة مباشرة بعد انتهاء الاحتفال ليقاتلوا العدو الفاشستي. وبعد تفكك الاتحاد السوفيتى وابعاد الحزب الشيوعى عن السلطة انتهى تقليد الاحتفال بهذا العيد. وتم تغيير تسميته اولا واطلقت عليه تسمية "عيد الوفاق والمصالحة" ، ثم تم الغاء العطلة الرسمية فى هذا اليوم. وحل محلها عيد الوحدة الشعبية الذى يحتفل به في يوم ٤ نوفمبر. اما تقليد اقامة العرض العسكرى فى هذا اليوم بساحة البلاد الرئيسية فتم انعاشه مجددا تذكاراً لاحداث عام ١٩٤١ التاريخية ولكن أيضا (وتلك مشيئة الأقدار) أن يتصدع الاتحاد السوفيتى وجمهورياته الاشتراكية فى عام ١٩٩١ ليخرج الوليد الشرعى (الجمهورية الروسية) ولكن كيف ؟ والى ضربة البداية .... أو كما يراها صانعوها ....

الفصل الرابع :

شخصيات روسيا المؤثرة

فلاديمير لينين قائد ثورة أكتوبر فى روسيا :

ولد فلاديمير أوليانوف المعروف بـ لينين فى مدينة سيمبرسك (اوليانوفسك) فى ٢٢ من شهر ابريل عام ١٨٧٠. وبعد ان انهى المدرسة دخل كلية الحقوق فى جامعة مدينة قازان، الا انه فصل من الجامعة بسبب مشاركته فى مظاهرات الطلاب. وبعد اعدام أخيه ألكسندر بسبب مشاركته فى تنظيم محاولة اغتيال القيصر ألكسندر الثالث عاد لينين الى مدينة قازان وانضم الى أحدى الجمعيات الماركسية فيها.

وفى عام ١٨٩٣ انتقل لينين الى العاصمة سانت بطرسبورغ وبدأ بتأليف كتب فى موضوع علم الاقتصاد الماركسى وتاريخ حركة الفلاحين والعمال فى روسيا. وتتواصل محطات حياة لينين مع اعتقاله بسبب نشاطه السياسى الماركسي. فتم نفيه الى سيبيريا لمدة عام .وتمكن هناك من تخصيص فترات طويلة من وقته للكتابة إلى المفكرين الشيوعيين فى أوروبا وفى عام ١٩٠٠ سافر لينين الى سويسرا وبقى خارج روسيا حتى عام ١٩٠٥ . وخلال هذه الفترة تم اختياره لزعامة حزب العمال الاشتراكي الديمقراطى الروسي الذي تكون فى عام ١٨٩٨ وخلال ثورة عام ١٩٠٥ فى روسيا عاد لينين الى وطنه ليشارك فى التمرد ضد الحكومة. وفى عام ١٩٠٨ توجه مرة أخرى الى سويسرا وبعد ذلك سافر الى باريس.. وفى عام ١٩١٦، بعد انقسام شهده حزب العمال الاشتراكي الديمقراطى

الروسي ترأس لينين الحزب البلشفي. ومع نشوب الحرب العالمية الاولى دعا لينين الى تحويل الحرب العالمية الى حروب أهلية ضد حكومات رأسمالية فى الدول الاوروبية. وبعد انتهاء الحكم القيصرى فى روسيا بانتصار ثورة فبراير ١٩١٧ وتولى الحكومة المؤقتة السلطة فى البلد سمحت ألمانيا لـ لينين مع مجموعة من أنصاره بالعودة الى روسيا. وفى أكتوبر عام ١٩١٧ قاد لينين ثورة أدت الى تولى الحزب البلشفى السلطة فى البلد ونشوء الحرب الأهلية. وبعد هذه الاحداث وتكوين الدولة السوفيتية واجه لينين خطر الغزو الالمانى ووقع اتفاقية سلام مع برلين. وفى عام ١٩١٨ تعرض لينين لمحاولة اغتيال من قبل «فانيا كابلان» التى كانت تنتمى لأحد الأحزاب المعارضة للينين، حيث اصابته بـ ٣ رصاصات استقرت فى كتفه ورئتيه لكن الموت لم يدركه وسرعان ما أخذت محاولة الاغتيال وهموم إدارة الدولة نصيبها من صحة لينين فأصيب بالعديد من الجلطات القلبية التى أفقدته القدرة على النطق فابعدته عن أضواء السياسة. وبعدها عن اضواء الحياة وذلك فى عام ١٩٢٤ .

جوزيف ستالين.. اليد الحديدية :

حكم جوزيف ستالين اكبر دولة فى العالم لمدة ٣١ سنة. لا تزال الحقبة الستالينية بعد مرور اكثر من نصف قرن على نهايتها تثير الكثير من الجدل فى المجتمع الروسى ولا تحظى بتقييم قاطع. ولد جوزيف ستالين فى ٢١ من ديسمبر عام ١٨٧٩ فى جورجيا لوالدين انحدرا من عائلة فلاحين أقنان جورجية. وعند بلوغه الـ ١٥ من عمره، إتصل ستالين بالحلقات الماركسية السرية واخذ يتردد إلى مكتبة عامة كان يرتادها بعض الشبان الرادكاليين. وبعد ٤ سنوات إنضم إلى المنظمة الإشتراكية الأولى فى جورجيا، وفى تلك الفترة بدأ بقراءة المؤلفات والكتابات الأولى للينين. إنتظم ستالين ولفترة ١٠

سنوات فى العمل السياسى السرى وتعرض للإعتقال والابعاد اكثر من مرة. ومنذ ظهور الخلايا الأولى للحزب البلشفى وحتى إنتصار ثورة أوكتوبر عام ١٩١٧ كان ستالين نصيرا مواليا للخط السياسى الذى أرساه لينين. بعد وفاة لينين، تمكن ستالين من حسم الصراع الداخلى لصالحه واصبح القائد الاوحد للحزب فى مطلع الثلاثينات، لتبدأ مرحلة نوعية جديدة فى حياة الدولة السوفيتية الفتية. وان كان يختلف المؤرخون بتقييمها الا ان الجميع يتفق على انها تركت بصماتها على مصير الاتحاد السوفيتى لاحقا. لقد اتبع ستالين فى اعوام الثلاثينيات سياسة القمع الشديد فى داخل البلاد والتى اقترنت باعتقال واعدام ونفى الآف الناس – من اعضاء القيادة العليا للحزب والجنرالات الى العمال والفلاحين البسطاء ورجال الدين. ولم يكن اى احد فى البلاد بمنأى عن اعمال القمع الستالينية. واستمر القمع بعد الحرب العالمية الثانية ايضا. حاول ستالين قدر الامكان تأجيل موعد المواجهة مع ألمانيا النازية، الا ان هتلر وبعد توقيع إتفاقية عدم الإعتداء بين الإتحاد السوفييتى وألمانيا النازية بعامين، قام بغزو الإتحاد السوفييتى وتمكّن من احراز إنتصارات عسكرية فى بداية الغزو. لكن صلابة ستالين وقوى الانصار والمقاتلين فى الجيش الاحمر وعموم شعوب الاتحاد السوفيتي، ادت إلى تحقيق النصر التام على جيوش هتلر فى ٩ مايو عام ١٩٤٥ . فى الأول من مارس عام ١٩٥٣ تدهورت حالة ستالين الصحية وتوفى بعدها بأربعة أيام، وقد هزت وفاة ستالين العالم أجمع. قال فيه خصمه الايديولوجي، أحد أهم الزعماء فى التأريخ البريطانى والعالمى الحديث ونستون تشرشل: «كان ستالين رجلاً ذا طاقة عالية وقوة إرادة لا تقهر... لم أستطع أنا الذى تربيت فى البرلمان البريطانى أن أرفض له شيئاً».

ان ستالين كان بالنسبة الى غالبية السوفيتيين بمثابة الاله ولهذا كانت وفاته

فى ٥ مارس عام ١٩٥٣ مصابا جللا بالنسبة لهم . وما زال الجدل يدور فى روسيا حتى الآن حول شخصية ستالين ودوره فى بناء الاتحاد السوفيتى وانتصاره على الفاشية ، لكن القلائل يريدون حقا عودة فترة القمع الستالينية.

نيكيتا خروشوف .. عدو الستالينية وصديق العرب :

نيكيتا سيرغيفيتش خروشوف (١٨٩٤ – ١٩٧١) احد رجال الدولة والحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتي وحاز على لقب بطل الاتحاد السوفيتي ولقب بطل العمل الاشتراكي.

ولد نيكيتا خروشوف عام ١٨٩٤ فى أسرة فلاحيه بقرية كالينوفكا فى مقاطعة كورسك الواقعة بين روسيا وأوكرانيا .

عمل منذ عام ١٩٠٩ فى مصانع ومناجم إقليم دونباس بصفة عامل برادة .انتسب إلى الحزب الشيوعى عام ١٩١٨، و حارب إلى جانب الحرس الأحمر أثناء الحرب الأهلية. وفى عام ١٩٢٨ ترأس القسم التنظيمى فى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى (البلشفي) الأوكرانى ثم التحق فى عام ١٩٢٩ للدراسة فى الأكاديمية الصناعية بموسكو . وفى عام ١٩٣١ بدأ بممارسة العمل الحزبى بموسكو وفى عام ١٩٣٥ تولى منصب السكرتير الأول للجنة الحزبية بمدينة موسكو .

وفى عام ١٩٣٨ عاد إلى أوكرانيا حيث تولى منصب السكرتير الأول للحزب الشيوعى الأوكراني حتى ١٩٤٩، وفى الوقت نفسه ترأس مجلس مفوضى الشعب (مجلس وزراء) جمهورية أوكرانيا السوفيتية الاشتراكية. وأصبح عضوا فى المكتب السياسى للحزب الشيوعى فى الإتحاد السوفيتي.

شارك فى أثناء الحرب العالمية الثانية فى تنظيم حرب الأنصار خلف

الخطوط الألمانية و ساهم فى الحرب كمفوض سياسى فى إحدى قطاعات الجيش.وأصبح عضوا فى المجالس العسكرية لعدة جبهات ومنح فى عام ١٩٤٣ رتبة جنرال .

وأصبح خروشوف عضوا فى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى فترة ١٩٣٤ – ١٩٦٦ وعضوا فى المكتب السياسى فى فترة ١٩٣٩ – ١٩٦٦ .وفى عام ١٩٥٣ تولى منصب السكرتير الأول للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى وفى الوقت نفسه ترأس مجلس وزراء الاتحاد السوفيتى .

بعد وفاة ستالين عام ١٩٥٣، وأثناء المحاكمات السياسية، أستطاع خروشوف الإنفراد بالسلطة وبقيادة الحزب الشيوعى السوفيتى . وكان احد المبادرين إلى إتباع سياسة « الدفء » على الصعيدين الداخلى والخارجي. وحاول تحديث تنظيم الحزب والدولة وتقييد امتيازات أفراد جهاز الحزب والدولة وتحسين ظروف معيشة الناس وجعل المجتمع أكثر انفتاحا. وفى فبراير(١٩٥٦) افتتح خروشوف المؤتمر العشرين للحزب الذى قدم فيه تقريرا أنتقد فيه سياسة ستالين متهما إياه بتشجيع عبادة الفرد وبأتباع سياسات خاطئة، كما انتقد إعماله الانتقامية ضد الأبرياء.

بدأت فى فترة حكم خروشوف أعادة الاعتبار للمحكومين الأبرياء، ووصف عهده بعهد الانفتاح النسبى حيث أصبح المثقفون يشعرون بحرية أكبر بالمقارنة مع عهد ستالين. لكنه واصل فيما بعد سياسة قمع أصحاب الرأى المغاير وإطلاق النار على مظاهرات العمال(فى نوفوتشيركاسوفسك عام ١٩٦٢) والتعسف حيال المثقفين والتدخل فى شئون الدول الأخرى (التدخل العسكرى فى المجر عام ١٩٥٦) وتأزم العلاقات مع الغرب (أزمة جدار برلين عام ١٩٦١ وأزمة الكاريبى فى

عام ١٩٦٢) ورسم مشاريع ضخمة « اللحاق بأمريكا وتجاوزها» في التطور كما وعد ببناء المجتمع الشيوعى فى عام ١٩٨٠ .

فى عام ١٩٥٩ قام نيكيتا خروشوف بأول زيارة رسمية فى تاريخ العلاقات السوفيتية الأمريكية إلى الولايات المتحدة .

أنتهج خروتشوف إزاء بلدان العالم الثالث و بخاصة الدول العربية سياسة انفتاح و تفهم و تأييد.فأتخذ موقفا حاسما من العدوان الثلاثى على مصر وقدم المساعدات لبناء السد العالى فضلاً عن تشييد مئات المشاريع الصناعية.
وعلى الصعيد الخارجى شهدت فترة زعامة خروشوف تطورات هامة من بينها إنشاء حلف وارسو عام ١٩٥٥، وعقد إتفاقية الحظر الجزئى للتجارب النووية ١٩٦٣.

وفى عام ١٩٦٤ تمت تنحية خروشوف من جميع مناصبه الحزبية والإدارية بنتيجة عدم ارتياح الجهاز الحزبى والحكومى من تصرفاته ومنها تدهور الزراعة عندما أرغم الفلاحين على زراعة الذرة وتسليم ما لديهم من حيوانات منزلية إلى إدارات الكولخوزات والسوفخوزات.. توفى الزعيم السوفيتى فى ١١ سبتمبر عام ١٩٧١ بموسكو. ونشرت مذكراته بنيويورك فى عام ١٩٨١ .

ليونيد بريجنيف زعيم لم يحب التغييرات ... فالركود او الاستقرار؟

ليونيد بريجنيف (١٩٠٦ – ١٩٨٢).. هو الأمين العام للحزب الشيوعى السوفيتى منذ عام ١٩٦٤ وحتى عام ١٩٨٢ ورئيس هيئة رئاسة مجلس السوفيت الأعلى ومارشال وبطل الاتحاد السوفيتى وبطل العمل الاشتراكى والحائز على جائزتى لينين كما ألف بريجنيف ثلاثية من مذكراته .

ولد ليونيد بريجنيف فى ١٩ ديسمبر عام ١٩٠٦ فى مدينة كامنسكوى

(دنيبرودزيرجينسك حاليا) بأوكرانيا فى عائلة لأب عامل. والتحق عام ١٩١٥ بمدرسة كلاسيكية فى موطنه. وكانت مادة الرياضيات من أفضل وأحب المواد الدراسية بالنسبة له. بينما كان يتهرب دوما من دراسة اللغات الأجنبية.

وتخرج بريجنيف عام ١٩٢٧ من الكلية الزراعية وعمل مهندسا فى محافظة كورسك وجمهورية بيلوروسيا ومنطقة أورال. وشارك بريجنيف فى تأسيس التعاونيات الزراعية ومصادرة ممتلكات الأثرياء. والتحق عام ١٩٣١ بالحزب

الشيوعي. ثم عاد الى موطنه مدينة كامنسكوى حيث عمل بمصنع التعدين ودرس فى الوقت ذاته فى الدورة المسائية لمعهد التعدين الذى تخرج منه عام ١٩٣٥. ثم استدعى للخدمة فى الجيش الأحمر لسنة واحدة. فعاد إلى موطنه ليتولى إدارة كلية التعدين. وقد مكنته حملة الإرهاب التى شنتها السلطات الستالينية على الكوادر القيادية السوفيتية والحزبية فى النصف الثانى للثلاثينات مكنته من الارتقاء السريع فى السلم الحزبي. وبحلول عام ١٩٣٩ وجد بريجنيف نفسه سكرتيرا للجنة الحزب فى شؤون الدعاية فى المقاطعة . ثم ترأس قسم الصناعات الحربية فى لجنة الحزب فى المقاطعة.

كان بريجنيف إبان الحرب الوطنية العظمى يخدم ناشطا حزبيا فى الوحدات ومتخصصا فى التوجيه المعنوي. وامضى فترة طويلة فى جبهة القوقاز بالقرب من مدينة نوفوروسييسك حيث استولى الجنود السوفيت رأس جسر صغير. وزاره ليونيد بريجنيف ٤٠ مرة كونه رئيسا للقسم السياسى فى الجيش الثامن عشر. ووصف بريجنيف تلك الأحداث فى الجزء الأول من مذكراته «الارض الصغيرة». وترقى بريجنيف فى نهاية الحرب الوطنية العظمى الى منصب رئيس الادارة السياسية للجبهة ورتبة العميد . وشارك بريجنيف فى الاستعراض العسكرى بمناسبة انتصار الاتحاد السوفيتى على المانيا النازية الذى أقيم فى الساحة الحمراء يوم ٢٤ يونيو عام ١٩٤٥ .

وفى فترة ما بعد الحرب كان بريجنيف يتولى إدارة اللجنة الحزبية فى مقاطعتى زابوروجيه ودنيبروبيتروفسك باوكرانيا. واتصف بريجنيف فى تلك الفترة بمقدرته على إقامة العلاقات الطيبة مع الناس وحمل معاونيه على تنفيذ واجباته الوظائفية. وحظى بسمعة بين النشطاء الحزبيين وكافة فئات العاملين. وحاول بريجنيف كل مرة ان يحيط نفسه باناس اوفياء له شخصيا. الأمر الذى ساعده فى تولى منصب السكرتير الاول للجنة الحزب الشيوعى بجمهورية مولدافيا. لم يحب بريجنيف تغيرات جذرية. وتعتبر صفته هذه من اهم سمات طبعه التى تجلت بكل وضوح وقت توليه للمناصب العليا فى الحزب والدولة.

انتخب بريجنيف كونه سكرتيرا أول للجنة الحزب الشيوعيى فى مولدافيا عام ١٩٥٢ مندوبا الى المؤتمر التاسع عشر للحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى حيث لفت انتباه ستالين الذى بدأ حينذاك بأتباع حملة جديدة خاصة بتغيير الدم فى الكوادر القيادية الحزبية. وتم انتخابه عضوا فى اللجنة المركزية للحزب وسكرتيرا للجنة المركزية وعضوا فى الرئاسة الموسعة للجنة المركزية للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتي. لكن ستالين لم يقدم حتى موته عام ١٩٥٣ على عقد حتى اجتماع واحد لرئاسته الموسعة. وبقى بريجنيف فى موسكو مكتوف اليدين الى ان تم حل الرئاسة الموسعة بعد موت ستالين وعين بريجنيف نائبا للادارة السياسية العامة فى الجيش السوفيتى ثم سكرتيرا ثانيا للجنة المركزية فى الحزب الشيوعي فى جمهورية كازاخستان السوفيتية. وتم تكليف بريجنيف آنذاك برئاسة حملة زراعية جديدة، وهى استصلاح الأراضى البكر فى كازاخستان. الذى وصفه فيما بعد بالجزء الثالث لمذكراته المشهورة تحت عنوان «الأرض البكر». ومكن نجاح تلك الحملة بريجنيف من العودة عام ١٩٥٦ الى النخبة السياسية والحزبية وتولى منصب سكرتير اللجنة المركزية فى الحزب لكونه احد المساعدين الاوفياء لنيكيتا خروشوف الأمين العام للحزب الشيوعى السوفيتى ورئيس الوزراء للبلاد آنذاك.

وفى عام ١٩٦٠ تم تعيين بريجنيف فى منصب رئيس هيئة الرئاسة لمجلس السوفيت الأعلى. لم يتصف بريجنيف بطبع قوى ولا بذكاء كبير. لذلك لم يرغب فى أن يصبح يدا حديدية للحزب والدولة . لكنه كان ناشطا حزبيا ماكرا يضطلع بأسرار تشغيل الجهاز الحزبي وجعله يخدم مصلحة مسؤول، الأمر الذى ساعده فى مشاركة أصحابه الأعضاء فى اللجنة المركزية فى تدبيرهم للانقلاب فى الحزب وإقصاء قائده الحزبى نيكيتا خروشوف عن السلطة فى أكتوبر عام ١٩٦٤ وتولى زمام الحكم فى الحزب والدولة. وعول شركاء بريجنيف فى الانقلاب من الكوادر القيادية الحزبية الأصغر منه سنا على انه سيتخلى فيما بعد عن جميع مناصبه ويمنحهم مناصب قيادية فى البلاد لكونهم مدبرين أساسيين للانقلاب. لكن بريجنيف استطاع التخلص منهم تدريجيا وإحالتهم إلى مناصب غير مسؤولة فى الجهات الحكومية والنقابية.

وابتداء من عام ١٩٧٠ شهدت البلاد حملة دعائية جديدة وهى تمجيد قائد جديد يحب الرفعة ويتصف بطموحات لا حد لها. وتم تكريم بريجنيف باربعة نجوم ذهبية لبطل الاتحاد السوفيتى ونجمة ذهبية واحدة لبطل العمل الاشتراكى ووسام النصر– على غرار ستالين وجوكوف اللذين منحوا هذا النوط لقاء تحقيق الانتصارات البارزة فى الحرب العالمية الثانية – وميدالية كارل ماركس الذهبية كأنه احد المؤسسين الكلاسيكيين للماركسية اللينينية وعدد لا يحصى من الأوسمة والميداليات السوفيتية والأجنبية. كما انه منح نفسه مناصب عديدة فى الحزب والدولة، وبينها الامين العام للحزب ورئيس هيئة رئاسة مجلس السوفيت الأعلى ورئيس مجلس الدفاع والقائد الأعلى للقوات المسلحة والحائز على جائزتى لينين فى المجالين السياسى والادبى لقاء نضاله الدؤوب من اجل احلال السلام فى العالم وتأليف الثلاثية « الأرض الصغيرة » و«الانبعاث» و«الارض البكر»، رغم انه لم يشارك عمليا فى كتابتها. واتصفت سياسته

الداخلية بعسكرة الاقتصاد الوطنى والاستعادة الزاحفة للنزعة الستالينية وتوسيع الهوة بين ازدهار النخبة الحزبية من جهة والمستوى المتدني للفئات الكادحة من جهة اخرى وفرض المخابرات هيمنتها على حياة الناس الشخصية وفساد اجهزة السلطة من أعلاها حتى أدناها. لكنه لم يتخل عن اتباع مبدأ حياته الرئيسى الذى يفيد « لا لتغيرات أو بالأحرى « أعيش وأتيح فرصة بالعيش للآخرين». فظل محيطه يستمتع بامتيازات اتيحت لهم فظل النشطاء الحزبيون يكسبون المال ويستفيدون من مناصب يشغلونها تحت ستار شعارات حزبية وشيوعية

واتصفت سياسة بريجنيف الخارجية بالسعى إلى نشر النفوذ السوفيتي فى العالم اجمع عن طريق دعم ما يسمى بحركة التحرر الوطنى فى الدول النامية والأحزاب الشيوعية فى الدول الرأسمالية المتطورة، الامر الذى ادى الى اصطدام مصالح الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة فى شتى مناطق العالم مثل منطقة جنوب شرق آسيا والشرق الاوسط وافغانستان امريكا اللاتينية والدول الإفريقية. وعلى صعيد العلاقات السوفيتية الأمريكية يعود الى بريجنيف الفضل الكبير فى بلوغ التوازن الاستراتيجى بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة والبدء فى سياسة تقليص الاسلحة الاستراتيجية الهجومية والدفاعية، وذلك بعد الزيارة التى قام بها الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون إلى موسكو عام ١٩٧٢ .

من أولويات السياسة الخارجية فى عهد بريجنيف كان تعزيز تلاحم المعسكر الاشتراكى الذى احتوى على دول اوروبا الشرقية و الهند الصينية و كوبا فى امريكا اللاتينية. وادت كل تلك الطموحات إلى استنزاف موارد البلاد وعدم التركيز على مصالح غالبية فئات الشعب السوفيتى وعدم تطوير أقاليمه وخاصة فى روسيا نفسها. وأطلق على عهد بريجنيف فيما بعد بأنه ركود على كافة الأصعدة. غير أن الشعب السوفيتى الذى عوده القادة السياسيون السابقون على

تحمل الإرهاب والتعرض للحروب ومصادرة الممتلكات لم يعبر عن عدم رضائه بل بالعكس كان بجملته يؤيد السياسة الداخلية والخارجية التى كان بريجنيف يتبعها، إذ أن العهد الذى يوصف بالركود يمكن وصفه بالاستقرارايضا. واذا كان هناك بعض المنشقين فى البلاد فان صوتهم كان غير مسموع على خلفية خطابات الرفيق بريجنيف «العزيز على قلب كل واحد منا».

أصيب بريجنيف فى منتصف السبعينات بسكتة قلبية، مما جعله يواجه صعوبة فى النطق. وادى فى نهاية المطاف الى انه صار يتهرب من تسيير شؤون الحزب والدولة، وخاصة فى مطلع الثمانينات حتى طلب من انصاره بان يسمحوا له بتقديم الاستقالة لسوء صحته. لكن محيطه أصر على ان يتابع تولى واجباته كيلا يخل كما وصفوا بالتوازن والاستقرار فى الدولة. ولم يوافق بريجنيف لكونه رجلا حذرا على إدخال القوات السوفيتية إلى أفغانستان. لكن رأيه فى مطلع الثمانينات لم يؤخذ بالحسبان، علما ان نخبة المخابرات والجيش فى البلاد صار يتزايد دورها أكثر فأكثر.

توفى ليونيد بريجنيف فى ١٠ نوفمبر عام ١٩٨٢ وتم دفنه بقرار صادر عن المكتب السياسى للحزب الشيوعى فى الساحة الحمراء جنب سور الكرملين . واطلق اسمه على مدينة نابيريجنيه تشيلنى فى جمهورية تتارستان. لكن هذا القرار تم إلغاؤه فى عهد ميخائيل غورباتشوف.

ميخائيل غورباتشوف .. اول رئيس سوفيتى ومهندس "البيريسترويكا :

ولد غورباتشوف فى ٢ مارس عام ١٩٣١ بقرية بريفولنويا فى إقليم ستافروبول، فى أسرة فلاحين.أنهى دراسته فى كلية الحقوق بجامعة موسكو الحكومية عام ١٩٥٥، والمعهد الزراعى فى كلية الاقتصاد بستافروبول عام ١٩٦٧.

بدأ حياته المهنية كمسؤول فى إتحاد الشبيبة الشيوعية(الكمسمول) عام ١٩٥٥ بإقليم ستافروبول. وعمل عام ١٩٦٢ فى تنظيمات الحزب الشيوعى السوفيتي.

فى الأعوام ١٩٧٠-١٩٧٨ عمل فى منصب السكرتير الاول للجنة الحزب الشيوعى السوفيتى فى إقليم ستافروبول . وأصبح فى عام ١٩٧٠ عضوا فى مجلس السوفيت الأعلى فى الإتحاد السوفيتي. فى عام ١٩٧١ ، انتخب عضوا فى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتي.

وأصبح غورباتشوف في عام ١٩٧٨ سكرتيرا للجنة المركزية للحزب الشيوعى للشؤون الزراعية ، وحينذاك انتقل إلى موسكو.

أصبح فى عام ١٩٧٩ مرشحا لعضوية المكتب السياسى للحزب الشيوعى السوفيتى وفى عام ١٩٨٠ اصبح عضوا فيه .

فى عام ١٩٨٥ أنتخب غورباتشوف لمنصب السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتي(كان هذا المنصب فى الاتحاد السوفيتى يعادل منصب رئيس الدولة).

فى عام ١٩٨٦ باشر عمله كسكرتير عام للحزب وبدأ باجراء الاصلاحات فى إقتصاد البلاد وكذلك فى الحياة العامة، ودعا إلى أحداث تغييرات ديمقراطية فى المجتمع وزيادة النشاط السياسى للشعب، وألغى الرقابة على وسائل الإعلام. عرفت سياسة غورباتشوف تلك منذ يونيو عام ١٩٨٦ بإعادة البناء (البيريسترويكا). وأصبحت هذه الكلمة معروفة فى جميع أنحاء العالم حتى بدون ترجمة.

أنتخب غورباتشوف رئيسا للإتحاد السوفيتى فى مارس ١٩٩٠،وذلك من قبل مؤتمر نواب الشعب.

وفى ٢٧ من ديسمبر عام ١٩٩١ وعلى أثر توقيع رؤساء كل من روسيا واوكرانيا وبيلوروسيا اتفاقا حول تأسيس رابطة الدول المستقلة ، قدم غورباتشوف استقالته من منصب رئيس الدولة، واعتبر ذلك رسميا نهاية تاريخ الاتحاد السوفيتي.

يشغل غورباتشوف منذ يناير ١٩٩٢ حتى الوقت الحاضر منصب رئيس المؤسسة الاجتماعية الدولية للدراسات الاجتماعية – الاقتصادية و السياسية (صندوق غورباتشوف). كما يشارك غورباتشوف فى الأنشطة العامة والخيرية. وقبل غورباتشوف ترشيح نفسه لخوض الانتخابات لعضوية مجلس الدوما، كما حاول الفوز فى الانتخابات الرئاسية ، لكن جميع هذه المحاولات باءت بالفشل توفيت رائيسا قرينه ميخائيل غورباتشوف فى عام ١٩٩٩، وله إبنة وأحفاد.

بوريس يلتسين أول رئيس لروسيا الاتحادية :

بوريس نيقولايفيتش يلتسين (١٩٣١ – ٢٠٠٧) شخصية سياسية متناقضة تولى رئاسة روسيا طوال تسعينات القرن الماضي. وكان يلتسين ضمن الساسة الثلاثة الذين اتخذوا فى غابة بيلوفيجسكايا فى غرب بيلوروسيا قرارا بتصفية الاتحاد السوفيتى وتأسيس رابطة الدول المستقلة. ويعد يلتسين من الإصلاحيين الراديكاليين. وأسفرت إصلاحاته الاقتصادية عن تدهور المستوى المعيشى فى روسيا. كما انه اتخذ قرارا بحل مجلس السوفيت الأعلى (البرلمان المنتخب بطريقة شرعية) لروسيا الاتحادية وقصف مبناه بالدبابات وقمع مقاومة المدافعين عن البرلمان. ومن اهم خطواته المصيرية قراره بشن الحرب على الشيشان، مما أودى بحياة الآلاف من الضحايا بين السكان المدنيين والجنود والضباط الروس . ومن جهة أخرى فان يلتسين حال دون وقوع حرب أهلية واسعة النطاق فى روسيا، على غرار الحرب اليوغوسلافية الدامية. ويعود إليه فضل كبير فى وضع أسس للديمقراطية فى روسيا، بما فى ذلك فى مجال حرية

الرأى والصحافة والاجتماعات والتنقل والسفر إلى خارج البلاد وتطبيق نظام تعدد الأحزاب. وقام يلتسين بعدة محاولات لفرض حظر على نشاط الحزب الشيوعى فى البلاد.

ولد بوريس يلتسين فى ١ فبراير عام ١٩٣١ فى قرية بوتكا بمقاطعة سفيردلوفسك (يكاترينبورغ حاليا) فى عائلة فلاح. وكان جده فلاحا ثريا صادرت السلطة البلشفية ممتلكاته كلها واجبرته على الهرب من موطنه. تخرج بوريس يلتسين من كلية الهندسة فى معهد الهندسة بمدينة سفيردلوفسك (يكاترينبورغ حاليا). وعمل مهندسا مدنيا على مدى ١٣ عاما. فى عام ١٩٦١ التحق بوريس يلتسين بالحزب الشيوعى السوفيتي، حيث صار يتسلق سلم الترقيات سريعا من منصب إلى أخر. وتم انتخابه فى عام ١٩٧٦ سكرتيرا أول للجنة الحزب الشيوعى فى مدينة سفيردلوفسك . وبقي في هذا المنصب حتى عام ١٩٨٥. والجدير بالذكر انه يتحمل السؤولية عن هدم منزل ايباتوف الذى شهد اعدام نيقولاى الثانى آخر قياصرة روسيا وافراد اسرته. فى عام ١٩٨٥ بدأت فى الحزب الشيوعى الروسى حملة تجديد الكوادر . واستدعى يلتسين من سفيردلوفسك ليشغل منصب السكرتير الأول للجنة الحزب فى مدينة موسكو. واتصفت ولايته فى هذا المنصب بحملات دعائية عديدة ترمى الى مكافحة الفساد وحرمان القيادات الحزبية من الامتيازات التى تمنحها العضوية فى الحزب الشيوعي. وكان تلفزيون موسكو يعرض حينذاك ركوب يلتسين الترام فى طريقه الى موقع العمل والتنقل في سيارة «موسكفيتش» الشعبية، الأمر الذى ساعد فى نمو شعبيته بين الفئات الفقيرة من الناس والمثقفين من اهالى موسكو.

وشهدت سنة ١٩٨٧ انعطافا جذريا فى مصير يلتسين السياسي، حين القى كلمة فى اجتماع اللجنة المركزية للحزب بالغ فيها بانتقاد ميخائيل

غورباتشوف الامين العام للحزب الشيوعى آنذاك وسياسته الداخلية. وتم اعفائه من المناصب الحزبية جميعا. فطلب يلتسين إعادة اعتباره السياسي، لكن مندوبى المؤتمر الحزبى لم يوافقوا على طلبه. فتخلى يلتسين عن عضويته فى الحزب الشيوعي. ومكنته سياسة «البيريسترويكا» (اعادة البناء) التى كان يتبعها غورباتشوف فى تلك الفترة من ترشيح نفسه لينتخب نائبا فى مجلس السوفيت الأعلى (البرلمان السوفيتي) للاتحاد السوفيتي ويترأس المعارضة البرلمانية الراديكالية المناهضة للحزب الشيوعي، إلى جانب رجال السياسة والمجتمع المعروفين مثل المنشق اندريه ساخاروف والخبير الاقتصادى غافريل بوبوف. انتخب يلتسين عام ١٩٩٠ رئيسا لمجلس السوفيت الأعلى لروسيا الاتحادية بالرغم من المقاومة الشديدة من قبل الجهاز الحزبى الشيوعي. ثم تم انتخابه فى ١٢ يونيو عام ١٩٩١ رئيسا لجمهورية روسيا الاتحادية السوفيتية الاشتراكية.

كان ميخائيل غورباتشوف رئيس الاتحاد السوفيتى حينذاك ينوى فى صيف عام ١٩٩١ عقد اتفاقية اتحادية جديدة مع جمهوريات الاتحاد السوفيتى من شأنها أن تمنحها استقلالا أكثر وتحول الاتحاد السوفيتي الى اتحاد كونفيدرالي، الأمر الذى اثأر الاستياء لدى المسؤولين فى الحزب الشيوعى وجهاز الأمن والجيش الذين دبروا انقلابا وأعلنوا تشكيل لجنة حالة الطوارئ فى محاولة لإعادة الوضع إلى ما كان عليه سابقا. وفشلت المحاولة الانقلابية بفضل الموقف الحاسم الذى اتخذه يلتسين وأنصاره في مجلس السوفيت الأعلى. وانتهى الأمر باعتقال المتمردين فى أغسطس عام ١٩٩١ وازدياد شعبية يلتسين إلى مستوى لا مثيل له. فى ٦ نوفمبر الثانى عام ١٩٩١ اصدر يلتسين مرسوما رئاسيا حظر بموجبه نشاط الحزب الشيوعى في جميع أنحاء روسيا الاتحادية. لكن المحكمة الدستورية لم تؤيد هذا المرسوم. وفشلت جميع محاولات غورباتشوف لعقد معاهدة

اتحادية جديدة، لان يلتسين كان يسعى إلى تولى زمام السلطة بمفرده، فيما كان غورباتشوف يحاول منع ذلك.

فى ٨ ديسمبر عام ١٩٩١ اجتمع رؤساء الجمهوريات الثلاث روسيا الاتحادية واوكرانيا وبيلوروسيا بوريس يلتسين وليونيد كرافتشوك وستانيسلاف شوشكيفيتش فى جو من السرية بمنطقة غابة «بيلوفيجسكايا» فى بيلوروسيا ووقعوا اتفاقية حول حل الاتحاد السوفيتى و تأسيس رابطة الدول المستقلة. وأطلقت على جمهورية روسيا الاتحادية السوفيتية الاشتراكية تسمية روسيا الاتحادية. وشكل يلتسين حكومة ترأسها الخبير فى الشؤون الاقتصادية يغور غايدار الذى باشر بتنفيذ الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية فى البلاد. و بدأت الإصلاحات من تحرير أسعار السلع الاستهلاكية، الامر الذى ادى الى خفض قيمة المدخرات لمعظم المواطنين فى المصارف وإفلاس عدد هائل من المؤسسات الصناعية. واتخذ مجلس السوفيت الأعلى موقفا مناهضا للإصلاحات الراديكالية فى مجال الاقتصاد وبدأ فى إدخال تعديلات فى الدستور كان من شأنها الحد من سلطة الرئيس ، وهو ما أدى إلى المواجهة بين البرلمان من جهة والرئيس يلتسين من جهة أخرى، حيث انتهت (المواجهة) بإصدار يلتسين مرسوم يقضى بحل البرلمان، ووصلت البلاد فى أكتوبر عام ١٩٩٣ إلى حافة الحرب الاهلية.

وكان أنصار مجلس السوفييت الأعلى(البرلمان) طيلة أيام ألازمة يرابطون بالقرب من مبنى البرلمان، فى محاولة منهم للحيلولة دون اقتحامه من قبل القوات الموالية للرئيس يلتسين. غير ان المواجهة السلمية تحولت يوم ٣ اكتوبر/ تشرين الاول عام ١٩٩٣ الى صدامات مسلحة . ونظم أنصار البرلمان مسيرة فى شارع «سادوفويه كولتسو» انطلاقا من ساحة «اكتيابرسكي» حيث اجتمع عشرات الآلاف من المتظاهرين حتى البيت الأبيض، مقر البرلمان . ولم يواجهوا فى

طريقهم اية مقاومة، ثم استولوا على مبنى بلدية موسكو وحاولوا فرض سيطرتهم بالسلاح على مجمع التلفزيون المركزي «اوستانكينو». ونتيجة لذلك أعلن الرئيس يلتسين فى ليلة ٢- ٣ أكتوبر عام ١٩٩٣حالة الطوارئ فى البلاد وادخل قوات الجيش الى المدينة. وفى صباح اليوم التالى بدأت الدبابات بإطلاق النار على مقر البرلمان (البيت الأبيض). وانتهت الأزمة السياسية باعتقال نائب رئيس الجمهورية الجنرال روتسكوى ورؤساء المعارضة.

فى ١٢ ديسمبر عام١٩٩٣ جرى فى روسيا الاستفتاء الشعبى العام بخصوص اعتماد الدستور الجديد والانتخابات فى مجلس الدوما. وصوتت لصالح الدستور نسبة ٥٨.٤ ٪ من الناخبين الروس. فى عام ١٩٩٤ اصدر يلتسين أمرا بإدخال القوات النظامية الى جمهورية الشيشان التى اعلنت الاستقلال عن روسيا. لكن العملية العسكرية التى تم الإعداد لها بشكل سيئ أدت إلى سقوط ضحايا كثيرة لا مبرر لها بين الجنود الروس والسكان المحليين، الأمر الذى اضطر يلتسين إلى سحب القوات من الشيشان عام ١٩٩٦ وعقد اتفاقية الصلح مع الانفصاليين. لكن توسع الإرهاب فى شمال القوقاز فى نهاية التسعينات اجبر يلتسين عام ١٩٩٩ على استئناف الحرب .

كان يلتسين يحب تغيير رؤساء حكومته، حيث حل فيكتور تشيرنوميردين محل يغور غايدار، وحل سيرغى كيرييىنكو محل فيكتور تشيرنوميردين، ثم جاء محلهم يفغينى بريماكوف وسيرغى ستيباشين وأخيرا فلاديمير بوتين عام ١٩٩٩ . ولم يركز يلتسين لسوء صحته فى المرحلة الأخيرة لولايته الثانية على شؤون الدولة وسلم زمام السلطة، وخاصة فى الشؤون الاقتصادية الى أعضاء أسرته ومحيطه الذين كانوا يستفيدون كثيرا من هذا الامر لتسيير أمورهم الشخصية وكسب الأموال. وفاز الحزب الحاكم « روسيا الموحدة» عام ١٩٩٩ فى الانتخابات البرلمانية. فقدم يلتسين فى ٣١ ديسمبر عام ١٩٩٩ استقالته من منصب رئيس روسيا وسلم زمام السلطة الى رئيس

الوزراء ورجل المخابرات السابق فلاديمير بوتين.

كان يلتسين المتقاعد فى السنوات السبع الأخيرة لحياته يقوم بجولات كثيرة فى العالم . بما فى ذلك قام قبل وفاته بشهر واحد بالحج إلى الأماكن الارثوذكسية المقدسة فى فلسطين، حيث قام بزيارة القدس ونهر الأردن. توفى بوريس يلتسين فى ٢٣ ابريل عام ٢٠٠٧ ودفن فى مقبرة «نوفوديفيتشي» بموسكو.

فلاديمير بوتين رئيس وزراء روسيا الإتحادية :

ولد فلاديمير بوتين فى اكتوبر ، ١٩٥٢ فى مدينة لينغراد (حاليا سانت بطرسبورغ).

بعد أن انهى دراسته فى كلية الحقوق بجامعة لينينغراد الحكومية عام ١٩٧٥ ، عمل بوتين فى أجهزة امن الدولة ، وبضمنها فترة عمله فى المانيا فى الأعوام ١٩٨٥-١٩٩٠.

عمل منذ عام ١٩٩٠ ، مساعدا لرئيس جامعة لينينغراد الحكومية للشؤون الخارجية ، ثم مستشارا لرئيس مجلس مدينة لينغراد.

ترأس منذ يونيو عام ١٩٩١ لجنة العلاقات الخارجية لإدارة مدينة سانت بطرسبورغ ، كما عمل منذ عام ١٩٩٤ نائبا أولا لرئيس حكومة سانت بطرسبورغ ، مع استمراره بالعمل فى تلك اللجنة.

أصبح فى أغسطس ١٩٩٦ نائبا لمدير ديوان الرئيس الروسي. وفي مارس ١٩٩٧ شغل منصب رئيس إدارة الرقابة العامة فى الديوان. ثم أصبح فى مايو ١٩٩٨ نائبا أولا لمدير ديوان الرئيس الروسي.

تم تعيين بوتين مديرا لجهاز الأمن الفيدرالى الروسي يوليو ١٩٩٨ ، إلى جانب تعينه أمينا عاما لمجلس الأمن الفيدرالى الروسي ، وذلك فى مارس ١٩٩٩. عيّن رئيسا لحكومة روسيا الإتحادية فى أغسطس ١٩٩٩. ومنذ ٣١

ديسمبر ١٩٩٩ تولى رئاسة حكومة روسيا الإتحادية بالوكالة. وفى ٢٦ مارس ٢٠٠٠ انتخب رئيسا لروسيا الإتحادية، حيث مارس مهامه فى ٧ مايو من نفس العام. انتخب الرئيس بوتين لفترة ثانية فى ١٤ مارس عام ٢٠٠٤. منذ ٨ مايو عام ٢٠٠٨ يشغل منصبا رئيس وزراء روسيا . ومنذ ٧ مايو عام ٢٠٠٨ يرأس حزب «روسيا الموحّدة». حاصل على شهادة الدكتوراه فى العلوم الإقتصادية يتقن اللغتين الالمانيه والانجليزيه. متزوج، إسم زوجته لودميلا وله ابنتان؛ الأولى ماريا، والثانية كاترينا.

وفى ٢٤ سبتمبر ٢٠١١ استجاب بوتين لمقترح الرئيس الروسى الثالث دميترى مدفيديف بالترشح لانتخابات الرئاسة فى روسيا عام ٢٠١٢.

ورشح مؤتمر حزب «روسيا الموحدة» فى ٢٧ نوفمبر عام ٢٠١١ فلاديمير بوتين لمنصب الرئاسة ، وفى ٧ ديسمبر للعام نفسه قدم إلى اللجنة الوثائق التى تؤكد ترشيح الحزب له، وفى ١١ ديسمبر عام ٢٠١١ سجلت اللجنة المركزية للانتخابات الوكلاء المفوضين من «روسيا الموحدة» ووكلاء المرشح المفوضين فى القضايا المالية، ومنحت اللجنة الترخيص بفتح حساب خاص بتمويل الحملة الانتخابية. وقررت اللجنة الانتخابية المركزية فى روسيا يوم ٢٠ ديسمبر عام ٢٠١١ تسجيل ترشيح رئيس الوزراء الروسى فلاديمير بوتين للمشاركة فى انتخابات الرئاسة المقرراجراؤها فى ٤ مارس عام ٢٠١٢ و نجح فى الانتخابات و تولى رئاسه روسيا الاتحاديه لفتره رئاسه قادمه.....

دميترى مدفيديف.. الرئيس الثالث لروسيا الاتحادية :

انتخب دميترى مدفيديف فى ٢ مارس ٢٠٠٨ رئيسا لروسيا، وتسنّم

منصبه فى ٧ مارس ٢٠٠٨. ولد عام ١٩٦٥ فى مدينة لينينغراد. وعام ١٩٨٧ تخرج من كلية الحقوق لجامعة لينينغراد الحكومية، وبعد ثلاث سنوات حصل على درجة الدكتوراه فى العلوم القانونية. عام ١٩٩٠ حتى عام ١٩٩٩عمل مدرساً فى جامعة سانت بطرسبورغ الحكومية. فى عام ١٩٩٩ عين نائباً لرئيس ديوان الحكومة الروسية. فى عام ٢٠٠٠ شغل منصب النائب الأول لرئيس ديوان الرئاسة فى الكرملين. من عام ٢٠٠٠ حتى عام ٢٠٠٢ رئيس هيئة المدراء فى شركة غازبروم. فى عام ٢٠٠٣ عين فى منصب مدير ديوان الرئاسة فى الكرملين في ٢٠٠٥ اصبح النائب الأول لرئيس الوزراء الروسي. تولّى فى الحكومة الاشراف على تنفيذ المشاريع الوطنية الرامية الى تحسين القطاع الاجتماعي. منذ ٢٠٠٨ يشغل منصب رئيس الدولة و القائد العام للقوات المسلحه، ورئيس مجلس الامن الروسي. ويعتبر اصغر رئيس دولة فى تاريخ روسيا (٤٢ عاما و٨ اشهر). وترأس فى ٢٤ سبتمبر ٢٠١١ قائمة حزب «روسيا الموحدة» لانتخابات مجلس الدوما، واقترح ترشيح فلاديمير بوتين لانتخابات الرئاسة فى روسيا عام ٢٠١٢. متزوج، إسم زوجته سفيتلانا وله ابن.

الفصل الخامس

تاريخ التجارب النووية فى الاتحاد السوفيتي

اجريت اولى التجارب النووية فى الاتحاد السوفيتى بتاريخ ٢٩ اغسطس عام ١٩٤٩ فى ميدان سميبالاتنسك للتجارب (كازاخستان حاليا). أما آخر تجربة فكانت فى ٢٤ اكتوبر عام ١٩٩٠ فى ميدان الرمى بجزيرة نوفايا زيمليا (الأرض الجديدة). ودام برنامج التجارب النووية السوفيتى ٤١ سنة وشهرا واحدا و٢٦ يوما. وقد اجرى خلال هذه الفترة ٧١٥ تفجيرا نوويا للاغراض السلمية و العسكرية على حد سواء. فى الساعة السابعة صباحا يوم ٢٩ اغسطس عام ١٩٤٩ وقع فى السهب الكازاخستانى انفجار شديد لاول قنبلة نووية سوفيتية نجمت عنه موجة لهب هائلة حرقت كل شيء فى طريقها وبعثرت دبابات وطائرات وجسور خرسانية وابنية سكنية وضعت على سبيل التجربة فى منطقة الانفجار.

ولعبت التجربة الناجحة دورا سياسيا هاما فى الاتحاد السوفيتي، اذ ان قيادة البلاد كانت تخشى ان تقدم الولايات المتحدة على استخدام السلاح النووى ضد الاتحاد السوفيتي، علما انها كانت قد أجرت تجربة كهذه فى ١٦ اغسطس عام ١٩٤٥ وقبل ذلك اسقطت قنبلتين ذريتين على مدينتى هيروشيما وناغازاكى اليابانيتين فى ٦ و ٨ اغسطس عام ١٩٤٥.

الجدير بالذكر ان اختبار وتصنيع الاسلحة النووية جرى فى الاتحاد السوفيتى بكامل الكتمان والسرية. وكانت الاعمال فى هذا المجال قد بدأت عام ١٩٤٣

حين كانت البلاد تخوض الحرب القاسية. وترأس العمل على تصميم القنبلة الذرية ايغور كورتشاتوف بصفته اكبر العلماء فى مجال الفيزياء فى ذلك الوقت.

مراحل تجارب الاسلحة النووية فى اراضى الاتحاد السوفيتي:

المرحلة الاولى من ٢٩ اغسطس عام ١٩٤٩ الى ٣ نوفمبر عام ١٩٥٨ بدأت بتجربة اول قنبلة ذرية فى الاتحاد السوفيتى وانتهت باعلان الاتحاد السوفيتى الى جانب الولايات المتحدة للحظر الاول على التجارب النووية. المرحلة الثانية من ١ سبتمبرل عام ١٩٦١ الى ٢٥ ديسمبر عام ١٩٦٢ بدأت بخروج الاتحاد السوفيتى من الحظر الاول نتيجة تأزم الوضع العسكرى السياسى وانتهت بتوقف الاتحاد السوفيتى عن اجراء الانفجارات النووية الجوية.

المرحلة الثالثة من ١٥ مارس عام ١٩٦٤ الى ٢٥ ديسمبر عام ١٩٧٥ بدأت بعودة برنامج التجارب النووية السوفيتى رغم سريان مفعول معاهدة حظر التجارب النووية على الارض والماء وفى الجو التى ضمت دول الاتحاد السوفيتى وبريطانيا والولايات المتحدة وانتهت المرحلة الثالثة بتوقف الاتحاد السوفيتى عن اجراء الانفجارات النووية بسبب بدء سريان مفعول معاهدة عام ١٩٧٤ حول التقليص التدريجى للقدرات النووية. المرحلة الرابعة من ١٥ يناير عام ١٩٧٦ الى ٢٥ يوليو عام ١٩٨٥ ، وبدأت المرحلة بتحقيق برنامج التجارب النووية السوفيتى فى ظروف سريان مفعول معاهدة عام ١٩٧٤ حول التقليص التدريجى لقدرة التجارب النووية وانتهت باعلان الاتحاد السوفيتى للحظر الاحادى الجانب على التجارب النووية. المرحلة الخامسة من ٢٦ فبراير عام ١٩٨٧ الى ٢٤ اكتوبر عام ١٩٩٠ (تخللها انقطاع فى الفترة ما بين ١٩ اكتوبر عام ١٩٨٩ و ٢٤ اكتوبر عام ١٩٩٠) بسبب النهج الذى كان يتبعه الامين العام للحزب الشيوعى السوفيتى ميخائيل غورباتشوف من اجل ايقاف التجارب النووية فى الاتحاد السوفيتي.

الفصل السادس

الاستخبارات الخارجية الروسية : أسرار تواطؤ ميونيخ

مثال على ألاستراتيجيه الروسية :

رفع جهاز الاستخبارات الخارجية الروسى قناع السرية عن وثائق الارشيف المتعلقة بتواطؤ ميونيخ ومنها مراسلات السفارات الاجنبية.

وفى ٣٠ سبتمبر تمر ذكرى مرور ٧٠ عاما على توقيع المعاهدة فى ميونيخ التى سمحت بتسليم مقاطعة السوديت التشيكية الى المانيا ، مما عنى فى الواقع بدء تقسيم دولة تشيكوسلوفاكيا المستقلة. وشارك فى توقيع المعاهدة التى اطلقت عليها فيما بعد تسمية « تواطؤ ميونيخ» رئيس الوزراء البريطانى تشمبرلين ونظيره الفرنسى ديلاديه وهتلر مع موسوليني.

وقعت معاهدة ميونيخ فى عام ١٩٣٨ من قبل المانيا الفاشية وبريطانيا وفرنسا وايطاليا. واطلقت الوثيقة يد النظام الهتلرى لضم قسم من اراضى تشيكوسلوفاكيا وبدء الحرب العالمية الثانية فيما بعد. وقد رفع جهاز الاستخبارات الخارجية الروسى السرية عن عدد من الوثائق المتعلقة بالعمليات السياسية فى اوروبا قبل وبعد توقيع معاهدة ميونيخ فى ٣٠ سبتمبر ١٩٣٨. وتكشف وثائق المخابرات السوفيتية تفاصيل المراسلات بين السفارات الاوروبية ووزارات خارجية بلدانها. وذكر ذلك فى حديث مع وكالة انباء «ايتار – تاس» احد قدامى العاملين فى جهاز الاستخبارات الخارجيةالسوفيتية الجنرال المتقاعد المؤرخ ليف سوتسكوف.

فقال» لقد تبين ان المواد كثيرة جدا، وهى تدل على ان القيادة السياسية فى الاتحاد السوفيتى كانت تتلقى معلومات متعددة الابعاد حول الوضع فى اوروبا ، وحول اللقاءات الجارية بين رؤساء الدول. كما عثر فى الارشيف على مواد سرية جرى فيها التكهن بعواقب جميع الاحداث الجارية آنذاك بالنسبة للوضع السياسى والعسكري». وروى المؤرخ بين امور اخرى ان « الوثائق تدل على ان السفير البريطانى فى وارشو قد حذر فى برقية بعث بها الى وزارة الخارجية من ان القيادة البولندية قد تعمد الى الاستيلاء على مقاطعة تيشينا فى حالة حدوث الاجتياح الالمانى لتشيكوسلوفاكيا، وهو ما حدث فعلا». وقال الجنرال المتقاعد « أفاد السفير الفنلندى فى لندن بانه اذا ما وجه هتلر قواته الى تشيكوسلوفاكيا فأن فرنسا لن تجازف بأتخاذ اية تدابير فعالة من اجل تقديم المساعدة العسكرية لها. وكما هو معروف فان الاتحاد السوفيتى كان مستعدا لتقديم مثل هذا الدعم الى تشيكوسلوفاكيا ، لكن براغ الرسمية تعرضت الى ضغوط لندن وباريس ولم تتجرأ على تقديم مثل هذا الطلب الى موسكو». وحسب قوله فأن الوضع الجيوسياسى فى اوروبا بعد توقيع اتفاقية ميونيخ كان موضع اهتمام شديد فى عواصم كثيرة ، كما افادت المخابرات السوفيتية. وتتراءى من سيل المعلومات الاستخبارية جيدا موضوعة مفادها ان سياسة تهدئة هتلر لم تسفر عن مردود ، وكانت التنازلات تزيد من اطماع المعتدي». واشار سوتسكوف قائلا « اننا اردنا بتحليل هذه المواد قبل كل شئ اعطاء جواب عن السؤال: هل كانت قيادة الاتحاد السوفيتى على اطلاع كاف على الوضع من اجل اتخاذ القرارات الصائبة. وقد خلصنا الى الاستنتاج بأنها كانت على اطلاع كاف. حقا ان الوثائق تتضمن فقط ايراد وقائع معينة ، حيث ان ستالين لم يكن يعترف بالوثائق التحليلية بأعتبار انه يستطيع استخلاص الاستنتاج بنفسه دائما ، ولهذا فان شعبة التحليل لم

تظهر فى اجهزة المخابرات السوفيتية الا فى عام ١٩٤١» (حين بدأت الحرب بين المانيا والاتحاد السوفيتي).وقال المؤرخ» لقد ترسخ الوصف بشأن تواطؤ ميونيخ بأنه كان محاولة تهدئة المانيا عن طريق تقسيم تشيكوسلوفاكيا، بيد ان الامر ليس كذلك. ومجمل الامر ان البلدان الغربية كانت تسعى بذلك الى تحويل هتلر بأتجاه الشرق (بأتجاه روسيا) ، وبهذا تضمن الامان لنفسها.وتؤكد ذلك الوثائق التى رفعت عنها السرية». «لقد كانت لدينا مع فرنسا وتشيكوسلوفاكيا معاهدة مساعدة متبادلة فى حالة وقوع عدوان الماني، ولكن الاتحاد السوفيتى ما كان يستطيع تقديم المساعدة الا بعد فرنسا. بيد انها حين اصرت تسويه مع بريطانيا على تسليم المانيا اقليم السوديت التشيكوسلوفاكى فقد ألغيت فعليا مجموعة الوثائق حول المساعدة المتبادلة ، علما ان هذا تم بدون مشاركة الاتحاد السوفيتي». ومع ذلك حاول الاتحاد السوفيتى احياء حطام منظومة الامن المشتركة. وقال المؤرخ «اننا اقترحنا على تشيكوسلوفاكيا استخدام امكانياتنا بدون مشاركة فرنسا ، وعرضنا عليها استخدام امكانيات دوائرنا العسكرية ، وارسال اربعة افواج جوية من المقاتلات ، لكن التشيك لم يقبلوا العرض تحت ضغوط فرنسا وبريطانيا».واضاف الجنرال قائلا» وفيما يخص هذا الموضوع ثمة أمر آخر فضلنا سابقا عدم التحدث عنه بصورة خاصة وهو موقف بولندا. فأن الوثائق تؤكد ان البولنديين كانوا مستعدين لتوجيه ضربة الى الاتحاد السوفيتى فى حالة ارسال الاتحاد السوفيتى المساعدات الى تشيكوسلوفاكيا ، لأنهم كانوا يتحسسون دعم المانيا ويعولون عليه». وقال سوتسكوف» لكن البلدان الغربية لم ترغب فى فقدان الصداقة مع الاتحاد السوفيتى ايضا. وتتضمن المراسلات السرية لوزارة الخارجية الفرنسية والسفير البريطانى فى باريس توصيات الى القيادة البريطانية والدبلوماسيين البريطانيين بزيارة موسكو وليس برلين فقط.

وصدرت عن فرنسا فى ذلك الوقت دعوات عقلانية لأنهم ادركوا هناك ان فرنسا ستكون الضحية الاولى لألمانيا».

وثمة أمر آخر ذو دلالة فى الوضع الناشئ هو حسب قوله عدم وجود حلفاء لدى الاتحاد السوفيتى آنذاك. وقال المؤرخ « لهذا لم تتخل قيادة البلاد عن المحاولات للأتفاق مع بريطانيا وفرنسا واقترحت عليهما عقد معاهدة حول المساعدة المتبادلة. ويتسم بالدلالة انها عقدت فى وقت لاحق وفى اثناء الحرب. علما ان الاتحاد السوفيتى اقترح من اجل ضمان الامن المشترك ان تتوفر موارد عسكرية كبيرة تطابق ما يوجد منها لدى المانيا ، ولدى توحيدها مع الحلفاء المحتملين سيمكن تحقيق تفوق بمقدار الضعفين على هتلر».

الفصل السابع

أول الغيث قطره

المحاولة الانقلابية فى الاتحاد السوفيتى عام ١٩٩١

وقعت يوم ١٩ أغسطس عام ١٩٩١ محاولة إقصاء رئيس البلاد ميخائيل غورباتشوف عن الحكم. ورأى أعضاء لجنة الدولة لحالة الطوارئ التى ضمت ممثلى الحكومة وأعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعى إن النهج السياسى الذى كان غورباتشوف يتبعه أدى إلى انهيار المستوى المعيشى للسكان وتشجيع السوق السوداء، بالإضافة إلى انه خلق نزعات خطيرة من شأنها أن تفكك الدولة.

تاريخ الموضوع

جرى فى مارس عام ١٩٩١ الاستفتاء الشعبى حيث صوتت أغلبية الناس تأييدا للحفاظ على الاتحاد السوفيتى باستثناء الجمهوريات الست، وهى لتوانيا ولاتفيا واستونيا وجورجيا ومولدافيا وأرمينيا، التى كانت قد أعلنت استقلالها. وفى ١٧ يونيو قام الرئيس غورباتشوف وزعماء الجمهوريات التسع، وهى روسيا الاتحادية واوكرانيا وبيلوروسيا وكازاخستان وطجيكستان وأوزبكستان وقرغيزيا و أذربيجان وتركمانيا، قاموا بتنسيق مشروع معاهدة تشكيل اتحاد الدول المستقلة كفيدرالية لا مركزية. وكان من المقرر أن تنضم تلك الدول يوم ٢٠ أغسطس إلى المعاهدة.

أثارت المعاهدة استياء لدى المسئولين عن الدفاع والأمن فى مجلس وزراء الاتحاد السوفيتي، وبينهم دميترى يازوف وزير الدفاع وبوريس بوغو وزير

الداخلية وفلاديمير كريوتشكوف رئيس لجنة امن الدولة (كى جى بي).

تشكيل لجنة الدولة لحالة الطوارئ

اتخذ فى ١٧ أغسطس قرارا بتشكيل لجنة الطوارئ فى الدولة وإعلان حالة الطوارئ ومطالبة غورباتشوف بان يوقع المراسيم المؤيدة لهذه الإجراءات أو يقدم استقالته ويسلم صلاحياته الى نائب الرئيس غينادى يانابيف. وكان من المقرر احتجاز بوريس يلتسين، حال وصوله من كازاخستان.

والى جانب المسئولين الثلاثة المذكورين أعلاه (وزيرى الدفاع والداخلية ورئيس لجنة امن الدولة) انضم إلى لجنة الدولة لحالة الطوارئ نائب رئيس الاتحاد السوفيتى غينادى ينابيف الذى ترأس اللجنة، ورئيس وزراء الاتحاد السوفيتى فالنتين بافلوف والنائب الاول لمجلس دفاع الاتحاد السوفيتى اوليغ باكلانوف ورئيس اتحاد الفلاحين للاتحاد السوفيتى فاسيلى ستارودوبتسيف ورئيس جمعية المؤسسات الحكومية ومشاريع الصناعة والإنشاء والنقل فى الاتحاد السوفيتى الكسندر تيزياكوف.

فى ١٨ أغسطس اجتمع ممثلو لجنة الدولة لحالة الطوارئ مع ميخائيل غورباتشوف الذى كان يقضى عطلته الصيفية فى القرم وطلبوا منه بان يوافق على إعلان حالة الطوارئ، فرفض غورباتشوف. واتخذ بعد ذلك قرار بعزله فى مقره باستخدام قوات الأمن.

معارضة لجنة الدولة لحالة الطوارئ

أعلنت وسائل الإعلام السوفيتية فى ١٩ أغسطس حالة الطوارئ فى البلاد. كما أعلنت عجز الرئيس غورباتشوف عن أداء مهامه لحالته الصحية السيئة وانتقال السلطة إلى لجنة الدولة لحالة الطوارئ. وتم فى الوقت نفسه إدخال القوات

إلى موسكو. وأعلن أن ممثلى المعارضة الديمقراطية سيخضعون للاعتقال فى حال العثور عليهم. وتضمنت المعارضة للجنة الدولة لحالة الطوارئ قيادة روسيا الاتحادية بصفتها احدى جمهوريات الاتحاد السوفيتى حينذاك برئاسة بوريس يلتسين رئيس الجمهورية وايفان سيلاييف رئيس الحكومة الروسية وروسلان حزبولاتوف رئيس مجلس السوفيت الأعلى. وقام يلتسين بنشر دعوة الى مواطنى روسيا الاتحادية ، حيث وصف أعمال لجنة الدولة لحالة الطوارئ بأنها انقلاب حكومى ووقع مرسوما حول عدم شرعية اللجنة. كما دعا الشعب إلى الوقوف إلى جانب الديمقراطية الروسية الفتية.

واجتمعت بالقرب من «البيت الأبيض» (مبنى مجلس السوفيت لروسيا الاتحادية) مجموعة كبيرة من أنصار الرئيس الروسى الذى كانوا يعبرون عن احتجاجهم ولم ينصرفوا حتى فى الليل. و بدأوا يقيمون المتاريس فى موسكو ويوزعون المنشورات. وانتقلت وحدات فرقة «تامانسكايا» إلى جانب المدافعين عن المجلس الأعلى. إما الدبابات التى وجهتها لجنة الدولة لحالة الطوارئ إلى مبنى البرلمان فتم حصارها بحشود من الناس. ولقى ٣ أشخاص مصرعهم جراء وقوع اشتباكات. ورفضت الوحدة الخاصة «ألفا» اقتحام البيت الأبيض. وفى هذه الظروف اصدر وزير الدفاع أمرا بسحب القوات من موسكو.

فى ٢٢ أغسطس عاد ميخائيل غورباتشوف رئيس الاتحاد السوفيتى من القرم فتم اعتقال أعضاء لجنة الدولة لحالة الطوارئ. واعلن فى موسكو الحداد على الشهداء. كما أعلن يلتسين انه اتخذ قرارا بجعل العلم الأبيض- الأحمر - الأزرق علما للدولة الروسية. وفى ٢٣ أغسطس وقع يلتسين مرسوما آخر يقضى بوقف نشاط الحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتي. وفى واقع الأمر فان الاحتجاج على إقصاء رئيس الاتحاد السوفيتى عن السلطة تحول الى دعم استقلال روسيا الاتحادية برئاسة بوريس يلتسين ،

الذى كان قد انتخب فى يونيو رئيسا لروسيا الاتحادية. أما سيادة روسيا الاتحادية فكانت قد أعلنت فى ١٢ يونيو عام ١٩٩٠ خلال انعقاد المؤتمر الأول لنواب الشعب فى جمهورية روسيا الاتحادية الفيدرالية الاشتراكية.

نتائج محاولة انقلاب أغسطس

تم اعتقال أعضاء لجنة الدولة لحالة الطوارئ. وانتحر وزير الداخلية بوريس بوغو وتبعه مارشال الاتحاد السوفيتى سيرغى اخروميف الذى عمل مستشارا لرئيس الاتحاد السوفيتى والذى أصبح تفكك الاتحاد السوفيتى بالنسبة له، شأنه شأن الكثير من المواطنين السوفيت ، أصبح كارثة شخصية. لكن مجلس الدوما الروسي اتخذ فى ٢٣ فبراير عام ١٩٩٤ قرارا بالعفو عن أعضاء لجنة الدولة لحالة الطوارئ والإفراج عنهم. لم يعترف أعضاء اللجنة بذنبهم إذ اعتبروا أنهم عملوا للحفاظ على وحدة الدولة، وحاولوا الحيلولة دون تفككها. تم البدء بعملية تفكيك الاتحاد السوفيتى قبل ذلك بكثير، علما ان الجمهوريات الاتحادية الأولى كانت قد أعلنت سيادتها فى عام ١٩٨٨. لكن بعد ١٩ أغسطس عام ١٩٩١ بالذات شهدت البلاد إعلان الاستقلال للكيانات الجديدة بشكل جماعي. وفى ٢٦ ديسمبر عام ١٩٩١ تم عقد الاتفاق بين رؤساء كل من روسيا وبيلوروسيا وأوكرانيا حول الإنهاء الرسمى للاتحاد السوفيتي. وأصبحت كل جمهورياته جراء ذلك مستقلة.

الفصل الثامن

العالم فى عيون روسيا

كيف ترى روسيا العالم الآن

يقول بوتن متحدثا عن منتدى التعاون الاقتصادى لبلدان أسيا أن منتدى التعاون الاقتصادى لبلدان آسيا و المحيط الهادئ تأسس منذ البداية ليكون منتدىً لمناقشة القضايا الاقتصادية. ونحن بصفتنا دولة مستضيفة ننوى ايضا أن نركز اهتمامنا على القضايا ذات الطابع الاقتصادى والاجتماعي.

ومنذ البداية، عندما تشكل هذا المنتدى كان الهدف الاساسى هو جعل الاقتصاد العالمى ليبراليا. و نحن ننوى ان نجعل هذا الموضوع محوريا خلال المناقشات فى فلاديفوستوك.

عندما قمت بدعوة زملائى إلى الاجتماع فى روسيا بالذات، (وهذا جرى قبل خمس سنوات)، انطلقت من أن توجُّه نشاطنا هذا مهم جدا لروسيا، مع الاخذ بعين الاعتبار أن ثلثى مساحة روسيا تقع فى آسيا، وأن الحصة الكبرى للتبادل التجاري، وهى اكثر من ٥٠٪، تجرى مع اوروبا الغربية، و٢٤٪ فقط من التبادل التجارى يتم مع آسيا.وفى نفس الوقت هذه المنطقة تتطور بشكل سريع و مكثف.نحن واياكم نعرف ذلك جيدا وهذا واضح للجميع.لذلك نحن ننوى التركيز بالدرجة الاولى على القضايا الاقتصادية، و كما قلت على تحويل الاقتصاد العالمى الى اقتصاد على اسس ليبيرالية فى مجالات النقل والامن الغذائى العالمي.ومن المعروف أن عدد الجياع فى العالم ازداد فى السنة الاخيرة

وبشكل حاد، ليضاف اليهم ٢٠٠ مليون انسان. وهذا يعنى انه اصبح عددهم مليار شخص يعانون من مشاكل فى تأمين الغذاء.. الناس يتضورون جوعا.اعتقد ان هذه المشاكل وعددا من المشاكل الاخرى تعتبر مهمة جدا وحساسة بالنسبة للملايين من سكان كوكبنا، وستكون فى صُلب اهتمامنا.

وفيما يخص سورية والنقاط الاخرى الساخنة والقضايا المعروفة بشكل او بآخر، فإنه من الطبيعى ان تطرح ضمن النقاش و خلال اللقاءات الثنائية. ولا مناص من ذلك.

و بالنسبه لسوريا لماذا يجب على روسيا فقط ان تعيد النظر فى موقفها؟ربما يجب على شركائنا فى عملية المحادثات ان يعيدوا النظر فى موقفهم؟وأنا اتذكر ما كان يحصل فى السنوات الاخيرة، اريد ان اعيدكم الى احداث السنوات الاخيرة فليست كل المبادرات التى اتخذها شركاؤنا انتهت كما كانوا يرغبون.

وهناك على سبيل المثال دول كثيرة تتفاقم فيها الازمات.الولايات المتحدة (وفيما بعد حلفاؤها) تدخلوا فى افغانستان. ولكن الآن الجميع يفكر فى كيفية الخروج من هناك.واذا ما كنا نتحدث عن شيء ما، فاننا نتحدث عن تقديم المساعدة لهم للخروج ونقل المعدات والجنود عبر روسيا من افغانستان.

و اذا نظرنا ما يحدث فى الدول العربية فقد جرت الأحداث المعروفة فى مصر و ليبيا وتونس وفى اليمن.. فهل حل هناك النظام والطمأنينة الكاملة.وفى العراق ماذا يحصل؟

فى ليبيا حتى هذه اللحظة و بشكل عام يدور صراع مسلح بين قبائل مختلفة. و انا لا اريد ان اتكلم الان عن طريقة نقل السلطة. فهذا موضوع آخر. و لكن ما الذى يقلقنا؟ اريد ان اكرر ذلك مرة اخرى .ان الذى يقلقنا طبعا العنف، الذى

يدور الان فى سورية، ولكن ليس اقل من ذلك يقلقنا طبعا ما يمكن ان يحصل بعد اتخاذ القرارات اللازمة .

وحسب رأينا الامر الاهم اليوم هو وقف العنف، وإجبار كل اطراف النزاع، بما فيها الطرف الحكومى وما يسمى بالمنتفضين والمعارضة المسلحة، على الجلوس الى طاولة المفاوضات وتحديد أطر المستقبل، الذى سيكفل الامن لكل الاطراف المشاركة فى العملية السياسية الداخلية. و فقط بعد ذلك يمكن الانتقال الى خطوات عملية بخصوص النظام الداخلى للدولة. نحن نفهم جيدا ضرورة التغيير، ولكن هذا لا يعنى ان التغيير يجب ان يكون دمويا.

نحن اقترحنا فى جنيف على شركائنا فى عملية المحادثات عقد اجتماع. وفعلا حضر الجميع الاجتماع و رسموا خارطة طريق لكيفية العمل من اجل ان يعم الاستقرار و الهدوء فى سورية وان تنتقل البلاد الى مرحلة التطور والبناء. وعمليا الجميع إتفق معنا.. وكنا قد اطلعنا الحكومة السورية على نتائج هذا الاجتماع. ولكن الثوار لم يرغبوا بعد ذلك بالاعتراف بهذه القرارات ..وتراجع عدد كبير من شركائنا بعملية المحادثات بالتدريج عن مواقفهم.

باعتقادى ان اول ما يمكن عمله هو ايقاف مد منطقة النزاع بالسلاح ، ولكن هذا مستمر. وأكرر مرة أخرى يجب عدم اتخاذ قرارات تفرض على طرف واحد وتكون غير مقبولة بالنسبة لتطور الاحداث .هذا ما يجب عمله و ليس هناك ما هو أمر صعب جدا. و نحن لدينا علاقات طيبة والحمد لله مع العالم العربى بشكل عام ولكن ليس لدينا رغبة فى التدخل بالنزاعات الاسلامية الداخلية ولا التدخل فى الخلافات بين السنة والشيعة والعلويين وغير ذلك .نحن نتعامل باحترام مع الجميع ولدينا علاقات طيبة مع المملكة العربية السعودية وكانت علاقاتى دائما طيبة مع خادم الحرمين الشريفين و البلدان الاخرى. ولكن موقفنا يعبر عن رغبة واحدة وهى خلق وضع ملائم لتطوير الاوضاع بالاتجاه الايجابى الى سنوات عديدة فى المستقبل.

وعن رايه فى تحول الامم المتحده الى منظمه شكليه قال :

أنا اعتقد العكس تماما فاذا كانت هيئة الامم المتحدة و مجلس الامن الدولى قد تحولتا الى دائرة لاصدار القرارات لصالح جهة واحدة ...هذا بالفعل يعنى انتهاء وجودها كما حصل مع عصبة الامم.ولكن مجلس الامن- والامم المتحدة بشكل عام هى منظمة لايجاد الحلول الوسط وهذه عملية صعبة ولكن فقط من نتائج هذه العملية الصعبة يمكن ان ننتظر النجاح.

وأضاف بوتن تقدم بعض الدول الغربية والعربية طوال الوقت الدعم الى الجيش السورى الحر سرا ، والآن بدأ بعضها يفعل ذلك علنا.لكن المسألة هنا تكمن فى وجود شبهات فى ان مقاتلى « القاعدة » يحاربون فى صفوف الجيش السورى الحر ، وينقلب الأمر الى ان البلدان التى عانت نفسها من أهوال الارهاب تدعم فى الواقع الارهاب فى سورية. هل توافقون على هذا الرأى ؟

وعن الدول التى تدعم الجيش السورى الحر و الذى يقاتل بجانبه رجال القاعدة الان يحدث دائما عندما يريد أحد الوصول إلى نتيجة يعتبرها مثلى ، فإنه لا يتوانى كقاعدة عن استخدام أى وسائل. إنهم يحاولون استخدام كافة الإمكانيات للوصول إلى النتيجة المنشودة. ولا يفكرون فى العواقب. وهذا ما حدث بعد دخول القوات السوفيتية إلى أفغانستان عندما كان شركاؤنا الحاليون يدعمون حركة الثوار هناك وعمليا أسسوا «القاعدة» التى وجهت فيما بعد الضربة إلى الولايات المتحدة نفسها.

واليوم هناك من يريد إستخدام مقاتلى «القاعدة» أوالمنظمات المتطرفة الاخرى لتحقيق أهدافه فى سورية. هذه سياسة خطرة جدا وليست بعيدة النظر. وفى هذا الحال من الضرورى الآن فتح أبواب غوانتانامو وارسال كل معتقليها إلى سورية ليقاتلوا. وهذا يعتبر الشيء نفسه عمليا. ولكن لا يجوز نسيان أن هؤلاء المواطنين

سيوجّهون ضربة إلى محسنيهم. ويجب ألا ينسى هؤلاء المواطنون أنه سيتم بناء سجن لهم مثل السجن الذى أسس فى اطراف كوبا. وأود التأكيد مرة أخرى أن هذه السياسة ليست بعيدة النظر وتسفر كالعادة عن عواقب وخيمة.

و عن أحداث الربيع العربى يقول بوتن من الواضح تماما بالنسبة لى أن هذه الأحداث كان قد رسمها تاريخ تطور هذه الدول. ومن الواضح أن قادة هذه الدول قد تغافلوا عن ضرورة التغييرات ولم يشعروا بتلك الإتجاهات التى نشأت فى دولهم وفى العالم ولم يقوموا بإجراء الإصلاحات الضرورية فى الوقت المناسب. وهذا قبل كل شيء هو نتيجة لهذه الأمور. ومن الصعب القول لحد الأن إذا كان هذا الأمر مجديا أم سيؤدى إلى مشاكل كبيرة.

لقد جرت هذه الأحداث بصورة غير حضارية وبعنف شديد ولم تؤد لحد الآن إلى إيجاد بنى سياسية ثابتة قادرة على حل المشاكل الإقتصادية والسياسية فى هذه الدول. وتبعث كل هذه الأمور على مخاوف كبيرة وقلق كبير بتطور الأحداث مستقبلا. وذلك بسبب أن مواطنى هذه الدول الذين تعبوا من الأنظمة السابقة يتوقعون من الحكومات الجديدة حلا فعالا لمشاكلهم الإجتماعية والإقتصادية. ولكن بدون ألإستقرار السياسى يستحيل حل هذه المشاكل.

و عن امريكا يقول بوتن أظن أن الرئيس أوباما والرئيس ميدفيديف قد ساهما كثيرا فى تعزيز العلاقات الأمريكية–الروسية فى السنوات الأربع الأخيرة... لقد تم توقيع إتفاقية ستارت الجديدة. وبدعم من الولايات المتحدة أصبحت روسيا عضوا كامل الحقوق فى منظمة التجارة العالمية. كما كانت إيجابيات أخرى فى علاقاتنا الثنائية بما فيها تعزيز تعاوننا فى مكافحة الإرهاب ومكافحة الجريمة المنظمة وردع إنتشار أسلحة الدمار الشامل. إذاً توفرت إيجابيات كثيرة. ولكن القضية التى ذكرتها أى قضية الدرع الصاروخية الأمريكية تعتبر بطبيعة الحال

إحدى القضايا المحورية لأنها تمس المصالح الحيوية لروسيا الفيدرالية. ومن الواضح للجميع أن حل هذه القضية من جانب واحد لن يساهم فى تعزيز الإستقرار الدولي. وهذا بحد ذاته يؤدى إلى زعزعة التوازن الإستراتيجي. ولكن هذا أمر خطير جدا لأن أى طرف آخر سيسعى إلى تأمين قدرته الدفاعية. وقد يسفر هذا الأمر عن بدء سباق التسلح. هل يمكن حل هذه القضية فى حال إنتخاب الرئيس أوباما رئيسا للولايات المتحدة لولاية ثانية؟ من حيث المبدأ – نعم. ولكن الأمر لا يتعلق بشخصية الرئيس أوباما فقط. أعتقد أنه يريد حل هذه القضية حقا.

قبل فترة قصيرة كان لدينا لقاء على هامش قمة «العشرين» فى لوس كابوس بالمكسيك. وكانت لدينا فرصة للحديث. يبدو لى أنه شخص صريح ويريد حقا إجراء تغييرات كثيرة نحو الأفضل. ولكن هل سيتمكن من تحقيق ذلك؟ هل سيسمحون له؟ هناك اللوبى العسكرى وهناك وزارة الخارجية وجهازها المحافظ الذى لا يختلف إلا قليلا عن جهاز وزارتنا للخارجية. وتكونت هناك فئات مهنية مختصة خلال عقود السنين. ومن أجل حل قضية الدرع الصاروخية يجب الإتفاق والقبول بأننا شركاء وحلفاء مخلصون... ما معنى حل قضية الدرع الصاروخية؟ هذا يعنى حل القضايا المتعلقة بالتهديدات الصاروخية بجهود مشتركة والإتفاق على أن قيادات المنظومة ستكون فى متناول كلا الطرفين بدرجة متساوية. وهذا مسألة حساسة جدا فى مجال الدفاع. ولست أعلم إذا كان شركاؤنا مستعدين للتعاون من هذا القبيل.

و لقد عملنا كل شيء. و إقترحنا القيام بهذه الخطوة. أما شركاؤنا فهم يرفضون لحد الآن. وماذا نستطيع أن نفعل أيضا؟ نستطيع مواصلة الحوار. وسنقوم بذلك. ولكن بقدرما قام أصدقاؤنا الامريكيون بتطوير منظومتهم للدرع

الصاروخية بقدرما نفكر فى الدفاع عن أنفسنا والحفاظ على التوازن الإستراتيجي.

بالمناسبة ان الشركاء الأوروبيين للولايات المتحدة وشركاءنا الأوروبيين نحن أيضا ليست لديهم علاقة بذلك إطلاقا. وأعتقد أن هذا الأمر واضح هذه منظومة أمريكية بحتة للدرع الصاروخية. وهى إستراتيجية أيضا ونصبت على أطراف أوروبا. وليس تعريف التهديدات وقيادة المنظومة تحت سيطرة ألأوروبيين شأنهم شأن روسيا. ولكننا كنا قد إقترحنا القيام بذلك بجهود الأطراف الثلاثة على الأقل. ولكن شركاءنا لا يوافقون على ذلك لحد الآن.

و نحن سنعمل مع من سينتخبه الشعب الأمريكى . وتتوقف فعالية العمل على شركائنا. أما موقف السيد رومنى فنحن نفهم أنه متعلق جزئيا بالحملة الإنتخابية. هذه شعارات إنتخابية. وأعتقد إنها خاطئة بلا شك. لأن هذا السلوك على الساحة الدولية يشبه إستخدام سياسة التعصب القومى والتفرقة العنصرية داخل بلده. وعلى الساحة الدولية نفس الأمر يتلخص فى أن شخصية سياسية أو شخص يريد أن يكون رئيسا للدولة وخصوصا الدولة العظمى مثل الولايات المتحدة يعلن أحدا ما عدوا له سلفا . هذا يذكّرنا بفكرة أخرى.على سبيل المثال نتحدث عن منظومة الردع الصاروخية. ويقول لنا شركاؤنا الأمريكيون: هذا ليس ضدكم. وماذا يحدث إذا أصبح السيد رومنى رئيسا للولايات المتحدة وهو يعتبرنا عدوا رقم ١؟ وهذا يعنى أن المنظومة ستكون ضدنا حقا لأنها مصممة تكنولوجيا بهذا الشكل بالذات.

واذا ما أخذنا بعين الإعتبار أن الدرع الصاروخية ستخدم ليس لسنة واحدة وليس لعقد واحد. وفرصة وصول الشخص الذى آراؤه تشبه آراء السيد رومنى إلى السلطة فى الولايات المتحدة كبيرة جدا. وكيف يجب أن نتصرف لضمان أمننا؟

و عند القول عن كيف تجرى الأمور بصدد قضية ماغنيتسكي. وتعد الولايات المتحدة وبريطانيا فى الفترة الاخيرة كشفا بأسماء موظفين روس يشتبه بأن لهم علاقة بموت ماغنيتسكي. أود تذكير مشاهدينا بأن هذا المستشار المالى الكبير توفى فى سجن روسى . ويعتقدون فى الخارج كالسابق وكذلك هنا فى روسيا ان التحقيق معه لم يكن موضوعيا ، وتجب معاقبة المذنبين كما يجب التحقق فى وفاته. من أين صدر هذا الرأي؟

أقول مجرد أن هناك أناسا يريدون ذلك . انهم يحتاجون إلى عدو ، ويجب عليهم ان يصارعوا أحدا ما... هل تعلمون أن أعدادا كبيرة جدا من الناس يموتون فى سجون الدول التى توجّه اتهامات ضد روسيا؟ الولايات المتحدة مثلا التى أعدت /كشف ماغنيتسكي/. هل تعلم أن روسيا لا تطبق أحكام الإعدام؟ أنت تعلم ذلك .أما الولايات المتحدة فتطبقها، بما فى ذلك فى حق النساء. وهل يعلم المجتمع المتمدن أن تطبيق أحكام الإعدام ترافقه أخطاء قضائية، حتى فى حال كان الإنسان قد اعترف بذنبه لكنه اتضح فيما بعد أنه لم يرتكب الجريمة. ناهيك عن أن من حق الرب وحده أخذ حياة نفس بشرية. لكن هذا موضوع لنقاش فلسفى كبير.. لعله كان فى استطاعتنا أن نعلن أكثر من قائمة من هذا القبيل لنخص بها الذين يطبقون حكم الإعدام فى بلدان أخرى، إلا أننا لا نفعل ذلك. أما ما يتعلق ب/ماغنيتسكي/ فبالطبع هى مأساة كبيرة أن يموت الإنسان فى السجن. وبالطبع يحتاج هذا الحادث إلى تحقيقات مكثفة. وإذا وجد مذنب فلا بد من محاسبته. لكن ما أريد الإشارة إليه أنه ليس لهذه القضية أية خلفية سياسية بالمرة. إذا كانت هناك مأساة فهى ذات طابع قضائى وإجرائى بحت، وليس وراءها شيء آخر. لكن ثمة من يريد إفساد العلاقات مع روسيا. وثمة من أعلن إغلاق أراضى دولهم امام بعض موظفينا بمزاعم أنهم متورطون فى وفاة

السيد /ماغنيتسكي/ التى تؤسفنى جدا والتى أعزى عائلة الراحل بها. لكن ماذا يجب على روسيا أن تفعله فى مثل هذه الحالات؟ لا يبقى أمامها سوى أن تتخذ خطوات مناسبة بأن تنشر قائمة باسماء موظفى الطرف الذى اتخذ هذه الإجراءات إزاء روسيا. وهى خطوة لا بد منها.

وعن تشدده تجاه المعارضه منذ توليه الرئاسه يقول :

تعرفون أنا أحاول ألا أفكر بذلك، أنا أحاول أن أفعل ما أعتبره صحيحا وضروريا لبلدنا ومواطنينا وشعبنا. وسأقوم بذلك فى المستقبل. بالطبع أنا أتطلع إلى ما يحدث هنا وهناك وإلى ردود الأفعال الدولية. لكن لا يمكن اعتبار ردود الأفعال هذه دافعا أساسيا لتصرفاتي. إن مصالح الشعب الروسي تبقى دافعا أساسيا لتصرفاتى فقط. وأطفالنا بحاجة إلى مثل هذه الحماية. لا يوجد هناك أحد يسعى إلى استخدام ذلك بمثابة أداة فى مكافحة الانترنت ووضع حد للحرية فى الانترنت ولكن من حقنا حماية أطفالنا.

وعند الحديث حول تشديد الإجراءات عموما يقول ألم نكن شهود العيان لمشاغبات جماعية فى شوارع بريطانيا منذ سنة ونصف السنة أو سنتين وتضرر كثير من الناس نتيجة لها كما وقعت أضرار مادية كبيرة. هل من الأفضل إيصال الأمور إلى هذا الوضع ثم البحث عن المشاغبين طيلة سنة كاملة وإلقاؤهم فى السجن؟ يمكن من الأفضل إزالة هذه الظواهر؟ هذا هو الجزء الأول.والآن الجزء الثانى من ناحية الجوهر والمضمون. كما تعرفون أنا دعمت النظام الجديد لتنصيب زعماء الأقاليم الروسية عن طريق الانتخابات السرية والمباشرة بصورة نشيطة جدا. لكننى لم أدعم هذا النظام فقط بل وقمت بخطوة أخرى جديدة. أنا بعد انتخابى رئيسا لفترة رئاسية جديدة قدمت إلى برلماننا مشروع قانون جديد حول إجراء الانتخابات إلى المجلس الاعلى للبرلمان

الروسي. ها هى الخطوات الواقعية فى طريق تطبيق الديمقراطية فى مجتمعنا ودولتنا. كما قمنا بمبادرات ومقترحات أخرى وخاصة فى اجراءات المحاكمة. حاليا ندرس مع نواب مجلس الدوما إمكانية إجراء التصويت عبرالانترنت حول المسائل الجذرية للتنمية عندنا. وإذا صوت ١٠٠ ألف مواطن مع مشروع ما يجب على مجلس الدوما النظر فى مشروع القانون هذا. الآن تجرى مناقشة طريقة تطبيق هذا الاقتراح. كما توجد هناك مقترحات أخرى ذات طابع أساسي. نحن ندعم هدف تطور مجتمعنا وتطبيق الديمقراطية فيه وسنستمر فى هذا الطريق دون الانحراف عنه.

و عن الصين يقول فعلا ، ان الصين تصبح مركزا كبيرا للاقتصاد العالمى والسياسة العالمية. بصورة عامة تجرى فى العالم عملية معينة لتغيير مراكز النفوذ الاقتصادى والسياسي. هذا واقع بديهى والأمر واضح للجميع وتتلخص المسألة فى وسائل هذه الحركة حتى لا تصبح الصين مثل هذا المركز بالنسبة لنا فقط بل ولكل شركائها فى العالم ونحن لا نمثل حالة استثنائية. الاختلاف فقط فى الواقع أن الصين جارنا ونحن جيران لها. وخلال الآف السنين تشكلت بيننا علاقات خاصة. كانت لدينا سنوات إيجابية جدا من ناحية التعاون. إنها كانت فعالة جد لكلا البلدين. كما كانت هناك أزمنة عسيرة، أزمنة المواجهة والنزاع. الآن وصلت العلاقات الروسية– الصينية إلى مستوى عال لم يسبق له مثيل ، ويتمتع بالثقة فى مجال السياسة وفى مجال الاقتصاد على حد سواء. من دون شك أننا فى وقت قريب سنحقق مستوى التبادل التجارى بمقدار ١٠٠ مليار دولار. وتعادل نسبة أوروبا ٥١٪ أى ٢٠٠ مليار دولار ونيف وستكون حصة الصين ١٠٠ مليار. وأعتبر ذلك تقدما جديا.

وعن الفساد فى روسيا يقول :

يعتبر الفساد مشكلة لأى بلد. بالمناسبة الفساد موجود فى كل بلد، فى البلدان الأوروبية وفى الولايات المتحدة. هناك كثير من الأشياء تنفذ بطريقة علنية. دعم مصالح الشركات الخاصة هل نعتبره فسادا أم لا؟ أن هذه الأمور تقع

ضمن حدود القانون ويتم التظاهر بأن كل شيء على ما يرام. لكن ذلك يتوقف على وجهة النظر. أكرر أن هذه المشكلة موجودة فى كثير من البلدان.بالطبع من المهم حجم الفساد ودرجته ومستواه. هذه المعدلات لدينا عالية جدا. وهذا شيء طبيعى لكل البلدان ذات اقتصادات المرحلة الانتقالية. يعود ذلك إلى وضع أنماط اقتصادية جديدة وعدم تنظيم كل الأمور وعدم مراقبة الدولة لكل الاشياء وكذلك سوء الأخلاق. وبالأخص ذلك الانتقال من الاقتصاد المبرمج والأخلاق الاشتراكية إلى الأخلاق المبنية على القيم الأزلية. هذه العملية معقدة لدرجة وخاصة إذا ارتبطت هذه العملية فى ظل الاقتصاد السوقى بالاثراء السريع لمجموعة منفردة من الناس أو أشخاص طبيعيين ملموسين. عندها يقف المجتمع تجاه هذه الظاهرة موقفا سلبيا ومؤلما. فى هذه الظروف يفكر الإنسان العادى على النحو التالى إذا كان من المسموح لهولاء أن يكسبوا مليارات مثلا خلال سنتين لماذا لا يجوز لى أن أفعل كذا وكذا حتى إذا لم يتفق ذلك تماما مع المقادير الأخلاقية وأحكام القانون؟

كل هذه الأمور تضعف الأساس لمكافحة الفساد. العملية ليست سهلة. ولكن من دون شك يعتبر هذا العمل من أهم اتجاهات عملنا وسنستمر فيه.

ويجب البدء من العمل على ان يرفض المجتمع كله هذه الظاهرة. فالفساد يمارس على أقل تقدير بمشاركة طرفين هما الراشى والمرتشى ، وغالبا ما يبدى الراشي نشاطا أكبر من المرتشي. لهذا فأن الامر يتطلب القيام بعمل تربوى وتحسين عمل أجهزة الأمن واقامة القاعدة القانونية التى من شأنها ان تقلص الى أدنى حد ممكن مظاهر الفساد. وهذا العمل متعدد الابعاد ،وحساس جدا وغير سهل. وسنعمل فى كافة هذه الاتجاهات.

وعن قانون مكافحه الفساد يقول ايضا :

ان هذا القانون لم تتم المصادقة عليه بعد ، وقد أرسل الى مجلس الدوما. طبعا ان هذا يشكل قيودا عديدة للمواطنين ، الذين يمارسون العمل فى الدولة ، لأنه بموجب تشريعاتنا يتمتع أى مواطن فى روسيا الاتحادية بالحق فى افتتاح حساب فى بنك أجنبي، وشراء العقارات. لكن قد تفرض القيود على الموظفين ولاسيما من المراتب العليا . وأنا لا أرى فى ذلك أى شئ غير اعتيادى بالاخص بالنسبة لأوضاعنا القائمة وواقعنا. لكن يجب على نواب مجلس الدوما فى البداية إعداد المسوغات لموقفهم ، واعداد هذا القانون بالتفصيل. وعموما أنا أعتقد انه ممكن وطبعا سيساعد فى جزء منه فى مكافحة الفساد أيضا. طبعا سيساعد فى ذلك. لأنه يجب على الانسان اذا اراد خدمة بلاده وشعبه فعلا ان يوافق على ان يكون لديه حساب هنا فى روسيا وليكن فى بنك أجنبي. فلم لا ؟ اذ تعمل لدينا فروع لكثير من البنوك الاجنبية. فليفتح الحساب هنا. ولماذا يتعين عليه السفر الى النمسا أو الولايات المتحدة من أجل افتتاح حساب هناك؟ اذا ما ربط المرء مصيره مع هذه البلاد ، فدعه يبقى، وليتفضل بإظهار جميع مصالحه هنا ، ومنها المادية ، وعدم إخفاءها فى مكان آخر.

وعن المفسدين الروس الذى ذهبوا إلى بريطانيا يقول ايضا :

أعتقد اننا الآن مستعدون بشكل أفضل لأننا تجاوزنا موجة الأزمة الماضية ولدينا تفهم كيف وماذا يجب عمله ، وتتوفر ادوات مكافحة الأزمة.زد على ذلك أننى منذ العام الماضى ...كلفت بهذا الأمر الحكومة ، بتشكيلتها السابقة ، وهذه الادوات متوفرة لدينا وتم اختبارها وتطويرها ، وأعداد مشاريع الوثائق التشريعية ، وتصحيح القاعدة القانونية.وقد طلبنا من البرلمان ، ووافق البرلمان، وخصص مبلغا معينا ، ٢٠٠ مليار (روبل)، كرصيد احتياطى للحكومة. اذا ان

الادوات متوفرة لدينا عموما. بالاضافة الى ذلك كان النمو الاقتصادى جيدا لدينا ، كما تعرف ، وهو بأعلى مستوى فى العالم بين الاقتصادات الكبرى بعد الصين والهند – بلغ نسبة ٢ر٤ بالمائة. بينما كان متوسط نمو الاقتصاد فى اوروبا ، فى منطقة اليورو ، ٩ر٣ بالمائة ، أما لدينا فهو بنسبة ٢ر٤ بالمائة. بالمناسبة ان تنبؤات صندوق النقد الدولى والبنك العالمى بشأن منطقة اليورو هى ان النمو فيها سيكون سلبيا فى العام القادم ويبلغ – ٣ر٠ . بينما نحن نتوقع فى العام الحالى مع هذا تحقيق ناتج ايجابى ويبلغ من ٤ الى ٥ بالمائة. وهذا يعتبر الشرط الرئيسى الذى يبين لنا ان روسيا تمتلك عموما ، اذا ما واجهت مشاكل ما ،الادوات الكافية من اجل مواجهة هذه التحديات والمخاطر.

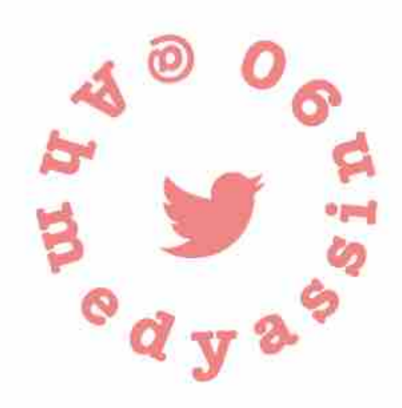
و عن الموقف المالى و الاقتصادى الروسى الحالى يقول ان احتياطياتنا من الذهب والعملة الصعبة تزداد ، وعمليا وصلت الى مستواها قبل الأزمة. ونحن نشغل المرتبة الثالثة فى العالم من حيث مقدار احتياطيات الذهب والعملة الصعبة بعد الصين واليابان ، ولدينا ٥٠٠ مليار ونيف من الدولارات فى احتياطى الذهب والعملة الصعبة. وفى الوقت نفسه ترفد بالموارد احتياطيات الحكومة. ولدينا رصيدان احتياطيان للحكومة : رصيد الرخاء الوطنى ، حيث يوجد ٨٠ مليار دولار ، ورصيد احتياطى محسوب بالدولارات يعادل حوالى ٦٠ مليار دولار، ونحن نمول منه العجز فى الميزانية فى حالة انبثاقه. لكن لا يوجد لدينا عجز بل فائض فى الميزانية.وفائض الميزانية أكثر مما كان عليه فى ميزانية العام الماضي. ولدينا أقل مستوى فى البطالة. واذا كان المعدل فى منطقة اليورو يعادل نسبة ٢ر١١ بالمائة وفى بعض البلدان مثل اسبانيا يعادل ٢٥ – ٢٦ بالمائة ، وفى اوساط الشباب حتى ٧٠ بالمائة ،فأن نسبتها لدينا أقل مما كانت عليه قبل الأزمة وتعادل ١ر٥ بالمائة.

لكن هذا كله لا يجعلنا نخلد الى الاسترخاء . فنحن ندرك كل الادراك ان اخبث ما في جميع هذه العمليات في الاقتصاد العالمى ، هو انها تحدث دون التنبؤ بها مسبقا ومن المستحيل تقريبا اعطاء تنبؤ حول اين تظهر المصاعب الاساسية والمخاطر الرئيسية. ولهذا نحن نتابع باهتمام ما يجرى فى البلدان المجاورة ، فى البلدان – الشركاء.

ونحن نتمنى لها النجاح ، ونسعى بإخلاص الى مساعدتها ، بروح الشراكة. لأن أى تعثر فى الاقتصاد ، وعلى سبيل المثال ، تدهور الوضع فى منطقة اليورو ، سينعكس بشكل مؤلم فى اقتصادنا. انها تمثل الأسواق الرئيسية لترويج سلعنا. واذا ما تقلصت فسيتقلص ويتراجع الانتاج لدينا فورا. لهذا فمن مصلحتنا ان تبقى منطقة اليورو ، وان يعمل اقتصاد شركائنا الرئيسيين ، وينتعش ، بغية ان تكون القاطرات التى تجر الاقتصاد الاوروبى (جمهورية المانيا الاتحادية وفرنسا وبريطانيا) بحالة جيدة. ان هذا يبقى دائما فى مجال نظرنا واهتمامنا. وستكرس الى هذا بلاريب ، وبالدرجة الاولى ، المناقشات فى قمة منتدى التعاون الاقتصادى لبلدان آسيا والمحيط الهادئ فى فلاديفستوك .

البــاب الثانــى

« روسيــا والكــومنــولث »



تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90

الفصل الأول

العلاقات الروسية الاوكرانية

اقامت روسيا الاتحادية علاقاتها الدبلوماسية مع جمهورية اوكرانيا فى ١٤ فبراير عام ١٩٩٢. ووقع البلدان عام ١٩٩٧ على معاهدة التعاون والصداقة والشراكة التى مددت عام ٢٠٠٨ لمدة ١٠ سنوات اخرى. كما هناك ايضا برنامج للتعاون الاقتصادى بين البلدين للفترة من عام ٢٠٠٨ لغاية ٢٠١٠ .

وقام الرئيس الاوكرانى فيكتور يوشينكو بزيارة موسكو فى فبراير عام ٢٠٠٨ التقى خلالها الرئيس الروسى فلاديمير بوتين الذى اعلن ان روسيا لن تعرقل انضمام اوكرانيا الى حلف الناتو ولكنه حذر فى الوقت نفسه من نتائج ذلك فى حالة انشاء قواعد للحلف على اراضى دولة مجاورة.

وتم على هامش قمة رؤساء رابطة الدول المستقلة المنعقدة فى بطرسبورغ بتاريخ ٦ يونيو عام ٢٠٠٨ لقاء بين الرئيس الروسى دميتري مدفبدبف ونظيره الاوكرانى يوشينكو، حيث قيمت بشكل مبدئى خطوات كييف التى تمس بشكل مباشر مصالح موسكو وخاصة موضوع سعى اوكرانيا الانضمام الى حلف شمال الاطلسى بالرغم من معارضة غالبية الشعب الاوكرانى وايضا خرق كييف لاتفاق مرابطة اسطول البحر الاسود الروسى فى المياه الاوكرانية.

المشكلة الكبيرة فى العلاقات الثنائية بين البلدين هى « مسألة الغاز « التى وجد لها حل اعوام ٢٠٠٥- ٢٠٠٦ و ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩ خلال الزيارة التى قامت بها الى موسكو رئيسة الوزراء الاوكرانية يوليا تيموشينكو، حيث

تم عام ٢٠٠٨ التوقيع على مذكرة تفاهم بين الحكومتين للتعاون فى مجال الغاز بين الدولتين. وتعمل لجنة حكومية مشتركة مهامها تطوير التعاون فى المجالات السياسية والعلمية والتقنية والانسانية والامنية، حيث اقرت خلال اجتماعها الثانى المنعقد فى عام ٢٠٠٨ خطة العمل الى نهاية عام ٢٠٠٩ . وتنبثق عن هذه اللجنة لجنة فرعية تختص بمسألة العلاقات الثنائية فى مجال الاقتصاد. وهناك ايضا لجان متفرعة للتعاون فى مسائل الحدود والاقاليم المحاذية. وخلال زيارة رئيسة الوزراء يوليا تيموشينكو الى موسكو عام ٢٠٠٩ تمت مناقشة مسألة التعاون فى مجالات الغاز والطاقة النووية والنقل وصناعة الطيران والفضاء وتكنولوجيا النانو. واشار الجانب الروسى الى التفريق والمحاربة التى يتعرض لها البزنس الروسى فى اوكرانيا الذى يعتبر خرقا للمالكين الروس منحت روسيا اوكرانيا فى اعقاب المحادثات التى جرت بين الرئيسين مدفيديف ويانوكوفيتش فى مدينة خاركوف الاوكرانية يوم ٢١ ابريل عام ٢٠١٠ تخفيض سعر الغاز بمقدار ١٠٠ دولار، علما ان سعره الحقيقى يبلغ حاليا ٣٣٠ دولار مقابل ١٠٠٠ متر مكعب. و فى حال انخفاض سعر الغاز الى مستوى اقل من ٣٣٠ دولار فان التخفيض فى السعر سيشكل نسبة ٣٠٪ من سعر الاتفاقية».

ويعوض هذا التخفيض جزئيا على حساب كلفة الاستئجار مقابل مرابطة اسطول البحر الاسود الروسى فى القرم. ووصف الرئيس الروسى السابق دميتري مدفيديف هذا الربط بانه ليس سياسيا بل تقنيا، مشيرا الى وجود ترابط مباشر بين مسألتى سعر الغاز وسعر الاستئجار.

واوضح اليكسى ميلر رئيس شركة «غازبروم» الروسية من جهته ان سعر الغاز بالنسبة لاوكرانيا سينخفض بنسبة ٣٠٪. لكن هذه القيمة يجب الا تزيد عن

١٠٠ دولار مقابل كل ١٠٠٠ متر مكعب. واضاف ميلر قائلا: » ان تخفيض سعر الغاز بالنسبة الى شركة «غازبروم» الروسية يعوض على حساب رسوم التصدير الجمركية مما لا يؤثر على ارباح الشركة».

كما اعلن مدفيديف ان اتفاقية الغاز عبارة عن خطوة مقابلة اتخذتها روسيا لقاء احلال الاستقرار فى مسألة مرابطة اسطول البحر الاسود الروسي.

وقد كلف مدفيديف وزير الدفاع الروسى وقائد اسطول البحر الاسود الروسى باعداد مشروع لاتفاقية مشاركة القاعدة البحرية الروسية فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية لمدينة سيفاستوبول الاوكرانية.

التعاون الاقتصادى :

اكد الجانبان خلال لقاءاتهم دائما اهتمامهما بتطوير العلاقات التجارية – الاقتصادية. ففى عام ٢٠٠٨ ارتفع حجم التبادل التجارى بين البلدين عن عام ٢٠٠٧ وبلغ ٤٠ مليار دولار امريكى (كان قبل عام ٢٠٠٧ يعادل ٣٠ مليار دولار) بشكل عام احتلت اوكرانيا فى عام ٢٠٠٩ المرتبة السادسة بين شركاء روسيا التجاريين حيث انخفض حجم التبادل التجارى بين البلدين بسبب الازمة الاقتصادية العالمية بنسبة ٤٢,٥ ٪ عما كان عليه عام ٢٠٠٨ وبلغ ٢٢,٩ مليار حيث بلغ حجم الصادرات الروسية الى اوكرانيا ١٣,٧٨ مليار دولارفى حين بلغت الصادرات الاوكرانية ٩.١٢ مليار دولار فقط.

وقد ازداد التبادل التجاري بين البلدين فى شهر يناير عام ٢٠١٠ بمقدار مرتين بالمقارنة مع الفترة ذاتها فى عام ٢٠٠٩ وبلغ قيمة ٢١٣٢,٨ مليون دولار بما فيها ١٥٣٩,٩ مليون دولار من الصادرات الروسية الى اوكرانيا (الزيادة بنسبة ٢٧٢,٢٪) و٥٩٢,٩ مليون دولار من الصادرات الاوكرانية الى روسيا (الزيادة بنسبة ١٢٥٪).

وتشهد الاستثمارات الروسية فى الاقتصاد الاوكرانى ارتفاعا ملحوظا، حيث تحتل روسيا فى هذا المجال المرتبة السابعة بين المستثمرين الاجانب. ويبلغ مجموع الاستثمارات الروسية اكثر من ١.٣ مليار دولار، فى حين تأتي نسبة الاستثمارات المصرفية الروسية فى المرتبة الخامسة من مجموع الاستثمارات المصرفية الاجنبية. وسجلت فى اوكرانيا رسميا ٢١٥٩ شركة ومؤسسة برأسمال روسى واكثرها صناعية.

المواضيع الحساسة « حجر عثرة » فى العلاقات الروسية – الاوكرانية

١ – مسألة انضمام اوكرانيا الى الناتو تعتبر كييف ان الانضمام الى حلف الناتو هو من اسبقيات الامور التى امامها، الا ان موسكو لا تتفق وهذا الموقف، فحسب رأى كيف ان انضمامها الى الناتو لن يشكل تهديدا للامن الروسي. ان انضمام اوكرانيا الى الحلف المذكور يشكل خرقا لبنود معاهدة الصداقة والتعاون والشراكة الموقعة بين البلدين عام ١٩٩٧ التى تتضمن بندا يفيد بان ان الجانبين يقومان ببناء علاقاتهما على مبادئ الشراكة الاستراتيجية ويمتنعان عن الاشتراك او دعم اى عمل يمكن ان يضر بامن الجانب الاخر.

٢ – تخطيط الحدود فى مضيق كيرتش عام ٢٠٠٣ ظهرت بين البلدين مشكلة الحدود فى منطقة مضيق كيرتش الذى يربط البحر الاسود ببحر ازوف. وكانت المشكلة هى تحديد خط الحدود فى المضيق، حيث تم فى نهاية الامر التوقيع على اتفاق يفيد بان الموضوع يحتاج الى اتفاق لاحق. وتعتقد روسيا ان ترسيم الحدود فى المضيق يجب ان لايعرقل حرية الملاحة فيه بالنسبة للسفن الروسية كما هو الحال بالنسبة للسفن الاوكرانية. وان روسيا لاتقبل بالقرارات التى اتخذتها اوكرانيا من جانب واحد والخاصة بترسيم الحدود فى المضيق ذلك انها ترى انه من الافضل الاستخدام المشترك للمضيق.

٣ – موضوع اسطول البحر الاسود الروسي تستمر المباحثات ضمن اطار الاتفاق بخصوص مرابطة اسطول البحر الاسود الروسى ومهامه على الاراضى الاوكرانية. ولكن ارتباطا بنزاع جورجيا واوسيتيا الجنوبية اقرت اوكرانيا بعض التشريعات القانونية التى تحدد حركة قطع الاسطول الروسي. لقد وقع الرئيس الاوكرانى مرسوما يقضى بتشريع قانون تنتهى بموجبه فترة مرابطة الاسطول الروسى فى قاعدته بسيفاستوبول عام ٢٠١٧. وبطبيعة الحال فان الجانب الروسى لا يتفق مع هذا الموقف مشيرا الى القانون الدولى وبالذات الى الاتفاق الواسع لعام ١٩٩٧ الذى يتضمن شروط وفترة ايجار القاعدة البحرية الروسية على الاراضى الاوكرانية والقابلة للتمديد بعد عام ٢٠١٧ .

تم يوم ٢١ ابريل التوقيع على اتفاقية مرابطة اسطول البحر الاسود الروسى فى اوكرانيا. وتم التوقيع فى اعقاب القمة الروسية الاوكرانية للرئيسين دميترى مدفيديف وفيكتور يانوكوفيتش التى عقدت فى مدينة خاركوف الاوكرانية. وتنص الاتفاقية على امكانية بقاء اسطول البحر الاسود لروسيا الاتحادية فى القرم بعد عام ٢٠١٧. واعلن دميترى مدفيديف ان فترة مرابطة اسطول البحر الاسود لروسيا الاتحادية يتم تمديدها ل ٢٥ سنة اعتبارا من عام ٢٠١٧ واوضح الرئيس الروسى السابق ان الجانبين اتفقا على امكانية تمديد مفعول الاتفاقية ل ٥ سنوات اخرى فى حال عدم اعلان احد الطرفين الغاء العمل بها. وقال مدفيديف : » ان الاتفاقية ترمز الى صداقتنا« ، مضيفا الى انها تخلق ثقة اضافية وتهيئ ظروفا افضل لضمان الامن فى المنطقة المطلة على البحر الاسود.

٤ – موقف القيادة الاوكرانية المعادى لروسيا فى نزاع جورجيا واوسيتيا الجنوبية لقد وقفت اوكرانيا بالكامل فى النزاع بين جورجيا واوسيتيا

الجنوبية الى جانب جورجيا والولايات المتحدة الامريكية والناتو والاتحاد الاوروبى اضافة الى كونها المورد الرئيسى للاسلحة والمعدات والذخائر الى جورجيا. كما اعلنت اوكرانيا على لسان رئيسها يوشينكو وحزبه عن رفضهم لاعتراف روسيا باستقلال ابخازيا واوستيا الجنوبية وانهم الى جانب المحافظة على كامل التراب الجورجي واكثر من هذا لقد اتهمت اوكرانيا الجانب الروسى بخرق مواد ومبادئ القانون الدولى ففي. جلسة البرلمان الاوكرانى يوم ٢ سبتمبر عام ٢٠٠٨ حاول انصار يوشينكو اصدار بيان يدين عمل روسيا فى جورجيا الا ان نواب حزب الاقاليم والحزب الشيوعى وبلوك يوليا تيموشينكو عارضوا الامر بشدة.

٥ – الانتقاص من حقوق المواطنين الناطقين باللغة الروسية فى اوكرانيا لم تجد مسألة الناطقين باللغة الروسية فى اوكرانيا حلا لغاية الان فى العلاقات بين البلدين. ويحاول الجانب الروسى جاهدا من اجل ان يحصل الناطقين باللغة الروسية فى اوكرانيا (تتراوح نسبة الذين يتكلمون بالروسية فى بيوتهم حسب معطيات مختلفة بين ٥٠ – ٧٠ ٪ من سكان اوكرانيا) على حقوقهم والسماح لهم باستخدام اللغة الروسية فى نشاطهم الحياتى والثقافى وهذا ماتعارضه السلطات الحالية فى اوكرانيا. فمثلا منعت قنوات البث التلفزى الروسية كما منعت القنواة التلفزية ومحطات الاذاعة المحلية من البث باللغة الروسية.

٦ – الخلافات التاريخية لا تشعر روسيا بالارتياح من قيام اطراف معينة فى اوكرانيا بالهجوم على تاريخ البلدين المشترك الذى يبدأ منذ زمن « كييفسكايا روس ». ان المجتمع الروسى يقيم سلبيا خطوات كييف الرسمية بتمجيد جيش المتمردين الاوكرانيين الموالى لهتلر فى ايام

الحرب العالمية الثانية وايضا تخليد قادته « المناضلين » من اجل استقلال اوكرانيا وايضا اعمال التخريب الموجهة ضد النصب والمقابر الجماعية لضحايا القوات السوفيتية المحررة وكذلك اعادة كتابة تاريخ الحرب وفترة ما بعد الحرب. كما انه من المؤسف جدا لموقف السلطات الاوكرانية غير الموضوعى لتسيسهم موضوع الجوع العام (غولودومور) فى الاتحاد السوفيتى اعوام ١٩٣٢ - ١٩٣٣ الذى ذهب ضحيته الروس والاوكرانيين والكازاخ وغيرهم من مواطنى الجمهوريات السوفيتية انذاك.

الفصل الثانى

تاريخ الشيشان حروب القوقاز فى القرن التاسع عشر والتهجير فى القرن العشرين

كان الروس منذ زمن بعيد قد تعرفوا على القوقاز والجبليين. ففى سنة ١٥٦١ تزوج القيصر ايفان الرهيب من الأميرة ماريا تيمريوكفنا من كاباردين. ومنذ ذلك الحين طلب مختلف الأمراء الجبليين عونا من موسكو وقبلوا المواطنة الروسية. وفى عصر ما يسمى بالفترة المظلمة، حيث كانت روسيا نفسها ضعيفة انقطعت العلاقات مع القوقاز، ولكن فى زمن القياصرة الأوائل من سلالة رومانوف أعيدت العلاقات بسرعة. وفى وثائق الأرشيف مجموعة كبيرة من طلبات الملوك والأمراء الجبليين لمنحهم المواطنة الروسية.

وتشير الوثائق الأولية إلى أن الاتصالات بين الروس والشيشان كانت فى القرن السادس عشر متقطعة ولم تترك اى اثر فى التاريخ. وببساطة طبيعية اهتم الروس بجورجيا الارثذوكسية، واهتم الجورجيون بروسيا. وتقع على الطريق بين موسكو وتفليس منطقة القوقاز الشمالى وشعوب جبلية مختلفة ومنهم الشيشان.

وتشير الوثائق إلى انه بعد فترة وجيزة، أى فى زمن القيصر الكسى ميخائيلوفيتش، ومن ثم ورثته، طلب الشيشانيون من القيصر الروسى بإلحاح منحهم الحماية واعدين بطاعة ملك موسكو وتقديم المساعدة له فى محاربته أعداء روسيا.

وفى زمن بطرس الأكبر نجل القيصر الكسى ميخائيلوفيتش الذى كان يحارب الفرس فان الجيوش الروسية ليس فقط لم تحصل على مساعدة من الشيشان، بل كانت مجبرة على رد هجماتهم. وبهذه الفترة بالذات، وردا على هذه الهجمات قام الروس بحملات عسكرية تنكيلية مشكوك فى نجاحها ضد الجبليين. وبشكل عام يمكن اعتبار هذه المصادمات حوادث عابره، لان اهتمامات بطرس الأساسية كانت نحو الغرب وليس فى القوقاز. إضافة لذلك فان المناطق المجاورة لبحر قزوين والتى أخضعها بطرس تنازل لاحقا عنها لفارس.

وبدأ فى زمن الإمبراطورة انا ايونوفنا بناء التدعيمات الروسية فى القوقاز والتى سميت بخط القوقاز. ولم يكن الهدف من ذلك إخضاع الجبليين الذين كانت عواطفهم وكراهيتهم تتنقل بين روسيا وفارس وتركيا. بل كان هذا الخط يمثل ما يشبه الحدود التى تفصل مناطق النفوذ بين روسيا وتركيا، حسب معاهدة سنة ١٧٣٩. اضاقة لذلك ساعد هذا الخط على الحفاظ على اتصالات دائمة مع جورجيا. مرات عديدة ساعد الروس الجورجيين، وقاتلت الفصائل الجورجية الى جانب الروس ضد الأتراك.

وفى عام ١٧٨٥ عندما هدد عمر خان (قائد) العيفاريين جورجيا، أراد الروس تقديم المساعدة لهم ولكنهم لم يتمكنوا بسبب الحرب المندلعة فى الشيشان. وحسب شهادات الكثيرين لم تكن بمنحى عن المشاركة الفعلية للأتراك. عندها بالذات كان على الروس ولأول مرة الصدام مع الشيشانيين. وبدأ الجيش الجبلى «حرب الجهاد ضد الكفرة» بقيادة راع فقير أعلن انه مختار من محمد، وباسم الشيخ منصور. وبالذات فان هذا الراعى الأمى من قرية «الدي»وضع أسس الغزوات»حرب الجهاد» فى شمال القوقاز.

حسب شهادات العسكريين الروس كان تعداد قوات منصور فى اوج قوته يبلغ ٢٥ ألف رجل، وشكل هذا خطورة جدية لكل خط القوقاز. وباءت بالفشل أول محاولة للقوات الروسية بقيادة العقيد يورى بيرى الواثق من نفسه للوصول إلى «مكان الإمام الكذاب». لقد اباد الشيشانيون تقريبا كل الفصيل الروسي. وكان نجاح منصور قصيرا، ولم تتكلل بالنجاح كل محاولاته اللاحقة لاقتحام التحصينات الروسية، وخاصة كيزلار، بل ادت إلى خسائر بشرية كبيرة وفقدان نفوذه وهروب الكثير من أتباعه. وبدعم الأتراك بالمال و السلاح للأمام الكذاب منصور تمكن لعدة سنوات من ازعاج القوات الروسية، وفى أكتوبر عام ١٧٨٧ هزم من قبل القوزاق ولم يتمكن من إعادة تنظيم نفسه. وكان انسحاب منصور خلال الجبال المغطاة بالثلوج مأساويا، حيث عثر فى الربيع فى طريق انسحابه على جثث متجمدة كثيرة، اما منصور نفسه فقد لجأ الى قلعة «سودجوك-كالي» التركية حيث اسر صيف عام ١٧٩١ .

هنا نشير مباشرة إلى أن دور تركيا وكذلك فارس وانجلترا فى حوادث القوقاز اللاحقة سيكون نشطا. فانجلترا خاصة كالعادة تقيم التواجد الروسى فى هذه المنطقة كتهديد لسيادتها فى الهند، لذلك حاولت جاهدة (نادرا بشكل مباشر، فى اغلب الاحيان بمساعدة الأتراك و الإيرانيين) كلما سنحت الفرصة، التأثير على إحداث القوقاز على ضوء مصالحها.

ومع كل مآسى الحرب الروسية ضد «الشيخ منصور» الكذاب والشيشانيين من مؤازرى «حرب الجهاد ضد الكفار» (هكذا تصفهم روسيا) وأرى أنه حتى هذه الحادثة التاريخية لا يمكن اعتبارها بثقة كاملة نقطة البداية فى المواجهة بين الروس والشيشان. أن أكثر أسباب المجابهه كان بتأثير شخصية منصور نفسه و تعصبه الدينى والتدخلات الأجنبية، وليس خلاف مبدئى بين روسيا

و الشيشان، خاصة وان لروسيا تاريخيا علاقات طيبة مع المسلمين الروس ولم يكن من مصلحتها إثارة الحرب فى المنطقة على ارضية دينية.

حرب القوقاز الأولى:

إن الحرب المبدئية و القاسية فى المصالح بين روسيا والشيشان بدأت فيما بعد، وقد أملتها حالة جيوسياسية طارئة «حادثة تاريخية سيئة» حصلت للروس والشيشان. وتؤرخ بداية حرب القوقاز فى الأعوام ١٨١٧-١٨٦٤. ومن الجدير بالذكر ان سببها كان الانضمام الطوعى لجورجيا الى الإمبراطورية الروسية. فاذا كانت المصادمات بين الروس والقبائل الشيشانية المتفرقة إلى هذه اللحظة متقطعة فانه بعد انضمام جورجيا الى الإمبراطورية أصبح شمال القوقاز، وبشكل خاص الشيشان جغرافيا داخل الامبراطورية وعلى الطريق المهم من مركز روسيا إلى جورجيا.

ولم يكن قبول جورجيا ضمن روسيا ناتجا عن غطرسة إمبراطورية، بل هو دين لاخوة فى المعتقد، كانوا يتعرضون خلال قرون عديدة لملاحقة قاسية وتحت خطر الإبادة الجماعية وعلى أساس هذا السياق التاريخى من الصعب اعتبار روسيا مسؤولة عن إشعال حرب القوقاز، ولا حاجة فى اتهام الشيشان بذلك أيضا: فلم يكن لهم شأن فى فواجع الجورجيين او كرامة الروس القادمين لمساعدة الجورجيين، فهم لم يروا غير القوزاق على أرضهم ويمكن ان نشفق على الشيشان، لأنها وقعت تحت عجلة التاريخ، ويمكن أن نشفق على روسيا أيضا لأنها سحقت بنفس العجلة ولكن بشكل خاص.

ويمكن مساواة إخضاع القوقاز من قبل روسيا بإخضاع انجلترا للهند والأسبان لأمريكا هكذا ترى روسيا ايضا بمبررات استعماريه. وهناك أمثلة كثيرة غير هذه.

ففى جميع الحالات المماثلة كانت الطرق المستخدمة تقريبا متطابقة و تضمنت كقاعدة السوط والحلوى. ونفس الشئ فعلته روسيا، فكانت فى مكان ما تخضع الجبليين بالقوة، وفى مكان آخر تكسب أعيان المنطقة من خلال تقديم الهدايا لهم وتعيينهم . ولم يكن عدد الأمراء القوقاز الذين قربوا من العرش الإمبراطورى قليلا. وأخيرا كان الكثيرون ينتقلون طوعا وبدون مقابل الى الجانب الروسى بحثا عن ظهير قوي، بعد ان تعبوا من الحروب الداخلية المحلية، آملين بالاستقرار وبفوائد اقتصادية والتعاون مع شريك قوى و متحضر.

وكان الأباطرة الروس متأكدين من أنهم ينقلون الى القوقاز الحضارة،وكانوا مستعدين إذا تطلب الأمر فرضها بالقوة، ولكن لم يكن هناك أى تعصب قومي (شوفينى). ومن زمن بطرس الأكبر سلكت السلطة الروسية نفس الشئ، حتى مع رعاياها الأصليين، أى مع الروس أنفسهم. وكان بطرس الأول، ومن أتى بعده، متأكدين بأنه يجب تعليم المواطنين بالقوة، وقد فعلوا ذلك وبشكل دؤوب. أن إصلاحات بطرس العظيم وخاصة فى المرحلة الأولى ترابطت مع انتفاضات عديدة سحقت بنفس القسوة التى سحقت فيها انتفاضات الجبليين لاحقا.

وأخيرا، تمكنت روسيا، بهذا الشكل أو ذلك، من الاتفاق مع الجميع باستثناء الشيشان. واستمرت الهجمات على القوافل الروسية وعلى الجيران،واخذ الرهائن وتجارة الرق، بالرغم من جميع أشكال العلاقة مع الشيشان والاتفاق معهم. ومع الأسف الشديد فان القانون الدولى الأوروبى الحضاري لم يعمل فى القوقاز.

فالإمبراطور الكساندر الأول مثلا غير سياسته تجاه الشيشان. فى بادئ الأمر كانت سياسة تمالك النفس. وعندما تصبح الهجمات غير مطاقة كان جواب الروس الاضطهاد. وبعد عدد من العمليات التأديبية والتى كانت خلالها القوات الروسية تحرق القرى»المذنبة» وفى عام ١٨١٣ اوعز الإمبراطور الى الجنرال

رتيشيف تغيير التكتيك «كمحاولة لإعادة الهدوء على خط القوقاز بمودة وتسامح» ولكن الشيشان اعتبروا ذلك ضعفا، فازدادت الهجمات على الروس. وبعد ذلك ومع ظهور الجنرال الكسى يرمولوف فى القوقاز عام ١٨١٦ تم الرهان على استخدام القوة. ولكن مع تغيير طريقة تنفيذ العمليات العسكرية، بحيث تكون تدريجية: التحصين فى المواقع المحتلة ... شق طريق فى الغابة للتخلص من الكمائن وبناء تحصينات جديدة. طريقة يرمولوف هذه فى الحرب سارت ببطء، ولكن دائما سارت نحو الأمام وإبعاد الشيشان نحو الجبال ومعاقبتهم عن كل هجمة سطو ونهب.

كان الجنرال الكسى يرمولوف شخصية بارزة ونجاحاته فى القوقاز تفسر بشكل كبير، ليس فقط معرفته الجيدة للوضع وعدم تخوفه من اتخاذ القرارات، بل وكونه احد القادة الروس القلائل فى القوقاز الذين عرفوا جيدا نفسية الجبليين والمسلمين. وفى نفس الوقت كان يرمولوف يكرر دائما بأنه ينحدر من أصل الوجيه التترى ارسلان، وان تصرفاته فى القوقاز ونمط حياته مبنى على الأسلوب الشرقي، مع علمه بأنه مراقب دائما من قبل عيون فضولية لتقييمه. وقليلون يعلمون بان يرمولوف تزوج أثناء وجوده فى القوقاز ثلاث مرات من زوجات مسلمات، عاقدا مع أولياء أمورهن الاتفاق على الزواج المؤقت، مقدما لهم الهدايا الثمينة والمال، كما كان متبعا آنذاك. وكان القصر الإمبراطورى ينظر إلى ذلك كنزوة جديدة. وعمليا من وجهة النظر المسيحية بقى الجنرال عازبا. وعندما انتهت خدمة الجنرال فى القوقاز فان زوجاته المسلمات (مع بنات يرمولوف)عدن إلى بيوتهن وتزوجن مرة ثانية، أما أولاده الثلاثة – فيكتور(باختيار) وسيفير(اللهيار) وكلافدى (عمر) فانه أخذهم معه إلى روسيا، حيث رباهم وأصبحوا ضباطا مثاليين فى الجيش الروسي.

ونشير الى ان جميع العسكريين الروس الذين استحقوا المجد وادخلوا الرعب فى العدو فى القوقاز متفقين على كيفية قيادة الحرب النفسية، اعتمادا على التقاليد والأعراف المحلية.

ومع ذلك فان سرعة البديهية واستخدام القوة لدى يرمولوف وعدد كبير من الضباط الروس جلبت لروسيا العديد من الانتصارات الحربية، إلا أن كل هذه الانتصارات لم تتمكن بشكل جذرى من حل المشكلة.

وطبعا يرمولوف لم يستخدم القوة و السخاء فقط، بل من المعلوم انه كانت له محاولات خرقاء لإدخال الحضارة للمنطقة. فقد قام بجلب النساء من روسيا لتزويجهن من مرؤوسيه من القوزاق وإسكانهن فى القوقاز. وحسب طلب يرمولوف فقد ارسلت له من المركز عدة ألاف من البنات الشابات والأرامل مع أطفالهن. اى حسب خطة بطرس العظيم يتم ادخال الحضارة بواسطة الأجانب.

وكما نرى فان السلطة الروسية آنذاك كانت متأكدة من أن أحسن الطرق لإدخال الحضارة إلى المنطقة، ليس العمل مع السكان المحليين، بل إسكان الروس فى المنطقة.

ولم يسأل لا السكان المحليين ولا المهجرين عن موافقتهم. ومن المعلوم فان المهجرين الروس تحملوا عذابا نتيجة تنفيذ الخطة الإمبراطورية هذه.

وأخيرا فان الشيشان لم يرغبو بالتحضر، بل بالعيش على ضوء قواعدهم التى تختلف جذريا عن القوقازيين الآخرين. وعلى خلاف الأقوام الجبلية الأخرى، حيث ظهر الأعيان(الوجهاء) الذين كانت السلطة الروسية تتفق معهم، فان الشيشانيين اعتبروا نفسهم متساوين. وان شخصية الشيشانى لا تحدد بثروته ومعلوماته، ولا بأصله، بل قبل كل شئ على أساس غنائمه الحربية. كما أن

القيصرية لم تجد فى الشيشان من تتباحث معه من قيادات وبنى اجتماعية يكون بإمكانها ضمان تنفيذ الاتفاقات. وعندما كانت تظهر مثل هذه القيادات فى القوقاز كانت السلطة الروسية تحاول الاتفاق معها وكسبها، وأحسن مثال لذلك هو شامل الأسطوري

إن التاريخ الروسى الرسمى يسمى شامل باحترام بأنه «قائد مشهور وموحد جبليى داغستان والشيشان قى نضالهم ضد الروس ومن اجل الاستقلال». وشامل الداغستانى ولد حسب بعض المصادر فى عام ١٧٩٧ وحسب أخرى عام ١٧٩٩ وكان من المناصرين للمذهب الجديد الداعى إلى إنقاذ الروح وغفران الخطايا، عن طريق حرب الجهاد المقدسة ضد الروس. وعند استلامه السلطة كإمام لداغستان تمكن شامل من توحيد الداغستانين والشيشانيين تحت راياته، حيث استمرت سلطته ٢٥ سنة. وتكللت الحرب الجارية مع روسيا بنجاحات وإخفاقات، ولكن فى نهاية عام ١٨٤٣ أصبح شامل السيد المطلق لداغستان والشيشان مؤقتا. وقسمت فى زمنه الشيشان إلى ثمان مناطق – أدارها نوابه، وبلغ تعداد قواته فى أفضل الأوقات ٦٠ ألف رجل. وكان اقرب مساعدى النواب هم تلاميذ شامل، وهؤلاء شكلوا حرسه الخاص. وكانت القيادة العليا بيد رجال الدين. وحاول شامل فرض الشريعة الإسلامية على كل المناطق التى كانت تحت سيطرته، والتى تعارضت مع العادات الروسية القديمة.

وبقيت السلطة معتمدة على الإيمان والقوة، إذ كان الجلاد يرافق شامل دائما. لقد أثارت نزوات الشيشان شامل والروس على حد سواء. وللأمام غير قليل من وجهات النظر السلبية جدا حول الشيشانيين. وإثناء المباحثات مع الروس نوه شامل مرات عديدة بان من مصلحتهم فسح المجال له «لتقييد القوقاز المتمرد والشيشان خاصة».

وتنتشر حاليا بين القومييين القوقاز، والشيشانيين بشكل خاص، وجهة نظر بسيطة وبدائية عن شامل بعيدة جدا عن الواقع، فحواها يفيد بأنه-«قرر الاستشهاد من اجل حرية الشعب فى النضال ضد المستعمرين الروس». وكتب شامل عام ١٨٣٦ الى الجنرال كلوك فون كلوكين قائد القوات الروسية فى داغستان: «مادمت باقيا على قيد الحياة ستجدوننى مجدا وخادما لا يمكنه خيانة الحكومة الروسية». وكان الشرط الوحيد هو «اطلب منكم فقط عدم التدخل فى القتال فيما بيننا، وسوف ينتصر الأشجع منا ويتم إخضاع الجانحين، ويستتب النظام والسلطة وعندها يحل بعون الله الهدوء.» وطبعا ما جاء فى وعود شامل كونه«خادم مطيع للحكومة الروسية» فى اوج «حرب الجهاد ضد الكفرة»ما هى إلا حيل دبلوماسية، إلا أن فكرة «كبح»الجبليين تتطابق تماما مع رغبة الإمبراطور.

وكانت الأساليب متقاربة فلقد اعترف شامل فيما بعد: «لقد استخدمت ضد الجبليين أساليب قاسية، وقتل الكثيرون تنفيذا لأوامري.. ضربت الشاتونيين والأنديين وطالبوتين والاجكيريين، لقد ضربتهم، كما تعلمون لا بسبب طاعتهم لروسيا التى لم يظهروها آنذاك، بل بسبب طبائعهم الخبيثة التى تميل الى السرقة و السطو، التى من الصعب عليهم التخلص منها. لذلك فانا لا اشعر بالخجل من أعمالى ولا أخاف الإجابة عنها أمام الله».

وفى نهاية الأمر هزم شامل وأسره الروس فى قرية «غونيب» عام ١٨٥٩ حيث حاول الاختفاء. وتفيد المعلومات التاريخية بان الأمام شامل توجه إلى غونيب برفقة قافلة غنية، إلا انه وصلها وهو لا يملك شيئا سوى سلاحه الشخصى والفرس التى كان يركبها، لقد سرقه أثناء الطريق رجال من القرى المجاورة. عندما كان شامل قويا كانوا يهابونه، وعندما ضعف – سرقوه.

ولم يكن الأسر لشامل ثقيلا جدا. قال الكسندر الثاني، الذى برز فى حرب القوقاز وقلد وسام«صليب غيورغي» عندما مثل الأمام إمامه: «انا سعيد جدا لأنك أخيرا فى روسيا،وأسف لان هذا لم يحدث قبل هذا الوقت. سوف لن تندم، وسنصبح أصدقاء». وتم نقل الإمام إلى كالوغا وخصص له راتبا جيدا، وبعد ان هدأت الأمور فى القوقاز، سمح له بالذهاب إلى مكة المكرمة، حيث وافاه الأجل ودفن هناك. لقد عثر بعده على مجموعة من الرسائل معنونة إلى الإمبراطور الروسى والتى تضمن الشكر والولاء. وفى إحدى المرات القى الأمام خطبة قال فيها : «ان العجوز شامل يأسف لأنه لن يولد مرة ثانية لكى يسخر حياته لخدمة القيصر الأبيض الذى أعيش من نعمه». يمكن الشك فى مصداقية كلمات العجوز ؟؟، ولكن من ناحية ثانية لم يجبره احد على قولها. ولم يعلن شامل عند مغادرته إلى مكة عن رغبته فى تجديد النضال ضد الروس. لقد دفن الأمام الأسطورى فى مقبرة جنة البقيع بالمدينة المنورة احد أولاده جنرالا روسيا وخدم روسيا بإخلاص، أما ابنه الثانى فأصبح جنرالا تركيا وحارب ضد الروس، فيما أصبح حفيده سعيد بك ضابطا فرنسيا، ساهم بنشاط فى شهر سبتمبر عام ١٩٢٠ فى محاربة السلطة السوفيتية فى جنوب روسيا.

أوحى اسر شامل بقرب تسوية موضوع القوقاز بشكل نهائي. هذه الحرب التى استمرت للفترة من ١٨٠١ و١٨٦٤ كلفت الروس، حسب بعض المعطيات، ٧٧ ألف قتيل. وبالتأكيد كلفت الجبليين أكثر من هذا، إذ لم يقم احد باحتسابها لعدم إمكانية ذلك.

وكانت من نتائج الحرب هجرة جماعية للشيشانيين إلى الخارج، وخاصة الى تركيا، التى وعدتهم باستقبال حافل. ولم تمنع روسيا ذلك، حتى أن هناك معلومات تؤكد منح المهاجرين مساعدات مالية قليلة. ونظرا لطلبات الكثيرين

المقدمة إلى الحكومة الروسية بالسماح لهم بالعودة إلى بيوتهم، يمكن القول انه لم يكن استقبالهم فى تركيا جيدا.

لقد وقع الشيشان بين نارين، فروسيا التى حاربت تركيا مرات عديدة لم تكن لها رغبة فى قبول الذين كانوا «مستعدين بإشارة واحدة الموت من اجل عظمة تركيا»، سيما وان العديد من هؤلاء بقوا فى القوقاز. لقد وضع الإمبراطور الكساندر الثانى تأشيرة على مجموعة طلبات للعودة وهى « لا يمكن الحديث عن العودة ». إلا أن هناك من حصل على الموافقة بشكل فردي. وبقى الجزء الأكبر من المهاجرين فى تركيا.

القوقاز: القرن العشرون. تهجير الشيشانيين :

بعد سنة ١٨٦٤ هدأ بركان القوقاز بعض الوقت، بالرغم من حصول بعض الحوادث، وخاصة فى الشيشان. وانفجر هذا البركان من جديد بعد ضعف السلطة المركزية نتيجة ثورة عام ١٩١٧ والحرب الأهلية. فى هذا الوقت يتم احتلال القوقاز مرة من قبل الحرس الأبيض ومرة من قبل الجيش الأحمر، وبصعوبة كبيرة تم تثبيت السلطة السوفيتية فى المنطقة.

ومن الصعب فى هذه الفترة فصل النضال السياسى عن عمليات قطع الطرق. فازدادت الاشتباكات بين سكان الشيشان وداغستان بسبب السرقات واختطاف النساء، بهدف الحصول على الفدية. وهناك حقائق كثيرة لقيام الشيشان بالسرقات وخطف النساء. وردا على ذلك تبدأ عمليات تجريد القرى الشيشانية من السلاح الواحدة تلو الأخرى. وتشير التقارير إلى جمع المئات وآلاف قطع السلاح بعد استخدام القوة فقط، وتشبه طريقة عمل قوات الأمن الروسية والجيش فى تلك الفترة الى حد كبير الأسلوب الذى استخدم قبل الثورة، أى فى البداية مباحثات مع الأعيان بهدف حل الموضوع سلميا،

وكقاعدة كان هذا يرفض، على اثر ذلك تطلق طلقات تحذيرية يتبعها رمى حقيقي. بعد تهديم عدد من المنازل يفرض على القرية تسليم السلاح، ولكن بالكامل إذ أن التفتيش كان يزيد من عدد قطع السلاح المصادرة. وكما تشير الوثائق، كان هذا يحدث عمليا فى جميع المناطق السكنية الشيشانية.

ومع كل هذه الإجراءات فأنه فى سنة ١٩٢٩ حدثت انتفاضة تبعتها انتفاضة ثانية سنة ١٩٣٢ وبعد القضاء على المقاومة يحصل هدوء مؤقت قبل اندلاع الحرب الوطنية العظمى (١٩٤١ - ١٩٤٥). ففى خريف عام ١٩٤١ يحصل نشاط لحركات التمرد، مستفيدين من قرب خطوط الجبهة من شمال القوقاز. كانت الهجمات تتم على الكولخوزات والقطع العسكرية الصغيرة. وكما تشهد الوثائق تمكن بعض المتمردين من إقامة اتصالات مع القيادة الألمانية وقدمت المساعدة لقطاعات المشاة الجبلية المتقدمة نحو الجنوب الشرقى التابعة لمجموعة جيوش «الجنوب». وبعد طرد القوات الألمانية من القوقاز انشغل الجيش السوفييتى وقوات امن الدولة من جديد بالشيشان، وفى نهاية فبراير عام ١٩٤٤ تم تهجير مئات الآلاف من الشيشان بالقوة الى كازاخستان.

كل ما ذكر أعلاه حقيقة واقعة، ونتيجة عمليات الاضطهاد والتنكيل فكل بمئات الآلاف من الناس، الذين أكثرهم كانوا بدون ذنب تماما. وبدأت العمليات هذه المرة بمبادرة من قبل يوسف جوكاشفيلي، احد سكان القوقاز الأصليين وهو نفسه ستالين- الشخص الذى بدون شك يعرف جيدا تاريخ المنطقة ونفسية الشيشان. اكثر من ذلك كان قائد الحزب يعرف جيدا الطرق التقليدية التى يستخدمها الجبليون فى سطواتهم. لقد ترأس يوسف ستالين عام ١٩٠٦- ١٩٠٧ عمليات نزع الملكية وراء القوقاز وبمعنى آخر انه سطى على البنوك، وغيرها من الدوائر، وذلك لتمويل النشاط الثورى لحزب البلاشفة.

لقد تمت عمليات تهجير الشيشان وغيرهم من شعوب الاتحاد السوفييتى فى زمن معمعان الحرب العالمية الثانية. ومن الصعب القول هل حقا ستالين «اب الشعوب» كما كان يسمى آنذاك تذكر الماضى وتخوف فعلا من حدوث خيانات جماعية من جانب الشيشانيين، أم استخدم الحرب كحجة لبدء الاضطهاد. ونظرا لطبيعة ستالين المعقدة يمكن ان يكون السبب أى خيار. وبنهاية الأمر يمكن أن تكون فكرة تهجير الشيشان حدثت ليس فقط فى تاريخ روسيا، بل وفى التجربة الغربية أيضا : نذكر بأنه فى هذه الفترة بالذات تم فى الولايات المتحدة الأمريكية حجز اليابانيين فى معسكرات اعتقال.

كل هذه الأحداث – حروب القوقاز فى القرن التاسع عشر و تهجير الشيشان فى الشيشان فى أربعينيات القرن العشرين اوجد أرضية وإيديولوجيا لحروب جديدة فى الشيشان .

الفصل الثالث

نبذة عن القرم

تقع شبه جزيرة القرم فى جنوب أوكرانيا. ويحيط بها البحر الأسود من الجنوب والغرب، بينما يحدها من الشرق بحر أزوف. ويربطها بالقارة الأوروبية شمالا برزخ بيريكوب البالغ عرضه ٨ كيلومترات. وتبعد أقصى نقطة شمالا عن أقصى نقطة جنوبا بمسافة ٢٠٠ كيلومتر. بينما تبعد أقصى نقطة غربا عن أقصى نقطة شرقا بمسافة ٣٢٥ كيلومتر. وتحد القرم من جهة البحر روسيا ورومانيا وبلغاريا وتركيا وجورجيا. كان شبه جزيرة القرم احد الأماكن المفضلة لاستجمام الأسرة القيصرية والنبلاء الروس. وأحب القادة السوفيت والمسئولون الكبار الإقامة هنا. وشهدت القرم مرارا أحداثا تاريخية عديدة. وعقدت فى شبه الجزيرة قبل ثلاثة أشهر من انتهاء الحرب العالمية الثانية فى فبراير عام ١٩٤٥ قمة الحلفاء فى الحرب ضد هتلر التى شارك فيها يوسف ستالين من الجانب السوفيتى وفرانكلين روزفلت من الجانب الأمريكى وونستون تشرشل من الجانب البريطاني ، الذين أرسوا النظام العالمى الجديد لفترة ما بعد الحرب. وفى أغسطس عام ١٩٩١ تم عزل ميخائيل غورباتشوف الرئيس الأول والوحيد للاتحاد السوفيتى إثناء استجمامه فى منطقة فوروس فى القرم عندما جرت محاولة الانقلاب الفاشلة ضده فى موسكو.

تاريخ القرم

بدأت فى القرن الثامن عشر سلسلة من الحروب الروسية – التركية . وسعت

روسيا من خلال هذه الحروب الى الاستيلاء على مناطق مطلة على البحر الأسود باعتبارها ضرورية لتطوير اقتصادها. وطرد الجيش الروسي فى عام ١٧٧١ الأتراك من شبه جزيرة القرم . إلا أنهم لم يقبلوا بفقدان القرم وحاولوا مرارا استعادة مواقعهم فيها .

واضطرت تركيا فى يوم ١٠ يوليو عام ١٧٧٤الى توقيع معاهدة الصلح التي تم خرقها فور توقيعها عمليا.

ووقعت الإمبراطورة كاترين الثانية فى يوم ٨ ابريل عام ١٧٨٣ «مرسوم ضم شبه جزيرة القرم وجزر تامان وإقليم كوبان الى روسيا».

وسعت الحكومة القيصرية بشتى الوسائل الى جذب الرعايا الجدد إلى جانبها آخذا بعين الاعتبار وضع القرم الاستراتيجى العسكرى ونفوذ تركيا الكبير بين التتار. ومنذ عام ١٧٨٣ منح اهالى شبه الجزيرة الأصليين حرية التنقل وحرية الضمير (العقيدة الدينية). كما منح الإقطاعيون التتار الحق بالتمتع بكافة الامتيازات لدى طبقة النبلاء (الاشراف) الروس. وتم إعفاء التتار من الخدمة العسكرية فى الجيش الروسي. الا انه تم فى أوائل القرن التاسع عشر تشكيل أربعة أفواج تتارية التحق بها المتطوعون الذين قاموا بواجبات الحراسة والحفاظ على الأمن فى شبه الجزيرة. واحتفظ رجال الدين المسملون التتار بأراضيهم ، وتم إعفاؤهم من دفع الضرائب، وأعطيت الحريات الشخصية للفلاحين. غير ان جزءا من السكان التتار غادر القرم وهاجر إلى تركيا بالرغم من التدابير المشار اليها.

وصارت القرم فى النصف الاول من القرن التاسع عشر تنمو اقتصاديا وثقافيا ، وذلك بعد ان تم ضمها الى الامبراطورية الروسية فى عام ١٧٨٣ . ومنذ ذلك الحين

أخذت تتطور القوى المنتجة فيها بوتائر عالية، وحدثت تغيرات في المجالين الاقتصادى والثقافي. واتخذت الحكومة الروسية التدابير الرامية الى توطين القرم ، علما بان عدد سكانها بلغ ٨٢١٥١ نسمة من الذكور حسب إحصائيات عام ١٧٩٦. وسعت الحكومة القيصرية إلى استصلاح شبه الجزيرة بأسرع وقت ممكن، وصارت تمنح قطعا كبيرة من الأرض إلى مالكى الأراضى والموظفين الروس.

وفى عام ١٧٨٣ تأسست قلعة سيفاستوبول التى تحولت بمرور الزمن الى ميناء كبير وقاعدة الأسطول الروسى الرئيسية فى البحر الأسود ومدينة تمثل مجد وشجاعة الروس فيما بعد. وكانت الإمبراطورية العثمانية من جهتها تحشد قواها العسكرية وتقوم بلعبة دبلوماسية معقدة مع الدول الأوروبية الكبرى التى اتفقت مصالحها ومصالح اسطنبول التى لم ترض بتنامى نفوذ روسيا فى البحر الأسود وسيطرتها على القرم. ورفع الاسطول العثمانى أشرعته فى عام ١٧٨٧ وتوجه نحو شبه جزيرة القرم . والحق الأسطول الروسى الصغير فى عام ١٧٨٨ هزيمة ساحقة بالأسطول التركى ، الأمر الذى أصبح رمزا لولادة أسطول البحر الأسود الروسى الفتى ووضع بداية للصراع بين الدولتين والذى أسفر عن تخلى تركيا عن شبه جزيرة القرم.

وفى بداية النصف الثانى من القرن التاسع عشر أصبحت شبه جزيرة القرم مسرحا للحرب الدامية بين روسيا من جهة وتركيا وفرنسا وبريطانيا من جهة اخرى. وبدأ النزاع من الجدل حول مسألة منع روسيا من حرية الملاحة فى البحر الأبيض المتوسط. ، ووقعت فى عام ١٨٤١ فى لندن الاتفاقية الدولية التى نصت على إغلاق مضيقى البوسفور والدردنيل أمام جميع الدول الكبرى ، الأمر الذى ألحق ضررا بمصالح روسيا الإستراتيجية والتجارية . غير أن الصراع من اجل فرض النفوذ السياسى والاقتصادى على الشرق الأوسط لم ينته بذلك.

وتسببت المواجهة فى اندلاع الحرب بين روسيا والإمبراطورية العثمانية ووقفت الدول الأوروبية الكبرى فيها الى جانب تركيا. وأعلنت حكومتا بريطانيا وفرنسا الحرب على روسيا ، وبهذا خرقتا اتفاقية لندن. ونزلت القوات البريطانية والفرنسية والتركية فى عام ١٨٥٤ فى مدينة يفباتوريا الواقعة فى شبه جزيرة القرم ، ثم توجهت نحو مدينة سيفاستوبول.

ووقعت اول معركة بين قوات التحالف البريطانى والفرنسى والتركى من جهة والقوات الروسية من جهة أخرى بالقرب من نهر "ألما" فى يوم ٨ سبتمبر عام ١٨٥٤.

وتمكن الاسطول البريطانى الفرنسى المشترك فى أوائل عام ١٨٥٥ من دخول بحر آزوف مرورا بمضيق كيرتش. وصار الجيش الروسى المحاصر من الجهات الثلاث يواجه المزيد من المصاعب. وفى أغسطس عام ١٨٥٥ استولى العدو على مرتفع "مالاخوخ" الاستراتيجى ، مما جعل الدفاع عن سيفاستوبول مستحيلا. وانسحبت القوات الروسية المدافعة عن المدينة الى مواقع جديدة، وعرقلت تقدم القوات الأجنبية الى عمق شبه الجزيرة، ثم بدأت حرب الاستنزاف التى أدت فى نهاية المطاف الى لجوء بريطانيا وفرنسا الى المباحثات مع الحكومة الروسية. وعقدت فى باريس عام ١٨٥٦ اتفاقية السلام ، وغادرت القوات الأجنبية شبه جزيرة القرم .

قامت الثورة فى روسيا فى خريف عام ١٩١٧ ، وتولى البلاشفة السلطة فى البلاد. وتحولت شبه جزيرة القرم إلى احد ميادين الحرب الأهلية ، وتعرضت فى الوقت ذاته للعدوان الأجنبى حين خرقت القوات الألمانية شروط معاهدة "بريست" ، واحتلت القرم فى عام ١٩١٨ . وفى نوفمبر / تشرين الثانى عام ١٩١٨ نزلت فى القرم القوات البريطانية الفرنسية التى بقيت هناك حتى مايو عام ١٩١٩ ، ثم غادرت شبه الجزيرة ، وعلى إثر مغادرتها أعلن فى القرم عن قيام الجمهورية

السوفيتية الاشتراكية. واحتلت شبه الجزيرة قوات الحرس الابيض بقيادة الجنرال دينيكين ثم الجنرال فرانجل ، فاشتعلت الحرب الاهلية فى القرم مجددا. وشهدت القرم فى فترة ما بعد الحرب الاهلية أوضاعا اقتصادية صعبة ، وساد فيها الدمار والخراب ، وانخفض الانتاج الصناعي بالمقارنة مع مستوى ما قبل الحرب بمقدار ثلاثة إضعاف. كما احتدمت العلاقات بين القوميات ، وكانت القوى السياسية المختلفة المناضلة من اجل السلطة فى القرم فى وقت الحرب الأهلية تستفيد من التفرقة القومية لمصلحتها ، ولم تحل مسألة امتلاك الأرض المرتبطة ارتباطا وثيقا بالمسألة القومية.

وفى أكتوبر عام ١٩٢١ حصلت القرم على وضعها القانونى الجديد ، وتحولت إلى جمهورية القرم ذاتية الحكم ضمن جمهورية روسيا السوفيتية الفيدرالية الاشتراكية التى كانت بدورها ضمن اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية. ومنحت شبه الجزيرة وضع منتجع سائر الاتحاد السوفيتى . وكان المواطنون من عموم الاتحاد السوفيتى يأتون الى هناك لتلقى العلاج وللاستجمام.

وسجلت الحرب العالمية الثانية سطورا مأسوية جديدة فى تاريخ القرم. وكان الزعماء النازيون ينوون تحويل شبه الجزيرة الى إحدى المستوطنات الألمانية. وكان يخطط لتهجير السكان وضم شبه جزيرة القرم إلى ألمانيا وتسميتها ب"هوتلاند" وجعلها موقعا لاستجمام الجنود الالمان ورفدها بألمان إقليم التيرول الجنوبي. و فى ٢٢ يونيو عام ١٩٤١ تعرضت مدينة سيفاستوبول والأسطول البحر الأسود السوفيتى للقصف الالمانى من الجو. هكذا بدأت الحرب العالمية الثانية بالنسبة الى القرم والاتحاد السوفيتى ككل واستمر الصراع المسلح من اجل الاحتفاظ بالقرم خلال فترة تزيد عن شهرين. وبالرغم من مقاومة وصمود الجيش السوفيتى استطاعت القوات الالمانية بحلول شهر نوفمبر

احتلال شبه الجزيرة كلها باستثناء مدينة سيفاستوبول. واضطرت القوات السوفيتية الى مغادرة القرم ، ولم تعد إليها إلا فى عام ١٩٤٤ . وبدأت عملية اعادة اعمار شبه الجزير بعد تحريرها من الألمان مباشرة. وأثبتت لجنة التحقيق فى جرائم النازيين بجزيرة القرم هلاك ٢١٩٦٢٥ شخصا وضمنهم من تم إعدامه وتهجيره الى المانيا. ودمرت ١٤٧ مدينة وبلدة بما فى ذلك مدينتا سيفاستوبول وكيرتش اللتان تم تدميرهما تدميرا تاما. وسجلت السلطة السوفيتية أيضا اسطرها المأسوية فى تاريخ القرم حين هجّرت ما يزيد عن ٥٢ ألف ألمانى و١٩١ ألف تتارى ١٢ ألف بلغارى و١٥ ألف يونانى و٩ آلاف ارمنى و١٢٨٠ روسيا و١١٠٩ غجريا و٢٧٢ تركيا و٢٥٧ أوكرانيا و٢٨٣ شخصا من القوميات الأخرى . وذلك بحجة تعاونهم مع النازيين. لقد تأكدت فى واقع الأمر بعض الحقائق التى تدل على تعاون بعض الأشخاص من سكان القرم مع النازيين. وكانت قد شكلت فى القرم فى ديسمبر عام ١٩٤١ لجان إسلامية انضم إليها التتار الذين أعلنوا تأييدهم لسلطة الاحتلال الألمانية. وبدأت لجنة القرم الإسلامية المركزية عملها فى مدينة سيمفروبول. هذا وكان تتار القرم يحاربون فى صفوف الجيش الأحمر ضد الفاشستيين. كما شكل تتار القرم سدس قوات الأنصار التى حاربت القوات الألمانية فى شبه الجزيرة.

وأعلن مجلس السوفيت الأعلى للاتحاد السوفيتي فى ١٤ نوفمبر عام ١٩٨٩ أن كافة القوانين التى لها علاقة بتهجير الشعوب القهرى تعتبر غير شرعية، وقد أعيد الاعتبار السياسى لتتار القرم والألمان وغيرهم من أبناء الشعوب التي كانت تقطن شبه الجزيرة. ويعود الكثير منهم حاليا إلى وطنهم وبالدرجة الأولى تتارالقرم. وتخصص الدولة الأوكرانية لهم قطعا من الأرض فى منطقة السهول

غير أن الكثير منهم يستولى قهرا على قطع أرضية فى مناطق أخرى من شبه الجزيرة ، وقبل كل شيء فى المنطقة الساحلية ، الامر الذى يتسبب في حدوث نزاعات بينهم وبين السلطة وفئات اخرى من السكان على حد سواء. وفى شهر يونيو عام ١٩٤٥ تم تحويل جمهورية القرم ذاتية الحكم السوفيتية الاشتراكية الى مقاطعة القرم ضمن جمهورية روسيا السوفيتية الاشتراكية. واتخذ نيكيتا خروشوف الأمين الأول للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى فى ١٩ فبراير عام ١٩٥٤ قرارا بإحالة مقاطعة القرم من جمهورية روسيا الفيدرالية السوفيتية الاشتراكية الى جمهورية اوكرانيا السوفيتية الاشتراكية مبررا ذلك بوحدة الاقتصاد والأراضى والعلاقات الإدارية والثقافية الوثيقة بين المقاطعة وأوكرانيا. لكن لم يلعب هذا الإجراء آنذاك دورا مبدئيا لان كلتاهما كانتا من كيانات الاتحاد السوفيتي. غير أن هذا الأمر تسبب فى مشاكل عديدة بعد تفكك الاتحاد السوفيتى ، إذ أن القرم لكونها جزءا لا يتجزأ من الدولة الروسية وقاعدة إستراتيجية للأسطول الروسى ثم السوفيتى على مدى السنوات المائتين الأخيرة وقعت ضمن أراضى دولة أخرى على إثر إعلان استقلال أوكرانيا فى ٣٠ أغسطس عام ١٩٩١ . واحتدم الجدل حول مصير سيفاستوبول وأسطول البحر الأسود الروسى الذى توجد قاعدته الرئيسية فيها بعد انهيارالاتحاد السوفيتي. وبموجب الاتفاق بين موسكو وكييف سيبقى الأسطول الروسى فى سيفاستوبل حتى عام ٢٠١٧. وتعول روسيا حاليا على تمديد مفعول الاتفاق. غير أن أوكرانيا التى تسعى إلى الانضمام الى الناتو لها خطط أخرى. ومن جهة أخرى فان سكان المدينة الذين يميلون إلى روسيا يعارضون انسحاب الأسطول الروسى من سيفاستوبول. وتم فى القرم جمع ما يزيد عن مليون توقيع لأبناء المدينة غير الموافقين على انسحاب الأسطول الروسي. وبموجب إحصائيات عام ٢٠٠١

يقطن القرم ٢٥٠١٩٣ مواطنا مهجرا وبينهم ١٧٩٤٠٠ نسمة من الكبار و٧٠٧٩٣ نسمة من الأطفال الذين لم يتجاوز عمرهم ١٤ سنة . بمن فيهم ٣٠٠١ طفل لم يتجاوز سنهم سنة واحدة. ويبلغ عدد تتار القرم الإجمالى ٢٤٤١٢١ نسمة ، وبينهم ١٧٤١٢٠ نسمة من الكبار و٧٠٠٠١ نسمة من الأطفال بمن فيهم ٢٩٦٨ طفلا لم يتجاوز سنهم سنة واحدة. وازداد عدد تتار القرم خلال الفترة ما بين أعوام ١٩٨٨ و٢٠٠١ بمقدار ٦,٣٥ مرة. وبلغ نسبة ١١,٧٣٪ من إجمالى سكان شبه جزيرة القرم.

التركيب الديموغرافى فى القرم

ينطق سكان القرم أساسا اللغة الروسية بالرغم من ان اللغة الأوكرانية تعتبر اللغة الرسمية فيها.

نسبة توزيع القوميات فى عام ٢٠٠١ :

	عدد السكان	النسبه المئويه	
	(العدد بالألف)	عام ٢٠٠١	عام ١٩٨٩
الروس	١١٨٠,٤	٥٨,٥	٦٥,٦
الأوكرانيون	٤٩٢,٢	٢٤,٤	٢٦,٧
تتارالقرم	٢٤٣,٤	١٢,١	١,٩
البيلوروس	٢٩,٢	١,٥	٢,١
الأرمن	٨,٧	٠,٤	٠,١
اليهود	٤,٥	٠,٢	٠,٧
البولنديون	٣,٨	٠,٢	٠,٣
المولدافيون	٣,٧	٠,٢	٠,٣
الاذريون	٣,٧	٠,٢	٠,١

الاوزبكيون	٢,٩	٠,١	٠,٠
الكوريون	٢,٩	٠,١	٠,١
اليونانيون	٢,٨	٠,١	٠,١
الألمان	٢,٥	٠,١	٠,١
الموردفا	٢,٢	٠,١	٠,٢
التشوفاش	٢,١	٠,١	٠,٢
الغجر	١,٩	٠,١	٠,١
البلغاريون	١,٩	٠,١	٠,١
الجورجيون	١,٨	٠,١	٠,١
الماري	١,١	٠,١	٠,١
الاجمالي	٢٠٢٤	١٠٠,٠	١٠٠,٠

وللمقارنة كان التركيب الديموغرافى فى القرم بعد الحرب الأهلية فى بموجب إحصائيات عام ١٩٢١ كما يلي: كان يقطن القرم ٥٩ قومية بعدد السكان ٧٢٠ ألف نسمة . وكان الروس والأوكرانيون يشكلون نسبة ٥١,٥ ٪ والتتار ٢٥,٩ ٪ واليهود ٦,٨ ٪ والألمان ٥,٩ ٪.

نبذة عن تتار القرم

تشكلت قومية تتار القرم فى أراضى شبه جزيرة القرم بالقرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين . وينحدر أسلافهم الذين كانوا يقطنون السهول المطلة على البحر الأسود إلى أصول تركية وطورانية

أنشئت دولة تتار القرم التى أطلقت عليها تسمية خانية القرم فى القرن الخامس عشر، وظلت قائمة حتى القرن الثامن عشر. وتعتبر هذه الحقبة فترة لازدهار الثقافة والفنون والاداب لتتار القرم. ومن الاثار المعمارية التى احتفظت

منذ ذلك الحين يمكن ذكر قصر الخان فى مدينة بخشيساراى (مدينة الزهور). ويجب القول ان خانية القرم كانت على مدى تاريخها مرتبطة ارتباطا وثيقا بالإمبراطورية العثمانية، وكانت تخوض حروبا مستمرة مع إمارة موسكو والدولة الروسية. وفى عام ١٥٧١ اجتاحت القوات تحت قيادة الخان دولت غيرى موسكو وحرقتها. وبالرغم من ان وحدات الخان انهزمت على أيدى المحاربين الروس بعد مرور سنة واحدة فان اورطات رحالة ما زالت تقوم بهجمات على المناطق الروسية المتاخمة للحدود خلال فترة طويلة، ورافق هذه الحملات العسكرية اختطاف الأسرى ونهب السكان.

خانية القرم تدخل الإمبراطورية الروسية

تسببت الهجمات المستمرة التى قام بها تتار القرم على الأراضى الروسية فى إعلان الحرب على تركيا عام ١٧٣٥ . واستمرت هذه الحرب بين روسيا وتركيا حتى عام ١٧٣٩، علما انها كانت حربا رابعة من اجمالى ١٠ حروب بين الدولتين، واقتضتها ضرورة فرض السيطرة الروسية على الساحل الشمالى للبحر الاسود وغيرها من الأسباب الجيوسياسية.

فى عام ١٧٣٦ أحرقت القوات الروسية تحت قيادة المارشال كريستوفر مينيخ مدينة باخشيساراى التتارية واجتاحت مناطق القرم الساحلية. وانتصرت روسيا عام ١٧٨٣ فى الحرب مع الإمبراطورية العثمانية، الامر الذى أدى الى احتلال القرم وضمها فيما بعد إلى روسيا. وبالرغم من ان السلطات الروسية جعلت الارستقراطية والطبقة الدينية التتارية متساوية فى الحقوق مع الارستقراطية الروسية دون ان تحرمها من أية حقوق فان شبه جزيرة القرم شهدت حينذاك هجرة جماعية لتتار القرم الى الإمبراطورية العثمانية. وتشكل سلالتهم الآن شتات تتارية فى تركيا وبلغاريا ورومانيا. وأدت الهجرة الى انحطاط الزراعة

فى سهول القرم. واتخذت الحكومة الروسية إجراءات ترمى إلى استيطان سهول القرم ومدنها الكبيرة، وذلك عن طريق استقطاب مستوطنين من الأراضى الروسية الأخرى لعب إسماعيل غاسبرينسكى صاحب الفكر الطورانى والمثقف والأديب دورا هاما فى تاريخ شعب تتار القرم. ويمكن القول ان غاسبرينسكى استحدث بالفعل لغة أدبية جديدة لتتار القرم. ومن أهم فضوله فى تاريخ تتار القرم هو نشر التعليم المدرسى غير الدينى فى اوساط تتار القرم بمطلع القرن العشرين. وينعكس فى الوقت الحاضر فكر الوحدة الثقافية واللغوية والتاريخية للشعوب الناطقة اللغات التركية فى نظريات ومذاهب طورانية مختلفة.

أول كورولتاى لتتار القرم

عقد فى عام ١٩١٧ بعد قيام ثورة فبراير فى روسيا أول كورولتاى (المؤتمر) لشعب تتار القرم أعلن عزمه على تأسيس القرم المستقل المتعدد القوميات. وطرح زعماء تتار القرم فكرة إنشاء دولة فيدرالية متعددة القوميات على غرار سويسرا. لكن حُكم التاريخ لم يكن كذلك. وأنشئت فى عام ١٩٢١ جمهورية القرم الذاتية الحكم ضمن الجمهورية السوفيتية الفتية.

احتلال القرم من قبل القوات الألمانية وتهجير تتار القرم

تم احتلال القرم بالقوات الألمانية فى عام ١٩٤١. وشكلت فى أراضى شبه جزيرة القرم لجان تتارية إسلامية أعلنت دعمها لإدارة القرم الموالية للنازيين. وقد وعدت برلين أولا لتتار القرم بإنشاء دولة تتارية مستقلة تحت رعاية ألمانيا. لكن برلين رفضت هذه الوعود بعد فترة وقررت أن القرم لا بد أن تغدو جزءا من الرايخ الثالث. وبالرغم من أن قسما من تتار القرم كان يقاتل إلى جانب الجيش السوفيتى ويشارك فى مقاومة الاحتلال الألمانى اتخذ قرار بتهجيرهم

من أراضى شبه جزيرة القرم، علما أن ثمة أدلة تفيد بان بعض الأشخاص ذوى أصل تتارى تعاونوا مع النازيين. كما أثبتت وقائع فرار التتار من الجيش الأحمر وقت الحرب. وتم تطبيق هذا القرار فى ١٨ مايو عام ١٩٤٤ حيث تم تهجير ١٨٠ ألف من التتار قهرا الى آسيا الوسطى واورال وسيبيريا. وقد هلك الكثير منهم فى الطريق مصابين بأمراض ومجاعة.

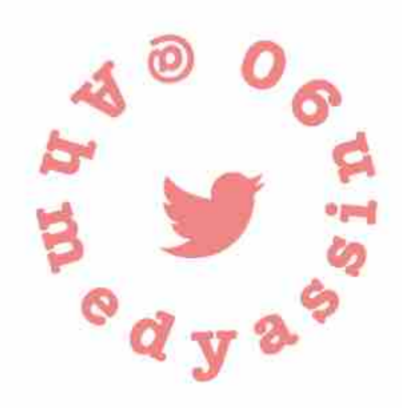
عودة التتار الى القرم

منذ اواخر الثمانينات بدأت العودة الجماعية لتتار القرم إلى أراضى شبه الجزيرة. ويقطن القرم فى الوقت الحاضر ما يقارب ٣٠٠ الف نسمة من أبناء تتار القرم.

وشهدت شبه الجزيرة بعد عودتهم أزمة سكنية، إذ أن الأراضى التى كان يقطنونها أسلافهم قد استوطنها أناس آخرون منذ ٥٠ سنة. وتفكك الاتحاد السوفيتى فى عام ١٩٩١ فتحولت شبه جزيرة القرم إلى جزء من أوكرانيا المستقلة. وقد أنشئ فى العام ذاته إثناء عقد الكورولتاى الثانى نظام إدارة الحكم الذاتى لتتار القرم. وقام الكورولتاى بتشكيل سلطة تنفيذية، وهى مجلس شعب تتار القرم او الحكومة التى لا تحظى بصلاحيات رسمية ، إذ انه لم يتم تسجيلها لحد الآن فى وزارة العدل لأوكرانيا. وقد أنشئت خلال السنوات الخمس عشرة الأخيرة بلدات يسكن فيها ممثلو شعب تتار القرم. ولا تزال مشاكل تطوير البنية التحتية وتخصيص قطع أرضية لسكانها قائمة فى القرم التى شهدت فى الآونة الأخيرة اشتباكات بين أهالى شبه الجزيرة والمهاجرين التتار. كما شهدت القرم فى الآونة الأخيرة تزايد النفوذ التركي. وتعمل فى القرم مدارس دينية لأطفال تتار القرم، وتساعد تركيا التتار فى بناء المساكن وتقدم لهم مساعدات إنسانية.

الباب الثالث

من بحر قزوين إلى العراق والخليج



تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90

الفصل الأول

سياسة « وضع اليد الأمريكية » على منابع النفط فى العالم

كان جيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكى وقت الإعداد لغزو العراق فى حرب الخليج الثانية يجوب العالم بأسره جمعا للأصوات المؤيدة للغزو فى الأمم المتحدة وحتى يكون الغطاء شرعيا قدر المستطاع .. والرحلات متلاحقة ومستمرة فكان من الطبيعى أن تدور أغلب الدراسات على متن الطائرة .. وتدرس التقارير أيضا .. وكان يبكر قد فرغ لتوه وقبل النزول الى أرض القوقاز وبحر قزوين من قراءة تقرير خطير وهام للغاية يؤكد مدى حاجة الولايات المتحدة لبلاد الرافدين حيث يمثل العراق مخرجا مثاليا وممتازا لأزمة النفط الأمريكية القادمة بسبب احتياطياته الهائلة التى أعلن فى معهد الطاقة أنها تبلغ ١١٥ مليار برميل بترول احتياطيا مؤكدا ، بينما المصادر الغربية تؤكد أنها تفوق ٢٢٠ مليار برميل من النفط إضافة إلى ١١٠ تريليونات قدم مكعب من الغاز الطبيعى وذلك كله كان على دراية بكثير من جوانبه ، ولكن ظهرت أرقام جعلته يقلب شفتيه من قربها بل وتشابكها مع الاقتصاد والسياسة .

إن تكلفة استخراج برميل النفط من العراق تبلغ أقل من دولار واحد بينما تكلفة استخراج البرميل فى السعودية والكويت تصل ما بين ٣ – ٥ دولارات للبرميل و ٥–٨ دولارات للبرميل فى الإمارات و ٨–١٠ دولارات للبرميل فى المكسيك وفنزويلا والإنتاج العراقى يمكن أن يصل إلى ٧ ملايين برميل يوميا ويمكن استخدام تلك العائدات النفطية فى سداد فاتورة الاحتلال ؟! .

وربما تكون المكاسب أكثر لو أمكن أن يصل الإنتاج إلى ١٠ ملايين برميل يومياً ! .

واقتربت الصورة ووضحت أكثر عندما ذكر التقرير إن انخفاض سعر برميل النفط بمقدار دولار واحد يعنى خسارة للدول العربية جميعها بمقدار ٦ مليارات دولار وبالنسبة لدولة واحدة فإن الانخفاض يتراوح ما بين (٢,٥ - ٣) مليارات دولار سنويا .. وهذا يعنى أن الاقتصاديات العربية سوف تمنى بخسائر مروعة وخاصة إذا وصل إلى المستوى المأمول وهو ١٥ دولارا للبرميل.. وفى النهاية نصيحة رئيس الولايات المتحدة فى أيام الحرب العالمية الأولى (وودرو ويلسن) والتى تقول « إن التاريخ العالمى لأية أمة سيكون مرهونا بثرواتها النفطية .. » وهذا يعنى أن نقطة النفط تساوى نقطة دم ..!.

وما إن لامست عجلات الطائرة أرض « باكو « عاصمة أذربيجان حتى جال « بيكر « بعينيه وشم بأنفه وكتب يقول « وفى اليوم التالى قمنا برحلة قصيرة لساعات إلى « باكو « عاصمة أذربيجان حيث شاهدنا الجانب الآخر للصراع .. وكان أول شيء تقع عليه أعيننا فى باكو هو رافعات البترول المكدسة قبالة بعضها .. وخطوط الأنابيب التى كان معظمها فوق الأرض.. وكانت رائحة النفط تفوح من كل مكان فى كافة أرجاء المدينة وتذكرت شبابى لبرهة عندما كان يحلو لى كثيرا القيادة فى منطقة « جوزى جريج « بإيتاون المتاخمة لهيوستن واستنشاقى نفس الروائح ورؤيتى لنفس المشاهد ! « ثم دون ملحوظة هامة « كان أرميتاج الذى ترك انطباعا جيدا للوفد الصحفى المرافق قد ضمن هبوط طائرة أمريكية من طراز سى ٥ وسى ١٤١ ، وسى ١٣٠ محملة بالأغذية أو الأدوية فى كل محطة ننزل بها « « وعند الذهاب إلى تركمانستان قدم لى نيازوف ثوبا فضفاضا مصنوعا من الرنة (من أيائل أمريكا الشمالية) ودسنا على التقاليد الدبلوماسية وافترشنا الأرض وبدأت باستعراض الضمانات

المطلوبة لإتمام الاعتراف الدبلوماسى الأمريكى مع « نيازوف » الذى أكد التزامه بها جميعاً وأبلغنى بأن تركمانستان بها ثلاث مجموعات من الأسلحة النووية التقليدية التكتيكية من جيش الاتحاد السوفيتى السابق (وكنا نعرف ذلك) وعندما راجعت الـ (C.I.A) ومسئولى الدفاع علمت أن موسكو فككت وأبطلت مفعول الأسلحة دون علم التركمان . . وفى المقابل قال نيازوف بكل بساطة إننا نحتاج المساعدة !! ونؤيد فكرة السوق ونحتاج رجال أعمال منكم ؟ وكان الاجتماع مع الرئيس صابر مراد نيازوف فى خيمة تركمانية مسقوفة بالخشب ومنصوبة بساحة خاصة .. وغادر بيكر إلى " طاجيكستان " فى اتجاه عاصمتها " دوشنبه " وكان الاجتماع لمدة ساعتين مع الرئيس الطاجيكى " رحمن نبييف " ووافق على الضمانات التى (طلبتها) وذكر رغبته فى الانتقال إلى اقتصاد السوق وقلت له بوضوح " لو طلبت نصيحتى حول كيفية التعامل مع إيران فسوف أرد عليك بتوخى الحذر " وأومأ نبييف بالموافقة .. وكنت أقول: " يسرنا أن نتفاوض معكم حول الإطار القانونى لكى تشعر الشركات الأمريكية بالثقة فى الاستثمار لديكم .. " ثم اتجه بيكر إلى أوزبكستان ثم قازاقستان وذكر بيكر أن رئيس الأوزبك كريموف شخصية متسلطة أكثر منها ديمقراطية ولكنه فى النهاية وافق على المبادئ الأمريكية الخمسة التى أعلنتها للمساعدة وقال لى إنه يحتفظ بنسخة من تلك الشروط فى جيب معطفه .. وتلك كانت أول دراسة عملية وميدانية وبداية وضع القدم الأمريكى فى القوقاز وبحر قزوين رغم المخاطر والقرب من الحدود الروسية الباردة ..! وكانت الدراسة تتضمن :

العوامل السياسية : فى ملخص وعجالة .. حدود متنازع عليها ونزاعات إقليمية وغلبة الأنظمة الشمولية والتباينات الاقتصادية الحادة والمنافسات الإقليمية القديمة .. فبعد انهيار الاتحاد السوفيتى ظهرت قلة من السياسيين

تحاول الانفصال وتنادى به كنوع من الرزق والاسترزاق بينما كان هؤلاء القلة يجنون الثروات كانت روسيا تتجه نحو أزمة حقيقية تهدد أمنها القومى منادية بضرورة الاستقلال عن روسيا على أمل تحسين الأوضاع السياسية والاقتصادية والانفصال عن الدولة التى أصبحت مثل كرة الثلج تسقط نحو الهاوية وتشد معها قطع الثلج الصغيرة .. والتقت تلك الرغبات والأمنيات مع الأمنيات الخارجية وبذلك التقت الأهداف الأمريكية التى كانت تراقب كل الأمور عن كثب وتعمق لمعرفة كيف يؤكل الكتف مع الرغبات الداخلية ، وكان الاقتراب الأمريكى من أرض القوقاز وبحر قزوين حيث كانت الدراسات تعد على قدم وساق فى كل المجالات ومنها العوامل السياسية والسكان والموارد .

السكان:

الأوزبك : ويسمون أنفسهم أيضا (سارتى) وهم السكان الأصليون لأراضى « أوزبكستان » ويبلغ عددهم خمسة عشر مليون نسمة منهم مليون و١٩٧،٨ ألف نسمه فى « طاجيكستان » و ٥٥٠ ألف سمه فى « قرغيزستان » و ٣٣٢ ألف نسمه فى « كازاخستان » ٣١٧،٣ ألف نسمه فى « تركمانستان » ، ١،٧ مليون اوزبكى فى أفغانستان و ١٥ ألفا منهم فى الصين ومجمل عددهم ١٨،٥ مليون نسمه واللغة الأوزبكية هى الغالبة وأهم لهجاتها « الطارلوسا » و « البيشتاكية » وتكتب بالأبجدية الروسية والأوزبك مسلمون سنة .

التركمان : وهم السكان الأصليون لأراضى جمهورية تركمانستان ويبلغ عددهم أربعه ملايين نسمه وثلاثمائة ألف و التركمان مسلمون من أهل السنة وتكتب التركمانية باستخدام أحرف أبجدية روسية ونشاط السكان يعتمد على صناعة السجاد اليدوى وأهم وجبه عندهم اللحم المسلوق الذى يطهى معه الحساء والأرز ويسمى بالتركمانية (شوربا) وحضر عدد منهم مع قبائل التتار إلى الشرق فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادى .

(ج) القرغيزى : ويبلغ عددهم ٢,٥ مليون نسمه يتحدثون اللغة القرغيرزية وتكتب بالأبجدية الروسية وهم مسلمون سنه ويلغ عددهم فى جمهوريتهم مليونين ومائتين وثلاثين ألف نسمه ويتوزع الباقى فى طاجيكستان وكازاخستان وعدد منهم فى منغوليا وشمال أفغانستان .

(د) الكازاخ : عرفوا بأسماء عدة منها (القوازقيون) وهم السكان الأصليون لأراضى « كازاخستان » وإجمالى عددهم ٩ ملايين نسمه ولغتهم الأصلية الكازاخية وتكتب بالأبجدية الروسية والديانة الرئيسية الإسلام .. والكازاخ من أهل السنة .

(هـ) الكيتاغى : وهم السكان الأصليون لجمهورية داغستان ويسمون أنفسهم (خيراكم) وتكتب لغتهم الكيتاغية بالأبجدية الروسية وهم مسلمون من أهل السنة .

(٣) الموارد : صرح وزير الخارجية الفرنسية (هوفيه دوشاريت) فى عام ١٩٩٦ « أن منطقة القوقاز وبحر قزوين من أهم المواقع الواعدة لتطوير الطاقة مستقبلا فى العالم » ونشرت النيوزويك تايمز تقريرا لمعهد أبحاث الطاقة فى كمبردج أن حوض بحر قزوين « الدورادو» النفط الجديد وأبلغت الحكومة الأمريكية الكونجرس بأن حوض قزوين يضم كمية كبيرة من النفط تبلغ ٢٠٠ مليار برميل (عشرة أضعاف الكمية الموجودة فى بحر الشمال) و ثلث احتياطيات الخليج و الاحتياطيات المؤكدة ٣٥ مليار برميل من النفط و الاحتياطيات المحتملة ٢٣٥ مليار برميل والاحتياطيات المؤكدة من الغاز فى أذربيجان وحدها ١١ تريليون قدم مكعب والممكنة ٣٥ تريليون قدم مكعب وكازاخستان ١٧,٦ مليار مؤكد ، ٩٢ مليار برميل محتمل وتركمانستان مؤكد ١,٧ مليار ومحتمل ٨٠ مليارا وأووزبكستان و ٠,٣ مليار مؤكد ومحتمل ٢ مليار برميل والغاز فى كازاخستان ٨٣,٥ تريليون قدم

مكعب مؤكد و ١٥٩ تريليون قدم مكعب محتمل وأوزبكستان ٨٨ تريليون قدم مكعب من الغاز .

(٤) المساعدات الأمريكية : ومما سبق وبعد هذه الدراسات كان لابد من بدء وضع اليد الأمريكية وهو يبدأ بالمساعدات الاقتصادية ثم العسكرية وشملت الآتي :

أرمينيا منحة منع انتشار نووى ودمار شامل ٥,٣٤ مليون دولار وتنمية اقتصادية ١٢٦ مليونا ومساعدات أخرى ١١٩,٩ بإجمالى ٢٤١,٣٤ مليون دولار وأذربيجان بنفس البنود وبإجمالى ٩٢,٩٣ مليون دولار وجورجيا بإجمالى ٣٠٢ مليون دولار وكازاخستان بإجمالى ١٤٦,٩ مليون دولار إجمالى وبنفس البنود وقرغيزستان ٩٤,٩ مليون دولار (إجمالى) وطاجيكستان ٥٥,٤٤ (إجمالى وبنفس البنود) وتركمانستان ٣٤,٩ (إجمالى) وأوزبكستان ٩٣,٤ مليون دولار (إجمالى) وبنفس البنود السابقة أيضا .

وما سبق من الموارد الرقمية والتأكيدات العلمية عليها جعل لعاب أمريكا يسيل وبدأ وضع اليد كما قلنا مع المساعدات المشروطة وكان لابد من تجهيز بحر قزوين محطة تاليه وقادمة بعد الخليج وذلك بعد اكتشاف الاحتياطيات التى أثرت بالتالى على الحسابات الإستراتيجية لكل دول المنطقة إلى جانب الكثير من الدول خارجها ؟! ولم تترك روسيا الأمر على ما هو عليه بل كانت تراقب وتنتظر ثم تتحرك .

وقرب منتصف فبراير الحالى فوجئ العالم بالإعلان عن زيارة أول رئيس روسى للملكة العربية السعودية وهو الرئيس « فلاديمير بوتين » وكانت أشبه بالمفاجأة عند بعض المراقبين والصدمة عند البعض الآخر ثم توالت الأحداث بالإعلان عن الزيارة التالية والتى ستكون قطر ثم الثالثة إلى الأردن فيما يعنى

أن الزيارات الثلاثة فى جولة واحدة ولأول مرة .

وفى الحقيقة أن ما فعلته روسيا فى المنطقة العربية هو رد فعل لكل مما سبق أن فعلته أمريكا فى القوقاز وبحر قزوين كما فى سياق المقال وأرادت روسيا أن توضح لأمريكا برسالة عملية أن ما فعلتموه كان مراقبا وقيد البحث والتقدير الدائم وفى الوقت المناسب وبعد أن وقفت روسيا على قدميها من جديد قالت لأمريكا ونحن أيضا نستطيع أن نصل إلى قلب وبؤرة المصالح الأمريكية فى العالم وقمة تعاونه وقواعده وتم اختيار الدول الثلاثة بعناية فائقة ومؤثرة أيضا واستغلت «روسيا » طبيعة المشاعر والمعاناة فى الشرق الأوسط من التصرفات الأمريكية الأخيرة واختلال الموازين السياسية فى حقبة القطب الواحد والتوتر القطرى السعودى من أحداث العراق والمد الشيعى الإيرانى والذى ربما يدعم نوويا .. وما يحدث لسنة العراق والأحداث متماسة قرب الأراضى السعودية نفسها وما تأثرت به السعودية وغالبية الدول العربية والإسلامية من تصريحات بوش (بالحرب الصليبية) ثم ما واجهه المسلمون من تعنت بحجة الإرهاب وخاصة بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ونفس الشيء بالنسبة لقطر (بما يعنى استغلت روسيا سوء المشاعر تجاه أمريكا فى الشرق الأوسط) و خاصة بعد التخلى عن القضية الفلسطينية إلى حد ما بعد الوعود البراقة) تماما كما استغلت أمريكا مشاعر دول القوقاز وبحر قزوين ضد الحكم الشيوعى السوفيتى .. وتصيد بوش الخيط ليعلن أمام العاهل السعودى عبد الله بن عبد العزيز " أنه لم تعد هناك أى خلافات فكرية بين بلاده والعالمين العربى والإسلامى " شاكرا السعودية على دورها فى إحداث تغيير جذرى فى العلاقات بين البلدين وشتان الفارق والمشاعر نحو القطبين وسبحان مغير الأحوال وردت السعودية التحية الروسية بأفضل منها عندما اعطت بوتين أعلى وسام وأعلنت القيام بمساع قوية

وقدر الإمكان نحو مشاركة روسيا فى منظمة المؤتمر الإسلامى .. وعلى لسان العاهل السعودى " أرى أن الرئيس فلاديمير بوتين رجل دولة ورجل سلام ورجل عدل وحق ولهذا فالمملكة العربية تمد يدها لمصادقة روسيا والأيام أمامنا ونأمل خيرا والوفاء من الأصدقاء .. ونحن كذلك إن شاء الله " وأثناء منحه لبوتين قلادة الملك عبد العزيز أضاف : إن السعودية لازالت تذكر لروسيا أنها أول دولة اعترفت بها عند إنشائها عام ١٩٣٢ ، ثم حضر العاهل السعودى وبوتين حفل منح جائزة الملك فيصل لرئيس جمهورية تترستان وتبلغ قيمة الجائزة مائتى ألف دولار وهى إحدى الجوائز الخمس التى تمنح سنويا باسم الملك فيصل منذ عام ١٩٧٩ ونقلا عن وثيقة داخلية للاتحاد الأوروبى مؤرخة فى السابع عشر من فبراير نشرتها صحيفة " الفاينانشيال تايمز" بأن المجتمع الدولى يشعر بالعجز عن وقف الطموحات النووية الإيرانية وأنها سوف تصبح قادرة على إنتاج كمية كافية من الوقود المخصب لصنع قنبلة نوويه .. كما أقرت بأن طهران لن تقبل على الأرجح إجراء مفاوضات جدية حول برنامجها النووى .. لذلك عقدت السعودية وكما أعلن عن صفقة أسلحة روسية تبلغ ٦,٥ مليار دولار ستكون دفعتها الأولى تزويد السعودية بدبابات تى ٩٠ سى (١٥٠) دبابه وطائرات مروحية لنقل الجنود من طراز أم أى ١٧ وتليها دفعات أخرى .. ثم أعلن بوتن فى رسالة أكثر وضوحا عن بدء الشركات الروسية فى التنقيب عن الغاز فى المملكة السعودية وتوجد حاليا شركة تنقيب روسية تعمل فى السعودية ! تماما وكما فعلت وتفعل أمريكا فى القوقاز وبحر قزوين .. أليس كل ذلك وليداً صنع فى أمريكا) أو (صنع بأيد أمريكية) ثم كان الإطار العام بتعبير الحكومة الروسية عن اهتمامها بتدفق الاستثمارات السعودية فى روسيا وخاصة التى وقعها الصندوق السعودى للتنمية وبنك الصادرات والواردات فى روسيا

.. وبنفس المشاعر ولنفس القلق والظروف كان اللقاء القطرى الروسى ثم الزيارة الروسية على أعلى مستوى إلى الأردن والتى أفردت لها روسيا صوره كبيرة وواضحة ودون تعليق أيضا للرئيس الروسى فلاديمير بوتين يتحدث إلى أسقف روسى ارثوذكسى عند المكان الذى شهد تعميد السيد المسيح فى الضفة الشرقية لنهر الأردن فى رسالة أكثر وضوحا بأن روسيا أيضا عادت إلى الجذور وأوراق اللعب التى لديها على طاولة الشرق الأوسط وأصوات وانتماء الأرثوذكس لروسيا وخاصة فى لبنان وأصواتهم فى البرلمان اللبنانى .. وختم الأقوال والأحداث بتصريح موجز ولكنه شامل أيضا قال " إن روسيا أصغت لما يقوله الشركاء لمده عشر سنوات كاملة وأنها أبدت تسامحا وصبرا لكن يبدو أن هؤلاء الشركاء أساءوا فهم موسكو .. وأن أمريكا تعد

حدودها بشكل كارثى وفوضت نفسها على دول أخرى وان الهيمنة الأمريكية تهدد بانهيار العالم " .. فهل ستكون تلك الأحداث بداية عهد جديد أم ينطبق المثل المصرى القديم " عمر الرايب ما يرجع حليب " وقد تطرق بعض المحللين إلى وصف المنافسة بين روسيا وأمريكا حاليا بوصفه اللعبة الكبيرة الثانية grade game two إشارة إلى اللعبة الكبيرة الأولى التى تمت فى القرن التاسع عشر التى حرضت بريطانيا (الإمبراطورية) ضد روسيا (القيصرية) فى صراع على الهيمنة على المنطقة ذاتها ولعبة النفط الكبيرة اليوم هى بنفس القدر من الغدر كسابقتها .. ولم تعد غير النصيحة بعدم التشجيع بتعصب من الجماهير العربية والحكام أيضا فالفرقاء يتحاورون ويختلفون ويتصافحون وربما يتغازلون أيضا ..!! وأن صنع بأيد روسية أو حتى أمريكية

الفصل الثانى

النقطة الحرجة بين الجنة والنار !

كانت وجهة النظر الشخصية عن أولويات الإستراتيجية الجديدة فى العالم والتى تقرها الولايات المتحدة والدول الغربية المتحالفة معها .. ووجدت من الأمانة أن ألقى بمزيد من الضوء على الأولوية الأولى فيها وهى « الصراع السياسى » والذى أنتقل وفقا لكل التداعيات التى ذكرناها من قبل من المرتبة الثالثة إلى المرتبة الأولى وبالتالى وجب علينا تحديد الموقف والمكان وهى وظيفة أو مهنة المثقفين العرب بكل أطيافهم ، وفى طليعتهم أصحاب الكلمة المرئية والمسموعة والمكتوبة أيضاً .. وإن كنت أرى فى بعضهم الحيرة والتردد بدون معنى أو فائدة وعلى غير قواعد الكيمياء فى تحديد النقطة الحرجة critical point.. فقد تغيرت قواعد الكيمياء فى العصر الحديث وأصبح العديد من أصحاب القلم العربى لا يتحرج من تحريك النقطة بين " العربى " و " الغربى " .. فهم يضعونها فى الكلمة الأولى عندما تصبح مصالحهم مطالبة بها ..؟ ويرفعونها وقت الحاجة إلى رفعها وعند الشدائد.. أو الانتخابات ! .

وهذا ما دعانى الى اعتبارها النقطة ألحرجه التى لم تعد حرجة فى زمن العولمة الجديد .. بل تحولت إلى النقطة المتحركة .. أو الميكانيكية mechanical point رغم أن انتقالها ربما يسبب لنا " نقطة " من نوع آخر فهيا بنا عزيزى القارئ لنرى بحثا أمريكيا أستغرق ما يقرب أو يزيد على خمسة عشر عاما .. لعل وعسى أن يستيقظ ضمير أصحاب بوصلة الحركة

والاتجاه السياسى فى الوطن العربى والمتمثلة فى مثقفيه فترى الكلمة " عربى " بدون أية نقطة زائدة فيتحقق الأمل وتعود الثقة ! وهذا البحث قاد العمل فيه كل من " أشتون كارتر " والذى أصبح مساعدا لوزير الدفاع فى فترة حكم " بل كلينتون " ووزير الدافع الأمريكى التاسع عشر فى تاريخ الإمبراطورية الأمريكية فيما بعد وهو " ويليام بيرى " .. وشارك فى هذا البحث أيضا فريق عمل كبير وفاهم ومتخصص وعلى رأس هذا الفريق " وارين كريستوفر " وزير الخارجية الأمريكى الأسبق والفريق " راندى هاوس " والجنرال " برنت سكوكروفت " وهذا البحث يركز على مشروع " الدفاع الوقائى " وهو جزء من إدارة الصراع السياسى وهو ما أصبح الأولوية الأولى فى الإستراتجية الحديثة أو الجديدة ...! وهى تعنى ببساطة شديدة كيفية الدفاع عن أمريكا بإزالة الخطر الممكن قبل أن يحدث.. ويفضل بدون قوة وأن يتم من خلال التفاوض أو المقايضة.. وهذا ما حدث وتمثل فى إزالة وتفكيك الصواريخ النووية والتى كانت موجهة إلى الولايات المتحدة وإزالة قواعدها فى " أوكرانيا " وهى أحدى الجمهوريات السوفيتية المستقلة بعد انهيار الاتحاد السوفيتى والتى كانت تعد طبقا للتقييم النووى الأمريكى ثالث قوة نووية فى العامل .. ويشرح " وليام بيرى " نقطة البداية قائلاً " لقد دخلنا " البنتاجون فى يناير عام ١٩٩٣ بعد أيام قليلة من تقلد الرئيس " بيل كلينتون " للسلطة وعين " ويليام بيري" أولاً وكيلا لوزارة الدفاع ثم عين بعد سنة وزيرا للدفاع بينما أصبح " اشتون كارتر " مساعدا لوزير الدفاع.. غير أن الأفكار والالتزامات الواردة بهذا البحث بدأت بأبحاث شرعنا فى تناولها قبل مدة طويلة من هذه الفترة فى الخدمة الحكومية ".. وكان يشغل " بيرى " قبل ذلك رئيس شعبة التكنولوجيا فى البنتاجون فى ذروة الحرب الباردة وقبل عقد من الزمان وفى ولاية " كارتر " الرئيس الأمريكى الأسبق ..

ثم عاد إلى كاليفورنيا وأصبح نائبا لمدير " مركز الأمن والتعاون الدولي" وكان " أشتون كارتر " فى ذلك الوقت مديراً لمركز " هارفارد للعلوم والشئون الدولية " . وفى عام ١٩٩٣ أصبح " اشتون كارتر " مساعدا لوزير الدفاع لسياسة الأمن الدولى ومسئولا عن السياسات المتعلقة بأسلحة الدمار الشامل والإستراتيجية النووية والحد من التسليح .. وكان " ويليام بيرى " وزيرا للدفاع كما قلنا .. وبعد التجربة العملية التى أعقبت كل تلك الدراسات النظرية عاد " كارتر " إلى جامعة " هارفارد" فى سبتمبر عام ١٩٩٦ وعاد " ويليام بيرى " إلى جامعة " ستان فورد " فى فبراير عام ١٩٩٧ وتم استئناف التعاون وتم هذا البحث المشترك تحت اسم " مشروع الدفاع الوقائى "..

عزيزى القارئ أليست تلك المقدمة وإن كانت طويلة فهى لازمة للفهم والتدقيق فى قراءة التجربة العملية ونتائجها طبقا للأولوية الجديدة وهى فن " إدارة الصراع السياسى " وتخضع للمثل القائل " ليس من سمع .. كمن رأى " وهى تخضع للأولوية الأولى فى الإستراتيجية الجديدة ولنذهب سويا عزيزى القارئ إلى نقطة البداية على لسان أصحابها الأمريكان ": فى مارس عام ١٩٩٤ كانت سيول الثلج الذائب مازالت ظاهرة فى الأراضى الزراعية الممتدة حول " بروفوماسيك " وهى مدينة الصواريخ النووية فى " أوكرانيا " واستقرت طائرة هليكوبتر تابعة لسلاح الجو الأوكرانى التى كنا بداخلها بين رياح الشتاء وفوق برك الوحل على أكمة منعزلة وكان مضيفنا هو الجنرال " فيتالى رادوتيسكى " وزير الدفاع فى " أوكرانيا " وهى واحدة من خمس عشرة جمهورية من جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابقة ولم يكن ما يميز هذا التل عن غيره إلا الأسلاك الشائكة والبوابتين المصفحتين اللتين تقفان تقريبا محاذيتين لجانب التل ودخلنا إلى غرفة صغيرة من الخرسانة حيث أخذنا مصعد صغيرا فى حجم

كابينة التليفون إلى مسافة عميقة تحت الأرض إلى ممر يضاء بأنواع خافته وفى نهاية الممر كانت هناك غرفة صغيرة الحجم وهى مركز التحكم فى الصواريخ النووية وكنا نحن أول أمريكيين يزورون هذا الموقع الذى ذكره لنا " رادوتيسكى " أنه يتحكم فى ٧٠٠ رأس نووى .. وعلى امتداد أحد الحوائط فى مركز التحكم كانت هناك خريطة الولايات المتحدة وكانت خريطة أخرى تبين أوروبا وكانت هناك أضواء صغيرة متناثرة عبر الخريطتين تبين الأهداف المحددة للرءوس النووية التى يجرى التحكم فيها من هذا المركز وكانت بعض الأنواع قد أطفئت ولكن معظمها كان لايزال مضاء .. وكان هناك ضابطان يتصرفان بطريقة إعطاء أحسن انطباع ممكن .. وبدأ عرض ما لديهما من معدات الاتصال ثم شرحا كل خطوة من خطوات الاطلاع العملى .. ولم يكن باقيا إلا أن يتلقيا أمر الإطلاق الفعلى وقد راقبنا العد التنازلى وتسمرت أعيننا على الأهداف المضادة على الخريطتين فى " ألمانيا " و " انجلترا " و " كانسس " و " أريجون " وكنا قد عرفنا من معلومات المخابرات الأمريكية التى جمعت بمشقة عبر عشرات السنين أن غرفا كهذه هى التى تتحكم فى إطلاق الصواريخ الباليستية السوفيتية عابرة القارات حاملة الرؤوس النووية الموجهة إلى الولايات المتحدة و كان كل منا قد اجرى بحوثا وكتب أوراق عمل عن كيفية الحفاظ على التوازن القلق الذى يمثله الردع النووى ولكن لم يحدث من قبل أن بدأ لنا " توازن الرعب حقيقية واقعة " وأمرا مفزعا كما بدأ لنا فى تلك اللحظة .. ثم انتقلنا إلى دشم الصواريخ ذاتها والتى شاهدنا صورا التقطتها الأقمار الصناعية لها .. ولكن ها نحن الآن ننظر إلى هذه الصواريخ والتى كانت موضوعا لقدر كبير من أبحاثنا المهنية والكثير من الدراسات المتعلقة بالدفاع والكثير من المخاوف والقلق أيضا ! وعلى امتداد سنوات وسنوات كان يمثل أمامنا " توازن الرعب المخيف " وكان فى وسعنا أن

نرى أن الرءوس النووية العشرة التى توضع عادة فوق الصاروخ (أس – أس ٢٤) قد أزيلت .. فبمقتضى الاتفاق الثلاثى الذى أبرم أخيرا بين أوكرانيا وروسيا والولايات المتحدة لإزالة الأسلحة النووية الأوكرانية كانت الصواريخ قد حملت على قطار وأرسلت عائدة إلى المصنع الذى أنتجها فى روسيا حيث يجرى تفكيكها وإزالتها وكان هذا هو التفسير فى أن بعض الأنواع على خريطة الأهداف فى مركز التحكم كانت مطفأة .. فبعض المدن الأمريكية لم تعد هدفا لهذه الصواريخ وقد أزيلت الأسلحة النووية الموجهة إليها ! وفى يناير عام ١٩٩٤ وقع الاتفاق الثلاثى فى موسكو على يد الرئيس " كلينتون " والرئيس ": بوريس يلتسن " والرئيس " ليونيد كرافيتشوك " ومع ذلك يرى البعض أن الاتفاق على إزالة الأسلحة النووية من أوكرانيا كان اتفاقا هشا .. وبعد عدة رحلات إضافية عديدة باعتبارها جزءاً؟ من جهد هائل بذلته وزارة الدفاع الأمريكية للتأكد من أن أسلحة أوكرانيا النووية قد أزيلت وعدنا إلى " برفوماسيك " مرة ثانية بعد مرور سنة فى ابريل عام ١٩٩٥ لنرى مدى تقدم الجهد الذى بدأ قبل عام وفى هذه المرة راقبنا ونشا يرفع صاروخا من طراز (أس– أس ١٩) بعد أن كانت رؤوسه الحربية قد أزيلت وكان يرفعه خارجا مباشرة من الصومعة فيما بدا لكل المشاهدين كأنه عملية إطلاق يجرى تسجيلها ببطء ، ولم يمض وقت طويل حتى كان ذلك الشيء الضخم والذى يبلغ ارتفاعه عدة طوابق قد ارتفع فوق رؤوسنا رمزا مبهجا للنتائج التى حققتها جهود البنتاجون لمساعدة أوكرانيا فى أنجاز تلك المهمة . وبعد إخراج الصاروخ من الصومعة كان من المقرر صرف الوقود السام فى صهاريج قدمتها وزارة الدفاع الأمريكية بمقتضى برامج كنا قد ناضلنا لإقرارها من خلال الجهاز البيروقراطى ولجان الكونجرس ونقل الصاروخ بالسكة الحديد إلى موقع خاص فى مكان أخر حيث يجرى تقطيعه أجزاء من المعدن

الخردة .. ومن هنا كانت النتيجة الأولية هى أنه بدون مساعدة وزاره الدفاع الأمريكية لم يكن لهذه المهمة أن تتم أبدا ولظلت الأسلحة النووية باقية فوق تلال أوكرانيا المتدرجة .. وقد كان برنامج وزاره الدفاع الأمريكية فى أوكرانيا هو " الدفاع بوسائل أخرى " حقا واقعا وكانت التكلفة التى تحملتها ميزانية الوزارة لهذا البرنامج المبتكر ضئيلة إذا قورنت بتكلفة الدفاع ضد الصواريخ التى كنا نقوم بتفكيكها .. وإذا حسبنا التكلفة دولارا مقابل دولار فإن الولايات المتحدة حصلت من هذا البرنامج على قدر من الأمن لا يقل عما حصلت عليه من أيه مبالغ أخرى أنفقتها فى ميزانية الدفاع .

عزيزى القارئ .. انتهت إلى هنا المرحلة الأولى من التجربة العملية التى قام بها كل من " أشتون كارتر " و " ويليام بيرى " ومدى اعتزاز كل منهما بنتائج التجربة التى خاضاها دفاعا عن الأمن القومى الأمريكى دون إراقة دماء أو مليارات الدولارات التى يحتاجها الشعب الأمريكى والذى لايزال يوجد فيه من يأكل فضلات الطعام أسفل ناطحات السحاب وتستخدم سيدات مسنات فيه الأتوبيسات فى الذهاب والعودة كمسكن بديل والكرسى بدلا من السرير لغلاء السكن عن المعاش الضئيل الذى يحصلون عليه من الضمان الاجتماعى .. ففى كل العالم وليس فى أمريكا فقط يوجد فقراء يحتاجون كل دولار ينفق على العمل العسكرى ويحتاج إلى رجال يفضلون التفاوض على التصارع .. ومع ذلك نرى رجالا جددا على الساحة الدولية يطلق عليهم ": صقور " السياسة الأمريكية يبدأون فى إنشاء " الدرع الصاروخية الجديدة " فى اتجاه روسيا من جديد ...ولا أدرى لماذا يهدم ما فعله " وليام بيرى " خلال عشر سنوات كاملة وهل ستقبل روسيا بهذا مرة أخرى ؟ لا أعتقد ذلك فقد اعترضت رسميا على خطورة ذلك على الأمن القومى الروسى وبالتالى ستلجأ روسيا فى النهاية لعودة الأمور

إلى ما كانت عليه .. ولست أدرى من المستفيد فى هذا العالم من عودة توازن الرعب من جديد ؟ ويقول الذى قام بالتجربة لقد قمنا بذلك من أجل الحفاظ على الأمن القومى الأمريكى ؟ وطرف " الصقور " يقول نبنى الدرع الصاروخية من جديد من أجل الأمن القومى الأمريكى أيضا فكيف يتساوى أمامنا الجنة والنار فى هدف واحد وهو أن أمريكا فوق الجميع .. أليس كل ذلك من الممكن أن يجعل حملة القلم وأمانة الكلمة المسموعة والمرئية والمكتوبة يحملون بوصلة الحركة وتحديد الاتجاه فى بحر " الصراع السياسى " بيد " عربية " وبدون نقطة حتى لا تصبح " غربية " والفرق كبير بين هذه وتلك.. وهنا يكمن العتاب والرجاء أيضا ونترك النظرية الأمريكية لنحدد الاتجاه ونسعى نحو كيان عربى جديد يحمى ولا يهدد .. يصون ولا يبدد

الفصل الثالث

أزمة القوقاز

السؤال الصادم: هل يستيقظ العرب من سباتهم العميق ؟

إن التقسيم السياسى الاستراتيجى الجديد للعالم إلى لاعبين وفاعلين بالإضافة إلى انهيار الإمبراطورية السوفيتية قضى على التصورات القائمة حول السلام القائم على توازن الرعب بين الكبار وتبعية الضعفاء ، ويفرض التسليم بأهمية اللاعبين « الثانويين » مع استنكار التمييز الذى وضعه خبراء الإستراتيجية وبين الصراعات المحورية فى مواجهات مباشرة (برلين – كوبا) ، أو مواجهات غير مباشرة (كوريا – فيتنام) أو الصراعات المحلية حيث يستمر التنافس بينهما من خلال لاعبين مسخرين ، وبالتالى أصبح من الصعوبة بل ولم يعد ممكنا فى وقتنا الحالى تحليل الصراعات أو تصنيفها بالقياس إلى السياق الدولى الذى تهيمن عليه علاقات القوة بين القوى العظمى وبالتالى فعلينا أن نبحث عن قراءة جديدة تأخذ بعين الاعتبار المجتمعات النابعة منها والديناميكيات الخاصة بها تبعاً لطبيعة اللاعبين . ولكننى أرى من تداعيات أحداث التاريخ الحديث أن الصراعات متداخلة ويكمن أحدها وراء الآخر حيث تتحد من جديد السيوسيولوجيا السياسية الداخلية وسوسيولوجيا العلاقات الدولية طبقا لتعريف الصراع للعالم (Lewis casern)بأنه مواجهة بين لاعبين جماعيين حول قيم أو قوانين أو سلطات أو حول موارد نادرة ويتمثل هدف كل محرك فى تحييد منافسيه أو إضعافهم أو إقصائهم ومع كون الإقليم الشرق أوسطى لعب دور

الثانوى أو مسرح العمليات سواء بعد الحرب العالمية الأولى وقد خسر التقسيم والاحتلال والضياع أو بعد الحرب العالمية الثانية وكان ثانوياً أيضاً ومسرحا للعمليات وفى مصر على سبيل المثال ٢ مليون لغم فى الساحل الشمالى لم يقدم أحد يد المساعدة أو المساندة أو تقديم الخرائط وهى مثل بسيط على الدور الثانوى فقد عوض كل طرف الطرف الآخر عن خسائره وبقى أصحاب مسرح العمليات والمشاركين الثانويين والمسخرين للمشاركة بلا تعويض أو مساعدة وكل أطراف اللعبة تستعد للقادم الجديد (الصراع المحتمل) إلا العرب والشرق الأوسط الذى بدأ يشم رائحة البارود فبدأ يتحرك ببطء وصعوبة وبخطوات أو مبادرات عشوائية وإلى نقطة البداية .

رؤية جديدة

أعلنت روسيا رؤيتها الإستراتيجية الجديدة التى تفى بالأمن القومى الروسى وأمن حلفاء روسيا فى ظل الأوضاع الدولية الجديدة وأضع هنا أهم الملامح فقط فقد أعلنت وزارة الدفاع الروسية أن موسكو لن تستخدم السلاح النووى ضد أية دولة وقعت معاهدة حظر الانتشار النووى لعام ١٩٦٨ والتى لا تملك سلاحا نوويا وذلك ما عدا الحالات الآتية : (أ) اعتداء دولة ترتبط بتحالف مع دولة أخرى تملك سلاحا نوويا باعتداء مسلح (عادي) على أراضى روسيا . (ب) قيامها بهجوم مشترك على أراضى روسية بالاشتراك مع دولة نووية . (ج) تحتفظ روسيا بحقها فى استخدام الضربة النووية الأولى إذا ما تعرضت مصالحها الحيوية للخطر ، وعلى الجانب الآخر استخدمت روسيا بشكل منهجى النزاعات المحلية للضغط على جارها الجورجى لمحاولة ردعه عن خياره الأطلسى ، وقد استغلت فى ذلك إفراط القادة المحليين فى تقدير ما يمكن أن يقدمه الحلفاء الأمريكيون من مساعدات ، وفى فبراير عام ٢٠٠٧ وجهه فلاديمير بوتن تحذيرا صريحاً

إلى المسئولين الأمريكيين فى الخطاب الذى ألقاه فى « ميونخ » بغية إعادة رسم الخريطة الجيوسياسية للمنطقة والحد من نفوذ روسيا فى المنطقة القوقازية بتحالف أمريكى ، فرد على ذلك « بوتن » قائلاً : « لا يقبل الروس أن يفعل الأمريكيون على حدودهم ما رفضت واشنطن على الدوام أن يحدث على حدودها ، فمشروع الدرع الصاروخى والضغوط الأمريكية خلال قمة بوخارست فى أبريل عام ٢٠٠٨ من أجل تسريع انضمام جورجيا إلى الناتو تعتبر أعمالا استفزازية »وإننى أرى أنه ليس ثمة شك فى أن الوجود الروسى فى شمال القوقاز يبقى فى مقدمة أولويات سياسة « بوتن » الداخلية وليس الخارجية ، وهو الذى عاش مرارة انحسار مواقع بلاده على الصعيد الخارجى إبان سنوات عمله فى ألمانيا الديمقراطية ، بل ولعله يعتبر تدعيم هذا الوجود نقطة انطلاق لاستعادة هيبة الدولة العظمى التى يرى أن المؤسسة العسكرية لابد أن تكون عمادها الرئيسي.

تلك هى رؤية روسيا وإعدادها للخريطة السياسية والدولية للفترة القادمة واحتمالات وحتمية اللقاء أو المواجهة ، فما هو الإعداد والتجهيز العربى أو حتى الإقليمى للأحداث القادمة ولو حتى كلاعبين ثانويين أو مسخرين أو مسرح للعمليات .

ومن علامات الإعداد وبوادر التجهيز أن أصبحت المساعدات الإنسانية تسلم على فوهات المدافع بانتظار مغانم سياسية وأشكال التدخل أصبح حجر الزاوية فى السياسات الخارجية سواء كان عسكريا أو مدنيا مباشراً أو غير مباشر علنيا أو سرياً ! .

على فوهات المدافع !

فإذا ما طارت الأفكار والرؤية نحو « واشنطن » فإننى أرى أن مكانة الولايات المتحدة سوف تستمر لفترة (مرحلة النضج) حيث تستكمل مسيرتها

الإمبراطورية وسط الثنائية الحزبية الجمهورية أو الديمقراطية بجون ماكين أو أوباما ابن عم حسين ، وان كانت ستؤول يوما إلى الانهيار . أما التنبؤ بانحدارها الوشيك فإنه مبالغ فيه إلى حد كبير وستبقى القوة العظمى الوحيدة فى العالم لفترة لأنها تدرك الحقائق على الأرض وتناضل ضد التآكل بغرض هيمنتها وإظهار شراستها وتنامى عصبيتها ضاربة الأرض برجليها تذكيرا للعالم بأنها ليست نمرا من ورق كما يقول (ارنوج ماير) . وأمريكا دوما ما تقدم نصوصا ومحصلات جاهزة للاستعمال وقد شكل مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية (C.S.S) الممول جزئيا من مؤسسة " بيل وميدلندا جيتس " وقد كان أحدى ركائز الاعتماد فى لجنة بيكر – هاميلتون ، فهو يجمع خبراء ووزراء أتين من الخدمة العامة ومن القطاع الخاص بهدف أسمى هو المحافظة على الازدهار فى عصر التحولات السياسية ، وذلك بتقديم تحليلات إستراتيجية وحلول عملية إلى الحكام تمكنهم من تقدير المستقبل واستباق التغيرات . ويذكر من بين أعضائه الرؤساء الحاليون والسابقون لمجالس إدارة (تايم – إنك) وكوكاكولا ومريل لينش وليهمان برازرس وإكسون موبيل ومورجان ستافلاس وأستاذ دراسة القوة اللينة SOFT POWER الأستاذ " جوزيف – سى ناى " من جامعة هارفارد والاستشاريون الديمقراطيون والجمهوريون – هارولد براون – وزنجو برجنسكى – فرانك كارولتشى – هنرى كيسنجر – جيمس سليزنجر – برانت سكواكروفت وكارلا هيلز ويستغل كل ذلك الكنز من المعلومات المعهد الجمهورى العالمى والمستقل رسميا ويترأسه حاليا السناتور " جون ماكين " مرشح الرئاسة السابق وذلك بالإضافة إلى الحاليين فى الخدمة العامة مثل إريك أولسون على رأس قيادة العمليات الخاصة التى تخطط وتنسق العمليات السرية والأميرال وليم فالون مدير القيادة الوسطى التى تحمى المصالح الأمريكية فى

منطقة تحوى ثلاثين بلدا من " رأس هون " إلى آسيا الجنوبية ومن الخليج العربى إلى آسيا الوسطى . كل هذه الفرق تهتم بأحداث القادم الجديد ، وأرجو أن يستعين الدارسون العرب بكتاب القراءة الرشيدة ولو هذه المرة فقط لرؤية الحدث وفهمه بطريقة صحيحة . فلم يكن الرئيس بوش الأب ليذهب إلى دورة بكين ومعه زوجته والرئيس بوش الابن و وزوجته وساركوزى وزوجته وتلك الفرق الضخمة من الدارسين لرؤية مباريات رياضية أو منافسات أو حبا فى تشجيع الرياضة والفرق الأمريكية ، ولكنه فى الحقيقة لقياس مدى التقدم التكنولوجى الصينى فى دورة بكين والقدرة على التنظيم والتجهيزات الضخمة والتى تعنى الكثير والكثير جدا لكل محلل ودارس استراتيجى ؟! .

ويقول جورج بوش " الأب " فى مذكراته : " كنت أسأل نفسى وأنا أتوجه إلى الصين " هل أنا أهرب بعيداً من أمر ما ؟ وهل أهرب من التضخيم ووقاحة الصحافة وفضيحة ووترجيت . ومن جميع الأشياء القبيحة ؟ هل اخترت الطريق السهل ؟ أعتقد أن الجواب " لا " فالصين بلد الأسر والسحر وأعتقد أن تعيينى هنا مهمة ضرورية ، إنها المهمة التى أريد أن اضطلع بها والتى قلت للرئيس إننى أريد أن أضطلع بها جملة وتفصيلا على الرغم من التحذيرات الشديدة بالعزلة والتى أحسب أنها صحيحة فى الوقت الحاضر على الأقل .." .

والفرق ليس بالكبير بل متطابق بين الذهاب فى هذه المرة والذهاب لدورة بكين ، عزيزى القارئ (إنها السياسة) وإن كتب رسالة فى مذكراته إلى بوب شتراوس رئيس اللجنة القومية الديمقراطية وصديقه العظيم ، وعندما تولى رئاسة أمريكا عينه سفيراً لأمريكا فى روسيا .. أيها الوغد العتيق شتراوس " إنك لن تصدق ما أقول ، جئت إلى الصين هربا منك ، إنى أقوم بعملى وأحاول أن أجلب السلام إلى عالم مضطرب ، أفتقد إلى مقارعاتنا وإلى أوقات الراحة

والمتعة معا .. خالص تحياتى إلى جميع اللجنة ولكن اللعنة عليها ! ! بارا تبعث إليك بتحية مودة .." هكذا يعملون فى أمريكا نحو القادم الجديد وانتظاراً لدوره فى أحداث المستقبل فأين نحن العرب من تلك الأحداث ؟ ولهذا أكتب وأحذر !.

الاتحاد الأوروبى : يقف يتأمل وينتظر وإن كان يدرك بدوره بتغيير الأدوار والأحداث فى الصدام القادم وإن كنت أراه دورا ثانويا لن يختار فيه التوقيت أو حجم المشاركة أو رد الخطر ، وهو دور جديد لم يكن له فى المواجهة العالمية الأولى أو الثانية ولكن دوما ما تكون خسائر المسخرين أكبر بكثير من اللاعبين الأساسيين ؟ فدوام الحال من المحال فى الحياة والسياسة أيضا ! .

الصين : وكما أتخيل فهى القادم الجديد فى الأحداث المقبلة .. ويقول " سن تزو " حكيم الصين العظيم " إذا ما أردت الانتفاع بنصائحى حقا فلا تتبع القواعد التقليدية على طول الخط وأعمل دائما على استثمار المستجدات من حولك.." و " إذا كان عدوك حاد الطباع حاول أن تستثيره وتظاهر بأنك الأضعف ليزداد غرورا وغطرسة " ، وفى موضع آخر " يجرى القائد المنتصر العديد من الحسابات قبل خوض المعركة ويجرى القائد المهزوم القليل من الحسابات ، إن تكثيف الحسابات يؤدى إلى النصر وإهمالها يؤدى إلى الهزيمة .. ما حجم حسابات ما قبل المعركة ، من الإجابة يمكننى التنبؤ بالمنتصر والمهزوم ، ولقد تعمدت أن أبدأ بنصائح حكيم الصين لأنها بلد الأساطير والحكم والجذور والتى تحكم وتتحكم فى عمق التفكير الصينى حتى الآن إن حاولنا أن نفهمها بشفافية وفق القراءة الرشيدة أيضا ، ومن هنا فقد شاركت الصين فى حرب كوريا وتكلفت كما أعلنت بعد ذلك سبع سنوات كاملة من التخلف التكنولوجى ، فلهذا ومن عمق الحسابات الصينية والحيطة أيضا أنها سوف

تتقصى أقدام أمريكا وتجاربها الناجحة السابقة ، فقد دخلت الحرب العالمية الأولى فى آخر أحداثها وفى الثانية أيضاً " ونجحت وقت أن تعب وخسر الجميع . وفى هذه المرة سوف تتأخر الصين وترقب لتدخل بعد كل المشاركين والمتعبين وفى آخر أوقات التصادم لتكون الخسائر قليلة والنجاح كبير . وتلك رؤية كاتب فقط لأحداث المستقبل ونابعة من الجذور والحكمة الصينية . ويقول " شوان لاى " رئيس وزارة الصين الأسبق وحكيمها أيضا " إن الريح قد تأتى من الشرق أحياناً " : موجها حديثه إلى أحد السياسيين العرب . فهل يدرك العرب تلك المقولة لنتجهز بالنوافذ على الأقل ، فليس من المضمون أن تأتى الرياح بالنسيم العليل فى تلك الظروف ، فربما تأتى برياح عاصفة . ويقول مثل عربى قديم قد لا يفهمه الكثيرون " الحيطة .. ولا الحيطة ! " وأعتقد أن أمريكا لن تعول على الخلاف بين خمسين قومية صينية ، ففى كل الحروب السابقة فى التاريخ كان الشعب الصينى ينهى صراعاته الداخلية ويتحد لمواجهة الخطر الخارجى (اليابان فى كل مرة) لمن يريد قراءة التاريخ .

مبادرات عشوائية !

ما أن ظهرت جدية الأطراف الرئيسية فى الاتجاه نحو الصراع الحقيقى فى القوقاز حتى بدت المبادرات الشخصية والعشوائية لأنها تشبه من يحاول إطفاء حريق بمفرده ، والأحداث تحتاج إلى تضافر جهود إقليمية وعربية بشكل قوى ومتحد وشفاف وبدون التفاف أو اتفاق جانبى يسفر بشكل قاطع عن « الصفر » الشهير الذى يحصل عليه الكومبارس العربى فى الصراعات الدولية .. ففى نهاية الحرب العالمية الأولى ذهب الأمير « فيصل » بن الشريف حسين إلى فرنسا أملا فى العطاء والأجر بعدما خدم الحلفاء والتاج البريطانى قبل الحرب وأثناء قمة الصراع ، وسخر منه وزير

الخارجية الفرنسى قائلاً : من وعدك يعطيك ..! قال بريطانيا ..؟ فرد عليه : ضحكوا عليك الإنجليز ؟! وتركه فى ذهول شديد متعللا بموعد هام (كان مع وزير الخارجية الإنجليزى) « من مذكرات لورنس العرب « وليتنا تعلمنا ! ولكن بعد الحرب العالمية الثانية حدث نفس الشيء ولم يأخذ العرب غير تثبيت الاحتلال وتغيير أنماط الاحتلال من الاستعمار إلى الانتداب والتقسيم ومناطق نفوذ وضياع فلسطين واحتلال باقى الدول العربية . وعودة إلى الواقع الحالى حيث رفعت فرنسا يد الضغط عن سوريا وذهب كل إلى تخصصه وفقا للأدوار الجديدة والمتوقعة ونامت قضية الملاحقة للنظام السورى وفقا للاحتياج الجديد ، وأصبح رفيق الحريرى قيد الانتظار فى قبره إلى فرصة أخرى لا تبدو قريبة ، ثم قمة رباعية فى دمشق وذهب « ساركوزى » إلى سوريا بحثا عن الحب الضائع فى عاصمة بنى أمية درة تاج النفوذ الفرنسى فى المشرق العربى ، ثم عادت كونداليزا رايس وزيرة الخارجية السابقه إلى المغرب العربى من بدايته فى طرابلس فى ليبيا ثم تونس والجزائر إلى نهايته فى مراكش تاركة القاهرة والرياض إلى وقت آخر ،واعتذرت إيطاليا فى سابقة تاريخية عن فترة الاستعمار الايطالى طبقا للأدوار أيضا وتعويض بطريق تكلفته خمسة مليارات دولار ، وأعلن الأخ العقيد القذافى فى ليبيا أن تدخل قطر والإمارات جعلهما يحصلان لليبيا من أمريكا على ما لم تستطع مصر والسعودية أن تحصلا عليه من أمريكا وهذا حقيقى أيضا ولكن أمريكا هى التى أعطت قطر والإمارات ما لم تعطه لمصر والسعودية من أجل ليبيا وتلك رغبة أمريكية فى الخيار والتفضيل والعطاء أيضاً ! .. ولكل وقت أذانه أيضا . المهم أن كونداليزا رايس ذهبت إلى المغرب العربى سباقا قبل أن تذهب اليه روسيا

، أما روسيا فقد ذهب وزير خارجيتها إلى أنقرة بحثا عن تثبيت الاتفاقات الثنائية وتنفيذ المعاهدة الدولية الخاصة بمضيق البوسفور والخاصة بعدم بقاء أى سفن حربية بالمضيق أكثر من واحد وعشرين يوما ، وقالت « تركيا » إنها ، رغم كونها حليفا فى الناتو إلا أنها لن تستطيع أن تتخلى عن مصالحها الحيوية مع روسيا ، وذهب الرئيس السورى بشار الأسد إلى روسيا بحثا عن دعم عسكرى كان فى أشد الحاجة إليه بقيمة عشرة مليارات من الدولارات وخمسة مليارات أخرى فى قائمة الانتظار ومنها نوع جديد من صواريخ الدفاع الجوى يمكنها حقيقة من حماية السماء السورية (S.٣٠٠) ومع كونها أسلحة دفاعية لاتخل بميزان القوى فى الشرق الأوسط وحتى تبدو الطائرات الإسرائيلية متمتعة بحرية الحركة فى السماء السورية . ورغم شعور روسيا بالمرارة من الدعم الإسرائيلى المؤكد لجورجيا إلا أنها قبلت بالحل الوسط بالغاء صفقة (S.٣٠٠) ومع كونها أسلحة دفاعية لا تخل بميزان القوى فى الشرق الأوسط وحتى تبدو الطائرات الإسرائيلية متمتعة بحرية الحركة فى السماء السورية ، ورغم شعور روسيا بالمرارة من الدعم الإسرائيلى المؤكد لجورجيا إلا أنها قبلت بالحل الوسط بإلغاء صفقة (S.٣٠٠) إلى نوع آخر أقل إرضاء لجميع الأطراف بعد ذهاب أولمرت رئيس وزراء إسرائيل السابق إلى روسيا (منبت رأسه) منبها ومذكراً روسيا بما تقدمه " تل أبيب " من تعاون ومصالح خاصة .

موقف مختلف

إيران : لم تكن إيران فى موقف المتفرج من الأحداث فقد استغلت عامل الوقت بمهارة واقتدار وفهم من أجل تخفيف حدة الحصار أو العقوبات والاستمرار في تنمية مشروعها النووى وذهب « بايدن » نائبا لأوباما إلى إسرائيل وهو

أكبر داعم لإسرائيل فى البرلمان الأمريكى ورئيس لجنة العلاقات الخارجية به ناصحا حكام تل أبيب بأنه من الأفضل على إسرائيل أن تقبل « بإيران النووية» !

وفى النهاية فإننى أرى كل ما يحدث هو مبادرات عشوائية خاصة لا تصلح لضمانة الاستقلال والمصالح فى المستقبل لأرض قد تكون مجبرة على المشاركة أو مسرحاً للعمليات . كما حدث فى مصر فى الحرب العالمية الثانية ولازالت تنادى برفع ٢ مليون لغم على أرضها وتعلماً من الدرس الماضى والتاريخ فيجب أن تقوم الجامعة العربية (على الأقل) بهذا الدور وبحث أفضل المصالح العربية والإقليمية لمختلف السيناريوهات المتوقعة ، وكيف يتم التعامل معها فى إطار عربى موحد ومدروس وجماعى وبشفافية يصادق عليها كل الحكام العرب فى قمة عربية ليس من أجل الأجيال الحالية ولكن من أجل المستقبل والتاريخ ولو بالقراءة الرشيدة .

الفصل الرابع

بين روسيا وأمريكا

معارك بلا دماء

على غرار كليلة ودمنه فى أساطير العرب أن جحا (الشخصية الأسطورية) خطر بباله لو أن الوالى أقام وليمة يدعو إليها العامة ليتناولوا طعاما شهيا فى هذا الوقت من القحط والجفاف . وبينما هو يحدث نفسه بصوت مرتفع ، إذ بأحد أصدقائه يستفسر منه عما يجول بخاطره، فقال له ربما يدعو الوالى العامة لطعام شهى فى قصره . وسرعان ما انتشر الخبر فى المدينة كالنار فى الهشيم ، وبدأ الناس يتوافدون بقرب القصر والبعض مسرع فى الاتجاه نحوهم .. وعندما رأى «جحا» هذا المنظر قال لنفسه ربما يكون قد حدث ما توقعته وذهب مسرعا ومزاحما نحو القصر ليتناول طعامه الشهى .. وهذا بالضبط ما حدث ولكن ليس فى الخيال طبقاً لرواية جحا ولكن فى الواقع و لفترة طويلة ربما تكون تبعاتها حتى الآن و ليس بين أفراد أو فى حدود مدينه جحا و لكن فى أرض الله الواسعة كلها . وربما أقول أن الأمر يحتاج إلى قراءة رشيدة بعد فترة طويلة من التأمل وظهور ما كان خافيا من الحقائق والوثائق عن فترة من أخطر فترات التاريخ الحديث وهى فترة الصراع بين الشيوعية والرأسمالية أو ما قيل عنها بفترة الحرب الباردة، وأمنيات الكثير من السياسيين وأصحاب الأمنيات أيضا لعودتها باعتبارها عودة للزمن الجميل بين القطبين الأساسيين للعالم وهما " روسيا . أمريكا" !! .

و صدق أو لا تصدق عزيزى القارئ فكل الوثائق ومحاضر الجلسات فى تلك الفترة تم نشرها وبالتأمل والدراسة وجدت أنه لم تكن هناك حرب باردة ولم يكن هناك قطبان فى الصراع الدولى ! وإنما الحقيقة هى أنه كان هناك علاقة بين إمبراطورية أمريكية ودولة روسية من الطراز الأول (First – Class).

يتضح ذلك من الإستراتيجية السوفيتية والروسية وتم النشر لكليهما ولم يوجد اختلاف إلا فى المدى الاستراتيجى فقد كانت تمتد إلى أوروبا الشرقية فى حالة الاتحاد السوفيتى وتتقلص الآن إلى حدود دول الاتحاد السوفيتى السابق فقط ولكن أيضاً فى كلتا الحالتين فهى إستراتيجية واحدة لدولة من الطراز الأول والراقى أيضا .. وتم الإعلان عنها رسميا فى أواخر عام ١٩٩٣ وهى تتلخص فى " إنه لا يوجد عدو خارجى فى الوقت الراهن . وقواتها قوة دفاعية أكثر منها هجومية (وهى نقطة هامة) . ثم التعاون مع دول رابطة الكومنولث ودول حلف وارسو السابق. وتكون الترسانة النووية الروسية مجرد وسيلة ردع (لم تستخدم القوة النووية حتى الآن إلا مرة واحدة فى اليابان عندما كان لا يملك هذا السلاح إلا أمريكا) . ولا يتم التفكير فى استخدام هذا السلاح إلا فى حالة مواجهة احتمال شن حرب على روسيا أو أحد حلفائها . كما يمكن استخدامه فى حالة قيام دولة ترتبط بتحالف نووى باعتداء مسلح على أرض روسيا . كما تحتفظ روسيا بحقها فى استخدام الضربة النووية الأولى إذا ما تعرضت مصالحها الحيوية للخطر. وهنا يكمن الفهم والوضوح فى الإستراتيجية الروسية والذى يشمل الآن الحدود الروسية ودويلات الاتحاد السوفيتى السابق وبقدر البعد عن مجال الأمن القومى يكون الدعم والتأييد والمساندة من القيادة الروسية أو فى المنظمات الدولية أو المؤتمرات فى إطار إمكانيات دولة من الدرجة الأولى .

وتتفهم أمريكا وأوروبا ذلك وترتضيه أيضا (الوفاق الدولي) ولكن (حين

ميسرة) أو فرصة وفى الحدود التى تسمح بحرص الدولة وأطماع الإمبراطورية، وأبرز ملامح الإستراتيجية العسكرية الروسية (أ) التركيز على الدفاع (ب) تفادى الحروب (جـ) التأهب لصد العدوان (د) ضرورة وجود قوات سريعة الانتشار عند الحاجة وبالقدر المحدود الذى يوفر أمن الدولة وليس الإمبراطورية، ومقومات الدولة يتمثل فى ١,٥ تريليون دولار تقريبا فى العام ٥٠٪ من إنتاج العالم من المنجنيز، ٢٤٪ من الحديد، ١٧٪ من الفحم ، ١٨٪ نيكل ، ١٨٪ كروم وثالث دولة فى العالم فى إنتاج الرصاص والزنك والتنجستن بالإضافة إلى البترول والغاز وسبق ذكره عدة مرات سابقة (سلوك الدولة): الاتحاد السوفيتى تدخل دون أن يعترض أو يتعرض له أحد لبناء حائط " برلين " والقضاء على أية محاولة للتحرر فى جمهورية ألمانيا الشرقية عام ١٩٥٣، ثم "المجر" و " تشيكوسلوفاكيا " وبولندا وفى ديسمبر عام ١٩٨١ بدأ ظهور أحداث البوسنة والهرسك والصرب وهنا أوجز الوضع ببلاغة ووضوح Claude cheysson وزير الشئون الخارجية آنذاك فى رده على سؤال حول ما يزمع الغرب أن يفعله أو يقوم به رداً على وضع بولونيا فى حالة تأهب للحرب بناء على الأوامر الصادرة من الجنرال Jaruzelski فرد بهدوء ووضوح "لا شئ بطبيعة الحال " ! ويبقى هنا التفسير لحادث كان يبدو إلى وقت قصير عكس ما سبق قوله وبعد أربعين عاما أصبح فى السياق والاتجاه نحو تثبيت وصحة الأقوال السابقة (سلوك دولة) ، وهى أحداث الصواريخ الروسية فى كوبا والتى كانت تعتبر تدخلا روسيا بعيداً عن أرضه أدت إلى مواجهة نووية وشيكة، وكل ذلك كان تضليلا إعلاميا وسياسيا ارتضته أطراف اللعب الأساسية وطبقا لقواعد الإستراتيجية لكل منهما (دولة – إمبراطورية) ، وقد سبق أن قلت أن نقل الصواريخ السوفيتية إلى كوبا لم يكن سعيا إلى المواجهة أو صراعا ايدولوجيا بين قطبين (وهميين)،

أو حبا ومناصرة للشعب الكوبى ولكن بالقدر الذى يثبت على أرض الواقع إمكانية التهديد المتبادل وبنفس المسافة لأنها فى الحقيقة كانت ردا على وجود الصواريخ الأمريكية فوق الأراضى التركية وفى قلب وجنب روسيا ، وبعد أن نجحت روسيا فى نصب الصواريخ (عملية ناجحة أمنيا واستخباراتيا) اتفق الطرفان على انسحاب الصواريخ الأمريكية من تركيا مقابل انسحاب الصواريخ السوفيتية من كوبا، ولكن تم الإعلان عن فض الاشتباك الوشيك أو المسرحية الحربية بما يرضى الطرفين " الدولة" و"الإمبراطورية" وتعلن الإمبراطورية انتصارها الساحق وتطمئن " الدولة" على حدودها الأمنية والقومية وحقق كل منهما أهدافه ! وهى فى التصنيف والتحديد المواجهة المباشرة الأولى أو كادت أن تكون عندما بدأ التعارض بين وجود الدولة وأهداف الإمبراطورية ، وتلاحظ هنا أن باقى المواجهات كانت غير مباشرة ، ولا تتعدى التدخل إلى جانب أحد الأطراف المتحاربة وتزويدها بالسلاح ، حتى لو كانت كوريا وأرى هنا أن روسيا تتحرك (مثل الصين حاليا) بهدوء وحذر فهى لا تريد المغامرة وتضبط النفس عن الهوى والغواية فى المزاحمة على الزعامة وأعترف بأنها قاومت كثيراً من الداخل وكثيراً جداً من الخارج؟! وقد كانت قوة الدفع الخارجى قوية بشكل مخيف رغم تفهم حكام العالم الثالث (الدراويش) عند الممارسة الفعلية وفوق موائد الاجتماعات فى روسيا – كان تفهما لكل الأبعاد، ولكنهم لم يكن لديهم الشجاعة الكافية لطمس الأمل والحب فى الاستقلال والرفاهية (أمام شعوبهم) رغبة فى البعد عن الاستعمار القديم البرتغال – إسبانيا – فرنسا – انجلترا" ثم الوريث الأمريكى من نفس الصنف والسلالة.

أما الإستراتيجية الأمريكية فهدفها الأول هو منع ظهور منافس جديد سواء على أرض الاتحاد السوفيتى السابق أو فى أى مكان آخر بما يمكنه من طرح

تهديد، وهو اعتبار رئيسى كما حدده مجلس الأمن القومى الأمريكى (منشور ومعروف) ويتطلب ذلك أن تحاول منع أى قوة معادية من السيطرة على منطقة تكون مواردها فى ظل سيطرة متماسكة وكافية لخلق قوة دولية، وتشمل هذه المناطق أوروبا الغربية وشرق آسيا والاتحاد السوفيتى السابق وجنوب غرب آسيا وهناك ثلاثة جوانب إضافية لهذا الهدف (أولا) على الولايات المتحدة أن تبقى على الزعامة المطلوبة لإقامة وحماية نظام جديد يحمل الوعد بإقناع المنافسين الكبار بأنه لا حاجة بهم إلى التطلع إلى دور أكبر أو سعى من أجل وضع أكثر عدوانية لحماية مصالحهم المشروعة. (ثانيا) فى المجالات غير الدفاعية يجب أن تعول بما يكفى مصالح الدولة الأوروبية واليابان كى لا تشجعها على تحدى الزعامة الأمريكية أو السعى إلى قلب النظام السياسى والاقتصادى الحالى (ثالثا) يجب الحفاظ على آليات قمع المنافسين الكبار حتى مع التطلع لدور دولى أو إقليمى أكبر.

وبصورة أكثر وضوحاً أعلن نائب مدير وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية " جون – سى – جانون" فى تحديد نطاق العمل، وبدون مواربة " علينا أن نعترف بأن أمتنا لن تكون آمنة، إذا لم تكن إمدادات الطاقة آمنة لدينا "هدف إمبراطوري" وعلى سبيل المثال أيضاً اكتسب الاستراتيجى البحرى الأمريكى البارز الكابتن " الفريد تاير ماهان " دعما واسعا لمقولته بأن مشاركة أمريكا المتنامية فى التجارة الدولية (العولمة) تتطلب إنشاء بحرية ضخمة وقوية (هدف إمبراطوري) وقدم الرئيس " تيودور روزفلت" آراء متشابهة فى أوائل القرن العشرين وفيما بعد من قبل شخصيات هامة فى إدارة فرانكلين روزفلت بأن القلق حول سلامة الإمدادات من الموارد قد أثر أيضا على الإستراتيجية الأمريكية أثناء الحرب العالمية الثانية وما بعدها مباشرة و حتى الآن.

مقومات الإمبراطورية الأمريكية تتمثل فى أنها تنتج ما يزيد على خمس إنتاج العالم من القمح، نصف إنتاج القطن العالمى . وحوالى ٤٠٪ من الفحم العالمي، ٤٥٪ من الطاقة الكهربائية العالمية، ٤٨٪ من إنتاج الصلب ، ١٥٪ من إنتاج الألومونيوم ، ٣٠٪ من إنتاج الأسمنت ، ٦٠٪ من إنتاج العالم من السيارات. ولكن فى المقابل فهل تعلم أن صناعة السيارات الحديثة مثلا تتطلب ٣٠٠ قطعة من قطع تصنيعها تستوردها الولايات المتحدة من ٥٦ دولة مختلفة، كما أن تصنيع التليفون يستلزم استيراد ٤٨ مادة خام من ١٨ دولة بل وأكثر من ذلك فإن الولايات المتحدة تستورد ما يقرب من ٨ مواد من الخارج من أجل صناعة تلميع الأحذية (وذلك على سبيل المثال لا الحصر ! !) ولتوضيح أهمية اعتمادها على الخارج ولن نقول النفط أو الغاز (كما يتوهم البعض) . كما أن الصناعات الحديثة القائمة على الإنتاج الكبير هى فى حاجة دائمة إلى أن تجد سبيلا لتسويق منتجاتها فى أسواق عديدة ويجب أن تكون الأسواق العديدة بقدر استيعاب الإنتاج الضخم، وكذلك القدرة على دفع الثمن المرضى والمطلوب (مجمل الإنتاج الوطنى الأمريكى ٣،٣ تريليون دولار!) ، وما يزال يجول بخاطر "الإمبراطورية" الأمريكية احتمال ركود صناعة السلاح وهو أمر يضمن إلى حد كبير الأمان لأحد أهم الصناعات الأمريكية ، ويعمق الركود أو الانكماش التأثير على تشغيل الطاقات الجديدة، وأرباح ضخمة فى الميزانية، وكذلك على تطوير الأبحاث العسكرية والإنفاق العسكرى من أرباح الإنتاج الحربى مما يستلزم الإشعال المحسوب بعيداً عن الحدود حيث تتواجد الأموال أو الموارد بما يكفى لتذكر أهمية السلاح وشرائه والإنفاق عليه " رغبة إمبراطورية " واجبة التنفيذ من الدراويش، ثم الرضوخ للرغبات المستغلة للشركات الأمريكية فى احتكار الموارد والطاقة اللازمة للنمو والتقدم المأمول للمحافظة على المكانة الإمبراطورية الأمريكية على القمة وحدها.

ولقد أتاح البحث فى السلام Peace research الفرصة لفيض زاخر من الأفكار التى وجدت مجالاً للتعبير عنها فى صحيفة حل الصراعات Journal of Conflict resolution حيث أنصب الاهتمام بدرجة أقل على دراسة السلام والحرب بين القوى العظمى وتركز بدرجة أكبر على أسباب الصراعات الداخلية والخارجية فى طور وإطار اللاعبين الثانويين، وبفرضية أهمية التسليم بأهمية اللاعبين الثانويين فى الحالات التى أدى فيها توسيع حرية الحركة خارج الحدود، وزيادة استقلالية القرار أمام تهديدات قوى نووية أخرى (إسرائيل – كوريا – إيران)، وفى إطار احتمالية اختلاف توازن الرعب ! إلا أننى أرى أن الإستراتيجية الروسية (لا يمكن إغفالها) لأنها دولة من نوع (First- Class). كانت فى منتهى الوضوح والتحديد (وهى نفسها كانت تريد وتعنى ذلك) ولازالت، وقد استوعبتها أمريكا وتفهمتها أوروبا تماما، ولكن لم يرغب أو يرد اللاعبون الثانويون (العالم الثالث) بدافع الرغبة والأمنية والغواية بحثا عن الأمن وأن كان أكثره أو غالبه من نسيج الخيال ولم يتعد داخله ، إلا أن الجميع ارتضى ذلك والمثل الواضح هنا عندما طلب " عبدا لناصر" المؤازرة عسكريا والغطاء السوفيتى فى أثناء حرب عام ١٩٥٦ (حرب السويس) كان التصرف الروسى فى حدود إستراتيجية الدولة (من الدرجة الأولي) بالإنذار الشديد وكان يعلم تماما وبوضوح بأن الإنذار لن يتعدى فى كونه (إنذاراً فقط) ووافق ورضى بالمتيسر من العطاء ورضيت روسيا بالإنذار وقبلت أمريكا بالقسمة طبقاً لمكانة كل الأطراف ثم أصدرت القرار أو الأمر (الإمبراطوري) بالانسحاب وتم الانسحاب الفعلى ورضى الجميع فى إطار الصراحة التامة لكل اللاعبين ، ولكن كان هناك انفصام فى الشخصية وازدواج لها بين حكام يعلمون الحقيقة (أساسيون – ثانويون) وشعوب تهلل بالأمان، وغطاء إعلامى لم يلق مقاومة

تذكر بإمكانية تواجد مخرج آخر وبأنه لا يوجد قطبان بل قطب واحد ودولة (من الدرجة الأولي). وارتضت الشعوب أن تعيش فى كنف القطب الآخر الوهمى الأيسر متوهمة (بالإمبراطورية) ، وأكاد أحس هنا بأن الدولة الروسية كانت تتململ وربما تحس بالضيق والحنق من تعمق هذه الفكرة التى ارتضتها أمريكا أيضاً لجعل الشعب الأمريكى فى حالة استنفار دائم تستلزم متطلبات "الإمبراطورية".

وقد كانت روسيا توضح ذلك أمام المريدين من الحكام (الدراويش) عند حضورهم للكرملين بحثا عن الدفء والأمن بين الثلوج الروسية وخوفا من الاستعمار القديم متمثلا فى الإمبراطورية العثمانية أو الإنجليزية والفرنسية ثم الوريث الشرعى الجديد والإمبراطورية الواحدة الجديدة والقطب الواحد ... فما هو الجديد؟ لا شئ سوى انكشاف المستور أو رفع الغطاء الإعلامى والذى طال الغطاء الإعلامى والذى طال الغطاء السياسى لقواعد اللعبة! فلم يعد هناك انفصام فى الشخصية أو ازدواج لها فى علاقات (شبه شاذة) وظهر التوحد فى الرؤية بين اللاعبين الأساسيين (فاهمون من البداية) ! ولاعبون ثانويون (تاهوا بين الواقع والخيال) والشعوب التى صدمت بالحقيقة وهى ظاهرة صحية نحو الشفاء ، ثم بعض الاستراتيجيين والمروجين الإعلاميين ولم يعد أمامهم سوى الإقرار بالواقع بأنه قطب واحد وجب التعامل معه وأشبه بنصيحة الأطباء (دعك من الخيال وفكر فى الواقع) . انتظارا للمستقبل ودوام الحال من المحال وسامح الله من فعل ذلك لأنه كان بحسن النية.

فى النهاية أرى أن عرض ما سبق ليس دعوة انهزامية أو رجعية ولكنها دعوة إلى العمل والتواجد ، ولكن على أرض الواقع وبعيداً عن الأوهام المصاحبة للآمال وقد رصد التاريخ فى العصر الحديث عودة للحق وفرضه أيضاً ، فقد

أجبرت حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ القطب الأمريكى على الاقتراب من العدل فى المنظور العربى لمشكلة الشرق الأوسط، و قد قال الرئيس الأمريكى نيكسون كتب إلى الملك فيصل بأنه سوف يفك الاشتباك بين مصر وإسرائيل فى الاتجاه نحو حل مشكلة الشرق الأوسط وذلك بعد وقف الإمدادات البترولية العربية ولكنه كتب أيضاً فى مذكراته "إياكم وأن تتحد مصالح العرب ... ؟!" ويقول الحكيم الصينى "سن تزو" (لا يأخذ الماء فى تحركه شكلاً ثابتاً وكذلك المواجهة ليس لها قواعد ثابتة والعناصر الخمسة : الماء والنار والخشب والمعدن والأرض تتبدل بمرور الزمن وهناك أيام طويلة وأخرى قصيرة ويوما يظهر القمر هلالا ويوما يسطع بدرا)، ولازالت كوريا وإيران يواجهان بزوغ القمر وهما بخير حتى الآن.

الفصل الخامس

من الدب الروسى إلى العم سام

مرحباً بكم ... فى القوقاز !

لا تدور العجلة إلى الوراء فأحداث التاريخ تمضى دوماً إلى الأمام وأصبح اللقاء وشيكا، ذكرت فى الفصل السابق «إلى اللقاء فى القوقاز» والآن وجدت نفسى أكتب « مرحبا بكم فى القوقاز»، فالإمبراطورية الأمريكية (وهذا حقيقي) لم تأت إلى هذا الوضع من فراغ أو حتى ميراث أو بسهولة .. فقد شاهدت أفلاما عديدة وأراها صادقة عن البدايات الصعبة والتدرج المنطقى لمراحل الرقى التكنولوجى فى أمريكا .. وهذه شهادة حق أيضا، وأمريكا أيضاً دولة مؤسسات ولولا الممارسات الأمريكية لنظرت إليها بكل التقدير والإعجاب.

قدم هنا وأخرى هناك .

بينما العالم كله يتجه نحو الخليج العربى وفى العراق بالذات وفى قمة الإعداد لحرب الخليج وبداية وضع أمريكا لرجلها اليمنى فى الخليج وبالصورة الاستعمارية المباشرة والواضحة ... فى ذات الوقت كانت تصنع قدمها اليسرى فى القوقاز فقد تم تحديد بؤرة البترول فى مختلف أرجاء العالم وواجب أمريكا السيطرة عليها لتبقى إمبراطوريتها لا تغيب عنها الشمس .. وفى رؤية « مايكل كلير» فإن احتمال الصراع فى حوض بحر قزوين ينبع من كثير من العوامل نفسها التى توجد فى منطقة الخليج وهى حدود متنازع عليها ونزاعات إقليمية وغلبة الأنظمة الشمولية والتباينات الاقتصادية الحادة والمنافسات الإقليمية قديمة

العهد ووجود مرجل للنزاع ألاثنى والدينى وطبيعة بحر قزوين تضيف بأنه مقفل من اليابسة ولذلك فإن إمدادات النفط يجب أن تنقل عبر الأنابيب فى المناطق المجاورة فتوحى باستعجال الصراع وتضارب المصالح! .. وفى بيان لمجلس حرب صناعة البترول فى أمريكا عام ١٩٤٣ ذكر بالنص الحرفى « يجب أن تهدف السياسة القومية للولايات المتحدة إلى ضمان سبيل للمواطنين الأمريكيين إلى موارد النفط فى العالم ! وفى أوائل التسعينيات قام «زبجنيو بريجنسكي» مستشار الأمن القومى للرئيس جيمى كارتر بزيارات مكثفة إلى منطقة القوقاز كمستشار لشركة النفط الأمريكية « أمكو» وحذر البيت الأبيض من أن « أمريكا سترتكب خطأ فادحا إذا ما تجاهلت مصالحها الإستراتيجية فى هذه المنطقة» ثم قال «د يك تشيني» مرددا حكمة مجلس حرب النفط عام ١٩٤٣ فى مايو ٢٠٠١ فى بيان السياسة القومية للطاقة : «إن الطاقة هى المعين الذى ننهل منه لإدامة رخائنا وطريقة عيشنا فينبغى لذلك أن يكون أمن الطاقة أولوية للتجارة الأمريكية والسياسية الخارجية . ثم قال فى جمهرة من رجال الأعمال الأمريكيين فى واشنطن عام ١٩٩٨ «لا يعرف يوما ظهرت فيه فجأة منطقة ما لتصبح ذات أهمية إستراتيجية كبحر قزوين» وفى دراسة لكبرى الشركات الأمريكية للنفط وهى شركة « شفرون « والتى كانت تمثلها كونداليزا رايس، معلنة بأنها قد ضمنت ما بدا لها بأنه مجموعة نفيسة من الكنوز الهيدروكربونية ونشرتها وكالة معلومات الطاقة E.I.A التابعة للحكومة الأمريكية " بأن إنتاج بحر قزوين من النفط عام ٢٠٠٥ بلغ ٣,٣ مليون برميل يوميا وسيقفز إلى ٤,٥ مليون برميل يوميا فى عام ٢٠١٠ . ٥,٨ مليون برميل يوميا فى عام ٢٠١٥ وهذا بالإضافة إلى الاحتياطيات الضخمة من الغاز الذى يعادل ١٧ مليار برميل من النفط المكافئ " ويختتم الدوافع الأمريكية جيمس ويلزى الرئيس السابق لوكالة

الاستخبارات الأمريكية فى نوفمبر عام ٢٠٠٢ " يمكن اعتبار المعركة الأولى فى الحرب العالمية الثالثة فى العراق نحو النفط" .

جولة ساحرة

ثم عودة إلى نقطة البداية مع جيمس بيكر بعد كل الدوافع السابقة عندما بدأ يضع قدم أمريكا اليسرى فى القوقاز وأثناء التجهيز لحرب الخليج ! « فيقول « كانت تلك الجولة أكثر جولاتى سحرا خلال عملى كوزير للخارجية فمعظم الأماكن التى زرتها متخلفة عن الغرب بعقود كما أن عددا من ثقافات المنطقة غير معروف خارجها بالمرة وكثيرا ما راودتنى فكرة بأنه يجب علينا الكف عن أن نسأل أنفسنا عن سبب انهيار الاتحاد السوفيتى فمع هذا التنوع الشاسع للشعوب التى تقطن تلك المساحة الشاسعة علينا أن نتساءل كيف استطاع أن يعمر طويلا « ، ثم يضيف « وتوجهنا بعد ظهر ذلك اليوم باتجاه الجنوب الشرقى لنحلق فوق جبال البحر الأسود وجبال القوقاز التى ناطحت قممها المكسوة بالثلوج السحب لتسطع تحت أشعة الشمس ومن الطائرة شاهدنا جبل « آرارات» الذى يعتقد أن سفينة نوح استوت عليه « وهنا تختلط الثقافات بالتاريخ والمصالح والسياسة» وفى اليوم التالى قمنا برحلة قصيرة إلى باكو عاصمة أذربيجان وكان أول شئ تقع عليه أعيننا هو رافعات البترول المكدسة قبالة بعضها وخطوط الأنابيب التى كان معظمها فوق الأرض وكانت رائحة النفط تفوح فى كافة أنحاء المدينة وتذكرت شبابى لبرهة عندما كان يحلو لى كثيرا القيادة عبر منطقة جوزى جريح بايتاون المتاخمة لهيوستن واستنشاقى للروائح ورؤيتى لنفس المشاهد وكما أراها هى رؤية وانفعال الأسد عند رؤية غزال شارد فى البرية» .

بداية القلق والمحاذير

وفى تقرير للكونجرس الأمريكى حول الجغرافيا السياسية للنفط « إن تزايد الاعتماد على بترول بحر قزوين ربما يجعل أوروبا أكثر خضوعا للنفوذ الروسى السياسى وكذلك الاقتصادى بما يؤثر على الحلف الغربى ويخلق شقاقا بين أوروبا الغربية وروسيا » .لذلك ففى ٢١ نوفمبر عام ٢٠٠٠ أعلن عن خطة رسمية إنشاء قوة عسكرية أوروبية وصلت فى عام ٢٠٠٣ إلى مائة ألف رجل وأربعمائة طائرة حربية . وهو ما يعنى إمكانية متواضعة بالمقارنة أمام المؤسسة الأمريكية بل والروسية أيضاً وهى المحتمل مما يجعل حتمية تواجد « أمريكى . أوروبي» .

مواجهات إستراتيجية

وفى الواقع بدأت من هذه النقطة مواجهة إستراتيجية بين نظريتين إستراتيجيتين وهما نظرية كلاوز فيتز والتى تعنى الاقتراب المباشر لتحقيق الهدف وإكراه الخصم على تنفيذ الإرادة المطلوبة وهو ما حدث بالتدخل العسكرى الروسى المباشر لتحقيق الهدف ونظرية ليدل هارت فى الاقتراب غير المباشر والتى تتبناها الإستراتيجية الأمريكية فى القوقاز (عكس العراق) حتى الآن على الأقل ! ولكنها كانت تحتاج إلى قوة مساندة فى البداية (قوة دفع أولي) بدأت بمناورة عسكرية وعلامة سياسية فى صباح ١٥ ديسمبر عام ١٩٩٧ حيث قفز ألف وستمائة مظلى أمريكى من الفرقة المحمولة جوا الثانية والثمانين للجيش الأمريكى فى منطقة قرب جبال «تين شان» فى كازاخستان الجنوبية مهمتهم المحددة الاتصال مع قوات صديقة من كازاخستان وأوزباكستان والدخول فى معركة زائفة ضد قوات معادية وكان على رأس الفرقة الأمريكية وأول من قام بالقفز الجنرال جون شيهان وهو ضابط من المارينز يحمل أوسمة كثيرة والقائد العام لقيادة الأطلسى الأمريكية وفى مسرحا لعمليات صرح للصحفيين المرافقين

« بأن تلك المناورة كى يطمئن القادة المحليون إلى أن أمريكا مستعدة للوقوف إلى جانبهم والمشاركة ايضاً فى أية أزمة محلية أو إقليمية فى المستقبل » وإلى هنا فقد اعتقدت السياسة الأمريكية أن قوة الدفع الأولى قد حققت أهدافها وعادت إلى نظرية الاقتراب غير المباشر ، والتى وجب توضيحها بشئ من التفصيل لكى تكتمل الصورة وتبدو أكثر وضوحا فبعد الحرب العالمية الثانية ومع حصول المستعمرات القديمة على استقلالها عرفت الأمم الصناعية الغنية كيف تهيمن على التجارة العالمية بطرق أكثر خبثا ومكرا فكثير من الجهود الساعية إلى التنمية إنما فى الحقيقة هى «طعم يجر إلى مصيدة الديون التى كانت تضغط فيها البنوك بقوة على الحكومات التى تفتقر إلى السيولة النقدية لقبول قروض يتعين عليها سدادها مع الفائدة وبعملة القرض نفسه (عادة ما تكون هذه العملة هى الدولار الأمريكي) مما يجبر الأمة المقترضة على تصدير مواردها أو تسخير قوتها العاملة الرخيصة بسعر بخس للحصول على القرض الأجنبى وغالباً ما كان المقرض يشترط استعمال القرض لإبرام عقود مع شركات غربية وهكذا فإن أغلب المال المقترض يعود بسرعة إلى اقتصاديات الدولة المقرضة أما ما تبقى منه فيشد عليه السيفون إلى بطون المسئولين الملوثين فى الأمة المقترضة (تحليل ريتشارد هاينبرج) وعندما لا يعود فى استطاعة البلدان الفقيرة سداد فوائد الديون تأتى برامج «الإصلاحات الهيكلية» التى يفرضها البنك الدولى وصندوق النقد الدولى لتجبر هذه الدول على بيع مواردها الوطنية وصناعتها الوطنية فى القطاع العام لديها . كنظم الاتصالات السلكية واللاسلكية ونظم البريد والأشغال المائية ونظم الصرف الصحى على سبيل المثال – لشركات غربية كبري.

فوائد عظيمة

ولما كان المال (بين جملة أشياء أخري) هو صك الأحقية فى الموارد فإن القدرة على التحكم بعملة التبادل التجارى يمكن أن تعمل بخبث ومكر فعل استنزاف متواصل للثروة الحقيقية بطريقة غالبا ما تكون أكثر فاعلية وسهولة ورخصا من طريقة الصراع المسلح المباشر (نظرية أمريكا الاقتراب غير المباشر – نظرية روسيا الاقتراب المباشر) وفى الحقيقة فقد أفادت الولايات المتحدة إفادة عظيمة من حقيقة أن عملتها ظلت طوال نصف القرن الماضى هى العملة الدولية الأساسية لجميع الدول تقريبا والعملة التى يتعين أن تسدد بها الأمم المستوردة للنفط ثمن وقودها وبالتالى فإن أى بلد إذا رغب فى الحصول على دولارات لشراء النفط فإن عليه إما أن يبيع سلعة أو موارده لأمريكا بصورة مباشرة أو غير مباشرة (الدولار) أو يأخذ قرضا من بنك أمريكى (أو من البنك الدولى لا فرق من حيث الوظيفة) أو يشترى النفط بعملته الوطنية فى السوق الحر فتتقزم هذه العملة من هنا جاءت سياسة تسعير النفط وسوف يكون لها أفراد آخر وهكذا ففى هذا النظام العالمى الجديد تلعب الولايات المتحدة دورا فريدا بتفوق عملتها ووظيفتها كشرطى غليظ العصا ينوب عن النظام الرأسمالى الدولى فالتدخل العسكرى الأمريكى غالبا ما يكون رمزيا (سياسة الاقتراب غير المباشر) وخاصة فى بحر قزوين ولكن المراد منه إظهار ما يمكن أن يحصل لأى أمة تسول لها نفسها أن تتجاهل قواعد النظام لكن التدخل على أية حال عادة ما يكون هو الحل الأخير فثمة وسائل أقل كلفة للسيطرة كأعمال سرية لقلب الأنظمة المشاغبة أو تنصيب زعماء دمى عندما حاولت ذلك فى فيتنام والعراق وجواتيمالا ونيكاراجوا وجيريرنادا وبنما وأفغانستان ويوغوسلافيا وانجولا واستعملت العمل السرى ضد أنظمة الحكم فى إيران وتشيلى واليونان وفنزويلا وغيرها من البلدان

وكان بعض هذه الأنظمة شموليا وبعضها الآخر ديمقراطيا وكان فى بعضها زعماء شعبيون أرادوا توزيع ثروات البلاد على شعوبهم بدلا من تسريبها للنخبة التجارية الدولية وبدلا من أن تبطل موضة الحروب من أجل الموارد التى تصنع السوق فإننا نرى أن الحرب (أو التهديد بها) تصبح فى الواقع جزءاً تكامليا من نظام السوق المعاصر وهذا ما يجعل الصراع فى النهاية أكثر رجحانا لأن التفاوت الاقتصادى الشديد إما أن يحافظ عليه بالعنف المكشوف أو التهديد بالعنف أو يتعرض هو للعنف.

لا انسحاب

ومن هنا فإننى أرى وأقول بوضوح أيضاً بأننى لا أصدق انسحابا روسيا حقيقيا من بحر قزوين ولا انسحابا أمريكيا أيضاً . أمريكا باقتراب غير مباشر وروسيا باقتراب مباشر وقد حان اللقاء ولا تقل شئنا فإن الحق شاء والقدر مكتوب ومحتوم أيضاً وتبقى القضية فى النهاية هى قضية الإنسان الحائر بين اختلاف النظريات والاستراتيجيات والفارق كبير بين النظرة إلى الإنسان وفقا للمصالح والأموال والنظرة إلى الإنسان فى أبسط القواعد كإنسان، فقد ارتكب أحد الأشخاص جرما استحق معه أن يقام عليه حد السيف وبعد أن مات رفض الصحابة أن يصلوا عليه لما ارتكبه من جرم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد تاب توبة لو وزعت على أمة لوسعتهم فصلوا عليه .. وفى أمريكا كان حاكم ولاية « وايومبنج» الأمريكية جون أوسبون (١٨٩٣ – ١٨٩٥) كان لديه حذاء مصنوع من جلد مجرم تم إعدامه.. هناك فرق كبير بين النظريات .. الست معى فى ذلك.

الفصل السادس

التخطيط الأمريكى بدأ عام ٢٠٠٠

هل تكون القوقاز عود ثقاب لإشعال العالم

أكد الرئيس الجورجى ميخائيل ساكاشفيلى أن مطارات وموانى بلاده ستوضع قريبا تحت السيطرة الأمريكية وذلك فى إطار مهمة عسكرية إنسانية فى البلاد تستهدف حماية المواطنين بعد التصعيد الجديد فى مجريات الحرب بالقوقاز حيث اتهم متحدث باسم الخارجية الجورجية القوات الروسية بالسيطرة مرة أخرى على ميناء « بوتي» وجاء ذلك فى الوقت الذى أكدت فيه فرنسا أن روسيا ستنسحب من مدينة جورى الجورجية الإستراتيجية ومن التداعيات أن أعلن رئيس الوزراء البولندى «دونالد ناسك» أن بولندا والولايات المتحدة توصلتا إلى اتفاق أولى حول نشر عناصر من الدرع الأمريكية المضادة للصواريخ فى الأراضى البولندية على الرغم من « اعتراض موسكو» وتلك الأنباء عزيزى القارئ لم تكن هذه هى البداية فقد كتبت منذ عدة شهور وفى هذا المكان ذاته بحثا طويلا قلت فيه بالحرف الواحد « إلى اللقاء فى القوقاز» ، ردا على تداعيات الأحداث بين روسيا وأمريكا ، ولم يكن ذلك ضربا من التخمين أو الاحتمال لكنها كانت رؤية صادقة بعد بحث دقيق بكل الشفافية، بحثا عن الحقيقة فقط ، وأيضاً فكان من الطبيعى بالنسبة لى أن تصل الأمور إلى ما وصلت إليه وقبل استشراف ما يمكن أن يحدث فى المستقبل فهيا بنا نبحر إلى نقطة البداية . ومن أول السطر.

الهدف والنتيجة!

عندما أدعت ألمانيا عند اندلاع الحرب العالمية بأنها تحارب تحقيقا لروح الشعب الألمانى وطموحه Volks geist باعتباره أرقى شعوب العالم أصالة وحضارة، وأدعت دول الوفاق من جانبها أنها تحارب دفاعا من نظامها الديمقراطى Awar for Democracy فى مواجهة الديكتاتورية العسكرية الألمانية، ولكن هل كان ذلك ممكنا ؟! (ياللعجب) أن يحدث أو يستقيم هذا الادعاء بين تحالف النظام الديمقراطى فى فرنسا أو فى بريطانيا مع أكثر النظم رجعية وتسلطية فى أوروبا ألا وهو نظام الحكم القيصرى فى روسيا؟ ففى الحقيقة أن ادعاء الدفاع عن الديمقراطية لم يصبح مقنعا للرأى العام إلا ابتداء من عام ١٩١٧ بعد نجاح الثورة البلشفية فى الاستيلاء على السلطة فى روسيا وخروج تلك الدولة من الحرب بإبرامها صلحا منفردا مع ألمانيا (صلح برست – ليتوفسك فى ٣ مارس عام ١٩١٨) ودخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب إلى جانب التكتل الغربى الذى أصبح يطلق عليه شعار " المعسكر الديموقراطى " وقد تم التعبير عن هذا القناع الايدولوجى " وقد تم التعبير عن هذا القناع الايدولوجى فى "النقاط" الأربع عشرة التى أعلنها الرئيس الأمريكى "وودرو ويلسون" والتى تضمنت حماية الديموقراطيه " وقد تم التعبير عن هذا القناع الايدولوجى فى " النقاط" الأربع عشرة التى أعلنها الرئيس الأمريكى " وودرو ويلسون" والتى تضمنت حماية الديموقراطية وإقرار مبدأ حق الشعوب فى تقرير مصيرها .. وخلاصة القول فإنه مهما اختلفت الأقنعة الأيدولوجية فإن جميع الدول المتحاربة كان لها هدف عام واحد غير محدد بمعنى أنه لم يترجم فى صورة مطالب معينة إلا وهو إحراز النصر الكامل على الدول المعادية أى النيل من مركزها كدول كبرى كشرط أساسى لتحقيق مكاسب إقليمية أو اقتصادية أو

سياسية كشفت عنها مفاوضات الصلح بعد نهاية الحرب ومن هنا يظل السؤال قائما هل امتلكت الدول المتحاربة القوة اللازمة لإحراز النصر التام فى حرب تعتبر باكورة الحروب الشاملة فى التاريخ؟ هنا تظهر علاقة التفاعل بين الهدف العام للحرب وسير العمليات العسكرية. فقد توقعت جميع الدول المتحاربة فى بداية الأمر أن تكون الحرب خاطفة Blitzkrieg على نمط الحرب الألمانية. الفرنسية عام ١٨٧٠، لكن أحدا لم يستطع تحديد النتائج والحدود والخسائر والزمن، فكان ما حدث على غير المتوقع من الجميع مثل الحاوى أو فتى السرك الذى يلعب بالنار أمام المشاهدين فيبهرهم ولا اعتقد أنه فى كل مرة يمكن أن يسلم منها وإلا لما جعلها الله عقابا للإنسان يوم القيامة، ويقول المثل المصري "ياما فى الجراب يا حاوي" فهل سيخرج لنا الحاوى الأمريكى لعبة النار من جديد؟! .

بين الحقيقة والإعلان

دعنا مما يعلن عبر وكالات الأنباء والصحف وهيا بنا إلى الحقيقة.

حيث إنه من المعلوم أن صادرات روسيا من النفط والغاز الطبيعى تشكل الشطر الأكبر من دخل روسيا من العملة الصعبة وهو يمثل ٥٥٪ من الصادرات ونسبة ٤٠٪ من الدخل الحكومى بداية من عام ٢٠٠٢ وزادت بشكل كبير خلال هذا العام. حيث تبذل موسكو أقصى جهدها لزيادة إنتاجها من الطاقة للحصول على الاعتمادات التى تستطيع بها استعادة قدرتها السياسية هذا بالإضافة إلى الوضع شبه الاحتكارى بالنسبة لنقل نفط وغاز بحر قزوين إلى الغرب مما جعل روسيا تعرقل أيضاً أية طرق بديلة لنقل هذا النفط والغاز بعيدا عن الأراضى الروسية، وفى عام ١٩٩٧ قالت شيلا هيزلين Sheila Heslin أحد أعضاء مجلس الأمن القومى الأمريكى لأحد أعضاء مجلس الشيوخ فى لجنة للتحقيق

" إن الجهود الأمريكية للسعى لبناء خط أنابيب جديد يمتد خلال القوقاز إلى البحر الأسود وتركيا ليس إلا جانبا من حملة أكبر نطاقا لكسر الاحتكار الروسى للسيطرة على نقل النفط من المنطقة إلى الخارج" ، وردت روسيا على ذلك على لسان أندريه أورنوف Andrei – urnov أحد المسئولين فى وزارة الخارجية الروسية فى مايو عام ٢٠٠٠" لا ينبغى أن يندهش المرء من أن روسيا قد عقدت العزم على مقاومة المحاولات الرامية إلى التعدى على مصالحها .." .انتهت أمريكا إلى أن أنشاء خط أنابيب باكو – جيهان ويرمز له (B.T.C) ليمر من خلال جورجيا عند تبليسى وقد قال عنه بيل ريتشارد سون وزير الطاقة الأمريكى " إن ذلك بمثابة أمن الطاقة الأمريكى الذى يعتمد على تنويع مصادرنا من النفط والغاز وإنه يحول دون الطرق الداخلية لأولئك الذين لا يشاركوننا فى قيمنا " ، وتلك هى نتيجة المرحلة الأولى لبداية الصراع بشكل رسمى من بداية عام ١٩٩١ ففى خلال هذه الفترة قدمت الولايات المتحدة أكثر من ١.٣ بليون دولار كمساعدات لجورجيا خلال العشر سنوات الماضية فقط وهو مبلغ ضخم نسبيا وذلك إذا عرفنا أنه مقدم لدولة عدد سكانها ٥ ملايين نسمة فقط، وذلك بالإضافة إلى توفر التدريبات وتجهيز قوات جورجيا بتجهيزات متقدمة.

تسلسل الأحداث

بدأت المرحلة التالية من الجانب الأمريكي، ففى عام ٢٠٠٣ ساعدت إدارة بوش على الإحاطة بحكومة رئيس جورجيا ادوارد شيفرنادزة الذى كان حليفا للولايات المتحدة لفترة طويلة باعتباره أقوى شركاء واشنطن الاستراتيجيين بالمنطقة . وكان المسئولون الأمريكيون مثل جيمس بيكر يدللونه باسم تشيفى وأصبح سريعا محل ازدراء إدارة جورج دبليو بوش بعد أن بدأ فى إنشاء علاقات بيزنس مع موسكو بعد سنوات من رعاية الولايات المتحدة له حيث كان من بين

خطاياه منح الشركات الروسية امتيازات جديدة للتنقيب ومد خطوط الأنابيب القزوينية وبعد تلك الخطايا سرعان ما أجبر على الاستقالة فى نوفمبر عام ٢٠٠٣ فيما أتت ما سمى بالثورة الوردية بنظام بالغ الوفاء والموالاة للولايات المتحدة وكانت أول مكالمة هاتفة أجرتها القائمة بأعمال رئاسة الجمهورية الجديدة نينو بردزهانادة حينما استولت على مقاليد الأمور من شيفرنادزة كانت مكالمة إلى شركة النفط العملاقة (B.P) لطمأنتهم على أن العمل على خط الأنابيب سيسير وفقاً للخطة، ثم أعلن ميخائيل ساكاشيفيلى الذى كانت أمريكا تسانده قبيل توليه السلطة بجورجيا " إن جميع التعاقدات الإستراتيجية بجورجيا وبخاصة عقود خط الأنابيب القزوينى هى مسألة حياة لدولة جورجيا ثم نشأ عن تغيير النظام إغلاق للقواعد العسكرية الروسية بجورجيا " ثم بدأ وزير الدفاع الأمريكى مع بدايات عام ٢٠٠٤ رامسفيلد فى الاتفاق مع شركات المرتزقة الخاصة مثل شركة كيوبيك بواشنطن بمقتضى عقد مدته ثلاث سنوات وقيمته ١٥ مليون دولار لتجهيز وتدريب جيش جورجيا المتهاوى وتقديم الاستشارات له وردت جورجيا الجميل بالمساهمة بـ ٥٠٠ من قواتها فى العراق، وفى خريف عام ٢٠٠٤ أطلقت الإدارة الأمريكية رسميا مشروعا أسمته " حارس قزوين" الذى بمقتضاه ترفع الولايات المتحدة أيضاً وإلى حد كبير من قدرات كازاختسان وأذربيجان بتكلفة ١٣٥ مليون دولار، ومن هنا فقد رأى بعض المحللين فى مشروع " حارس قزوين" وعقد بلاك ووتر بابا خلفيا للانتشار العسكرى الأمريكى حيث قالت أريك برينس مؤسس بلاك ووتر فى مؤتمر عسكرى أمريكى عام ٢٠٠٦ بأنه تم التعاقد معنا للدخول إلى هذه البلاد ومن خلال حكومة الولايات المتحدة لبناء قدرات بحرية خاصة، ويشرف مجلس استشارى ومتابعة أمريكى على الخطة الأمريكية ضم قائمة تعريفية بصقور زمن ريجان . بوش . جيمس بيكر . هنرى كيسنجر – جون سونونو

– برنت سكروكروفت والمدراء التنفيذيين من شركات إكسون موبيل – تشفرون – كونوكو – فيليبس – كوكاكولا بالإضافة إلى ريتشارد بيرل من كبار المحافظين الجدد بالإضافة إلى جهود ديك تشينى وريتشارد أرميتاج مما جعل الصحفى تيم شوروك يقول "هؤلاء الرجال هم السلطة التى تقف خلف العرش بأذربيجان وجورجيا" وأخيرا وبعد كل هذه الأحداث تظهر عدة قضايا وجب فيها البحث لتحديد المكان بين السلبى والايجابى منها :

(أولا) هل تكون أحداث القوقاز هى عود الثقاب لصراع عالمى على غرار الحرب العالمية الأولى التى انطلقت شرارتها بسبب مقتل ولى عهد النمسا على يد متطرف صربى على أرض جمهورية البوسنة والهرسك؟!.

(ثانياً) هل ستنقل أحداث القوقاز بؤرة الصراع العالمى من الشرق الأوسط إلى القوقاز، وبالتالى هل سينال الشرق الأوسط المرتبة الثانية فى القريب؟

(ثالثاً) هل تكون أحداث القوقاز بداية النهاية لأحداث الصراع بين أمريكا وإيران فى جانب بعيد عن الخليج العربى القلق والمترقب وبالتالى يقترب من الالتهاب وفى هذه الحالة لن تستطيع أن تتحجج إيران أو تجد ذريعة لغلق مضيق "هرمز" الاستراتيجى النفطى وبالتالى تكون دول الخليج فى مأمن وكذلك سيولة التدفق النفطى وكذلك القوات الأمريكية فى العراق والخليج ثم إسرائيل أيضاً؟!

(رابعاً) هل أحداث القوقاز ستستمر لتكون علامة المخاض لظهور قوى جديدة فى العالم بعيدا عن القطبية الواحدة وهل أحداث القوقاز خير أم شر ؟! تلك هى القضية، حيث تقف الصين فى تحفز فى محاولة للحفاظ على أمنها القومى فهى شأنها شأن موسكو مهددة من جانب الأقلية الانفصالية من عناصر " الأوغر" فى إقليم " سينكيا نج " فى غرب الصين ويطالب سكانها بالحكم

الذاتى لهذه المقاطعة التى تطل مباشرة على قلب آسيا الوسطى ولذلك فهى معرضة بالتلامس لكل ما يعترى المنطقة من اضطرابات وتلك قضية أخرى ، فمن حقول النفط القاحلة فى آسيا الوسطى إلى دلتا النيل الخصيبة ومن الخطوط الملاحية المزدحمة فى بحر الصين الجنوبى إلى مناجم اليورانيوم وحقول الماس فى إفريقيا جنوبى الصحراء ستكون الحروب على الموارد وبتنافس شديد يؤثر فى السياسات العسكرية للدول، فتأمين هذه الموارد أو طرق نقلها بات يشغل حيزا كبيرا من اهتمام الدول الكبرى على الصعيد العالمى والإقليمي، والنبوءة السابقة كانت "وإلى اللقاء فى القوقاز" وصدقت الرؤية ... والقادمة هى حرب الموارد وعلى تلك المساحة الشاسعة من العالم، وأرجوا ألا تكون صادقة! .



الفصل السابع

المنصب أم مصلحة البلاد

مع كل تغيير وزارى فى إسرائيل. خاصة فى الحقبة الأخيرة.. أشعر بالغيرة والحسد وربما الحنق وإن كان كل ذلك أراه فى أعماقى نوعاً من الإعجاب أخفيه ولا أريد أن يكون أعجابا لما ترتكبه إسرائيل من الممارسات الخاطئة .. ولكن لم أستطيع أن اخفى ما فى صدرى مع تقدم السن ورغبة مؤشر العدل والصدق فى التغلب على نوازع النفس وإلهامها فأجد أن شخصا ما يناضل بكل قدراته حتى يبلغ رئاسة الوزراء وهو أعلى منصب تنفيذى فى إسرائيل لأن سلطات رئيس الدولة هناك محدودة جداً طبقاً للدستور الإسرائيلى .. وما إن يصل الشخص إلى هذا المنصب حتى تجده فى تشكيل تال وزيراً مرة أخري، ثم ما يلبث أن يعود إلى رئاسة الوزارة ثم وزيراً مرة ثالثة ! .. مثال « شيمون بيريز» و « نتنياهو» و « باراك» ومع ذلك لا يجد الشخص غضاضة فى ذلك .. ولا يعد هذا انتقاصاً من قدراته أو إمكانياته أو حتى مكانته .. بل وكذلك يرى الناخب الإسرائيلى .. وزيادة فى العجب نجد أحدهم يفشل فى الفوز برياسة الوزراء أو الحزب ثم تجده ينجح فى رئاسة الدولة ! وعلى سبيل المثال « شيمون بيريز» .. ومن جهتى أرى ذلك نوعاً من النجاح أو أحد عوامل النجاح وهو تناغم إحساس المواطن والمسئول بأن مسميات المنصب أو درجته تذوب وتتلاشى أمام متطلبات المواطن ومصلحة الوطن .. ومع زيادة التضخم ومشاكل المواطن اليومية وغلاء الأسعار بمعدل فاق تحمل المواطن العادى وما أعنيه ليس فى المواد التى تأتى من الخارج استيرادا لأنها قد تفوق قدرة الحكومة على المواجهة ولكن ما

أعنيه فى المواد ذات الخامات المحلية والتصنيع المحلى الذى لا يتحرك سعره أسبوعياً إلا من خلال تلاعب واضح ومغرض .. وبغيره المواطن وحبه للوطن والغيرة عليه.

أمل .. ورغبة

ويجول بخاطرى أمل ورغبة .. فيذهب الخيال بعيداً بأن الرئيس السابق «مبارك» وجد أن الوزارة يجب أن تكون حصيلة كل الخبرات والتجارب السابقة فقرر مثلاً أن يكون وزير الاقتصاد «الدكتور عبد العزيز حجازي» ووزير المالية « الدكتور على لطفى » ووزير الصناعة « الدكتور مصطفى خليل» « ووزير التموين « الدكتور حسن عباس زكى » ووزير التخطيط « الدكتور كمال الجنزوري» ووزير المواصلات « دكتور نظيف» ووزيرا لخارجية « دكتور بطرس غالى « ! ! فهل سيقبل كل رؤساء الوزراء السابقين أن يعودوا إلى كرسى الوزير مرة أخرى . ! وبعد أن تجاوزوه إلى كرسى رئاسة الوزارة .. فى اعتقادى . ورغم الإحساس بفارق الزمن وشطحات الكاتب، أجد أنهم سيرفضون ذلك بالاعتذار المؤدب والأعذار الدبلوماسية أيضاً وحتى لو رغبوا فى ذلك فى عمق النفس وأغوارها .. ولكن سيرفضون خوفاً من المقربين وشماتة الأعداء وربما غرور النفس .. وذلك ما أريد أن أقوله طمعاً فى حب مصر ورغبة فى أن يكون الانتماء أعلى وأقوى تركيزاً وتأثيراً مثل ما يحدث فى إسرائيل ولكننى وجدته يحدث أيضاً فى روسيا ! حيث جلس فلاديمير بوتن على كرسى رئاسة الوزراء .. ثم رئاسة الدولة وعودة إلى رئاسة الوزراء « منها وإليها نعود» ولم يكن هناك غضاضة أو استغراب أو حتى استهجان فى روسيا أيضاً ! مما جعلنى أتمناه لبلدى وليس فى ذات الحدث بالذات ولكن بشكل عام .. وذلك أيضاً جعلنى أبحث .. كيف ولماذا؟ وقد كان ممكناً حدوث غير ذلك .. وما أكثر ثغرات أى قانون التى يمكن أن تسمح بمرور الجبال! .

وإن تعذر ذلك فالالتفات ممكن فى كل الأحوال .. ومع ذلك حدث ما حدث .. فلماذا لا نذهب إليه ؟ ومن نقطة البداية .. أو من أول السطر .

حكاية بوتن

(أولاً) البداية والتاريخ : يقول «فلاديمير بوتن» عن والده إنه ولد فى عام ١٩١١ قبيل الحرب العالمية الأولى وتزوج رفيقه دربه (والدة بوتن) ولم يكن عمرها قد تجاوز السابعة عشرة وحين داهمتهما الحرب العالمية الثانية التحق الوالد بصفوف المدافعين عن الوطن لتعيش الأم سنوات الحصار والجوع .. ولم تكن طفولة «فلاديمير بوتن» أسعد حالا من أقرانه الذين ولدوا بعد سنوات الحروب الطويلة ... ولم تكن الإقامة فى فيلا أو مسكن واسع بل فى إحدى غرف شقق الإقامة الجماعية ... وقال « بوتن» إن الوالد حصل عليها من خلال عمله فى أحد مصانع بناء قاطرات المترو .. وكانت كل أسرة تحصل على حجرة لا تتجاوز مساحتها عشرين متراً مربعا .. وعن هوية بعض جيرانه فقد كان رب أسرة يهودية عجوزا يعمل خياطا مع زوجته وابنته «حافا» التى ظلت عانساً وكانوا من اليهود المتشددين الذين يرفضون العمل فى أيام السبت فيما يحرص الأب على تلاوة كتاب منذ الصباح الباكر وحتى المساء .. وعلى نحو أثار فضوله ليتساءل عن ماهية هذا الكتاب المقدس وكانت بين أسرته وهذه الأسرة خناقات مستمرة .. ولتأكيد هويته المسيحية حرصت الأم على تعميده مع جيرانها سراً من وراء والده الذى لم يكن يسمح بذلك، لذا فقد حرصت الأم حين سافر إلى إسرائيل فى عام ١٩٩٣ ضمن أحد الوفود الرسمية على أن تعطيه الصليب حتى يستطيع أن يرشمه ومباركته عند قبر السيد المسيح.

من ساعية إلى دكتورة!

(ثانياً) الحب والزواج والأسرة: تقول « لودميلا شكرى بنيوفا» والتى أصبح

أسمها « لودميلا بوتنيا» بعد أن تزوجت « فلاديمير بوتن» وهى من مواليد « كالينينجراد » فى ١٩٥٨/١/٦ بأنها تصغر الرئيس بخمس سنوات ونصف وكانت تحلم بأن تكون ممثلة ولكن بعد نهاية دراستها المتوسطة عملت ساعية بريد حتى انتقلت للعمل بأحد المصانع ، ثم ممرضة فى مستشفى المدينة ثم التحقت بمعهد التكنولوجيا ثم تركته بعد عام واحد وانتقلت بعده للعمل فى شركة طيران « ايروفلوت» كمضيفة على الخطوط الداخلية ثم التحقت بعد ذلك بكلية الآداب وتخرجت فيها وواصلت الدراسة حتى درجة الدكتوراه من نفس الجامعة .. وانتقلت إلى منزل الأسرة للزواج بعد تسجيل القران فى ١٩٨٣/٧/٢٨ وتخصصت فى اللغة الأسبانية إلى جانب الفرنسية وأن أجادت الألمانية فى وقت لاحق .. وبداية التعارف بين بوتن ولودميلا كان فى مارس سنة ١٩٨٠ ، وكما تقول « لودميلا» كان عمره وقتها سبعة وعشرين عاماً فيما كنت أبلغ الثانية والعشرين.. وقررت نزولاً على رغبة صديقتها «جالينا» السفر إلى لينجراد لقضاء عطلة عيد المرأة العالمى .. وهناك كان مقرراً أن تقضى ثلاثة أيام بصحبة صديقتها التى قالت أن لها صديقاً هناك يمكنه مساعدتهما .. ولتمضية الوقت طلبت صديقتها مرافقتها وصديقها لمشاهدة أحد أشهرا لعروض المسرحية للفنان ذائع الصيت « أركادى رايكين» الذى لم يكن من السهل مشاهدة أعماله للإقبال الكبير من المشاهدين بسبب جماهيريته الواسعة .. ولصعوبة الحصول على بطاقة دخول استطاع صديق « جالينا» توفيرها من خلال رفيقه الذى لم يكن سوى «فلاديمير بوتن» والذى بدا متواضع الملبس بل ويمكن القول إنه كان أشبه بالفقير ولم يكن ليلفت ناظرى لو صادفته عرضاً فى الطريق العام.. (هكذا قالت « لودميلا»).

(ثالثاً) تأثير المهنة على الحياة الشخصية : تقول « لودميلا من الواضح ومن المؤكد أن « فلاديمير فلاديميروفتش» لم يكف عن اختبارى طوال حياتنا المشتركة

فلطالما راودنى الشعور بأنه يراقبنى على الدوام .. عله يستطيع استيضاح القرار الذى يمكن اتخاذه ومدى صحة مثل هذا القرار وإلى أى مدى استطع تحمل هذا الاختبار أو ذاك .. « فهى لم تكن تعرف حقيقة كون زوج المستقبل ضابطا فى مؤسسة أمن الدولة « كى . جي. بي» وليس فى المباحث الجنائية إلا بعد عام ونصف من تعارفهما وليس منه شخصياً ولكن بالصدفة عبر حديث عفوى مع زوجة أحد المعارف والتى أوكل إليها مهمة إطلاعى على هذا السر .

وفى أحدى المرات وأثناء تواجدها فى الغرفة الجماعية بالجامعة كانت قد اتفقت مع « فلاديمير» على الاتصال به فى السابعة مساء وبسبب تعذر الاتصال من مقر الإقامة كانت تخرج فى الشارع كل ربع ساعة لاستخدام التليفون العمومى وحتى الثامنة والنصف وهى متوترة وفى تلك الظروف تقول « فى أحدى المرات أحسست بغتة بمن يقتفى أثرى والتفت إلى الوراء لتقع عيناى على شاب يسرع الخطا فى اتجاهى ثم يقول : أرجو أن تتوقفى . لا أريد بك شراً : لا أريد إلا الحديث لمدة ثانيتين فقط وكانت نبرته تعكس شيئاً من الصدق وتوحى بالأمان فتوقفت واقترب منى قائلاً « إنه القدر المحتوم الذى دفعنى إلى الإصرار على الحديث إليك..

فقالت: عن أى شئ تتحدث؟

قال : أرجوك .. وألح فى اللقاء والرجاء أن يأخذ رقم التليفون .

قالت : ليس لدى تليفون .

قال : إذا فلتسجلى رقم هاتفي.

قالت : لست فى حاجة إلى تليفونك .. أننى آسفة ولست أرى فى ذلك داعيا أو ضرورة.

قال : لعلك يمكن أن تعيدى النظر فيما بعد فى موقفك .. اكتبيه على أسوأ الفروض ! ..

قالت : لن تكون هناك أى فروض .. « قلت ذلك وسارعت إلى الابتعاد عائدة إدراجى إلى مسكنى دون الالتفات إليه.

هكذا كان الموقف الذى قالت « لودميلا» إنها لم تك تتوقعه اختباراً من جانب زوج المستقبل « فلاديمير بوتن» ومع ذلك فقد تقبلته عن طيب خاطر ملتمسة له العذر بعد أن علمت أنه ضابط فى جهاز « كي. جى . بى « ..

رفيق كيسنجر!

رابعاً : ملامح الشخصية :

ذكر « بوتن « أنه التقى فى مطلع التسعينات فى « سان بطرسبورج» « بهنرى كيسنجر» الذى كشف عن فضول شديد لمعرفة حقيقة شخصية من يرافقه .. كان كيسنجر قد وصل فى مهمة تجارية ورافقه فيها « بوتن» واضطر إلى مصارحته بأن سبق وعمل فى جهاز (كى . جي. بي) بل وقال له إنه خدم فى ألمانيا الشرقية «ورد هنري» إن كل المحترفين بدأوا عملهم فى أجهزة المخابرات ومنهم أنا. وأضاف « بأن الاتحاد السوفيتى رحل ولم يحدث شئ ! ! مما جعله يتساءل مع الملايين فى الداخل والخارج لماذا جورباتشوف ذلك؟» ترى ماذا قال كيسنجر بعد ذلك فى مؤلفاته عن رأيه فى فلاديمير بوتن؟ قال «اعتبر كل المراقبين تقريبا أن استقالة يلتسين تلاعب ماهر بالدستور الروسى لترسيخ موقع خليفته المدرب فى جهاز الاستخبارات السوفيتى وغير المعروف حتى ستة أشهر خلت .. « ثم عاود القول « العالم يتعامل الآن مع قائد روسى من نوع جديد وبعكس سلفه فقد خرج بوتن من عالم الشرطة السرية فالتقدم فى الظل

يوحى بنزعه قومية قوية ومسحة تحليلية باردة .. ولم يشر إلى المقابلة الأولى والسابقة.! .

من البطالة إلى الوزارة

ملامح شخصية: لم تكن تلك المشاعر لتفارق بوتن لماذا رحل الاتحاد السوفيتى بهذه السرعة؟ ولماذا أنهار الحلم والأمل؟ ولم يكن غريبا أن يتوقف خيار بوتن عند صورة بطرس الأكبر قيصر روسيا وبانى نهضتها الحديثة فى القرن الثامن عشر ليعلقها بدلا من صور « لينين» على حائط مكتبة فى مقر بلديه « بطرسبورج» ورحل صديقة ورفيقه الأكبر «أناتولى سوبتشاك» عن منصب عمدة « سان بطرسبورج» بعد فشله فى الانتخابات التى جرت حول منصب العمدة مما أضطره إلى الرحيل بدوره وكان نائبا له وفقد «بوتن» عمله وراح يعيش على الأمل. وبعد فترة طلب «الكسى كودرين» رئيس الإدارة المركزية للرقابة فى «الكرملين» آنذاك والذى خرج أيضاً من لينجراد من بوتن أن يقبل العمل رئيسا لإدارة الاتصال مع المنظمات الاجتماعية.. وافق «بوتن» بكل ترحاب بعد فترة العطل بدون عمل .. وتدرج بشكل طبيعى فى جهاز «الكرملين» حتى وصل إلى نائب رئيس الديوان والمسئول عن الاتصالات بالمحافظين وحكام المقاطعات وهو منصب بالغ الخطورة أتاح له استيضاح الكثير من قضايا الدولة الاتحادية .. وقد يكون ذلك أيضاً فى مقدمة أسباب تدرجه السريع وفوزه بمنصب رئيس جهاز الأمن والمخابرات الفيدرالى فى عام ١٩٩٨ والذى جمع بينه وبين منصب سكرتير مجلس الأمن القومى الروسى فى عام ١٩٩٩ قبل اختياره رئيسا للحكومة فى أغسطس من نفس العام ومنها إلى أعلى وإليها عاد مرة أخرى منها وإليها نعود ؟! .. وقد خلف بوتن فى رئاسة الحكومة وقتها بلدياته «سيرجى ستيباشتين» وقال « بوتن» إن «بوريس يلتسين» استدعاه ليفاتحه بأمر تعيينه

رئيسا للحكومة لكنه طلب الحديث مسبقا مع « ستيباشتين» الذى خلف بدوره « يفجينى بريماكوف» وعلم « ستيباشتين» بإقالته فى حضور « بوتن» دون أن يكشف له أحد عن أسبابها وذلك ما وضع « بوتن» فى موقف حرج وإن كان حتى هذه اللحظة لم يكشف «يلتسين» عن نواياه أيضاً بشأن خلافته مكتفيا بالقول إنه يعينه رئيساً للحكومة مع احتمالات الترقى ! .. ودون الإفصاح صراحة عما يضمره .. ولذا فقد بوغت « بوتن « بما قاله الرئيس فى حديث للتليفزيون حول احتمالات أن يخلف بوتن فى منصب الرئيس وعندما واجه بوتن الصحفيين عندما سألوه عن مدى استعداده لتولى هذا المنصب رد بقوله « مادام الرئيس قرر ذلك فإننى سأفعل ما يريد «لكنه سرعان ما ذكر ومع ذلك فإن الوقت لايزال سابقاً لأوانه وإننى لم أقم بعد ما يؤهلنى لتولى هذا المنصب ! .

ثمن المنصب !

كسب الرهان : أراد « بوتن « أن يدفع ثمن المنصب وأن يراهن على قدراته لتولى هذا المنصب وقد ربح هذا الرهان .. وحظى بدعم « يلتسين « الذى بارك خطواته وحظى كذلك بالتأييد المطلق من جانب كبار قيادات وزارة الدفاع وهيئة الأركان للقوات المسلحة ووزارة الداخلية الذى كان يجتمع بهم من صباح ومساء كل يوم جديد، وقد استهدف بوتن بذلك التنسيق بين ممثلى هذه الأجهزة وبلوغ التفاهم المتبادل والارتقاء بمستوى العلاقات الشخصية إلى النقطة التى تسمح بانصهار الرغبة مع الإرادة فى تيار واحد يستطيع توجيهه نحو الهدف المنشود.. وفى الحقيقة فإن هذا الصعود لم يكن «بوتن « يريده بلا ثمن حتى لو جاء إليه .. ولكنه أراد أن يدفع الثمن الذى يراه ملائما حتى لا يبدو مثل حارس المرمى الذى وجد الكرة بين أحضانه وأراد أن يستمع إلى آهات المعجبين بالأداء والقدرة وبالتالى تكون هى الإجابة التى اختزنها عند مواجهة الصحافة

حول قدراته الذاتية لتولى هذا المنصب وكانت القضية «الشيشانية» هى الثمن والإثبات أيضاً .. وبعد الجلوس على أعلى منصب فى السلطة الروسية واجه «الأوليجاركيا» وهم رجال المال الجدد بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، حيث لم تكن الساحة السياسية فى روسيا قد برأت بعد من المتاعب التى واجهتها من جراء وقوع السلطة فى الكرملين فى براثن طواغيت المال ومدى ما حققوه من مكاسب على مدى سنوات التسعينات خاصة بعد انتخابات عام ١٩٩٦ على وجه الخصوص.

وفى الحقيقة فإن مواقفه مع هذه الطبقة بدأت بأختبار قدرته على تحديد علاقة السلطة مع من آل إليهم الجزء الأعظم من مصادر الثروة فى الدولة الروسية .. وكان حريصا فى تحديد هذه العلاقة رغم كونه كان على بينه أفضل من غيره بحكم مناصبه السابقة فى أجهزة الأمن والمخابرات بحقيقة مواقفهم ونقاط الضعف والقوة لدى كل منهم .. ومن هذا المنظور تحددت ملامح علاقة « بوتن» تجاه ممثلى دوائر المال والأعمال .. فيما قالها صراحة إن روسيا لن يحكمها سوى الرئيس والحكومة .. ورفض أموال « الأوليجاركيا» وهم أثرياء روسيا الجدد والذين عرضوا تمويل حملته الانتخابية فى ربيع عام ٢٠٠٠ لكى يجد ذاته ويعلن معارضته لمقولة « بوريس بيريزفسكي» « إن التاريخ طالما أكد أن من حق رأس المال تأجير الحكومة التى تناسبه « .

وقبل وصوله إلى كرسى الرئاسة بيوم واحد « ٣١ديسمبر ١٩٩٩» كتب يقول « لن يحدث ذلك أبداً أن تتحول روسيا إلى طبعة ثانية للولايات المتحدة أو بريطانيا العظمى « ... وفى مايو عام ٢٠٠٠ قال « يتعين علينا معرفة تاريخنا .. معرفته كما هو فعلاً واستخلاص الدروس منه وتذكر أولئك الذين أسسوا الدولة الروسية .. الذين دافعوا عن كرامتها وجعلوها دولة عظيمة وقوية وجبارة» .

ليتنا نكون كذلك ألم يكن الزعيم مصطفى كامل صادقا عندما قال « وطنى لو شغلت بالخلد عنه .. نازعتنى إليه فى الخلد نفسى .

ليتنا نقول ونفعل وبصدق .. ولأن « بوتن» قبل العودة إلى كرسى رئاسة الوزراء مرة أخرى دون التفاف أو اختراق ثم عاد الى سده الحكم رئيسا وبذلك استحق أن يكون مثلا ! .

الفصل الثامن

روسيا نموذجاً: بين السياسة الاقتصادية .. والاقتصاد السياسي

إن هذا البحث نشرته فى مجلة أخر ساعة المصرية العدد ٣٨٣١ بتاريخ ٢٦ مارس عام ٢٠٠٨ .

إن الإنسان بأية ديانة وفى أى مكان وخلال أى زمان أيضاً. لو فكر بأسلوب حيادى .. علمى وعقلى وإيمان أيضاً . لوجد أن كل شئ خلقه الله على هذه الأرض له فائدة بقدر الضرر أيضاً وبميزان لا يدركه أو يقدر عليه البشر مهما أوتوا من قوة أو علم أو تكنولوجيا، ويكفى أن يقترب من فهم هذه النظرية، ففى أى موقع أو مكان تجد أنه بقدر ما تأخذ وتجلس سوف تجد المسئولية والحساب وبنفس القدر والقيمة.

وبقدر حبى وعشقى لهذا الوطن وهذه الأرض أجد أن الله حبانا . بل وأعطانا موقع « الوسط الذهبي» .. وهذا الموقع الوسطى سمى ذهبيا بين المفكرين لأنك فيه تستطيع أن ترى أخطاء من هم خلفك وتتجنبها .. وتنظر أمامك فنجد من سبقوك فتأخذ ما نجحوا فيه أيضاً.. فليس من الطبيعى أو المنطقى أن يكون هناك جمود فكرى نحو أية نظرية أو تجربة أو أية شعور أو إحساس بالتدنى أو الخوف ، من عرض أية تجربة فى أية بلد فى بقاع الأرض يمكن أن توفر للإنسان المصرى البسيط أية درجة من درجات الراحة فى الحصول على احتياجاته، ولذلك اخترت التجربة الروسية فى مواجهة سلبيات الانفتاح

المباح ولكن قبل الوصول إلى نقطة البداية وجب الوضع فى الاعتبار عدة قواعد اقتصادية أجدها لازمة قبل الإسهاب أو العرض.

إن تحليل المجتمع لا يمكن أن يكون تاماً إذا ما استبعدنا التحليل الاقتصادي.. كما أن التحليل الاقتصادى لا يمكن أن يكون تاماً إذا ما استبعدنا تحليل نواحى المجتمع العقلية والنفسية والسياسية والقانونية والاجتماعية فى الماضى والحاضر أيضاً .. الفرد لايمكن أن يكون الإنسان كله .. ولا يمكن أن يمثل الفكر كله لأنه لم يقطع الزمن كله ولم يمش فى كل مكان.

فى الاقتصاد يقول باريتو « إن أية نظرية لا يمكن أن تكون مقبولة إلا لمدة معينة فما يمكن أن يكون صحيحاً اليوم يجب أن يترك غداً إذا ما وجدت نظرية أكثر اقترابا من الواقع »، وذلك لعدم قدرة أية كاتب أو مفكر على تصور الواقع كله لأن كل نظرية لا تحتوى إلا زاوية من الواقع وتقتصر عن أن تغطى باقى الزوايا .. وبالإضافة إلى ذلك فإن الواقع ايضاً يتغير باستمرار بل ويتطور بشكل دائم فينفصل التطبيق بين النظرية والواقع .. وهذا الانفصال هو بداية الأزمات أو أول خطوة فى الطريق إليها..

الاقتصاد السياسى لا يعنى الثروة لأن الذهب لا يشبع الحاجة الإنسانية وليست الأهمية والضرورة ايضاً لأن الهواء هام للغاية .. ولكنه يكفى الجميع ولا حاجة إلى سياسة اقتصادية .. ومن هنا فإننى أرى أن الاقتصاد السياسى يعنى الأهمية + الحاجة + الندرة.

وأعنى هنا الندرة النسبية أى قلة الموارد عن الاحتياجات أى فى هذه الحالة وجب الاقتصاد السياسى أو السياسة الاقتصادية لضبط الإيقاع والتوازن طبقاً للاشتقاق الأولى من كلمة « بوليس » اليونانية ونسى الجميع تلك الكلمة

الهامة والحرجة عند وضع السياسات والقوانين واللوائح فقد اشتق تعبير (Economie - Politique) من ثلاث كلمات يونانية تعنى " قواعد ذمة المدينة " ذمة Oikos قواعد Nomos مدينة Polie وإلى التجربة الروسية فى مواجهة الانفتاح المباح، أى إلى نقطة البداية.

أعلن كبار المعلقين عن أن النجاح يمكن أن يكون حليف الرئيس بوتن بقدر مدى قدرته على تحديد العلاقة مع من آلت إليهم مصادر الثروة فى الدول الروسية أو على الأقل الجزء الأعظم منها، وفعلاً تحددت ملامح علاقة " بوتن" تجاه ممثلى دوائر المال والأعمال فيما قالها صراحة " إن روسيا لن يحكمها سوى الرئيس والحكومة ... " وحارب مقولة " بوريس بيريزوفسكي" حول " إن التاريخ طالما أكد أن من حق رأس المال تأجير الحكومة التى تناسبه .. " وقد وصف الحالة المرضية للوضع الروسى (تشخيصاً) "جورج سورس" الأمريكى الأصل " بأنه رأس مال النهب والاغتصاب.. " وقال بوريس نيتسوف" نائب رئيس الحكومة فى النصف الثانى من التسعينات (مارس ١٩٩٧) " إنها رأسمالية قطاع الطرق" وبدأت المواجهة المباشرة مع مؤسسة " ميديا موست" التى وقفت فى الطريق للمقاومة وفق نظرية " بيريزوفسكي" تبحث عن البديل من خلال " يورى لوجكوف" .. وللعلم صاحب هذه المؤسسة هو " فلاديمير جوسينسكي" وهو رئيس المؤتمر الروسى اليهودى ونائب رئيس المؤتمر اليهودى العالمي، وكان طريق الاقتراب للمواجهة (أو المقاومة) بطبيعة الحال هو الديمقراطية والانتخابات البرلمانية التى تحدد اتجاه السلطة بطبيعة الحال ثم قضية دولية ملائمة وهى الحرب الشيشانية وعمليات القوات الفيدرالية فى شمال القوقاز ، وقد تنبه " بوتن" إلى طبيعة اللعبة وقواعدها فى الوقت المناسب من خلال حزبه الذى أسماه " الوحدة" واختار له رمز " الدب "

وبعد به عن اليسار الذى يدعمه " جينادى زيوجانوف " واليمينى " جريجورى بافليسكي" الذى وقفت خلفه " ميديا موست" وفطن إلى الدعم الذى توفره " أمريكا " والغرب كذلك ودفعه ذلك إلى الاعتقاد بتجاوز الخط الأحمر من جانب الكونجرس الأمريكى والبيت الأبيض كذلك ، فزاد تشدده وهذا ما لعبت على أوتاره الدوائر اليهودية والأمريكية والإسرائيلية ، وتنبه إلى خطورة إذاعة "ليبرتي" الأمريكية فى "موسكو " والتى ساهم فيها مؤسسة " ميديا موست" فهاجم مقر المؤسسة واعتقل صاحبها فلاديمير " جوسينسكي" ثم أفرج عنه بعد ذلك حيث سرعان ما هرب إلى الخارج .. وقد كان من نتائج الخصخصة وسوء التطبيق لها تهريب الأموال إلى الخارج بلغ فى مجملها ما يقرب من مائتى مليار دولار وفى تقديرات أخرى ثلاثمائة مليار دولار خلال ما يقل عن عشرة سنوات منذ بداية التطبيق.

أما بداية الإجراءات والمواجهة الحكومية فقد تمثلت فى مواجهة جمعية المستفيدين بالقرابة وذلك يعنى "تاتيانا" ابنة الرئيس السابق "بوريس يلتسين" وزوجها الثانى و "بوريس بيريزوفسكي" الذى حقق مئات الملايين من الدولارات خلال سنوات معدودة مستفيداً ومعترفاً بأنها نتاج قصور اللوائح والقوانين ! !

كما تنبه إلى مواجهة الإصرار الأمريكى على تجاوز الخطوط الحمراء بكل ألوانها عندما حرص الرئيس الأمريكى " بل كلينتون" على زيارة إذاعة " صدى موسكو" التى كان يملكها جوسينسكي" وحديثه هناك حول حرية الإعلام والكلمة فى روسيا ! ! وهذا ما جعل " بوتن" يطرح خطة مواجهة جديدة من خلال مجلس الأمن القومى الروسى بشأن ضوابط الأمن الإعلامى وآلياته فى دولة تقدمت بها السلطة الرابعة على السلطة القضائية ... وفى الجانب الآخر بدا واضحاً وقوع صفوة المثقفين فى شرك الحملات الإعلامية كاملة العدد ومدفوعة

الأجر فى إطار شعارات رنانة على غرار " الدفاع عن الديمقراطية" والذود عن الحرية الفكرية والكلمة واستناداً إلى الوقوف إلى جانب الضعيف " بحكم الغريزة" بغض النظر عن حقيقة ضعفه ومكنون الخلاف وجوهر القضية .. مادام الصراع فى مواجهة السلطة ! ولذلك أعلن فى مطلع عام ٢٠٠٠ عن أهمية الثقافة والمثقفين من منظور سحب البساط من تحت أقدام ممثلى التحالف المالى والإعلامى بما يكفل تفويض مواقع كل من يحاول استغلال آليات الكلمة والصورة لتحقيق أغراض سياسية.

مع زيادة الصراع تحولت بعض المؤسسات الاقتصادية (ميديا موست) إلى قوة سياسية أقرب إلى الحزب للدفاع عن المصالح الاقتصادية ووصف "سيرجى ستيباشين" رئيس الرقابة الإدارية ورئيس الحكومة السابق بأن الوضع وصل إلى حد "العبثية والاستهتار" والتحدى السياسى السافر للدولة.. وأجهزتها أيضاً ..

من تلك المظاهر إعلان الملياردير الشاب " رومان ابراموفيتش" والذى يبلغ من العمر ٢٦ عاماً فقد أعلن عن شراء نادى " تشيلسي" البريطانى لكرة القدم مما آثار موجة من الاحتجاجات والتساؤلات حول مصدر تلك الثروة الهائلة والتى بدأ اكتنازها وهو يبلغ ٢٥ عاماً فقط.

بدأ فى استدعاء " ميخائيل خودوركوفسكي" أكبر أثرياء روسيا والذى تتجاوز ثروته عشرة مليارات دولار إلى النيابة العامة للتحقيق وكذلك سجن واعتقال نائبه " بلاتون ليبيديف" بتهمة النصب .. وسارع السفير الأمريكى فى موسكو " الكسندر فيرشبو" بالتدخل دفاعاً عن " ليبيديف" ومحاولة اعتبار ما يجرى ذا طبيعة سياسية .. كما تم استدعاء " ميخائيل كاسيانوف" رئيس الوزراء السابق والذى تحول إلى أحد طواغيت المال .. وصاحب مؤسسة الألمونيوم الروسية " أوليج ديريباسكا" وزوج ابنه الرئيس السابق لديوان الكرملين "

فالنتين يوماشيف" والذى تزوج بعد ذلك من أبنه " يلتسين" بعد طلاقها من زوجها الثانى " دياتشينكو" .

وفى النهاية يقول "بوتن" إنه لم يتناس أخطاء سابقيه فى العقد الأخير من القرن العشرين لدى محاولات تطبيق ما أسماه " النماذج الأجنبية المنشأة" بصورة ميكانيكية .. وذلك يعنى ضرورة التوفيق بين قواعد العصر وتوجهات تطبيق المبادئ العامة لاقتصاد السوق والديمقراطية .. وبين خصوصيات المجتمع الروسى وواقع مواطنيه وسوء تأثير الثمن الباهظ الذى دفعه الشعب الروسى فى تطبيق الشيوعية رغم أى انجاز لها ! ويبدو أنه كان صادقاً فى هذا .

وعودة إلى القاهرة والاستفادة من السيل العرم من التجارب الأخرى التى لا يتسع لها البحث وبكل الحب والإخلاص للوطن فليس لدى مصلحة إلا أمانه الكلمة .. فإننى أرى إنه يجب التصدى للهيئات الخاصة التى تحاول أن تجد لنفسها اعترافا حكوميا لتتحوصل به وتحاول أن تمارس من خلاله دوراً رسمياً : "مثل بورصة الطيور" أو اللحوم البيضاء التى بدأت فى شقه قانون جديد وتليفون بالمنتجين وأصحاب المزارع ولا يكلف ذلك إلا قيمة المكالمة التليفونية لتوحيد السعر ولزيادة الاستفادة يتم رفع الأسعار يوميا وحتى تكون الاستفادة مستمرة وموحدة حتى ارتفع كيلو "الدجاج" من ثلاثة جنيهات إلى ثمانية ونصف قبل مرض "أنفلونزا الطيور "وكان سيصل إلى ما وصل إليه الآن فى أية أحوال ! وتحولت تلك البؤرة الاحتكارية بدون ضوابط أو تدخل حكومى إلى "القلعة البيضاء" "اللحوم البيضاء" ولم يترك ذلك أصحاب "القلعة الحمراء" "اللحوم الحمراء" فبعد تغطية السوق فى العام الماضى بأعداد فاقت الحاجة الاستهلاكية فكان غصبا عنهم تخفيض الأسعار .. ولكن تعويضها فى العام الذى يليه بتعليمات ببقاء السفن فى خليج "عدن" عدة أيام وحتى نهاية موسم عيد

الأضحى وما ينفق من الخراف يلقى فى البحر الأحمر وتم تنفيذ الخطة الإبليسية "الجهنمية" ونجحت فى احتكار السوق وتصريف اللحوم المخزنة من البرازيل والأرجنتين وبالسعر الذى قرب جدا من سعر اللحوم البلدية !! وفى هذا العام امتنعت أستراليا عن التوريد فى الموسم بعد اكتشافهم أننا نذبح بطريقة وحشية ؟!!ولن أبرئ أصحاب الاحتكار والمصلحة "القلعة الحمراء" ولذا وجب متابعة تلك المؤسسات الخاصة المحتكرة والقضاء عليها إذا أضرت بمصلحة المواطن! .

فى مجال احتكار الاسمنت مثلا وهو خامة محلية والتصنيع محلى والوقود مدعم ومع ذلك ترتفع الأسعار بصورة يومية ومستمرة " فهل يعقل أن الحجر فى الجبل غلا سعره أثناء الليل ونحن نيام " ؟! ويترك ذلك بحجة العرض والطلب وآليات السوق " فأين السياسة الاقتصادية. أو الاقتصاد السياسى " كما ذكرته واعرفه فى بداية البحث؟! .

يجب عدم ترك الأمور تحت وطأة أو حجة المراقبة أو المتابعة عن قرب فى مشكلة " الخبز" وهل تترك حتى يديرها الرئيس بنفسه؟! .. أليس ذلك عيبا علينا جميعا حكومة وأصحاب تخصص ورأى أيضاً ؟! وفى نفس الوقت أعيب اختيار نظرية بعيدة عن النجاح ! وهى فصل الإنتاج عن التوزيع وهى جزء من نظرية علمية تعنى تنظيم العملية إلى أربع مراحل هى الإنتاج . التوزيع . التداول الاستهلاك وهى تؤدى أيضاً إلى زيادة الكلفة نتيجة النقل ومكان البيع والقائمين فيه ثم المراقبة خلال تلك المراحل وتعدد الاحتمالات فى الاستغلال لعدد أكبر من العاملين وليس العدد المحدود الأولي!! .

وكل المطلوب هو رقابة فعالة وعادلة ونشطة وليس استخدام نظريات جديدة " قديمة " لم تطبق أو تنجح من قبل استهلاكا للوقت أو إيحاء بالأمل ويجب توفر المنتج بصورة كافية تغنى عن الاستغلال أو الاحتكار وبقيمة فرق السعر

الدولى والذى تحملته الدولة؟! فأين المشكلة إذن ؟ إنها ليست فى غلاء الأسعار ولكنها الأيادى السوداء وسوء الإدارة والتشخيص الخاطئ أيضاً والأمثلة عديدة ومتشابكة أيضا ومحاولة شراء القمح قبل نضوجه دليل على ذلك وعندما يزيد المعروض نجد صفحات الجرائد ملئت بالتحقيقات حول فائض القمح والفلاح البسيط الذى خسر كل شئ من أجل المحصول الاستراتيجى ويجب على الدولة التدخل للشراء وبالسعر المنصف ولا أجد ذلك غير مخرج لورطة أصحاب الاحتكار.

وما أريده هو استيعاب الغرض والهدف من الوجود الحكومى وليس المراقبة السلبية والمتابعة فقط! .

وفى الحقيقة والصدق ايضاً فإننى أقول كل ذلك بعد نشر الوثائق الأوروبية حول التدخل الأوروبى الأمريكى وباشراف روسى فى أحداث رومانيا لأنها كانت مستهدفة بغرض توحيد أوروبا والتى لا يمكن أن تتم إلا بتوحيد ألمانيا ولا يمكن توحيد ألمانيا إلا بعد هدم رومانيا وبنائها من جديد وفقاً للنظام الأوروبي! ومصر مستهدفة وهذا ليس بالجديد؟

فكيف تم أستهداف رومانيا ؟!!

١ – تم دفع العملاء وأصحاب المصالح للقيام بعمليات قمع للإيحاء بأن رجال الشرطة والحكومة يفعلون ذلك وإن وصل إلى عمليات قتل « وتم ذلك بالفعل» ثم إذاعتها عبر قنوات فضائية ! ! وعمل أفلام مفبركة.

٢ – ازدياد روح الحنق وإشعال الفتنة من خلال إحداث أزمات فى الحياة اليومية والمعيشية.

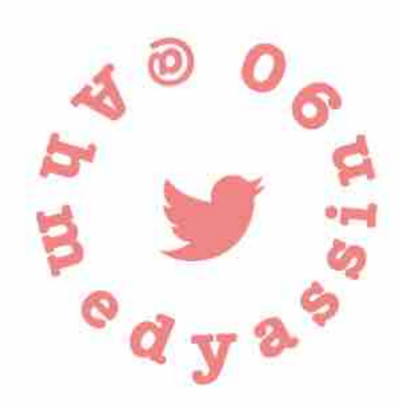
٣ – إذاعة أخبار كاذبة و مفبركة و تضخيمها عن مظاهرات فى عدة مناطق و بعد دفع العملاء باصطناعها للتحريض الشعبي

٤ – تذكية الفتنة بين أطياف المجتمع وفئاته المختلفة وتحريض الفئات ضد بعضها وليس فى اتجاه واحد لتسريع عملية التفاعل أو التصادم ! ! وذلك بتغيير الأولوية من شعبية موحدة إلى مصلحة فئات متعددة بما يؤدى فى النهاية إلى تفكيك روابط وأواصر النسيج الشعبى والاجتماعي ! .

وأخيراً .. ليس ما سبق هو تنبؤ كاتب أو ساحر ولكنه نموذج تم تطبيقه فعلا والحرص من حسن الفطن وهذا التطبيق والنموذج تم فى رومانيا بمعاونة كل فيما يخصه من المخابرات الأمريكية المركزية – المخابرات الفرنسية – المخابرات البريطانية – موافقة روسية « جورباتشوف» و « تشرنوميردين» مع بوش الأب وظهرت وثائقه وملأت الدنيا أخيرا وبغير كسوف أو خجل ولكن بابتسامات باهتة عن ذكريات لمباراة كرة القدم لعبوها وبكل ثقة وفازوا فيها بعدد وافر من الأهداف أو كأنه مقلب تم تدبيره.

البـاب الرابع

روسيـا وأمـريكــا



تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90

الفصل الاول

موجز تاريخ العلاقات الروسية الامريكية

تاريخ العلاقات بين روسيا و الولايات المتحدة فى القرنين ١٨و ١٩

بدأ التجار الروس منذ اواسط القرن السابع عشر بممارسة التجارة بنشاط فى اراضى امريكا الشمالية وفى جزر المحيط الهادئ وشبه جزيرة الاسكا وفى اراضى ولايات كاليفورنيا واوريغون وواشنطن الحالية ، واسسوا مراكز سكنية ومدنا خاصة بهم اطلقت عليها تسمية « امريكا الروسية». وفى عام ١٧٩٩ شيد الكسندر بارانوف رئيس الجاليات الروسية فى امريكا حصنا على جزيرة ارخبيل الكسندر وبنى الى جانبه مدينة نوفوارخانغلسك (مدينة سيتكا حاليا) التى اصبحت فى عام ١٨٠٨ عاصمة المستوطنات الروسية فى القارة الامريكية. جرى اول اتصال روسى – امريكى على ارفع مستوى حين التقى القيصر بطرس الاكبر مع وليام بين مؤسس المستوطنة البريطانية بنسلفانيا فى امريكا فى عام ١٦٩٨ والذى يعتبر فى الواقع احد مؤسسى الدولة التى اصبحت فيما بعد الولايات المتحدة الامريكية. وناقش الارستقراطى البريطانى مع القيصر الروسى فكرة نظام الدولة العادل.

وفى الواقع ساعدت روسيا على ان تكسب الولايات المتحدة الاستقلال حين رفضت تقديم المعونة العسكرية الى بريطانيا من اجل اخماد الانتفاضة التى اندلعت فى عام ١٧٧٥ فى ١٣ مستعمرة بريطانية فى امريكا واعلنت روسيا حيادها لاحقا.

وجرى تبادل السفراء بين الدولتين فى عام ١٨٠٩ . وكان الشاغل الرئيسى للسفراء هو معالجة القضايا المتعلقة بالاساكا والممتلكات الروسية الاخرى فى امريكا والتى تم بيعها فى عام ١٨٦٧ الى الولايات المتحدة. وفى الفترة من ١٨٤٢ الى ١٨٥١ كان المهندسون الامريكيون المستشارين الرئيسيين لمد طريق السكك الحديدية بين موسكو وبطرسبورغ . وشارك الخبراء الامريكيون فى مد اولى خطوط التلغراف فى روسيا.

وفى عام ١٩٠٠ افتتحت الشركة الشرقية - الاسيوية الروسية خط الملاحة لنقل الركاب المنتظم مع القارة الامريكية ، وكانت بواخر هذه الشركة تقوم برحلات فى كل ١٠ ايام فى « خط الملاحة الروسى - الامريكي». وفى اثناء الحرب العالمية الاولى التى بدأت فى عام ١٩١٤ دعمت الولايات المتحدة بلدان انتانتا - تكتل البلدان الذى ضم روسيا ايضا. وبعد قيام ثورة عام ١٩١٧ فى روسيا رفضت الدولة الامريكية الشمالية الاعتراف بحكومة البلاشفة التى استولت على السلطة وقدمت الدعم الى الجيش الابيض الذى حارب السلطة الجديدة بتزويده بالمال والمواد الغذائية. وفى اعوام ١٩١٨ - ١٩٢٠ شاركت القوات الامريكية سوية مع قوات بريطانيا وفرنسا واليابان فى التدخل العسكرى فى شرق وشمال روسيا.

العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى

كانت الولايات المتحدة فى مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين الدولة الكبرى الوحيدة التى لم تعترف بالاتحاد السوفيتى حيث كانت تطلب كشرط مسبق لذلك تسديد جميع الديون وتعويض ارباب الاعمال الامريكيين عن الاضرار التى لحقتهم بنتيجة مصادرة ممتلكاتهم بعد الثورة.ومع ذلك فأن الاهتمام المتبادل فى تنسيق افعال البلدين بسبب توسع العدوان اليابانى فى الشرق الاقصى قد

أدى الى اقامة العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة فى عام ١٩٣٣ . لكن التعاون الاقتصادى السوفيتى – الامريكى بدأ تطوره منذ عام ١٩٢٠ بالرغم من عدم وجود علاقات دبلوماسية بين البلدين.

وقام بوظائف المبعوث السوفيتى والممثل التجارى الفعلى فى امريكا لودفيغ مارتينس الذى أسس « شركة المساعدات الفنية الى روسيا السوفيتية ». وفى عام ١٩٢٣ اصبحت الشركة الامريكية المتحدة «الاميريكو» الممثل التجارى الرئيسى للاتحاد السوفيتى فى الولايات المتحدة الامريكية. وقام رجل الاعمال الامريكى ارمان هامر بتوريد القمح الى الاتحاد السوفيتى مقابل الفرو والكافيار الاسود والنفائس الفنية والمجوهرات. وفى عام ١٩٢٦ جرى بمبادرة منه بناء معمل لصنع الاقلام الرصاص فى الاتحاد السوفيتي. وفى الفترة اللاحقة جرى فى الاتحاد السوفيتى بمشاركته شخصيا بناء مصنع لأنتاج الامونيا (عام ١٩٧٩) وكذلك مد خط انابيب نقل الامونيا» توليياتي– اوديسا». وفى عام ١٩٢٢ قام هامر بدور ممثل شركة « فورد» فى موسكو . علما ان الشركات التى كانت تتعاطى تسويق سيارات الشركة كانت موجودة فى روسيا قبل الثورة. واشترت الحكومة السوفيتية كمية كبيرة من شاحنات وجرارات الشركة وتلقى الاختصاصيون السوفيت التدريب فى مصنع هنرى فورد. وشيد بمساعدة خبراء مصنع « فورد» فى ضواحى مدينة نيجنى – نوفغورود اول مصنع للسيارات فى الاتحاد السوفيتى وهو مصنع تجميع السيارات رقم ١ الذى تحول فيما بعد الى المصنع العملاق «غاز». وفى عام ١٩٣٠ احتل الاتحاد السوفيتى المرتبة الاولى ومن ثم فى عام ١٩٣١ المرتبة الاولى فى استيراد السيارت والمعدات من الولايات المتحدة. لكن واشنطن فرضت القيود المجحفة على الصادرات الى الاتحاد السوفيتى بعد ان اتهمته بالتدخل فى شئونها الداخلية. وجرى فى الولايات المتحدة ايضا شن حملة ضد

الحركة الشيوعية والاشتراكية وفرض الحظر على نشاط المنظمات اليسارية وابعد من البلاد الاشخاص الذين اعتبرتهم السلطات من ذوى الخطر عليها.

التعاون فى فترة الحرب العالمية الثانية

انضم الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة فى اثناء الحرب العالمية الثانية الى الائتلاف المعادى لهتلر. وفور الغزو الالمانى للاتحاد السوفيتى فى يونيو عام ١٩٤١ اعلنت الولايات المتحدة وبريطانيا عن دعمهما للأتحاد السوفيتى واخذتا تقدمان المساعدات

الاقتصادية اليه. واعد فى الولايات المتحدة البرنامج الحكومى « ليند – ليز» الذى قدمت الولايات المتحدة بموجبه المساعدات من ذخيرة ومعدات ومواد غذائية وخامات استراتيجية ومنها مشتقات النفط الى حليفاتها . وكانت قوافل السفن الامريكية والبريطانية تتعرض الى اخطار كبيرة لأن البوارج والغواصات الالمانية كانت تتابعها بنشاط فى البحار والمحيطات. وارسلت من موانئ انجلترا واسكتلندا وايسلندا اجمالا الى ميناء مورمانسك وغيره من الموانئ الشمالية السوفيتية ٤٢ قافلة (٧٢٢ شحنة نقل) وايابا ٣٦ قافلة. ووصلت الى هناك ٦٨٢ سفينة بينما اغرق الالمان ٨٥ سفينة.وعادت ٣١ سفينة الى ميناء المنشأ دون تحقيق هدفها. وبقيت طى الكتمان حتى وقت قريب الخطوط الاخرى لنقل المساعدات مثل تحليق اسراب الطائرات من الاسكا الى تشوكوتكا ومنها الى كراسنويارسك والقوافل البحرية فى المحيط الهادئ والبرية عبر ايران التى احتلت فى اعوام الحرب كليا او جزئيا من قبل القوات البريطانية والسوفيتية. وحصل الاتحاد السوفيتى عبر هذه المسارات على ما يربو على ٧٠ بالمائة من حمولات برنامج « ليند–ليز». وبلغت قيمة الحمولات عبر « ليند–ليز» اجمالا حوالى ٥٠،١ مليار دولار ،

قدم ١١٫٣ مليار دولار منها الى الاتحاد السوفيتي. وجرت مرارا اعادة جدولة حساب الديون عن المساعدات الامريكية اليه ، وبعد تفكك الاتحاد السوفيتى تم تحويلها الى روسيا وقدرت فى عام ٢٠٠٣ بحوالى ١٠٠ مليون دولار. فى ١١ يونيو عام ١٩٤٢ وقعت بواشنطن الاتفاقية السوفيتية –الامريكية حول المبادئ المعتمدة لدى المساعدة المتبادلة فى اثناء الحرب ضد العدوان. وقد أصر الاتحاد السوفيتى على افتتاح «الجبهة الثانية» اى دخول القوات الانجلو– امريكية فى الحرب ضد المانيا فى اوروبا الغربية ، وتم الاتفاق فى اثناء المفاوضات بين الاتحاد السوفيتى وبريطانيا والولايات المتحدة على ان يتم افتتاحها فى اوروبا فى عام ١٩٤٢. اما فى الواقع فان حلفاء الاتحاد السوفيتى قاموا بتأجيل العمليات القتالية فى اوروبا الى اقصى أجل ممكن فى البداية فى عام ١٩٤٣ ومن ثم فى عام ١٩٤٤ . وتم الاتفاق النهائى على افتتاح الجبهة الثانية فى مايو عام ١٩٤٤

فى مؤتمر طهران الذى عقد فى عام ١٩٤٣ وشارك فيه زعماء الاتحاد السوفيتى وبريطانيا والولايات المتحدة. حقا ان الجبهة الثانية افتتحت فقط فى ٦ يونيو عام ١٩٤٤ حين جرى انزال القوات الانجلو–بريطانية فى نورماندى بشمال فرنسا والقوات الامريكية فى جنوب فرنسا فى ١٥ أغسطس. واستمرت الاتصالات على ارفع مستوى بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة فى مؤتمر مالطا (٤ – ١١ فبراير عام ١٩٤٥) ومؤتمر بوتسدام (١٧ يوليو– ٢ أغسطس عام ١٩٤٥)، حيث ثبتت أسس النظام العالمى بعد الحرب.

الحرب الباردة

كان برنارد باروخ مستشار رئيس الولايات المتحدة هو الذى استخدم لاول مرة يوم ١٦ ابريل عام ١٩٤٧مصطلح «الحرب الباردة » الذى كان يعنى المجابهة

العالمية والجيوسياسية والاقتصادية والايديولوجية بين الولايات المتحدة وحلفائها من جهة والاتحاد السوفيتي وحلفائه من جهة اخرى، ويرى الكثير من المؤرخين ان خطاب ونستون تشرشل المشهور – علما انه لم يكن يشغل حينذاك منصب رئيس الوزراء البريطانى – الذى القاه بمدينة فولتن بولاية ميسورى الامريكية والذى طرح فيه فكرة تشكيل حلف عسكرى للدول الانجلوسكسونية بهدف مكافحة الشيوعية العالمية يعتبر البداية الشكلية للحرب الباردة. وبدأت المجابهة فى منتصف الاربعينات من القرن الماضى وانتهت بتفكك الاتحاد السوفيتى فى مطلع التسعينات. وقد اثبت كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى مجالين لنفوذهما بتشكيل الكتلتين السياسيتين العسكريتين، وهما حلف شمال الاطلنطى او الناتو الذى تم تشكيله عام ١٩٤٩ ومنظمة معاهدة وارسو (١٩٥٥ – ١٩٩١). ظهرت أول تناقضات بين الحلفاء فى التحالف المضاد لهتلر فى أعقاب الحرب العالمية الثانية حين خرج الاتحاد السوفيتى من عملية المباحثات لدعمه فكرة وحدة ألمانيا. فيما خشيت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا توسع النفوذ السوفيتى على دول اوروبا، وقامت بدمج مناطق الاحتلال الثلاث فى إلمانيا ضمن منطقة واحدة ودعت الى اجراء الانتخابات هناك وتشكيل حكومة. وفى عام ١٩٤٩ تم اعتماد الدستور فى تلك المناطق. هكذا نشأت جمهورية ألمانيا الاتحادية. وبعد مضى فترة قصيرة تم اعلان جمهورية ألمانيا الديموقراطية فى منطقة الاحتلال السوفيتية. ومنذ ذلك الحين اصبحت ارض البلاد المقسمة حلبة للمواجهة بين المصالح والاستخبارات. ثمة واقعة تعتبر أكثر إثارة، وهى حفر نفق تحت ارض برلين المقسمة الى القسمين السوفيتى والغربى فى عام ١٩٥٣ من قبل عملاء وكالة المخابرات المركزية الامريكية وشركائهم من جهازالاستخبارات البريطانية «إم –٦». وذلك بغية

التصنت على الاتصال الهاتفى العسكرى السوفيتي.

لكن المخابرات السوفيتية (كى جى بي) حصلت على معلومات تكشف عن هذا المشروع، وبدأت بتزويد زملائها الغربيين بمعلومات مزيفة . وفى عام ١٩٥٦ عقدت السلطات السوفيتية مؤتمرا صحفيا كشفت فيه هذه الفضيحة.

أدت الاختلافات الايديولوجية بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بقليل الى حدوث مواجهة حقيقية حيث تنامى الوزن السياسى للأتحاد السوفيتى وظهر عدد كبير من الدول السائرة فى النهج الاشتراكى فى اوروبا الشرقية ومن ثم فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية مما ادى الى تنامى المخاوف فى البلدان الغربية (ولاسيما فى الولايات المتحدة وبريطانيا). وبدأت فى الولايات المتحدة نفسها هستيريا معاداة الشيوعية اى ما يسمى « صيد الاشباح». لكن لم تحدث عمليات عسكرية رسميا بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة. فيما اصبحت النزاعات المسلحة التى اندلعت فى العالم أجمع ميدانا للمواجهة بين الدولتين. وفى اثناء الحرب فى شبه جزيرة كوريا في اعوام ١٩٥٠ - ١٩٥٣ قدم الاتحاد السوفيتى المساعدة العسكرية الى كوريا الشمالية بينما قدمت الولايات المتحدة مساعدتها الى كوريا الجنوبية .الامر الذى ادى فيما بعد الى انقسام البلاد على اساس ايديولوجى والذى لا يزال قائما لحد الآن. ووجدت الولايات المتحدة نفسها بدعمها لحكومة جنوب فيتنام منجرة الى الحرب الاهلية فى هذه البلاد الاسيوية. وكان الاتحاد السوفيتى يقدم المساعدة الى فيتنام الشمالية التى دعمت بدورها حركة المقاومة فى جنوب البلاد التى كانت تواجه الدكتاتورية والاحتلال الاجنبي

أصبحت الحروب العربية الاسرائيلية ايضاً مجالا للصراع بين الاسلحة السوفيتية والامريكية الصنع. وكان الاتحاد السوفيتي يرسل اسلحته الى الدول

العربية ويقوم باعداد الخبراء العسكريين . اما الولايات المتحدة فكانت تمارس السياسة نفسها حيال اسرائيل.

وكان التنافس المستمر بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة يتسبب احيانا فى تغير فى توجهات بعض الدول العربية. وعلى سبيل المثال بدأت مصر بممارسة سياسة الانفتاح بعد الحصول على تعهدات امريكية بتقديم المساعدة لها. وأدت هذه السياسة الى انسحاب المستشارين والخبراء السوفيت من هذا البلد فى منتصف السبعينات. ثمة مثال آخر. فان العراق الذى كان مقرا لمنظمة المعاهدة المركزية المبنية على اساس حلف بغداد صار يميل الى التقارب مع الاتحاد السوفيتى بعد قيام ثورة عام ١٩٥٨ وخروج البلاد من الحلف عام ١٩٥٩ .

اهم ما اتصفت به الحرب الباردة هو سباق التسلح . وبحلول عام ١٩٤٥ صنعت الولايات المتحدة السلاح النووي. فيما حصل عليه الاتحاد السوفيتى فى عام ١٩٤٩ فقط . وبات الجيشان الامريكى والسوفيتى يمتلكان السلاح النووى الحرارى فى عامى ١٩٥٢ و١٩٥٣. كانت كلتا الدولتين تنفقان أموالا طائلة على الصناعة الحربية. وكان يمكن ان تتحول الحرب العالمية الثالثة الى واقع. واصبحت ازمة الكاريبي عام ١٩٦٢ من اكثر الاحداث شهرة حيث كان العالم على وشك وقوع كارثة. وسبقت الازمة واقعتان. اولهما هى ثورة عام ١٩٥٩ فى كوبا والتي اوصلت الى الحكم نظام بدأ يتقارب بعد فترة مع الاتحاد السوفيتي، وثانيهما نشر الولايات المتحدة الصواريخ المتوسطة المدى فى تركيا ، الامر الذى شكل خطرا مباشرا على المدن الواقعة فى غرب الاتحاد السوفيتي، بما فيها موسكو والمراكز الصناعية الكبرى.

وبدأت الازمة فى ١٤ أكتوبر عام ١٩٦٢ حين اكتشفت طائرة استطلاع امريكية فى كوبا الصواريخ المتوسطة المدى السوفيتية الصنع من طراز «ار-١٢»

و«ار-١٤». وفى ٢٢ اكتوبر توجه الرئيس الامريكى جون كنيدى الى الشعب واعلن وجود السلاح الهجومى السوفيتى فى كوبا، مما اسفر عن وقوع ذعر بين سكان الولايات المتحدة. وقامت الولايات المتحدة بفرض الحصار على كوبا. وكانت تناقش آنذاك احتمالات القصف المكثف لهذه البلاد. لم تثر الانذارات الاخيرة التى وجهتها الولايات المتحدة الا استياء الاتحاد السوفيتي. الامر الذى اوصل العالم الى شفير الحرب العالمية الثالثة. وعلى الرغم من ان الجانبين وجدا اخيراً حلاً وسطاً وافق الاتحاد السوفيتى بموجبه على سحب الصواريخ من كوبا مقابل سحب الصواريخ الامريكية من تركيا ، بينت ازمة الكاريبى التى استمرت ٣٨ يوما، الحد الذى يمكن ان تصل اليه البشرية للقضاء على نفسها. وغدا انفراج الازمة منعطفا فى تاريخ الحرب الباردة وبداية للانفراج الدولي.

التعامل فى مجال نزع السلاح

منذ ٣١ اغسطس عام ١٩٦٣ بدأ يعمل خط الاتصال الساخن بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة. وفى عام ١٩٦٣ وقعت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وبريطانيا العظمى معاهدة موسكو لحظر التجارب النووية فى الجو والفضاء الكونى وتحت الماء.

وفى عام ١٩٦٨ وقع كل من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة مع الدول الاخرى معاهدة حظر انتشار السلاح النووي. وفى ٣٠ سبتمبر عام ١٩٧١ تم توقيع الاتفاقية الخاصة باجراءات الحد من خطر نشوب الحرب النووية بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة التي نصت على تقديم إبلاغات عن وقوع حوادث لها علاقة بالسلاح النووى عبر خط الاتصال الساخن. واستمرارا فى ممارسة هذا النهج تم التوقيع فى ٢٢ يونيو عام ١٩٧٣ على اتفاقية درء وقوع الحرب النووية بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة. وأكد الجانبان فى هذه الوثيقة

ان هدف سياستهما هو ازالة خطر الحرب النووية واستخدام السلاح النووي. فى نوفمبر عام ١٩٦٩ بدأت فى هلسنكى اول مباحثات فى تاريخ العلاقات السوفيتية الامريكية حول تقليص الاسلحة الاستراتيجية. وسبقت المباحثات اتصالات سرية أجراها رئيس الوزراء السوفيتى آنذاك الكسى كوسيغين مع قيادة الولايات المتحدة وبصورة خاصة مع روبرت ماكنمارا وزير الدفاع الامريكي. وتقارب موقفا الجانبين اثناء المباحثات، الامر الذى أدى الى توقيع الاتفاقيات السوفيتية الامريكية الاولى فى هذا المجال يوم ٢٦ مايو عام ١٩٧٢ ، وبينها معاهدة الحد من نشر منظومات الدرع الصاروخية والاتفاقية المؤقتة الخاصة ببعض الاجراءات الرامية الى الحد من الاسلحة الاستراتيجية الهجومية.

اتفاقيتا الحد من الاسلحة الاستراتيجية الهجومية -١ و ٢

لم تتضمن اتفاقية الحد من الاسلحة الاستراتيجية الهجومية– ١ بنودا تنص على تقليص الاسلحة الاستراتيجية الهجومية بل نصت على فرض بعض القيود فى هذا المضمار. وضمن تلك القيود تعهد الجانبين بعدم البدء فى انشاء منصات ثابتة للصواريخ البالستية العابرة القارات اعتبارا من ١ يوليو عام ١٩٧٢ ، وكذلك عدم زيادة عدد الغواصات المزودة بالصواريخ البالستية وقواعد اطلاق الصواريخ البالستية الموجودة فى الغواصات .ولم تمنع الاتفاقية استكمال بناء المنصات الثابتة الحديثة والغواصات المزودة بالصواريخ البالستية التى قد بدا صنعها.

وتم تحديد مدة سريان مفعول الاتفاقية المؤقتة ب ٥ سنوات. وبحلول عام ١٩٧٧ قام الجانبان بتمديد مفعول الاتفاقية حتى يونيو عام ١٩٧٩ لعدم اعداد اتفاقية جديدة فى عام ١٩٧٧. وتم فى عام ١٩٧٩ التوقيع على معاهدة الحد من الاسلحة الاستراتيجية الهجومية – ٢.

وكانت هذه المعاهدة اتفاقية من نوع جديد، علما ان كلا الجانبين بدآ بتطوير الصواريخ المزودة برؤوس انشطارية وموجهة ذاتيا. وانتقلت المعاهدة من مجرد التجميد الى تحديد اقصى كمية للاسلحة الاستراتيجية الهجومية، بما فيها الصواريخ المزودة بالرؤوس المنشطرة. والى جانب القيود الكمية فرضت المعاهدة بعض القيود النوعية الهادفة الى كبح عملية تطوير الاسلحة الاستراتيجية.

وكان من المفترض ان يسرى مفعول المعاهدة حتى عام ١٩٨٥. لكن مبررا بذلك رفض فى خريف عام ١٩٧٩ ابرامها الكونغرس الامريكى الذى بذريعة ادخال القوات السوفيتية فى افغانستان فى ديسمبر عام ١٩٧٩ على كل حال تواصل حتى عام ١٩٨٦ سريان مفعول الاتفاق المتبادل حول مراعاة القيود الاساسية الواردة فى معاهدة الحد من الاسلحة الاستراتيجية الهجومية. لكن فى عام ١٩٨٦ بدأت الادارة الامريكية بتطبيق البرنامج الواسع الخاص بتزويد قاذفاتها بصواريخ مجنحة، الامر الذى كان يتعارض مع معاهدة الحد من الاسلحة الاستراتيجية الهجومية ..

بما ان برامج تطوير الاسلحة الاستراتيجية الهجومية صارت تتعارض مع التعهدات الامريكية فضلت الولايات المتحدة التخلى التام عن التعهدات الناجمة عن معاهدتى الحد من الاسلحة الاستراتيجية الهجومية – ١ و٢ .

ان عملية خفض الأسلحة الاستراتيجية الهجومية بدأت فى عام ١٩٩١ بتوقيع معاهدة «ستارت ١». ومن ثم تلت ذلك معاهدة ما يسميها البعض بـ«ستارت ٢» الموقعة فى عام ١٩٩٣ التى لم تكتسب القوة القانونية اللازمة . وفى عام ٢٠٠٢ وقع البلدان اتفاقية للحد من القدرات الاستراتيجية الهجومية حددت عدد الرؤوس النووية الموضوعة قيد المناوبة بـ ١٧٠٠ إلى ٢٢٠٠ رأس لكل طرف. وأتت معاهدة «ستارت « الجديدة التى تم توقيعها فى العاصمة

التشيكية في ٨ ابريل عام ٢٠١٠ لتحل محل معاهدة «ستارت ١» واتفاقية الحد من القدرات الاستراتيجية الهجومية لعام ٢٠٠٢.

معاهدة تقليص الاسلحة الاستراتيجية الهجومية

تدعى المعاهدة الجديدة رسميا بمعاهدة التقليص وتقييد الاسلحة الاستراتيجية الهجومية بين الولايات المتحدة وروسيا الاتحادية. وقد تم وضعها بناء على البيانات الروسية الامريكية المشتركة والوثائق الخاصة بتقليص الاسلحة الاستراتيجية الهجومية التى جاءت محصلة للمحادثات بين الرئيسين الروسى والامريكى فى ١ ابريل عام ٢٠٠٩ فى لندن وفى ٦ يوليو/تموز عام ٢٠٠٩ فى موسكو.

ان هذه المعاهدة عبارة عن حزمة من الوثائق تضم ما يزيد عن ١٦٠ صفحة تحتوى على المعاهدة نفسها بموادها والبروتوكول الذى يحدد طريقة تنفيذها، وكذلك الملحقات بالبروتوكول. ويعتبر البروتوكول والملحقات جزءا لا يتجزأ من المعاهدة لا يقل اهمية عن المعاهدة من حيث صفته القانونية. وتقضى احكام المعاهدة بان يقلص الجانبان اسلحتهما الاستراتيجية الهجومية ويقيدها كيلا تزيد كمياتها الاجمالية بعد مرور ٧ سنوات من سريان مفعول المعاهدة عما يلي:

١ – ٧٠٠ قطعة من الصواريخ البالستية المنشورة العابرة للقارات، والصواريخ البالستية المنصوبة فى الغواصات والقاذفات الثقيلة.

٢ – ١٥٥٠ قطعة من الرؤوس القتالية لها.

٣ – ٨٠٠ قطعة من المنصات المنشورة وغير المنشورة للصواريخ البالستية العابرة للقارات والصواريخ البالستية المنصوبة فى الغواصات والقاذفات الثقيلة.

اذن فان الكمية الاجمالية للرؤوس القتالية تقل بنسبة ٧٤٪ عن الحد الاقصى المحدد للرؤوس الاستراتيجية المنشورة بموجب معاهدة /ستارت – ١/ (٦ آلاف رأس) . كما انها تقل بنسبة ٣٠٪عما هو محدد في معاهدة موسكو لتقليص القدرات الاستراتيجية الهجومية (٢٢٠٠ شحنة). اما كمية الحاملات المنشورة فتقل بمقدار يزيد مرتين عما هو عليه في معاهدة /ستارت – ١/ التي بلغ سقفها ١٦٠٠ حاملة. والجدير بالذكر ان معاهدة موسكو لتقليص القدرات الاستراتيجية الهجومية لا تتضمن اطلاقا اى قيود بالنسبة للحاملات.

وتنص المعاهدة الجديدة على فرض رقابة شديدة على الغواصات والقاذفات التى تمت اعادة تجهيزها لتحمل اسلحة تقليدية، مما يقدم ضمانات حول عدم استخدامها بمثابة حاملة للسلاح النووي. ويسرى مفعول المعاهدة الجديدة على المنظومات الاستراتيجية الامريكية سواء اكانت قيد الاستخدام ام توقف استخدامها فى الجيش ومن بينها الصاروخان « ام اكس بيسكيبير» و «مينيتمن – بي» البالستيان وكذلك الاسلحة الاستراتيجية الهجومية غير النووية فى حال تصميمها وتصنيعها.

خلافا لمعاهدة /ستارت – ١/ فانه يحق لكلا الجانبين ان يحدد بشكل مستقل بنية قواته الاستراتيجية ضمن الحد الاقصى من الكميات التى حددتها المعاهدة.

اما آليات المراقبة فقد تأقلمت للواقع المعاصر. وقد اصبحت ابسط واقل كلفة بالمقارنة مع /ستارت – ١/ مما يؤمن شفافية عملية تقليص الاسلحة الاستراتيجية الهجومية والحيلولة دون العودة الى ما هو عليه فى الماضي. ولا تنص المعاهدة الجديدة على استمرار المراقبة على تصنيع الصواريخ الروسية. وتم تيسير عمليات اعادة تجهيز الاسلحة الاستراتيجية الهجومية وتصفيتها. كما

انها لا تقضى بحضور مراقبين فى اثناء تصفية تلك الاسلحة. وقد اعدت المعاهدة فى ظروف غياب اية قيود خاصة بنشر منظومات الدرع الصاروخية ، علما ان الولايات المتحدة قد خرجت عام ٢٠٠٢ من معاهدة الدرع الصاروخية الموقعة عام ١٩٧٢ وذلك من جانب واحد.

وفى هذا السياق فان روسيا اصرت على ربط الاسلحة الاستراتيجية الهجومية بالاسلحة الاستراتيجية الدفاعية اى الدرع الصاروخية فى المعاهدة .يجب القول ان نص المعاهدة لا يتضمن هذا الربط. لكن ورد الترابط بين الاسلحة الاستراتيجية

الهجومية والدرع الصاروخية والاهمية المتزايدة لهذا الترابط فى عملية تقليص الاسلحة الاستراتيجية الهجومية فى مقدمة المعاهدة التى تحمل ايضا طابعا ملزما قانونيا.

تنص المعاهدة على تأثيرالصواريخ البالستية غير النووية العابرة للقارات والصواريخ البالستية غير النووية المنصوبة فى الغواصات على الاستقرار الاستراتيجي.

وقد ثبتت المعاهدة حظر نشر الاسلحة الاستراتيجية الهجومية خارج اراضى الدولة التى تمتلكها. لكن هذه التعهدات لا تمس حقوق الجانبين ازاء مرور الغواصات وتحليقات الطائرات ودخول الغواصات فى موانئ دول اخرى والتعاون مع دول اخرى، وذلك وفقا لاحكام القانون الدولى المتفق عليها.

وقد تم استحداث آلية خاصة وهى لجنة المشاورات الثنائية وذلك بهدف تأمين حيوية وفاعلية مفعول المعاهدة وحل اية مسائل غامضة تخص تنفيذها.

ويستمر مفعول المعاهدة خلال ١٠ سنوات فى حال اذا لم يتم استبدالها باتفاقية اخرى قبل حلول هذا الموعد. ويمكن ان يتفق الجانبان على تمديد مفعول المعاهدة

لفترة لا تزيد عن ٥ سنوات. سيتم ابرام المعاهدة فى الهيئتين التشريعيتين لكلا البلدين . ويسرى مفعولها ابتداءً من لحظة تبادل مذكرتى الابرام.

قد جاء فى البروتوكول الملحق بالمعاهدة ان روسيا والولايات المتحدة يحق لهما بعد مرور ٦٠ يوما بعد سريان مفعول المعاهدة بالمباشرة بالتفقد والاستمرار فيه لاحقا.

لكن لا يسمح لاى جانب باجرء اكثر من تفقد واحد فى وقت واحد فى اراضى دولة يتم التفقد فيها. يحق لكل من موسكو واشنطن بالخروج من المعاهدة فى حال اذا هددت الامور المتعلقة بها مصالحها. ويبطل مفعول المعاهدة بعد مرور ٣ اشهر اعتبارامن لحظة ابلاغ احد الجانبين جانبا آخر بهذا الشأن. وجا فى الفصل الخامس للبروتوكول الملحق بالمعاهدة ان الجانبين يقومان بتبادل المعلومات التيليمترية بالنسبة لعدد متكافئ لاطلاقات الصواريخ البالستية العابرة للقارات والصواريخ البالستية المنصوبة بالغواصات مع شرط الا يزيد عدد الاطلاقات للصواريخ البالستية العابرة للقارات والصواريخ البالستية المنصوبة بالغواصات عن ٥ اطلاقات خلال سنة واحدة.

وجاء فى المعاهدة ان الجانبين يبحثان مسألة تبادل المعلومات التيليمترية بالنسبة لاطلاقات الصواريخ البالستية العابرة للقارات والصواريخ البالستية المنصوبة بالغواصات كل سنة خلال ٦٥ يوما اعتبارا من بدء السنة الجارية، وذلك بالتركيز الخاص على اطلاقات قد حققت فى السنة الماضية وسيتم تبادل المعلومات التيليمترية بالنسبة اليها.

وفى ختام المناقشة فان الجانبين يتخذان قرارا متفق عليه بالنسبة الى عدد الاطلاقات. ويحدد الجانب الذى يحقق اطلاقات تلك الاطلاقات التي تقدم فيها

المعلومات التيليمترية.

وتحدد شروط تبادل المعلومات التيليمترية فى الملحق الخاص ببروتوكول المعاهدة علما ان المعلومات التيليمترية هى معلومات يتم وضعها على ظهر الصاروخ اثناء تحليقه وذلك بغية معالجتها فيما بعد.

تقضى العاهدة الجديدة بامكانية اتلاف الاسلحة الاستراتيجية الهجومية وجعلها نوعا جديدا من الاسلحة لا تشمله المعاهدة على حد سواء.

وتنص المعاهدة على ان اتلاف الاسلحة الاستراتيجية الهجومية تحقق عن طريق تصفيتها جعلها غير صالحة للاستخدام بحيث يستبعد استغلاله وفقا لوظيفتها الاولية.

وجاء فى البروتوكول انه فى حال اذا تمت اعادة تجهيز منصة للصواريخ البالستية العابرة للقارات او الصواريخ البالستية المنصوبة بالغواصات لتستخدم كمنصة من نوع آخر فانها توصف بمثابة منصة لذلك النوع الذى تم تحويلها اليه.

فى حال جعل منصة للصواريخ البالستية العابرة للقارات او الصواريخ البالستية المنصوبة بالغواصات او القاذفة الثقيلة غير صالحة لاطلاق الصواريخ البالستية العابرة للقارات او الصواريخ البالستية المنصوبة بالغواصات او القاذفات الثقيلة وتأكيد جانب آخر على نتائج اعادة تجهيزها فان هذا السلاح الاستراتيجى الهجومى لا يحسب ضمن الكميات الاجمالية المسموح بها فى المعاهدة . وقد يستخدم لاغراض لا تتعارض مع المعاهدة.

فى حال اذا قرر احد الجانبين باعادة التجهيز او الاتلاف لهذا النوع من الاسلحة الاستراتيجية الهوجومية او ذاك فيتوجب عليه ابلاغ جانب آخر بهذا الشأن واستعراض ما تبقى من السلاح له.

وعلى سبيل المثال فبعد اتلاف الصواريخ البالستية العابرة للقارات العاملة بالوقود الجاف والصواريخ البالستية العاملة بالوقود الجاف والمنصوبة بالغواصات تجرى مراقبتها خلال ٦٠ يوما باستخدام وسائل المراقبة القومية. اما الجانب المبلغ حول الاتلاف فيحق له بتفقد الصواريخ البالستية العابرة للقارات العاملة بالوقود الجاف والصواريخ البالستية العاملة بالوقود الجاف والمنصوبة بالغواصات التى قد تم اتلافها. وفى ختام عملية الاتلاف فان حاويات الصواريخ البالستية العابرة للقارات والصواريخ البالستية المنصوبة بالغواصات قد ستخدم لاغراض لا تتعارض مع المعاهدة بشرط الا يسلم الى جانب آخر.

لدى اتلاف الصواريخ البالستية العابرة للقارات المنصوبة فى المنصات الثابتة تبقى منصاتها مفتوحة للمراقبة خلال ٦٠ يوما بعد تقديم معلومات انجاز الاتلاف.

اما الغواصة التي يتم فيها اتلاف الصواريخ البالستية المنصوبة فيها فتبقى مفتوحة للمراقبة من قبل الوسائل التقنية للجانب الآخر خلال ٦٠ يوما بعد تقديم معلومات انجاز الاتلاف.

ان اعادة تجهيز منصة للصواريخ البالستية المنصوبة بالغواصة تستبعد استخدامها بمثابة منصة اطلاق الصواريخ البالستية .

وفى ختام عملية اعادة التجهيز فان الجانب الذى تلقى ابلاغا حول ذلك يحق له بتفقد منصة الصواريخ البالستية المنصوبة بالغواصة خلال فترة ٣٠ يوما اعتبارا من لحظة تلقى ابلاغ بهذا الشأن. فى حال اتلاف قاذفة ثقيلة فانها تبقى مفتوحة للمراقبة من قبل وسائل المراقبة التقنية المتوفرة لدى جانب آخر، وذلك

خلال ٦٠ يوما اعتبارا من تلقى ابلاغ بهذا الشأن.

الدرع الصاروخية

منعت معاهدة الحد من الدرع الصاروخية الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة من نشرمنظومات الدفاع الصاروخي على اراضى البلاد كلها او إنشاء اساس لها باستثناء منطقتين للدفاع المضاد للصواريخ لا يزيد قطرهما عن ١٥٠ كيلومترا(وفى عام ١٩٧٤ تم ادراج تعديل يسمح بوجود منطقة واحدة فقط). ثمة شرط هام آخر وهو حظرانشاء وتجربة ونشر منظومات الدرع الصاروخية اوعناصرها المرابطة فى البحر والجو والفضاء الكونى او المتحركة على الارض.

فى عام ١٩٨٣ أعلن الرئيس الامريكى رونالد ريغان قراره بالبدء فى تصميم الدرع الصاروخية الواسعة النطاق التى ترابط بعض عناصرها فى الفضاء الكونى او بالاحرى المبادرة الدفاعية الاستراتيجية . ووصف الاتحاد السوفيتى هذه الخطوة بانها خرق احادى الجانب لمعاهدة الدرع الصاروخية. اما الجانب الامريكى فبدأ يبحث فى المعاهدة ثغرات تبرر أعماله.. واستمرت النقاشات حول هذا الموضوع عدة سنوات، مما ادى فى آخر المطاف الى الاستغناء عن المبادرة الدفاعية الاستراتيجية.

وفى ١٣ ديسمبر عام ٢٠٠١ اعلن الرئيس الامريكى جورج بوش الابن قرار بلاده بالخروج من معاهدة الدرع الصاروخية من جانب واحد. وبعد مضى ٦ اشهر اى فى ١٣ يونيو عام ٢٠٠٢ انتهى مفعول معاهدة الدرع الصاروخية.. وفى القرن الحادى والعشرين وجد موضوع الدرع الصاروخية استمرارا له وتحول الى اكثر المواضيع ازعاجا فى اجندة المباحثات الروسية الامريكية.

فى اواخر عام ٢٠٠٦ اتخذت ادارة بوش قرارا بنشر ١٠ صواريخ اعتراضية

فى بولندا ومحطة رادارية فى تشيكيا بصفتها عناصر للمنطقة العمليتية الثالثة الخاصة بالدرع الصاروخية الامريكية وتوصلت ادارة بوش الى اتفاق بهذا الشأن مع كل من حكومتى بولندا وتشيكيا.

هذا وأعلن الرئيس الأمريكى باراك أوباما فى مؤتمر صحفى عقده فى واشنطن يوم ١٧ سبتمبر عام ٢٠٠٩ قرار واشنطن بالتخلى عن خططها بشأن نشر عناصر الدرع الصاروخية فى شرق أوروبا. قال إن البيت الأبيض يعتبر أن إيران ليست قادرة فى الوقت الحاضر على إطلاق صواريخ متوسطة وطويلة المدى. وأضاف أن الولايات المتحدة ستواصل العمل على إقامة منظومة دفاعية تقوم على أساس التكنولوجيات الأكثر تقدما وفعالية ستعزز الأمن الأمريكي.

وأكد باراك أوباما أن الإدارة الأمريكية أخذت فى الاعتبار مصالح روسيا فى قضية نشر الدرع الصاروخية الأمريكية فى شرق أوروبا.

كما قال الرئيس الأمريكى إن واشنطن ترحب باستعداد روسيا للتعاون مع الولايات المتحدة فى مجال الدفاع المضاد للصواريخ. وأكد أوباما أن الخطة الأمريكية فى هذا المجال ليست موجهة ضد روسيا، وتهدف إلى تحييد الخطر الإيرانى فقط.

من جهة اخرى أعلن وزير الدفاع الامريكى روبرت غيتس ان الولايات المتحدة تنوى تشكيل بنية جديدة للدرع الصاروخية، ستكون اكثر فاعلية وستحمى أوروبا كلها.

واعلن غيتس انه لا داعى لنشر عناصر الدرع الصاروخية الامريكية فى بلندا وتشيكيا. واعاد وزير الدفاع الامريكى الى الاذهان انه كان من المقرراولا نشر ١٠ صواريخ اعتراضية فى بولندا ومحطة رادارية فى تشيكيا. وقال: « لكننا توصلنا الى استنتاجات محددة. وبعد ان ادرجنا عام ٢٠٠٦ تعديلات فى الخطة ادركنا

ان خطر الهجوم من جانب ايران باستخدام الصواريخ المتوسطة والقصيرة المدى ليس بتلك الدرجة من الاحتمال التى توقعناها فى البداية».

واضاف غيتس قائلا: « من جهة اخرى فان وسائل الاستطلاع التابعة لنا بينت ان امكانات ايران فى استخدام الصواريخ البالستية العابرة للقارات اقل احتمالا من توقعاتنا. وقد حققنا تقدما ملموسا خلال السنوات التالية فى اعتراض الصواريخ القصيرة والمتوسطة المدى والصواريخ البالستية العابرة القارات. وتسمح لنا هذه الامكانات بتحقيق اعتراض الصواريخ فى اية مرحلة من تحليقها».

وصرح غيتس أن بلاده تعتزم إرسال سفن عسكرية مزودة بصواريخ اعتراضية إلى سواحل أوروبا، مشيرا إلى «أن لدى الولايات المتحدة حاليا امكانية لنشر صواريخ اعتراضية فى قواعد بحرية فى شمال وجنوب أوروبا، مما يؤمن دفاعاً صاروخياً أكثر فعالية ضد التهديدات القادمة من ايران والدول أخرى».

وفى هذا السياق قال نائب رئيس هيئة الأركان المشتركة للجيش الأمريكى الجنرال جيمس كارترايت إن البنتاغون يخطط لنشر محطة الرادار فى منطقة القوقاز بدلا من التشيك، وذلك فى إطار إنشاء هيكل جديد لنشر منظومة الدرع الصاروخية الأمريكية فى أوروبا. وجاء تصريح كارترايت هذا فى مؤتمر صحفى مشترك مع وزير الدفاع الأمريكى روبرت غيتس.عقد يوم ١٧ سبتمبر عام ٢٠٠٩ فى واشنطن. وأضاف كارترايت أن ٣ سفن حربية أمريكية موجودة فى البحر المتوسط وبحر الشمال ستدافع عن الولايات المتحدة وحلفائه قبل إنشاء منظومة الدرع الصاروخية الجديدة.

هذا وصادق الرئيس الامريكى باراك اوباما على توصيات وزير الدفاع روبرت غيتس ولجنة الاركان حول الموقف المرن المتعدد المراحل من الدرع الصاروخية فى اوروبا، الذى ينطلق من تقييم الخطر الصاروخى الايرانى واستخدام التكنولوجيات الاقتصادية

والفعالة. وتم تأكيد ذلك فى مذكرة اصدرها البيت الابيض يوم ١٧ سبتمبر عام ٢٠٠٩ بصدد بيان رئيس الادارة الامريكية. وجاء فى المذكرة ان الخطط السابقة الخاصة بنشر عناصر الدرع الصاروخية الامريكية فى بولندا وتشيكيا لن يتم تفعيلها. وبموجب المذكرة فان الموقف الامريكى الجديد من الدرع الصاروخية الاوروبية يضم ٤ مراحل.

ومن المقرر ان تنشر فى المرحلة الاولى، اى قبل عام ٢٠١١ المنظومات الحالية والمختبرة للدفاع المضاد للصواريخ، بما فيها منظومة «Aegis Weapon System" البحرية والصواريخ الاعتراضية "SM-٣ " (كتلة ١ اي")، بالاضافة الى محطة رادارية متحركة. والهدف من ذلك هو الرد على الاخطار الصاروخية الاقليمية لاوروبا وافراد القوات الامريكية المرابطة هناك واعضاء عائلاتهم."

وتقضى المرحلة الثانية، اى حتى عام ٢٠١٥ بنشرالنموذج المطور للصاروخ الاعتراضى SM-٣ " (كتلة ١ بي") بريا وبحريا، بالاضافة الى تفعيل العدادات الاكثر تطورا. والهدف من ذلك هو توسيع المنطقة المحمية من الصواريخ القصيرة والمتوسطة المدى.

فيما تقضى المرحلة الثالثة، اى حتى عام ٢٠١٨ بنشر صواريخ SM-٣ " (كتلة ٢ اي") المطورة مجددا والتى يجرى حاليا العمل على تصميمها، والتى ستنشر على سفن القوات البحرية الامريكية وفى ٣ منطاق على اقل تقدير.

اما المرحلة المرحلة الرابعة تقضى اى حتى عام ٢٠٢٠ بجعل الصواريخ الاعتراضية الجديدة SM-٣ "(كتلة ٢ بي") تواجه اخطار الصواريخ القصيرة والمتوسطة المدى الى جانب الصواريخ البالستية العابرة للقارات. وتعليقا على تصريحات أوباما، اعلن الرئيس الروسى دميترى مدفيديف يوم ١٧

سبتمبر عام ٢٠٠٩ ان روسيا تثمن اعلان الرئيس باراك اوباما حول تعديل مواقف الولايات المتحدة الامريكية من مسألة الدرع الصاروخية وتعتبر ان لدى الدولتين امكانيات جيدة للعمل المشترك بهذه المسألة. وقال مدفيديف "لقد ناقشت هذه المسألة مع رئيس الولايات المتحدة الامريكية خلال لقاءاتنا فى لندن وموسكو، حيث اتفقنا واشرنا فى تصريحاتنا المشتركة ان روسيا والولايات المتحدة ستسعيان للعمل المشترك بصدد تقييم اخطار الانتشار الصاروخى فى العالم".

واكد الرئيس الروسى ان ما تم الاعلان عنه هذا اليوم فى واشنطن يدل على ان ثمة ضروفا جيدة تتوفر الان لهذا العمل" مشيرا الى انه "من الطبيعى انه ستكون هناك استشارات للخبراء حول الموضوع، وان بلدنا جاهز لذلك". واكد الرئيس الروسى "اننا نثمن الخطوة المسؤولة لرئيس الولايات المتحدة الامريكية الهادفة الى تفعيل اتفاقاتنا. وانا على استعداد لمواصلة الحوار".

اتفاقيات اخرى فى موضوع الحد من الاسلحة

فى اكتوبر عام ١٩٨٠ بدأ الوفدان الروسى والامريكى المباحثات حول الحد من الاسلحة النووية فى اوروبا. لكن الولايات المتحدة بدأت عام ١٩٨٣ فى نشر صواريخ جديدة فى اوروبا ، الامر الذى حمل الوفد السوفيتى على مغادرة جنيف. وبدأت المرحلة التالية للمباحثات فى موضوع الاسلحة النووية والفضائية فى شهر مارس بجنيف.

وفى عام ١٩٩١ تم اعداد وعقد معاهدة التقليص والحد من الاسلحة الاستراتيجية الهجومية – ستارت ١– (المزيد من التفاصيل فى موقعنا). وفى عام ١٩٨٧ تم توقيع معاهدة القضاء على الصواريخ السوفيتية والامريكية المتوسطة والقصيرة المدى . وتعهد الجانبان بموجب هذه المعاهدة بتصفية

صواريخهما المتوسطة والقصيرة المدى – من ٥٠٠ كم الى ٥٥٠٠ كم – وعدم امتلاك تلك الصواريخ مستقبلا. وقد نفذ الجانبان تماما وفى المواعيد المحددة التزاماتهما، علما ان الجانب السوفيتى قام بتصفية ١٨٤٦ مجمعا صاروخيا. اما الجانب الامريكى فقام بتصفية ٨٤٦ مجمعا صاروخيا.

وتم توقيع معاهدة التقليص الاضافى والحد من الاسلحة الاستراتيجية الهجومية (ستارت –٢) فى عام ١٩٩٣ وبالاضافة الى ذلك، فثمة عدد من الاتفاقات الروسية الامريكية التي تخص قضايا خفض الخطر النووى وبينها اتفاقية الابلاغ عن اطلاق الصواريخ البالستية

العابرة القارات الارضية، والصواريخ البالستية المرابطة فى الغواصات عام ١٩٨٨ ، واتفاقية إنشاء مراكز التخفيض من الخطر النووى عام ١٩٨٧ ، واتفاقية التعاون فى مجال الجرد والرقابة على المواد النووية والوقاية منها عام ١٩٩٩ والتي تخص مسائل المعاملة الآمنة للمواد الاشعاعية. والى جانب الاتفاقيات الثنائية الروسية الامريكية هناك عدد من المعاهدات المتعددة الجوانب فى مجال الحد من السلاح النووي، وبينها معاهدة الحظر الشامل للتجارب النووية الموقعة عام ١٩٩٦ . وفى عام ١٩٨٨ ضمت البنية التنظيمة الخاصة باتفاقيات نزع السلاح مؤسسات جديدة، بينها مركزا التخفيض من الخطر النووى الوطنيان فى كل من موسكو وواشنطن ومؤسسات الرقابة على تنفيذ الاتفاقيات، وتحقيق زيارات تفقدية.

ويقام مركز موسكو الوطنى الذى اسس على قاعدة وزارة الدفاع الروسية بتنفيذ المهام الثلاث المذكورة اعلاه. اما الولايات المتحدة فان تنفيذ هذه المهام يعود الى مؤسستين، وهما المركز الوطنى لدى وزارة الخارجية الامريكية ووكالة الرقابة والتفقد لدى وزارة الدفاع.

الفصل الثانى

روسيا بعيون أمريكية

وددت دوماً أن أرى روسيا بعيون أمريكية وذلك لأهمية المراقبة بين تلك القوى العظمى وتأثير ذلك على الكرة الأرضية وحتى لا يسبح الواهمون بقدرتهم على تحويل موقف أحدهما نحو بغيته ومصالحه الخاصة ببعض الحزم الاغرائية التافهة فى مراهقة سياسية صبيانية لا تتعدى ذلك بحال من الأحوال وذلك بعد نشر كتاب هام فى فرنسا حول الصراع النووى والصراع النووى المضاد بين روسيا وأمريكا ورغم إغراق الكتاب فى التقنيات الهامة والنواحى الفنية التى لا تفيد إلا الباحثين والعلماء إلا أنه كان يكفينى عنوان الكتاب لأدرك خطورته وأهميته البالغة وهذا الكتاب كان من تأليف " بيير جالوا " فى محتوى الولايات المتحدة وأوروبا وحرب النجوم ؟! وخلاصة ما خرجت به أن الحرب النووية لن تستغرق أكثر من مائة ثانية وهو العنوان الرئيسى للكتاب " حرب المائة ثانية " والنقطة الهامة (والتى كنت اعتقدها هامة جداً) هى لحظة دخول المفتش الأمريكى لقاعدة صواريخ روسية تحت أعماق الأرض بعد الأتفاق فى اتفاقية الحد من الأسلحة النووية على مبدأ التفتيش المتبادل والمباشر بينهما ووصف لحظات رؤية المفتش الأمريكى كما وصفها عند رؤية لوحة (خريطة) مثبت عليها الولايات الأمريكية بلمبات ضوئية تعنى إمكانية وصول الصواريخ الروسية إليها ؟! ولاشك أنها لحظة هامة لمحلل سياسى ليرى وقع وتأثير الواقع عند ملامسة الاستراتيجيين للواقع على الأرض وأمام العين المجردة ليرى من المحتم والواجب بداخله أن يفكر ألف مرة عند اتخاذ قرار هجومى أو حتى هجومى

مضاد لتدمير الجنس البشرى وكيف أن أى ثمن هو ضئيل جداً أمام ذلك وكنت أعتقد ذلك ؟! ولكن بعد المزيد من التحليل العقلانى والمتأنى وجدت أن هذه اللحظة غير كافية من الناحية العلمية والرؤية التحليلية والسبب فى ذلك أنه كان يجب اختيار لحظة الرؤيا مجردة وبهدوء وبعيداً عن أى مؤثرات خارجية أو أزمة طاحنة يبحث فيها كل طرف عن الخروج منتصراً فى هذه الأزمة أى أن لحظة الرؤية محصورة ومقيدة بزمن وتأثير وقع الأزمة ؟ ومن هنا وجدت وجوب البحث حول نظرة أمريكية هادئة أشبه باللوحة الزيتية التى تبقى أمام العين لفترات زمنية طويلة وكلما أمعنت النظر إليها زادت قيمتها وقيمة اللوحة ايضاً ؟! ! وما بين البحث ومشقته وجدت ضالتى فى النظرة التحليلية الهادئة (والتى تشبه النظرة إلى اللوحة الزيتية) وليس النظرة عبر لقطة فوتجرافيه تعنى قيمة اللحظة فى زمن ومضة الكاميرا ؟! أو أشبه بخبر فى جريدة يختلف فى الوضع والتقييم عن دراسة مرجع أو كتاب حول ذات الموضوع نفسه ووجدت كل ذلك فى مرجع قيم تتوافر فيه كل الشروط والمزايا التى كنت أريدها ؟! وكان ذلك فى كتاب " ثلاث سنوات فى موسكو " والذى كتبه " ولتر بيدل سميث " سفير أمريكا السابق فى " موسكو "وترجع أهمية الكتاب فى زمن كتابته أو ذكر أحداثه وكيف تم اختياره ؟! وأهمية الزمن فى أنه أول تعامل دبلوماسى أمريكى روسى هادئ بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ؟! وأهمية الاختيار للشخصية التى ستقوم بذلك ؟! وهذا ما أغرانى بالعرض والتحليل والاكتفاء بهذه اللحظة لأن أغلب المحللين والكتب المرجعية يكون التركيز والبداية فيها دائماً ما يكون حول الحرب الباردة والصراع القطبى والذى انتهى بجلوس الولايات المتحدة على قمة العالم ؟! بإمبراطورية ذات قطبية واحدة ؟! ! ولك عزيزى القارئ أن تخرج بما تريد وما تراه من رؤية فى لقطتين متتابعتين وهما لحظة وطريقة

الاختيار ثم اللقاء الأول على أرض الواقع بين كاتب الكتاب وهو " ولتر بيدل سميث " أول سفير لأمريكا فى روسيا بعد الحرب العالمية الثانية ثم النظرة التحليلية والرؤية الأمريكية " لروسيا" بعدها ؟! أو كما أرى " روسيا بعيون أمريكية " .

أولاً : الاختيار ؟ :

من الضرورى قبل الوصول إلى نقطة الاختيار الإشارة إلى رؤية أمريكية مسبقة كانت شبه قاعدة نظرية فى خلفية الفكر الأمريكى وهى من رسالة لوزير أمريكا فى روسيا (وهو ما يشبه حالياً منصب سفير فوق العادة) وهى مؤرخة (لاحظ عزيزى القارئ تاريخ الرسالة ؟!) فهى بتاريخ ٢٧ يناير سنه ١٨٥٣ ... وهى تقول « لقد رأى بعض من أسلافى أنه من المفيد أن يشيروا إلى المؤهلات والميزات التى ينبغى أن تتوفر فى الوزير الأمريكى لدى روسيا (السفير فوق العادة) والتى حسب تقديرهم تحقق أعظم النتائج ... وإننى إذ أحاول ذلك الآن فليس هذا بدافع من الفضول وإنما لكى أعطى فقط ثمار تجاربى ومشاهداتى مهما يكن الأمر بالنسبة لقيمتها .. وفى اعتقادى أن سفير الولايات المتحدة الأمريكية خاصة فى هذا الوقت (١٨٥٣م) ينبغى أن يكون عسكرياً بمعنى أن يكون قد أشترك فى العمليات الحربية فعلاً .. وأن يكون ذا قدره على التمسك بمطالبة .. ولست أقول بهذا لمجرد مظهر الخيلاء الذى يتبدى فى الزى العسكرى .. ولكن لأن حكومة روسيا إنما هى حكومة عسكرية ولا جدال إذن فى أن سفيراً ذا معلومات عسكرية محترمه وذا سمعه طيبه يكون أقوى بكثير منه لو كان مدنياً .. فإن الدوافع العادية لتعيين عسكرى لتزداد قيمتها فى تقديرى بسبب الوضع الحاضر فى روسيا وبسبب طموحاتها ... فتأثيرها على بقية أوروبا لا يقاوم .. خاصة فى الولايات الألمانية .. ويرجع سر تأثيرها هذا وسطوتها إلى قوتها

وروحها العسكريتين الهائلتين واللتين يساعدهما جهاز دبلوماسى قد لا يكون له نظير .. وفى إيجاز .. أود أن أقول إن روسيا قوة من الضرورى أن تتواءم معها بكل الوسائل المشرفة .. ومن بين هذه الوسائل الميزات اللائقة فى سفيرنا إليها والتى هى بالتأكيد أرخص ما هو مطلوب من حكومتنا (مؤرخه فى ٢٧ يناير سنة ١٨٥٣ ؟!!) .

فى الخامس من يناير سنة ١٩٤٦ :

يقول « ولتر بيدل سميث « عدت فى الخامس من يناير سنة ١٩٤٦ إلى وزارة الحرب حيث توليت أمر قسم العمليات والخطط لأركان الحرب .. وكان هذا العلم هو الذى أرنو إليه فقد أعاد شملى مع زوجتى فأنشأنا لنا منزلاً فى واشنطن بعد غيبه مستمرة تقريباً لأكثر من أربعة أعوام ... على أننى ما كدت ابدأ عملى من جديد حتى دق التليفون ذات يوم على مكتبى وأخبرتنى سكرتيرتى بأن المتحدث هو « جيمس بيزتز « وزير الخارجية وقد طلب منى الوزير أن أوافيه إلى مكتبه .. وبدون مقدمات .. نفذ إلى الموضوع فوراً .. فقال لى أنه يرغب فى أن أذهب إلى « موسكو « سفيراً لأمريكا هناك ، كما قال لى أنه تكلم فى ذلك مع الرئيس ترومان وحصل على موافقته ثم ذكر لى أن فكرته كانت أصلاً أن أعين أولاً فى وظيفة دبلوماسية أخرى فى إحدى السفارات الأمريكية بأوروبا لفترة وجيزة أكتسب فيها المران الدبلوماسى المبدئى ... ولكن الموقف تغير نظراً لأن السفير الأمريكى السابق « إفيريل هاريمان « الذى ظل فى « موسكو « منذ أكتوبر عام ١٩٤٣ والذى وقعت مدته هناك كلها خلال أيام الحرب الطويلة المضنية قد عين فى « لندن « وأن الحاجة ماسة إلى تواجده هناك فى الحال ... وليس من المرغوب فيه أن يبقى المكان فى « موسكو « خالياً لمدة طويلة .. وقد اتفق مع الرئيس على أن فى هذه الأونه يجب أن يرأس البعثة الأمريكية فى « موسكو«

رجل يعرف الروسيون عنه على الأقل سمعته الطيبة ولا يترددون فى قبوله بحكم استعداده للتحدث معهم بصراحة وأمانة .. وأشار الوزير إلى حقيقة بأن السفراء الأمريكيين إلى موسكو فى العادة مدنيين وأنه نادراً ما كانوا عسكريين .. وفى هذه الحالة الأخيرة كانوا عادة من الضباط المتقاعدين .. ولكن بالنسبة لى قال إنه ليس ضرورياً أن أترك « خط عملى » فى الجيش ؟!!

فالحكومة ستطلب من الكونجرس الموافقة على قانون خاص يبيح لى الاحتفاظ بدرجتى الوظيفية فى الجيش بينما أنا فى وظيفتى بوزارة الخارجية .. ثم قال الوزير إنه يؤمن بأن وجود رجل عسكرى كسفير لأمريكا فى موسكو سيكون ميزه حقيقية .. ذلك أن المارشال « ستالين » قد أظهر عدة مناسبات نوعاً من عدم الثقة فى الدبلوماسيين المدنيين الذين تدرجوا فى السلك الدبلوماسى .. بينما أظهر نوعاً من التفضيل للرجال العسكريين كدبلوماسيين وقال الوزير أكثر من ذلك أنه والرئيس « ترومان » يعتقدان بأن قواد الميدان الروسيين المظفرين الذين كانوا شبه مؤهلين خلال الحرب والذين لم يكونوا يخضعون للرقابة السياسية التى كان فرضها أمراً مألوفاً على جميع رتب الجيش الروسى قبل وخلال المراحل الأولى للحرب .. سوف يستمر نفوذهم الفعال على السياسة الروسية وربما على العلاقات الخارجية أيضاً .. وقد تعلم هؤلاء القواد الروس بعض الشيء من الغرب نتيجة لتجاربهم خارج الاتحاد السوفيتى وأدركوا – وهو ما كان مأمولاً – الضرورة الدائمة للتعاون مع الحلفاء ولا ريب أن صلتى السابقة بهم قد تعيين على إزالة الغشاء الصلب الذى بدأ يتكون على سطح موقف الاتحاد السوفيتى تجاه الغرب .. فضابط خدم فى أوروبا من الممكن أن تكون فرصته مواتية أكثر لكى « يدخل » تحت الجلد الروسى فى هذه المرحلة الحالية من العلاقات الدولية ويحصل على إجابات صريحة على الأسئلة الكثيرة التى بدأنا نضيق بسببها .. ونصحنى الجنرال « إيزنهاور » بأن أعطى نفسى عاماً أو عاماً ونصف لأحاول « إزالة

الغشاء « على حد تعبيره فإذا لم أنجح كان على أن أدع مكانى لغيرى يحاول النجاح فيما لم أنجح فيه .. وقال إنه على أى الحالات ينبغى أن لا أبقى فى « موسكو « أكثر من عامين وبدا لى أن فى هذا الرأى حسماً للأمر فأبلغت وزير الخارجية بقبولى المنصب .. وكان الرأى لرجال وزارة الخارجية أن الحكومة الروسية تدرك جيداً أنه فى الإمكان رغم « عدم وجود تعاون حقيقى « أن يتحقق استقرار معقول بين الدول الكبرى لعشرات السنين وذلك بأن تحتفظ بتوازن معقول فى القوى بينهما وبأن تدرك إدراكاً واقعياً المصالح المشتركة الحيوية بينهما .. وأمنت بأن أول عمل أساسى يجب أن يعمل هو محاولة إعادة الثقة والتفاهم بين البلدين .. والنتيجة طبعاً فى طيات المستقبل والطريقة الوحيدة لمعرفتها هى فى أن أذهب وأرى وأحاول .. كان هذا هو شعورى وأنا أتأهب لمغادرة « واشنطن « إلى « موسكو « ...

رؤية مبدئية فى العمق أيضاً :

ذهب « ولتر بيدل سميث « إلى « موسكو « ولديه رؤية مبدئية مسبقة وثانية أيضاً (إضافة إلى الأولى) وهى « لا يمكن لروسيا أن تفاخر باختراع ميكانيكى واحد صنعته فى بلادها أو قلدته من الخارج .. فكل ما يملك الروس مستعار ماعدا جوهم البيئى و حتى هذا يدفعون فيه نسبة فظيعة من الربا الفاحش لحمايتهم من شتائه و عوزه .. إنهم يدخلون معاركهم برأس مال مقترض .. ويحصلن على القروض ليمدوا سككهم الحديدية وأحسن سفنهم الصغيرة مصنوعة فى إنجلترا و الولايات المتحدة وكل فنونهم وحرفهم بالرغم من كونها متقنة وبالرغم من كونهم يبذلون فيها نشاطاً حميداً ويحققون فيها درجة طيبة من النجاح إلا أنها محصول نبوغ الأجنبى ونسخ ثانية من اختراعات واكتشافات أناس أفضل منهم .. وعندى أنه لا يوجد شعب أكثر حاجة إلى الأجانب من شعب روسيا ثم لا يوجد شعب يحسد الأجانب مثل شعب روسيا .. (لاحظ

عزيزى القارئ التاريخ أيضاً) فهى من رسالة لمستر " نيل براون سفير أمريكا المفوض فى روسيا) مؤرخة فى السادس من نوفمبر سنة ١٨٥١ ... "

اللقاء الحاسم والرؤية الحقيقية :

يقول « ولتر بيدل سميث » ولم أكن أستطيع ممارسة عملى فعلاً كسفير فى « موسكو » إلا بعد تقديم أوراق اعتمادى إلى رئيس الدولة ... الأمر الذى لم يكن ممكناً ترتيبه قبل نحو أسبوع .. وبينما يعتبر العالم المارشال « ستالين » رئيساً للدولة السوفيتية فإن اللقب الذى يحمله قانونياً « نيكولا شفرنيك » رئيس مجلس السوفيتى الأعلى الذى يعتبر من الوجهة النظرية الهيئة العليا الحاكمة للاتحاد السوفيتى وطبعا «ستالين » هو صاحب السلطان الحقيقى غير أن لقبه هو رئيس مجلس الوزراء أو بالاصطلاح العرفى رئيس الوزراء .. وكانت حفلة تقديم أوراق اعتمادى وكان ينتظرنا حجرة الاستقبال الرئيس « نيكولا شفرنيك » (ستالين) ومعه عدد من موظفى وزارة الخارجية ورئيس البروتوكول مع مساعديه وترجمانه فتحادثنا قصيراً ودون رسميات لمدة دقائق دخل بعدها الرئيس « شفرنيك » (ستالين) الى الحجرة وبعد أن قدمت إليه ناولته خطاب التصديق الرسمى المعتاد وأوراق الاعتماد وهى شبيهه فى كلمتها إلى رئيس أى دوله كما أنها تتبع صيغة دبلوماسية قديمة ثم أخذت أقرأ :

هارى . سى . ترومان : رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

إلى صاحب السعادة : رئيس المجلس الأعلى لإتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية صديقى العزيز الفاضل : لقد اخترت والتر بيدل سميث المواطن الأمريكى الممتاز ليقيم بجوار حكومة سعادتكم بصفة سفير فوق العادة ومطلق التفويض من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وهو كامل الأحاطه بالمصالح المتبادلة للبلدين وبالرغبة المخلصة من هذه الحكومة لتنمية الصداقة التى قامت

طويلاً جداً بينهما إلى أكمل درجاتها وما أعرفه من صفاته العالية ومقدرته يجعلنى كامل الثقة فى أنه سيسعى دائماً للتقدم بمصالح ورفاهية الحكومتين مما يجعله مقبولاً لديكم ولذا فإننى أرجو سعادتكم فى أن توافقوا على استقباله وفى أن تعتمدوا كل ما سيقوله باسم الولايات المتحدة والتأكيدات التى زودته بها ليحمل إليكم أطيب تمنيات هذه الحكومة لرفاهية إتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية وليحفظ الله سعادتكم برعايته الحكيمة .. صديقك المخلص هارى . سى . ترومان ..

واشنطن فى ٢٢ مارس سنه ١٩٤٦ ..

وبعد قبول هذا قمت بتقديم موظفى السفارة وبعد ذلك دخل الرئيس « ستالين » وأنا حسب التقاليد إلى مكتب خاص مجاور حيث تحدثنا نحو خمسة عشر دقيقة وكانت ملاحظاته التى بدأ بها الحديث لطيفة وودية فاستفسر عن صحة الرئيس ترومان وتمنى لى أطيب التمنيات لنجاح مهمتى وردد موافقة الرئيس ترومان بالنسبة للحاجة إلى زيادة علاقات الصداقة بين بلدينا .. وعدنا الرئيس « ستالين » وأنا بعد ذلك إلى حجرة الاجتماع الخارجية حيث اصطففنا جميعاً لأخذ صور صحفيه لنا .. وإلى هنا أنتهى حفل تقديم أوراق الاعتماد وعدت إلى السفارة أنا وواحد أو أثنين من كبار موظفى السفارة واستعد لأول اجتماع مع المارشال ستالين الذى حدد له الساعة التاسعة من مساء نفس اليوم .. ثم تم اجتماعى مع « ستالين » ولذا قمت بدراسة هذا الاجتماع بعناية بالغة فى مشاوراتى مع الرئيس « ترومان » ووزير الخارجية « بيرنز » ومع أقدر المختصين فى وزارة الخارجية وزيادة على ذلك كتب الرئيس « ترومان » خطاباً شخصياً ووديا الى « ستالين » حملته إليه وفيه يدعوه لزيارة أمريكا ضيفاً على الشعب الأمريكى وكذلك طلب منى أن أسأل الزعيم السوفيتى بعض الأسئلة الصريحة

المباشره .. وقدرت أن المقابلة قد تكون عاصفة ولهذا السبب رأيت أن أذهب وحدى دون أن أخذ معى أحداً من كبار موظفى السفارة أو حتى مترجماً ..؟! أدخل بى إلى حجرة الاجتماع وكان يقف فى طرفها الآخر « ستالين » ومعه « مولوتوف » و « بافلوف » الموظف الشاب المحبوب فى وزارة الخارجية والذى عمل مترجماً للثلاثة الكبار فى « طهران » و«يالتا» و» بوتسدام » ... وحيانى « ستالين » رسمياً وصافحت « مولوتوف » و « بافلوف » ثم أشار لنا ستالين إلى المائدة لنجلس عليها وبدأ ستالين المحادثة بالتحية شبه الرسمية المعتادة وبالاستفسار عن رحلتى من أمريكا والسؤال عن صحة الرئيس « ترومان » معبراً عن أمله فى أن يكون بصحة جيدة ثم أشار إلى اتحادنا فى الحرب وذكر أنى معروف جيداً للجيش والشعب الروسى .. فناولته بعد ذلك وعلى الفور رسالة الرئيس « ترومان » فأنصت إليها « ستالين » دون أن أشعر بإحساسه إزاءها ثم كان عجبى أنه لم يعلق عليها بشيء ؟! ثم قال « كنت أود جداً أن أزور الولايات المتحدة ولكن السن قد أقتضى ضريبته فأطبائى يقولون لى بأنه يجب إلا أسافر لمسافات طويلة وإننى ألتزم نظاماً دقيقاً فى الطعام وسأكتب إلى الرئيس وأخبره لماذا لا استطيع تلبية دعوته ويجب على المرء منا أن يحافظ على صحته وقد كان الرئيس روزفلت ذا تقدير عظيم لواجباته وإحساس عظيم بمسئولياته ولكنه لم يصن صحته ولو كان فعل ذلك لكان من المحتمل أن يكون حياً اليوم ..

وكان السؤال الأول الذى وجهته إلى الزعيم السوفيتى هو « ماذا يريد الاتحاد السوفيتى وإلى أى مدى ستذهب روسيا فيما هى ذاهبة إليه ؟ » أوضحت أن هذا هو أهم سؤال كان يدور فى ذهن الشعب الأمريكى ؟! عند مغادرتى الولايات المتحدة ثم قلت إن الولايات المتحدة تستطيع أن تقدر وأن تدرك رغبه الاتحاد السوفيتى فى السلام وتدرك رغبة الاتحاد السوفيتى فى أن يكون له نصيبه من

المواد الخام فى العالم ؟! ولذا لم ينتقد شعبنا بشدة ما كان يبدو بعضاً من أهداف السوفيتى ؟! واستطردت أقوال إن الوسائل التى استعملها الاتحاد السوفيتى للوصول إلى هذه الأهداف هى التى سببت الخوف البالغ فى أمريكا فهذه الوسائل لكى أكون أميناً أعطت انطباعا فى أمريكا بأن الحكومة السوفيتية لم تكن تعنى ما تقول بعد انتهاء الحرب العالمية عن نواياها السليمة غير العدوانية .. وترغب أمريكا فى عدم التدخل بأية وسيلة فى حقوق الدول المجاورة وحرياتها العامة والسياسية ونرجو أن نتقابل فى منتصف الطريق ؟! وأعتقد أننا وصلنا إلى أكثر من منتصف الطريق .. وبدأ ينظر إلى بين الحين والحين و يشخبط بقلم أحمر كما يفعل عادة عندما يكون مهتماً بما يسمع وكانت رسوماته المكررة كثيراً تبدو كقلوب غير متوازنة الجنبين وفى معظمها علامة استفهام ؟! ثم قلت إننا نريد دليلاً أكبر على تعاون الاتحاد السوفيتى فى تأييد مبادئ الأمم المتحدة .. وعندما انتهيت من حديثى .. مرت فترة صمت قصيرة سألنى ستالين بعدها هل انتهيت ؟! فقلت نعم . فبدأ هو يجيب فى هدوء وبلطف إسهاب وقد تضمن بيانه الذى أجاب به عدداً من التهم المضادة منها الزعم بأن الولايات المتحدة قد ربطت نفسها نهائياً مع إنجلترا ضد الاتحاد السوفيتى وناقش فى إسهاب موضوع الزيت الإيرانى سارداً تاريخ العلاقات الروسية الإيرانية من وقت معاهدة « فرساى »وعلق بمرارة على ضغط الولايات المتحدة لمناقشة الشكوى الإيرانية فى الأمم المتحدة ومعارضتها طلب « جروميكو » تأجل المناقشة ثم ضغط بشدة على احتياج الاتحاد السوفيتى إلى نصيب أكبر فى استغلال موارد العالم من زيت البترول ؟! ثم قال إن أمريكا وإنجلترا أقامتا العوائق فى طريق روسيا كلما سعت إلى الحصول على امتيازات بترولية ثم قال « إنكم لا تقدرون مركزنا بالنسبة للبترول وإيران ؟! إن حقول باكو أعظم منابع البترول عندنا وهى

ملاصقة لحدود إيران ومعرضة جداً للهجوم ؟! ثم أكد ثانية تأييد روسيا لميثاق الأمم المتحدة وأتهم الإعلان الأمريكى بالمغالطة فى تفسير تصرفات روسيا ؟! وعبر عن استيائه الشديد من تصريحات " تشرشل " فى خطابه فى " فالتون " بولاية " ميسورى " وقال إن هذا الخطاب عمل غير ودى ... وسألته " هل يصل بك الاعتقاد حقيقة إلى أن الولايات المتحدة وإنجلترا متحدتان فى تحالف لمناوأة روسيا ؟! فأجاب ستالين على الفور بالروسية " دا " أى نعم فقلت إننى لأؤكد بأقوى العبارات الممكنة أن هذا ليس الواقع واستطردت " وثانياً سوف تدرك الحكومة السوفيتية أنه بينما تربطنا مع إنجلترا روابط كثيرة منها اللغة المشتركة وكثير من المصالح المشتركة إلا أن اهتمامنا الأول هو بالسلام والعدل الدوليين ...وانتهيت إلى قولى " كل ما قلته إلى الآن مفيد ومشجع ... ولكنه ليس جواباً على السؤال الذى وجهته فى بدء المحادثة والذى قلت إنه سؤال يدور فى عقول الأمريكيين .. " إلى أى مدى ستذهب روسيا فيما هى ذاهبة إليه ؟ " وصوب " ستالين " نظرة إلى وأجاب " لسنا ذاهبين كثيراً إلى أبعد " فقلت " ليس كثيراً إلى أبعد .. فهل هذا الكثير له أى صلة بتركيا ؟! فأجاب ستالين " لقد أكدت للرئيس ترومان وأذعت على الملأ بأنه ليس لدى الاتحاد السوفيتى نية فى مهاجمة تركيا وليس لهذه النية وجود ولكن تركيا ضعيفة والاتحاد السوفيتى حساس جداً بالنسبة لخطر السيطرة الأجنبية على البواغيز التى ليس لتركيا من القوة ما يكفى لحمايتها والحكومة التركية ليست صديقة بالنسبة لنا وهذا هو السبب فى أن الإتحاد السوفيتى طالب قاعدة فى الدردنيل فإنه أمر أمتنا نحن " فقلت " إنه .. يبدو لحكومتى أن هذا هو تماماً نوع المشاكل الذى يجب أن نعالجه الأمم المتحدة والأمن السوفيتى يمكن ضمانه بغير عدوان على تركيا ؟! " فأجاب ستالين " من الممكن أن يوافق الاتحاد

السوفيتى على أن مجلس الأمن يستطيع تدبير هذا الأمن " ثم أكد ثانية رغبته فى السلام والتمسك بالأمم المتحدة واعتقاده بأنه رغم الفوارق فى مذهبينا السياسيين فالموقف بين دولتينا ليس مما لا يمكن التوفيق فيه " وعندما انتهت المحادثة قال " ستالين " " ينبغى ألا نفزع أو نخاف بسبب الخلاف فى الرأى والإرادة الطيبة .. الأمر الذى يحدث بين العائلات بل بين الأخوة فالصبر وبالإرادة الطيبة يمكن التوفيق بين هذه المخالفات .

عزيزى القارئ :

لا استطيع أن أصف لك قدر المعاناة حتى وصلت إلى هذه الرؤية الأمريكية لروسيا وأعنى « روسيا فى عيون أمريكا » فى وضع الحياد وبعيداً عن التوتر أو الأزمة التى يرغب كل طرف فيها فى الحصول على الامتياز والمصالح والأهداف الأكثر قرباً من إستراتيجيته ومصالحه ؟! وأعتقد أننى وجدت فيها الكثير..

(أولاً) : أن أمريكا تنظر إلى روسيا من موقع الأكثر تقدماً والأكثر تحالفاً بخطوات واسعة نحو التقدم التكنولوجى الهام لكل منهما مما أثرها كعقدة نفسية ظلت تلاحق روسيا فى علاقتها مع الولايات المتحدة حتى الآن فى سياق التسلح والحد منه أيضاً والأمان ليس كاملاً بين الطرفين وبعمق أيضاً..

(ثانياً) : تدرك أمريكا أن الإمكانيات السوفيتية سابقاً (والروسية حالياً) لا يمكن تجاهلها ولا يمكن لكلا الطرفان المواجهة العسكرية فوجب " : حتمية التوافق " مهما كانت الأزمات أو حتى الخلافات وأن كلا الطرفان يتسابقان نحو منتصف الطريق؟!

(ثالثاً) : أظهرت أمريكا لروسيا أنها لم تنخدع بالإعلان عن السلام والوفاق والحريات الدولية وان لها أطماع تدركها أيضا أمريكا ولم تنكر روسيا هذا ايضاً ؟!

(رابعاً) : إن روسيا حساسة جداً بل وقلقة للغاية من سيطرة (الغرب) على تركيا التى تملك المنفذ الوحيد لها نحو الخروج إلى البحر المتوسط والهام للغاية لروسيا ومصالحها ؟! ولهذا فإننى أرى أن روسيا سوف تظل والى حد بعيد متمسكة بمسانده النظام السورى الذى أعطاها موطئ قدم فى قاعدة طرطوس فى سوريا والتى يمكنه من خلالها تقديم المساعدات اللوجستيه (الإدارية والفنية) لأسطولها البحرى فى البحر المتوسط وحتى لو لم ينجح النظام السورى فى أعادة السيطرة على الداخل السورى فلن تقبل روسيا بأقل من نظام موازى فى الأصل يظل سامحاً للتواجد السوفيتى فى سوريا وقريباً من إيران أيضاً وتدرك أمريكا ذلك بوضوح ..

(خامساً) : إن الاتحاد السوفيتى سابقاً أو روسياً حالياً لم يغير من الأسلوب أو الهدف أو طريقة الاقتراب .. ومازال أيضاً قلقاً وحتى الآن من التحالف الغربى الانجليزى الأمريكى وزاد عليه الألمانى والفرنسى ومازال متشككاً حتى الآن .

بعد الأحداث ومرور الزمن ؟!

قفزا على الأحداث ومرور الزمن :

ففى أعقاب الحرب العالمية الثانية ومباشرة حيث لم تتضح بعد النوايا الحقيقية للدول المنتصرة والتى تحولت إلى دول عظمى ولم تستقر الحدود والأوضاع الإقليمية خاصة وان الدول الكبرى كانت تسعى إلى استثمار الانتصار وتعديل أوضاعها بما يتفق مع مصالحها وتنمية مواردها واقتسام الثروات والمواد الأولية بحثا عن الرفاهية بعد حرب مضنية أتت على الأخضر واليابس .. ومع كل ذلك كانت نوايا التوسع مصاحبة بالتالى لتلك الأهداف ومن الطبيعى أيضاً أن تكون عيون أمريكا فى اتجاه الاتحاد السوفيتى السابق وبالتالى كان من

الطبيعى اختيار رجل عسكرى يفهم طبيعة الأوضاع وما يدور خلف الأبواب المغلقة وما خفى من النوايا ولذا تم اختيار اللفتنانت جنرال « بيدل سميث » وزير أمريكا المفوض فى روسيا كما أوضحت ومع الإدراك الكامل (وأثبتته الأحداث) أن أبعد ما يكون الفكر حدوث مواجهه عسكريه مباشرة بين روسيا وأمريكا ولكنها كانت بالتالى حرب باردة فى أقصى درجاتها ولم تتغير الرؤية الأمريكية نحو الاتحاد السوفيتى سابقاً أو حتى روسيا حالياً وأن الممكن والمتاح لن يكون إلا من داخل روسيا ذاتها ؟! ولذلك تم اختيار السفير الأمريكى الجديد لدى روسيا وخاصة بعد التحولات الجديدة بها وظهور نتائج الانتخابات الرئاسية فى روسيا والتى أجريت عام ٢٠١٢ والتى أدت إلى عودة فلاديمير بوتن إلى سده الحكم فى روسيا لفترة قادمة قد تطول إلى فترة تالية تنتهى فى سنه ٢٠٢٤ بنسبة زادت على ٦٠٪

وتم اختيار الشخص المناسب أيضا وهو « مايكل ماكفويل » المسئول السابق عن ملف الديمقراطية وحقوق الإنسان وشرق أوروبا فى مجلس الأمن القومى الأمريكى وأدى وصوله إلى ضجة كبرى حول تواصله مع المجتمع المدنى الروسى وقبلها كان الروسى والأمريكيون يتبادلان الاتهامات حول العديد من الملفات الإقليمية وخاصة وأن السفير الأمريكى الجديد من أقوى الداعمين للتغيير فى دول أوروبا الشرقية مما دعى « بوتن » إلى القول إن تحقيق استقرار فى النظام الدولى والوصول إلى صيغ مستقرة للأمن الدولى يتطلب التعاون مع روسيا وليس احتوائها أو إضعافها وما أريد قوله هو أن الزمن يمر والأحداث تتكرر وتتوارد مثل أمواج البحر ومع كل ذلك لم تتغير الرؤية فى العمق لأنها باختصار وليده ايدولوجيه وعقيدة وإيمان لا تغيره الاختراعات الحديثة أو حروب الكواكب وذلك ما وجدته وكنت أبحث عنه فى ظروف مواتية ومناسبة للفهم والتحليل ..

الفصل الثالث

نبذة عن مجموعة الثمانى الكبار

تضم مجموعة «الثمانى الكبار» اكثر الدول تطورا فى المجال الصناعى وهى كل من بريطانيا العظمى والولايات المتحدة وألمانيا وفرنسا وإيطاليا وفرنسا واليابان وكندا وروسيا. واصبحت المجموعة تعقد القمم من هذا النوع ابتداءا من منتصف السبعينات، حين شهد الاقتصاد العالمى ازمة اقتصادية. وعقدت أول قمة للدول الكبار فى نوفمبر عام ١٩٧٥ بمدينة رامبوى الفرنسية، حيث طرح كل من فاليرى جيسكار ديستان رئيس فرنسا وهلموت شميدت مستشار ألمانيا مبادرة بعقد هذه القمة. وشاركت فى اول اجتماع لها الولايات المتحدة واليابان وفرنسا وبريطانيا العظمى وألمانيا الاتحادية وإيطاليا. وفى عام ١٩٧٦ وجهت دعوة لحضور القمة الثانية الى كندا. ومنذ ذلك الحين اطلقت على هذه القمم تسمية «السبع الكبار». ومنذ عام ١٩٧٧ كانت المفوضية الاوروبية تحضر قمم «السبع الكبار» كضيف دائم لا يمتلك صفة العضوية.

وتعود الى دول «الثمانى الكبار» فى الوقت الحاضر نسبة ما يقارب ٥٠٪ من التصدير العالمى وما يزيد عن ٥٠٪ من الانتاج الصناعى العالمي. ولا تحظى المجموعة بالوضع القانونى للمنظمة الدولية، علما انها لا تقوم على معاهدة، ولا تتوفر لديها إمانة دائمة. وتترأس القمة طيلة السنة دولة تعقد القمة على اراضيها. وتتخذ قرارات قمم «الثمانى الكبار» كقاعدة عامة بالاجماع. و لا تتمتع تلك القرارات بقوة القانون الملزمة. لكنها تعد بمثابة توجيهات للمجتمع الدولى فى القضايا المحورية لعصرنا.

وجرت العادة منذ عام ٢٠٠١ ان توجه دعوات لحضور قمم «الثمانى الكبار» الى زعماء الدول الاخرى. وفى الاونة الاخيرة يدور النقاش فى اطار «الثمانى الكبار» حول ضرورة زيادة عدد اعضائها، علما ان القضايا العالمية بحاجة الى دائرة اوسع للمشاركين.

مشاركة روسيا فى قمم «الثمانى الكبار»

شارك الاتحاد السوفيتى الذى مثله أنذاك رئيسه ميخائيل غورباتشوف لاول مرة اجتماعات قمة «السبع الكبار» عام ١٩٩١ ، وذلك فى القمة السابعة عشرة المنعقدة فى لندن. وفى اعقاب القمة عقد اجتماع حضره زعماء الدول السبع الذى ناقش طرق مساهمة الاتحاد السوفيتى فى اعادة بناء اقتصاده.

وفى عامى ١٩٩٢ و١٩٩٣ اجريت بعد عقد اجتماعات القمة لقاءات برئيس روسيا الاتحادية بوريس يلتسين . وتم فى ميونيخ عام ١٩٩٢ إقرار البيان السياسى «تشكيل الشراكة الجديدة» الذى شارك بوريس يلتسين فى اعداده. وأبدت «السبع الكبار» آنذاك « اهتماما كبيرا بالوضع فى دول الفضاء السوفيتي السابق، حيث اقرت بيانات تخص الوضع فى قره باغ ومولدافيا واوسيتيا ودول البلطيق.

وأقرت قمة «السبع الكبار» التى عقدت عام ١٩٩٣ فى طوكيو بيانا اقتصاديا تضمن قرارا بوضع برنامج خاص بتقديم المساعدة فى خصخصة المؤسسات الصناعية الروسية واعادة تنظيمها

وشارك بوريس يلتسين فى مناقشة القضايا السياسية اثناء انعقاد قمتى عام ١٩٩٤ و١٩٩٥.واقترح سيلفيو برلوسكونى اثناء انعقاد قمة نابولى الايطالية عام ١٩٩٤ قبول روسيا فى نادى الدول الكبار انطلاقا من صيغة

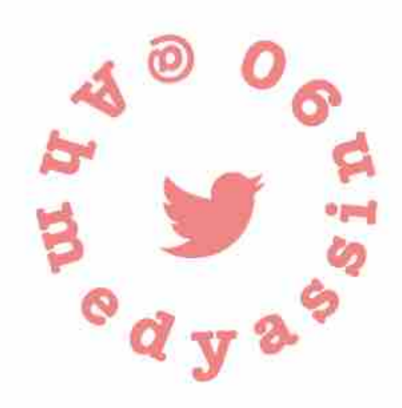
« ٧+١ ». لكن هذه المبادرة لم تلق تأييدا لدى اعضاء النادي. لكن الفرصة اتيحت لروسيا فى قمة عام ١٩٩٥ فى بهاليفكس الكندية بمناقشة القضايا السياسية جنبا الى جنب مع غيرها من اعضاء «السبع الكبار». وفى عام ١٩٩٦ ترأس الوفد الروسى فى قمة ليون الفرنسية رئيس وزرائها فيكتور تشيرنوميردين لانشغال يلتسين بالجولة الثانية للانتخابات الرئاسية فى روسيا. وشاركت روسيا لاول مرة بصفتها عضوا يحظى بحقوق كاملة فى قمة دنفر الامريكية عام ١٩٩٧. واقترح بوريس يلتسين فى تلك القمة عقد اجتماع اقتصادى فى موسكو عام ١٩٩٨ لمناقشة مشاكل الطاقة. كما ركز يلتسين على مسألة التعاون فى مجال الاستخدام السلمى للفضاء الكونى والرقابة على حالة البيئة فى القسم الشمالى للمحيط الهادئ. وانعكست مقترحات الجانب الروسى فى البيان الختامى الصادر عن القمة. وابتداءا من عقد هذه القمة بالذات بدأ نادى « ٧+١ » يتحول تدريجيا الى مجموعة «الثمانى الكبار».

بعد انعقاد قمة برمنغهايم البريطانية عام ١٩٩٨ بدأ ممثلون عن روسيا يشاركون فى كافة اجتماعات «الثمانى الكبار» واعداد البيانات الختامية وغيرها من الوثائق. وترسخت روسيا فى قمة برمنغهايم نهائيا بصفتها عضوا فى اطار «الثمانى الكبار» حيث قدم الرئيس الروسى تقريرا فى موضوع الطاقة العالمية. ووصف البيان الختامى الصادر عن القمة روسيا بانها ديموقراطية صناعية كبرى فى العالم.

وفى اثناء انعقاد قمة كولونيا الالمانية عام ١٩٩٩ طرح بوريس يلتسين مبادرة بوضع رؤية جديدة فى العلاقات الدولية بالقرن الحادي والعشرين بعد انتهاء الحرب الباردة.

كان الرئيس فلاديمير بوتين يمثل روسيا فى قمم «الثمانى الكبار» للأعوام ٢٠٠٠ – ٢٠٠٧ . وفى ١٥ – ١٧ يوليو عام ٢٠٠٦ عقدت فى ضاحية بطرسبورغ مدينة ستريلنا اول قمة لمجموعة «الثمانى الكبار» ترأست فيها روسيا . وكان من اهم مواضيعها امن الطاقة ومكافحة الامراض المعدية والتعليم. وتم فى اعقاب القمة اقرار ١٦ وثيقة، بما فيها وثائق بعناوين « امن الطاقة العالمي» والتعليم فى المجتمعات الابتكارية بالقرن الحادى والعشرين» ومكافحة الفساد على المستوى الاعلى». ورمزت القمة الى انضمام روسيا النهائى الى مجموعة «الثمانى الكبار». لكن ما زالت هيكلة واحدة لم تشارك فيها روسيا بشكل كامل، وهي اجتماع وزراء المالية. فى عام ٢٠٠٨ مثل دميترى مدفيديف روسيا لاول مرة فى قمة توياكو اليابانية . وادرجت فى جدول اعمالها مسائل مثل مشكلة . الانحباس الحرارى وآثاره، وقضايا افريقيا، وازمة الغذاء العالمية. وتم توجيه دعوات لحضور القمة الى كل من زعماء استراليا والبرازيل والهند واندونيسيا والصين والمكسيك وجنوب افريقيا و والجزائر ومصر والسنغال وتنزانيا. والى جانب البيان الختامى تم اقرار بيان عن الامن الغذائى وبيان خاص بالوضع فى الاقتصاد العالمى ومكافحة الارهاب.

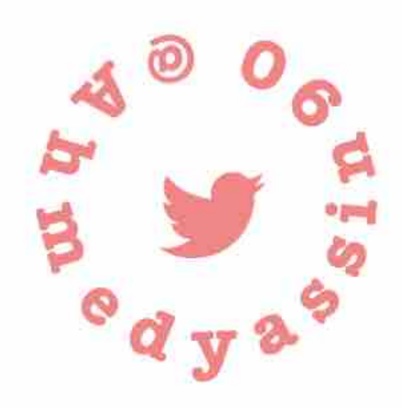
وتضمن فصل البيان الختامى الخاص بالانحباس الحرارى بندا ينص على ان التخفيض من انبثاق الغازات العادم بمقدار الضعف بحلول عام ٢٠٥٠ يجب ان يصبح هدفا مشتركا لبلدان الكوكب كلها. وينص فصل البيان الختامى الخاص بافريقيا على عزم الدول الاعضاء فى «الثمانى الكبار» على الزيادة من المساعدات المخصصة لاغراض التنمية بمقدار ٢٥ مليون دولار سنويا بحلول عام ٢٠١٠. وتضمن البيان الختامى لاول مرة بندا ينص على ضرورة نزع السلاح النووي.



تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90

البــاب الخامس

روسيا وامريكا اللاتينيه



تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90

الفصل الأول

العلاقات الروسية الفنزويلية

تتسم العلاقات الروسية – الفنزويلية التى اقيمت رسميا قبل ١٥٠ عاما بطابع ودى . وتتطور الاتصالات بين المؤسسات ويجرى تبادل مكثف للوفود البرلمانية والاتصالات بين الاقاليم فى روسيا وفنزويلا. وتتم بانتظام مشاورات بين وزارتى خارجية البلدين بصدد كثير من القضايا الدولية ذات الاهمية الحيوية.

كما اقيمت العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفيتى وفنزويلا فى ١٤ مارس عام ١٩٤٥. وقطعت فى ١٣ يونيو عام ١٩٥٢ ، واعيدت فى ١٦ ابريل عام ١٩٧٠. وفى شهر ديسمبر عام ١٩٩١ اعترفت فنزويلا بروسيا الاتحادية كوريثة شرعية للاتحاد السوفيتي.

تعتبر فنزويلا بالنسبة لروسيا شريكا استراتيجيا متميزا فى امريكا الاتينية. وتمارس حكومة هوغو تشافيز منذ تسلمها السلطة فى عام ١٩٩٩ سياسة رفع مستوى الحوار السياسى مع روسيا. والتقى قادة البلدين « هوغو تشافيز والرئيس الروسى فلاديمير بوتين « لاول مرة فى سبتمبر عام ٢٠٠٠ بنيويورك فى اطار القمة الالفية ، وفى مايو عام ٢٠٠١ تمت اول زيارة رسمية لهوغو تشافيز الى موسكو. منذ ذلك الحين زار الرئيس الفنزويلى روسيا مرات عديدة ، ومنذ عام ٢٠٠٦ اصبحت الزيارات سنوية. فى نوفمبر عام ٢٠٠٨ قام الرئيس الروسى دميترى مدفيديف بزيارة فنزويلا ، وكانت هذه اول زيارة لرئيس الدولة الروسية الى فنزويلا على امتداد تاريخ العلاقات الثنائية.وتعتبر اتفاقية الصداقة والتعاون

الموقعة في ٢ يونيو عام ١٩٩٧ الاساس القانوني للعلاقات الثنائية بين البلدين. وهناك اتفاقيات للتعاون العسكرى والتقنى «٢٠٠١» والتعاون في مجال الفضاء والطاقة والنفط والعلوم والتقنية والتعليم «٢٠٠٤»، وفى مجال الطاقة «٢٠٠٨»، وفى مجال الاستخدام السلمى للطاقة الذرية، وعن الغاء تاشيرات الدخول لمواطنى الدولتين، وعن الضمان المشترك للاستثمارات المالية، والتعاون في مجال حماية البيئة و صيد الاسماك «٢٠٠٨». وفى يونيو عام ٢٠٠٩ وقعت اتفاقية حول تأسيس مصرف روسى - فنزويلى برأسمال قدره ٤ مليار دولار لتمويل المشاريع المشتركة، وفى اغسطس وقعت اتفاقية حول مكافحة انتشار المخدرات.

التعاون العسكرى - التقني

يتطور التعاون العسكرى - التقني بنجاح مع الالتزام بكافة الاتفاقيات الدولية. وبعد ان رفضت الولايات المتحدة تزويد فنزويلا بقطع الغيار من اجل المقاتلات ف - ١٦ الموجودة لدى قواتها المسلحة اعلن الرئيس هوجو تشافيز انه ليس بحاجة أكثر الى السلاح الامريكي ويتحول للحصول على المعدات العسكرية من روسيا.

واصبحت فنزويلا بعد توقيع صفقات مع «روس ابورون اكسبورت» فى عامى ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦ بكلفة اجمالية قدرها ثلاثة مليارات دولار تقريبا ضمن اكبر الزبائن الخمسة للسلاح الروسي. واشترت فنزويلا الى جانب رخصة انتاج البندقية (أ ك - ١٠٣) ٢٤ طائرة من طراز (سو - ٣٠ م ك) و٥٣ مروحية متعددة الاغراض جلها من طراز (مى - ٣٥ م).

وأفادت وسائل الاعلام بأن من المتوقع ان يجرى فى اثناء زيارة الرئيس

الفنزويلى المرتقبة توقيع صفقات جديدة لتزويد فنزويلا بالسلاح والمعدات العسكرية الروسية . وتعتزم فنزويلا ان تشترى من روسيا حتى ٢٠ منظومة صاروخية مضادة للجو « تور- م١» وثلاث غواصات ديزل - كهربائية من طراز « فارشافيانكا» . وتبلغ الكلفة الاجمالية لهذه الصفقات مليار دولار.

وتعتزم فنزويلا ان تشترى فى المستقبل حتى ٦ غواصات غير ذرية وعشرات السفن من مختلف الانواع والاهداف. ويعرض المصدرون الروس على فنزويلا زوارق الدورية من مشروع ١٤٣١٠ « ميراج» وزوارق الانزال ذات الوسادات الهوائية من مشروع ١٢٠٦١ى « مورينا - اي» ومجامع صاروخية ساحلية متنقلة تضمن اصابة السفن والزوارق ووسائل الانزال من مسافة ٧ الى ١٣٠ كيلومترا. علاوة على ذلك من المقرر ان توقع اتفاقيات بشأن استحداث مراكز للخدمات التقنية الخاصة فى فنزويلا من اجل خدمة وصيانة الاسلحة والمعدات الحربية المصدرة اليها سابقا.

كما تجرى المباحثات بشأن تزويد فنزويلا بطائرات دورية يتم صنعها على قاعدة الطائرة (ايل - ١١٤). وطبقا للأتفاقات الاولية فأن كاراكاس تخطط لشراء حتى ٢٠ طائرة من هذا الطراز.

كما تلقت روسيا من فنزويلا طلبا لأقتناء المروحيات(مى - ٢٨ ن) التى قد يبدأ تصديرها قبل النصف الثانى من عام ٢٠٠٩ . وطبقا لتقديرات الخبراء المستقلين فان من المحتمل ان تقدم الى كاراكاس فى المرحلة الاولى ١٠ مروحيات (مى - ٢٨ ن).

وخلال السنوات الثلاث الاخيرة وقعت روسيا مع فنزويلا ضمن اطار اتفاقية التعاون العسكرى - التقنى عقودا بقيمة ٤ مليار دولار. ومنذ سنة ٢٠٠٦ سلمت روسيا الى فنزويلا طائرات «سو-٣٠ مكف «المقاتلة، وطائرات نقل

مروحية مختلفة، و«١٠٠ الف » بندقية آلية من طراز كالاشنيكوف ، ومجموعة من المنظومات الصاروخية المحمولة المضادة للجو من نوع «ايغلا »، وتجرى المباحثات لتزويد فنزويلا بدبابات ومدرعات حديثة.

التعاون التجارى - الاقتصادي

يبدى الجانبان الاهتمام بمواصلة تطوير التعاون المتبادل المنفعة فى المجال الاقتصادى والتجاري. ويتنامى التبادل السلعى بين البلدين باطراد وبلغ فى نهاية عام ٢٠٠٧ ما قيمته ٥١٧ مليون دولار.

بلغ حجم التبادل التجارى بين البلدين عام ٢٠٠٨ ٩٥٧,٨ مليون دولار، والجزء الاكبر منه يتالف من صادرات روسيا الى فنزويلا. وتورد روسيا الى فنزويلا تقنية الطائرات والمحركات ومعدات لصناعة النفط والغاز والمخارط والاجهزة البصرية وشاحنات «كاماز » والاسمدة والكاوتشوك الصناعى والسيليلوز والمدلفنات الفولاذية. اما فنزويلا فتصدر الى روسيا الالومينا ومركزات الالومنيوم و الكاكاو والتبوغ.

وتقوم اللجنة الحكومية المشتركة التى شكلت على مستوى عال عام ٢٠٠١ بتنسيق علاقات التعاون بين البلدين. وفى اثناء الاجتماع السادس للجنة المنعقد فى شهر اغسطس عام ٢٠٠٩ بمدينة سانكت - بطرسبورغ درست اللجنة المسائل المتعلقة بتقوية علاقات التعاون التجارى وفى المجال العسكرى - التقني.

التعاون فى مجال الوقود والطاقة والمجالات الأخرى

يعتبر مجال الوقود والطاقة أساس التعاون الاقتصادى بين روسيا وفنزويلا. وتعمل شركات كبرى روسية مثل «غازبروم» و» لوكويل» و» زاروبيج نفط غاز» ومجموعة شركات «رازنوامبورت - فنزويلا» و» تيخنو بروم اكسبورت» وغيرها

الآن على ترسيخ مواقعها فى السوق الفنزويلية.

وبما ان روسيا وفنزويلا تعتبران من منتجى ومصدرى النفط العالميين فأنهما تدعوان الى استقرار السوق الدولية وترحبان بأجراء حوار بين المنتجين المستقلين ومنظمة (اوبك) ولهما مصلحة فى اقامة التعاون بينهما فى اطار المهمة الاستراتيجية لضمان الامن فى مجال الطاقة فى العالم.

وتوجد قيد الاعداد عدة مشاريع مشتركة فى مجال استخراج المعادن وصناعة الطاقة فى فنزويلا وفى مجال السكك الحديدية والنقل الجوى وصناعة الماكينات واقامة مشاريع البنية الاساسية وفى النشاط الاستثمارى – المالي.

قام الخبراء الروس بدراسة لأوضاع صناعة الغاز الفنزويلية، ووضعوا خطة لتفعيل عمل هذا القطاع. وتم فى عام ٢٠٠٨ توقيع اتفاقية بين روسيا وفنزويلا للتعاون فى مجال النفط والغاز والطاقة الكهربائية تتضمن جميع مشاريع الطاقة لمدة ٢٥ سنة . ويدرس حاليا موضوع استحداث كونسورتيوم نفطى لاستغلال حقل « خونين – ٦ » النفطى فى حوض نهر اورينوكو، الذى يقدر حجم الاحتياطى النفطى فيه ٥٣ مليار برميل تقريبا.

الفصل الثانى

العلاقات الروسية البرازيلية

كانت البرازيل اول دولة فى امريكا اللاتينية اقامت روسيا معها العلاقات الدبلوماسية فى يوم ٣ اكتوبر عام ١٨٢٨ لكونهما دولتين يحكم كلا منهما القيصر والملك. وكانت البرازيل فى تسعينيات القرن التاسع عشر الدولة الامريكية اللاتينية الوحيدة التى احتفظت روسيا بعلاقات تجارة منتظمة معها. بعد قيام ثورة اكتوبر عام ١٩١٧ فى روسيا اوقفت البرازيل اتصالاتها كلها مع روسيا السوفيتية شأنها شأن بقية دول امريكا اللاتينية. واقيمت العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفيتي والبرازيل فى ٢ ابريل عام ١٩٤٥ ثم انقطعت فور تولى الحكومة العسكرية للسلطة فى البرازيل عام ١٩٤٧ والتى حظرت نشاط الحزب الشيوعى فى هذا البلد. بدأت البرازيل ابتداءا من عام ١٩٦١ تنتهج سياسة اكثر استقلالا عن الولايات المتحدة، مما ادى الى استعادة العلاقات مع الاتحاد السوفيتي. لكن حقبة الحرب الباردة شهدت عموما مواقف حيادية وعلاقات باردة الى حد ما حيال الاتحاد السوفيتى من قبل كل دول امريكا اللاتينية بما فيها البرازيل. واقتصرت العلاقات بين البلدين على التجارة فقط.

وكانت البرازيل من اولى بلدان امريكا اللاتينية التى اعترفت بروسيا الاتحادية بصفتها وريثة لحقوق الاتحاد السوفيتى فى ٢٩ ديسمبر عام ١٩٩١. وشهدت العلاقات بين البلدين فى تلك الفترة نوعا من التحسن مما ادى الى توقيع معاهدة التعاون الروسية البرازيلية فى ٢ نوفمبر عام ١٩٩٧. نشطت فى العقدين الاخيرين الاتصالات السياسية الثنائية على كافة المستويات.

قد زار موسكو فى نوفمبر عام ١٩٩٤ رئيس البرازيل المنتخب فرناندو انريكى كردوزو. واسفرت زيارة وزير الخارجية الروسى يفغينى بريماكوف الى البرازيل فى نوفمبر عام ١٩٩٧ عن توقيع مذكرة مبادئ التعاون بين روسيا والبرازيل فى القرن الحادى والعشرين» والبيان المشترك حول تشكيل لجنة المستوى العالى واتفاقيات التعاون بين الحكومتين الروسية والبرازيلية فى شتى المجالات. وتم عام ٢٠٠١ تشكيل اللجنة الحكومية الروسية البرازيلية.

وتمخضت الزيارة التى قام بها الى موسكو نائب رئيس البرازيل جوزيه ألينكار فى سبتمبر عام ٢٠٠٣ عن توقيع اتفاقية التكنولوجيات والتوريدات العسكرية الروسية البرازيلية بصفتها اتفاقية هامة فى مجال التعاون فى قطاع التكنولوجيا الفضائية والدرع الصاروخية وتوريد الاسلحة.

وجرى فى عامى ٢٠٠٤ و٢٠٠٥ تبادل الزيارات الرسمية حين قام فلاديمير بوتين بزيارة البرازيل فى نوفمبر عام ٢٠٠٤. اما الرئيس البرازيلى لويس اناسيو لولا دى سيلفا فزار موسكو فى اكتوبر عام ٢٠٠٥. ووقعت خلال الزيارتين اتفاقية التحالف الاستراتيجى الروسى البرازيلى واتفاقية التعاون فى مجال الفضاء التى مكنت رائد الفضاء البرازيلي ماركس بونتس من القيام بالتحليق الفضائى على متن المركبة «سويوز» الروسية. قام الرئيس دميترى مدفيديف فى ٢٦ نوفمبر عام ٢٠٠٨ بزيارة البرازيل حيث وقع اتفاقية التعاون العسكرى التقنى واتفاقية السماح بأجراء الزيارات القصيرة الى كل من روسيا والبرازيل للمواطنين الروس والبرازيلين دون تاشيرات دخول. وجرى اللقاء الاخير بين الرئيسين الروسى والبرازيلى فى ابريل عام ٢٠١٠ بمدينة برازيليا، وذلك فى اطار قمة مجموعة /بريك/.

تم فى ديسمبر عام ٢٠٠١ توقيع برنامج التعاون بين وزارة الطاقة الذرية الروسية ولجنة الطاقة الذرية الوطنية فى البرازيل فى مجال الاستخدام السلمى للطاقة الذرية لمدة اعوام ٢٠٠١ – ٢٠٠٣ . وتم فى يونيو عام ٢٠٠٣ ابرام اتفاقية التعاون فى مجال البحوث الفضائية المشتركة للاغراض السلمية. كما يجرى العمل على مشروع انشاء المركز الروسى البرازيلى للمعلومات العلمية والتقنية.

العلاقات فى مجال التجارة والاقتصاد

يساعد عمل اللجنة الحكومية الروسية البرازيلية المشتركة فى تطوير العلاقات التجارية والاقتصادية بين البلدين . وقد تم فى اطارها توقيع برنامج التعاون العلمى والتقنى وإبرام اتفاقية التعاون فى مجال سياسة التنافس والاتفاقية بين المصارف باحرف اولى.

شهد عام ٢٠٠٩ انخفاضا في التبادل السلعى الروسى البرازيلى الذى بلغ فى عام ٢٠٠٧ قيمة ٥.٢ مليار دولار مما كان يعادل نصف التجارة الخارجية الروسية مع دول امريكا اللاتينية. وتنامى هذا المؤشر عام ٢٠٠٨. وكان من المفترض ان يبلغ عام ٢٠١٠ قيمة ١٠ مليارات دولار.

وبلغ التبادل السلعي فى الفترة ما بين يناير واغسطس عام ٢٠٠٨ قيمة ٤.٤ مليار دولار حيث يعود ١.٤ مليار دولار الى التصدير الروسي. وبلغ الاستيراد الروسى من البرازيل قيمة ٣ مليارات دولار.. وتشكل المواد الخام والمواد الكيميائية بما فيها الاسمدة والمعادن والمنتجات المعدنية اساس الصادرات الروسية الى البرازيل. اما الصادرات البرازيلية فتضم السكر واللحوم والدواجن والتبغ والسجائر.

تم فى عام ٢٠٠٢ تأسيس مجلس الاعمال الروسى البرازيلي، وذلك بهدف

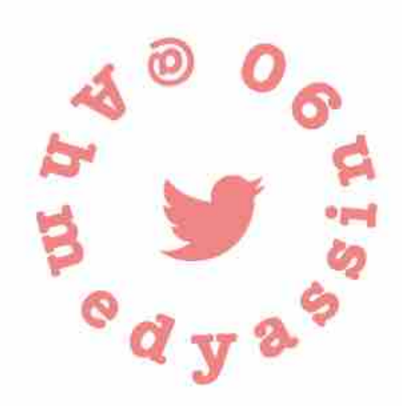
اقامة التعاون بين دوائر العمل والمؤسسات الحكومية للبلدين وتطوير اشكال شراكة العمل. تؤيد البرازيل مساعى روسيا الى اقامة اتصالات مباشرة مع السوق المشتركة لدول امريكا اللاتينية.

التعاون فى مجالى الفضاء والطاقة الذرية

ساهم الجانب الروسى فى تحقيق التحليق الفضائى الى المحطة الفضائية الدولية لرائد الفضاء البرازيلى ماركس بونتس. كما يجرى العمل على حماية التكنولوجيات الخاصة باستكشاف الفضاء الكونى والتصميم المشترك للمقاتلات والصواريخ التى تقوم بايصال الاقمار الصناعية الى مدار الارض. فيما يتعلق بالذرة السلمية فهناك اولويات تالية: تكنولوجيات تنقيب اليورانيوم وتصنيع مفاعلات الجيل الجديد وتصميم المفاعلات للابحاث العلمية وانتاج النظائر المشعة اللاسلكية واعداد وتأهيل الكوادر لقطاع الطاقة الذرية.

عزيزى القارئ :

ومن هنا نرى أن روسيا لم يعد ما يعوقها عن الامتداد لأفاق الأرض (خاصة بعد إعلان كل من روسيا وأمريكا) عن نهاية الحرب الباردة بينهما لكى تنادى بحق العودة دون هوادة وقرباً من المصالح الأمريكية فى أمريكا اللاتينية ووفقاً للمثل الروسى الذى يقول « إن كل شيء ممكن ولكن بحذر أيضاً ؟! ! .



تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90

الباب السادس

روسيا وآسيا

الفصل الأول

العلاقات بين روسيا وآسيان

اصبحت روسيا منذ يوليو عام ١٩٩٦ شريكا كاملا فى الحوار مع آسيان.

وفى ابريل عام ٢٠٠٠ عقد فى كوالا-لومبور اول منتدى اعمال لروسيا - آسيان ، وفى المنتدى الثانى للأعمال فى عام ٢٠٠٥ قدمت روسيا تكنولوجيات ومشاريع فريدة بضمنها فى مجال التكنولوجيا المعلوماتية وصناعة الطائرات وصناعة الماكينات. وقدمت آلية لا نظير لها فى العالم هى الطائرة الشراعية القادرة على التحرك فوق اى سطح : البر والماء والمستنقع والمكيفة للظروف الطبيعية فى جنوب شرقى آسيا ، وكذلك نموذج الطائرة - البرمائية (بى - ٢٠٠) التى يمكن بواسطتها اطفاء الحرائق الكبيرة ومنها فى الغابات. وقدمت فى الاجتماع مشاريع اخرى منها تكنولوجيا اطلاق الصواريخ من الطائرة العملاقة من طراز « روسلان» من اجل ايصال الاقمار الصناعية الى المدار.

لقد عقدت اول قمة لروسيا- آسيان فى ديسمبر عام ٢٠٠٥ ومثل روسيا فيها فلاديمير بوتين الرئيس الروسى السابق. وتضمن جدول اعمال اللقاء قضايا الامن والاستقرار فى العالم. وبحثت فيها ضمنا القضية النووية لشبه الجزيرة الكورية والوضع فى العراق وافغانستان والتسوية فى الشرق الاوسط وكذلك تعاون روسيا مع البلدان الكبرى فى جنوب شرقى آسيا فى مجال التجارة والاقتصاد والمجال العسكري-التقني. علاوة على ذلك دار الكلام عن المشاريع المشتركة فى مجال صناعة الطاقة والنقل والتكنولوجيا المتطورة. وفى ختام القمة وقع الاعلان المشترك» حول الشركة المتطورة والشاملة

منتدى التعاون الاقتصادى لدول آسيا والمحيط الهادئ

يعتبر منتدى التعاون الاقتصادى لدول آسيا - المحيط الهادئ منظمة اقتصادية دولية ترمى الى تطوير علاقات التكامل بين دول المحيط الهادئ. وتضم المنظمة فى الوقت الحاضر ٢١ دولة يتباين مستوى تطورها الاقتصادي ، ومنها أوستراليا وبروناى وفيتنام وهونغ كونغ (المنطقة الادارية الخاصة فى جمهورية الصين الشعبية) وكندا وجمهورية الصين الشعبية واندونيسيا وماليزيا والمكسيك وبابوا غينيا وبيرو وروسيا وسنغافورة والولايات المتحدة وتايلاند وتايوان وتشيلى والفلبين وكوريا الجنوبية واليابان.

تاريخ منتدى التعاون الاقتصادى لدول آسيا - المحيط الهادئ

تم تأسيس المنتدى فى عام ١٩٨٩ بمدينة كانبيرا الاوسترالية ، وذلك بمبادرة من رئيس الوزراء الاسترالي روبرت هوك. ومع انضمام ثلاثة اعضاء جدد الى المنظمة ، وهى روسيا وفيتنام وبيرو، تم فرض حظر توسيع عضوية المنتدى. وكانت الهند ومنغوليا قد قدمتا طلبا للانضمام الى منتدى التعاون الاقتصادى لدول آسيا - المحيط الهادئ .

وقد تم تحديد أهداف المنتدى فى بيان سيئول ومنها :

- المحافظة على مستوى التطور الاقتصادي لدول المنطقة ،

- تعزيز التجارة المتبادلة ،

- تصفية القيود على حركة السلع والخدمات والرساميل وفقا لمعايير اتفاقية التجارة العامة ومنظمة التجارة العالمية. وفى اواسط العقد الاول للالفية الثالثة كان يقطن فى الدول الاعضاء فى منتدى التعاون الاقتصادى لدول آسيا - المحيط الهادئ ثلث سكان المعمورة ، وينتج فيها ما يقارب ٦٠ ٪ من الناتج العالمى الاجمالى وتجرى فيها نسبة ٥٠٪ من تعاملات التجارة العالمية.

من أجل تحقيق التعاون بين الدول الاعضاء ذات مستويات التطور المتباينة تم وضع آليات قيود أقل مما هو عليه فى الاتحاد الاووروبى ومنطقة التجارة الحرة فى أمريكا الشمالية.

وعلى سبيل المثال:

أ - التعاون فى المجال الاقتصادى فقط.

كان منتدى التعاون الاقتصادى لدول آسيا - المحيط الهادئ يقيم نفسه منذ تأسيسه بكونه مجموعة حرة من الاقتصادات وليس كمجموعة من الدول المتلاحمة سياسيا. ويُقصد بمصطلح « الاقتصاد» ان هذه المنظمة تناقش المسائل الاقتصادية وليس السياسية. والجدير بالذكر ان الصين لم تعترف بسيادة هونغ كونغ وتايوان. لذلك فانهما اعتبرتا كمنطقتين وليستا كدولتين. ولا تزال تايوان فى اواسط العقد الاول للالفية الثالثة تحظى بهذا الوضع القانونى .

ب - انعدام الجهاز الادارى الخاص

لقد أسس منتدى التعاون الاقتصادى لدول آسيا - المحيط الهادئ بصفته منتدى استشاريا حرا لايمتلك اى هيكل هرمى او جهازا بيروقراطيا كبيرا. وتضم سكرتارية منتدى التعاون الاقتصادى لدول آسيا - المحيط الهادئ الواقعة فى سنغافورة ٢٣ دبلوماسيا فقط يمثلون الدول الاعضاء فى المنتدى وكذلك ٢٠ موظفا محليا. وتعتبر القمم السنوية (اللقاءات غير الشكلية) لزعماء الدول الاعضاء فى منتدى التعاون الاقتصادى لدول آسيا - المحيط الهادئ شكلا رئيسيا للنشاط التنظيمى للمنتدى. وتصدر عن القمم بيانات سنوية حول حصيلة نشاطات المنتدى خلال سنة وتحدد فيها آفاق النشاط اللاحق. كما تعقد لقاءات وزراء الخارجية والتجارة للدول الاعضاء فى المؤتمر وذلك بفترات دورية اكبر.

ان مجلس الاعمال الاستشاري ولجان الخبراء الثلاثة بما فيها لجنة التجارة الاستثمار واللجنة الاقتصادية ولجنة الميزانية الادارية وكذلك ١١ مجموعة فى شتى فروع الاقتصاد تعتبر هيئات العمل الرئيسية فى منتدى التعاون الاقتصادى لدول آسيا - المحيط الهادئ.

الفصل الثانى

العلاقات الروسية الفلبينية

أقيمت العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفيتى وجمهورية الفلبين فى ٢ يونيو عام ١٩٧٦ . وفى ٢٦ ديسمبر اعترفت الفلبين روسيا بصفتها دولة جديدة.

زار رئيس الفلبين فيديل فالديس راموس روسيا الاتحادية فى سبتمير عام ١٩٩٧ فى زيارة أصبحت حدثا هاما فى الحوار السياسى بين البلدين . وتم خلال الزيارة توقيع عدد من الوثائق الهامة التى تخص التعاون الثنائى وبصورة خاصة البيان الروسي الفلبينى المشترك الذى أعلن مبادئ الصداقة والشراكة. وأصبح البيان أساسا للتعاون بين البلدين فى القرن الحادى والعشرين وطال طيفا واسعا من قضايا الامن والتعاون فى منطقة آسيا والمحيط الهادئ بمافى ذلك الرقابة على الاسلحة وتجارة الاسلحة وتعزيز نظام حظر انتشار السلاح النووي. كما تم التوقيع على اتفاقية تشكيل اللجنة الحكومية الثنائية المشتركة. وتعقد لقاءات بين الرئيسين الروسى والفيليبينى بشكل منتظم فى إطار قمتى منظمة التعاون الاقتصادى لدول منطقة آسيا والمحيط الهادئ ومجموعة دول جنوب شرق آسيا عام ٢٠٠٥ و٢٠٠٧ وقمة دول شرق آسيا عام ٢٠٠٦ . وزار الفيليبين عام ١٩٩٦ وزير الخارجية الروسية يفغينى بريماكوف ووقع مذكرة التعاون بين وزارتى الخارجية الروسية والفيليبينية فى مجال إعداد الكوادر الدبلوماسية. وفى ديسمبر عام ٢٠٠٢ زار الفيليبين فى زيارة رسمية وزير

الخارجية الروسية إيغور إيفانوف. وبعد مرور ٣ سنوات زار موسكو فى زيارة العمل وزير الخارجية الفيليبينى ألبرتو رومولو.

وقع سيرغى إيفانوف وزير الخارجية الروسية فى أغسطس عام ٢٠٠٧ مع زميله الفيليبينى اتفاقية السفرات المتبادلة للاشخاص الذين يحملون جوازات دبلوماسية ورسمية. كما تم التوقيع على اتفاقية التعاون فى مجال مكافحة تجارة المخدرات.

التعاون فى المجال الاقتصادى والتجاري

تم التوقيع على أول اتفاقية بين البلدين فى المجال الاقتصادبى عام ١٩٧٦ . وفى عام ١٩٨٩ تم التوقيع على اتفاقية التعاون التقني، وعام ١٩٩٢ اتفاقية النقل الجوي، وعام ١٩٩٥ اتفاقية إلغاء الضرائب المزدوجة، وعام ١٩٩٧ اتفاقية الحماية المتبادلة للاستثمارات المتبادلة. وتم فى عام ٢٠٠٨ التوقيع على اتفاقية التعاون بين غرفتى التجارة الروسية والفيليبينية.

وساعد تزايد الاتصالات الاقتصادية فى نمو التجارة بين البلدين. وازداد التبادل السلعى للتجارة الروسية الفيليبينية فى الفترة ما بين عامى ١٩٩٢ و١٩٩٧ من قيمة ٤٣,٢ مليون دولار الى قيمة ٤٨٠ مليون دولار. ثم شهد التعاون الثنائى انخفاضا، وبلغ التبادل السلعى عام ٢٠٠٧ قيمة ٢٤١.١ مليون دولار، ثم صار ينمو وبلغ عام ٢٠٠٨ قيمة ٤١٤,٣ مليون دولار. ولدى ذلك بلغ مستوى التصدير الروسى الى الفيليبين ٢٤٣,٢ مليون دولار. وتعود نسبة ٨٠٪ من الصادرات الروسية الى المنتجات المعدنية. وتصدر روسيا الى الفيليبين أيضا الاسمدة المعدنية وبعض انواع المواد الكيميائية والورق والمشروبات الروحية. وتستورد روسيا من الفيليبين الفواكه والفستق والاجهزة الالكترونية ومنتجات

صناعة التعدين والالبسة الجاهزة والاحذية وزيت النخل ومواد التجميل.

الاهتمام بتطوير التعاون اللاحق

يبدى الجانب الروسى اهتمامه بتحقيق برامج اقتصادية واستثمارية، وضمنها فى مجال الجيولوجيا، واستخراج النفط والغاز، وبناء السكك الحديد. اما الجانب الفيليبينى فيبدى اهتماما باقامة التعاون مع روسيا فى مجال الطاقة وتجارة المنتجات الزراعية . وتشهد السياحة الى الفيليبين فى الاونة الاخيرةنموا مضطردا فى عدد السياح الروس حيث ازداد هذا العدد عام ٢٠٠٧ بنسبة ٣٠٪.

ولكن أيضا :

من تلاحظ الأرقام نجد أن القفزة فى خمسة سنوات ما بين ١٩٩٢ ، ١٩٩٧ من ٤٣.٢ مليون دولار إلى ما قيمته ٤٨٠ مليون دولار خاضعة للتطور السياسى فى المنطقة والتى ربما تشهد قرباً من مسرح العمليات أو المسرح السياسى فى الفترة القادمة نحو الاهتمام الروسى والأمريكى أيضا بجنوب شرق أسيا والتى تعنى الكثير فى توازن القوى السياسية وربما العسكرية أيضاً والإستراتيجية بالطبع والتى كانت الفلبين هى أول محطة فى رحلة الإمبراطورية الأمريكية نحو العالم وهى تعنى الكثير فى الحركة الأمريكية وخشية أن يعيد التاريخ نفسه ؟! .

الفصل الثالث

العلاقات الروسية الباكستانية

تم فى ١ مايو عام ١٩٤٨ تبادل مذكرتين حول إقامة العلاقات الدبلوماسية وفتح سفارتين بين وزارتى خارجية الاتحاد السوفيتى وباكستان.

كانت علاقات باكستان مع الاتحاد السوفيتى وروسيا فيما بعد بصفتها الوريثة الرئيسية لحقوقه تتسم بمراحل مد وجزر وذلك بسبب انضمام باكستان والاتحاد السوفيتى الى حلفين سياسيين عسكريين مناهضين لبعضهما البعض.

وكان موقف باكستان الموالى للغرب والولايات المتحدة يحول دون تطوير تعاونها مع الاتحاد السوفيتي ،الذى كان يحمل فى مرحلته الاولى طابعا محدودا نسبيا ، ويقتصر عموما على العلاقات التجارية . ولم تساعد فى تحسين الوضع العلاقات الوطيدة بين الاتحاد السوفيتى والهند وأفغانستان – اللتين لم تطبع باكستان علاقاتها معهما فيما يخص الخلافات حول وجود اراض متنازع عليها .

وقد قامت باكستان فى مطلع الستينات من القرن الماضي بمحاولة لتحسين علاقاتها مع الاتحاد السوفيتي ، وذلك فى فترة شهدت برودا فى العلاقات الباكستانية الامريكية . وتمت فى أبريل عام ١٩٦٥ الزيارة الرسمية التي قام بها رئيس باكستان محمد أيوب خان إلى الاتحاد السوفيتى . وقد ساهم دور الوساطة الناجح الذى قام به الاتحاد السوفيتى فى تسوية النزاع الهندى الباكستانى عام ١٩٦٥ وتوج بتوقيع بيان طشقند فى مطلع عام ١٩٦٦ ،الذى ساهم فى عملية التقارب التدريجى بين الاتحاد السوفيتى وباكستان ، وفى تلك الفترة بالذات تم وضع أساس للعلاقات التجارية والاقتصادية الثابتة

والتعاون فى المجال الاجتماعى والثقافى بين البلدين. وتم عقد عدد من الاتفاقيات الثنائية، بما فيها اتفاقية التعاون فى مجال استكشاف النفط والغاز عام ١٩٦١ ، واتفاقية الاتصال الجوى المباشر بين موسكو وكاراتشى عام ١٩٦٣ ، واتفاقية توريد الآليات الزراعية الى باكستان عام ١٩٦٤ ، واتفاقية التعاون فى المجال الاقتصادى والتقنى والطاقى والزراعى ومجال النقل والمواصلات عام ١٩٦٦ ، واتفاقية عام ١٩٦٨ لإنشاء مصنع الحديد والصلب فى كاراتشى الذى تم إنجازه فى ثمانينات القرن الماضي، وتحديثه أعوام ٢٠٠٣-٢٠٠٥ بمشاركة الجانب الروسي. وفى عام ١٩٦٨ زار باكستان رئيس الوزراء السوفيتى ألكسى كوسيغين، حيث وقع عددا من اتفاقيات التعاون فى المجالات الاقتصادى والعلمى والتقنى والثقافي.

لكن عملية تطور التعاون ذى المنفعة المتبادلة تباطأت لتفاقم الوضع على الصعيد الدولى بسبب وقوع النزاع فى أفغانستان المجاورة لباكستان و إدخال القوات السوفيتية الى أراضى أفغانستان. وعادت باكستان تعارض الاتحاد السوفيتي.

وبعد تفكك الاتحاد السوفيتى أصبحت جمهورية باكستان الاسلامية أول دولة عمليا تعلن اعترافها بروسيا الاتحادية، بصفتها الوريث الشرعي لحقوق الاتحاد السوفيتي.

ونتيجة الزيارتين اللتين قام بهما الى باكستان كل من نائب رئيس روسيا ألكسندر روتسكوى عام ١٩٩١ ووزير الخارجية ألكسندر كوزيريف عام ١٩٩٣ تم بحث إمكانية توريد الاسلحة الروسية الحديثة الى باكستان، مقابل استيراد السلع الاستهلاكية منها. وخلال الزيارة الجوابية التى قام بها وزير الخارجية الباكستانى الى موسكو وقعت بالاحرف الاولى معاهدة التعاون بين روسيا وباكستان ومبادئ العلاقات وكذلك مشاريع الاتفاقيات الخاصة بالتعاون

التجارى والاقتصادى والعلمى والتقنى والثقافي. وفى عام ١٩٩٩ تمت الزيارة الرسمية لرئيس الوزراء الباكستانى نواز شريف الى روسيا الاتحادية.

انضمت روسيا وباكستان الى التحالف المضاد للارهاب بعد وقوع العمليات الارهابية فى نيو يورك عام ٢٠٠١. وأخرجت الزيارة الرسمية للرئيس الباكستانى برويز مشرف الى روسيا الاتحادية فى فبراير عام ٢٠٠٣ العلاقات بين البلدين من حالة الجمود. وساعدت باكستان روسيا فى انضمامها الى منظمة المؤتمر الاسلامي، كعضو مراقب فيها عام ٢٠٠٥. اما روسيا فأيدت بدورها باكستان فى الحصول على وضع مماثل بمنظمة شنغهاى للتعاون عام ٢٠٠٣.

التعاون الاقتصادي

نتيجة تحسن العلاقات فى السبعينات ازدادت حصة باكستان فى التبادل التجارى الخارجى للاتحاد السوفيتى من نسبة ٠،٠٦٪ عام ١٩٦٠ الى نسبة ٠،٢٧٪ من اجمالى التبادل التجارى الخارجى للاتحاد السوفيتى عام ١٩٧٠.

وتعاظم دور الاتحاد السوفيتى فى مساعدة باكستان على إنجاز المشاريع الاقتصادية فى مجال الاستكشاف الجيولوجى والنقل البرى والاتصالات. بالاضافة الى ذلك بُذلت جهود لاقامة العلاقات فى المجال العسكرى التقني، حيث تم توقيع اتفاقية توريد الدبابات والمدافع والمروحيات الحربية الى باكستان عام ١٩٦٩. ولكن لم يتم إنجاز تلك الخطط فيما عدا صفقة توريد ١٢مروحية من طراز «مى - ٨» و١٨٠ مدرعة مشاة وذلك بسبب الضغوط من الجانب الهندي.

فى الفترة ما بين مطلع وأواخر السبعينات أقيم التعاون بين لجنة الطاقة الذرية فى الاتحاد السوفيتى ولجنة الطاقة الذرية الباكستانية،

اللتين بدأتا العمل المشترك على إنجاز المشاريع السلمية فى المجال النووي. ويزداد فى الوقت الحاضر التعاون الاقتصادى الثنائي، ولو بوتائر بطيئة وبلغ حجم التبادل السلعى بين البلدين ١٠٠ مليون دولار فقط عام ٢٠٠٣ و٢٧٨ مليون دولار عام ٢٠٠٥ و٤٠٠ مليون دولار عام ٢٠٠٧

التعاون فى المجال الثقافى والانساني

تم فى مدينة روالبندى فى يونيو عام ١٩٦٥ توقيع أول اتفاقية ثنائية بين البلدين فى المجال الثقافى والعلمي. وفى عام ١٩٦٦ تأسست فى موسكو جمعية الصداقة السوفيتية الباكستانية.

وشهدت السبعينات من القرن الماضى نهوضا بمستوى التعاون الثنائى بين العلماء ورجال الثقافة للبلدين. وانتخب عالم الفيزياء الباكستانى البارزعبد السلام عام ١٩٧١ عضوا أجنبيا فى أكاديمية العلوم السوفيتية. كان الجانب السوفيتى يقدم المساعدة لباكستان فى إطار الاتفاقيات الخاصة بإعداد الكوادر ذات الكفاءة فى مجال الجيولوجيا والتعدين والانشاءات. وتلقى ١٥٠٠ خبير باكستاني فى كل سنة التدريب ٧٨ دورة تخصصية، وذلك بمركز التدريب التابع مصنع الحديد والصلب فى مدينة كاراتشي. وتلقى عام ١٩٧٩ ما يزيد عن ٣٠٠ طالب باكستاني التعليم بشتى التخصصات فى مختلف المؤسسات التعليمية السوفيتية. وتم عام ١٩٩٧ توقيع اتفاقية التعاون العلمى التقنى بين روسيا الجديدة وباكستان ، الامر الذى ساعد كثيرا فى انعاش العلاقات الثنائية فى المجال العلمي. وشهد التعاون العلمى التقنى بين البلدين تطورا فى مجال الاتصال الفضائى والتكنولوجيا. وبدأ العلماء الروس والباكستانيون فى إنجاز عدد من المشاريع المشتركة الخاصة باستكشاف الفضاء الكونى والاتصالات عن طريق الاقمار الصناعية.

الفصل الرابع

روسيا واليابان، العلاقات تتطور والسلام غائب

يربط روسيا واليابان فى الاونة الاخيرة التعاون الاقتصادى التجارى النشيط.. وتشير نتائج عام ٢٠٠٨ الى ان التبادل السلعى بين البلدين بلغ قيمة ٣٠ مليار دولار، وثمة عدد كبير من المشاريع الاستثمارية، الامر الذى لا يمكن الا ان يثير العجب، لو لا عامل واحد يتمثل فى انه لم تعقد بين روسيا واليابان معاهدة سلام لحد الان. وهناك مشكلة تعقّد العلاقات بين الدولتية، وهيى مصير جزر الكوريل. والجزر المتنازع عليها هى ١٤ جزيرة تقع بين اليابان وجزيرة ساخالين. وانها تقسم الى جزر سلسلة الكوريل الكبيرة، وضمنها جزيرة إيتوروب التى تبلغ مساحتها ٣ آلاف كيلومتر مربع، وجزيرة كوناشير التى تبلغ مساحتها ١,٥ ألف كيلومتر مربع، وسلسلة جزر الكوريل الصغيرة، وضمنها جزيرة شيكوتان البالغة مساحتها ١٨٢ كيلومار مربع،وكذلك ٥ جزر تابعة لارخبيل هابوماى ومجموعات من الجزر الصغيرة التى هي عبارة عن صخور بارزة من البحر، وهى جزر «اوسكولكي و» وديومين» و«سكالني» التي تبلغ مساحتها العامة ١١٨ كيلومتر مربعوبالرغم من الصغر الجغرافى فان جزر الكوريل الجنوبية لها وزن اقتصادى وعسكرى استراتيجي. وتعتبر المياه المحيطة بالجزر غنية بالثروة السمكية. ويتم فيها اصطياد ١,٦ مليون طن من الاسماك والمواد البحرية سنويا، مما يشكل ثلث كمية السمك المصطاد فى بحار الشرق الاقصى. ويتصف مضيق الكوريل الجنوبى بوجود أنواع ثمينة من السمك، ناهيك عن وجود الموارد المعدنية المستكشفة ، بما فيها التيتانيوم والمغنيسيوم والكوبلت والنحاس

والرصاص والزنك والبلاتين والذهب والكبريت. كما يوجد فى جزيرة ايتوروب حقل وحيد فى العالم من معدن الرينى النادروتكتسب جزر الكوريل، بما فيها الجنوبية منها، أهمية استراتيجية فائقة بالنسبة لروسيا، اذ انها عبارة عن خط وحيد من جهة المحيط الهادئ يسمح بالدخول فى بحر أوخوتسك ومنطقة الشرق الاقصى الروسية المطلة على المحيط الهادئ. كما انها تزيد الى حد كبير من منطقة الدفاع القارى وتضمن أمن طرق المواصلات المؤدية الى القواعد العسكرية الواقعة في شبه جزيرة كامتشاتكا والرقابة على مياه بحر أوخوتسك والاجواء فوقها

ظهور الروس فى جزر الكوريل و تقول روسيا ان :

ظهور الروس فى جزر الكوريل فى النصف الاول من القرن الثامن عشر. وبعد مرور ١٠٠ عام فرضت روسيا فى واقع الامر سيطرتها عليها. وكانت الخرائط الروسية والاوروبية الغربية حينذاك تصف سلسلة جزر الكوريل كلها بانها جزء من لا يتجزأ من الامبراطورية الروسية. وفى عام ١٧٨٦ حين وصل اليابانيون الاوائل الى جزيرة ايتوروب وجدوا بعض أهلها الاصليين « أين» يجيدون اللغة الروسية . وفى ٢٨ يوليو عام ١٧٩٨ جاء اليابانيون ليزيلوا الشواخص الروسية وينصبوا أعمدة لهم تنص على ان هذه الارض تعد ملكية لليابان الكبرى. وقد أنشئت فى جزيرة هوكايدو اليابانية فى عام ١٨٠٢ الهيئة الخاصة باستيطان جزر الكوريل. ومنذ ذلك الحين اكتسبت عملية التوسع اليابانية طابعا منتظما. وتقدم المبعوث الروسى نيقولاى ريازانوف الذى وصل الى طوكيو عام ١٨٠٥ باحتجاج للحكومة اليبانية بسبب ان كل الاراضى الواقعة شمالى ماتسماى او هوكايدو تعد ملكية للامبراطور الروسي. الا ان اليابانيين لم يكفوا عن مطامعهم وغدت جزيرة ساخالين موضوعا اخر لادعاءاتهم.

روسيا تتخلى عن الكوريل قسرا

كانت روسيا تخوض حرب القرم فى عام ١٨٥٥ ، وكانت تواجه التحالف المتألف من فرنسا والامبراطورية العثمانية وبريطانيا العظمى وسردينية، وذلك بغية فرض السيطرة على البحر الاسود والبلقان والقوقاز، الامر الذى تسبب فى إضعافها وجعلها توقع قسرا على اتفاقية «سيمود » التى تنازلت بموجبها لصالح اليابان عن جزر الكوريل الجنوبية « هابوماى وشيكوتان وكوناشير وايتوروب مقابل احلال السلام الأبدى والصداقة الدائمة. وفى عام ١٨٧٥ تم عقد اتفاقية بطرسبورغ التى تنازلت روسيا بموجبها عن سلسلة جزر الكوريل كلها مقابل اعتراف اليابان بحق الملكية الروسية على جزيرة ساخالين او بالاحرى تعهد اليابان بعدم الادعاء باراضى لم تكن تملكها أبدا.

وفى عام ١٨٩٥ توجهت فى آن واحد كل من روسيا وألمانيا وفرنسا على حدة الى الحكومة اليابانية بطلب التخلى عن ضم شبه جزيرة لياو تونج التى تعود حاليا الى الاراضى الصينية. فنالت روسيا فى عام ١٨٩٨ الحق باستئجار شبه الجزيرة هذه، الامر الذى زاد من النزعة المضادة للروس لدى اليابانيين وتفاقم العلاقات بين البلدين بشكل تدريجى .

الحرب الروسية اليابانية

وقد أدى الخلاف الناجم عن امتياز روسيا فى غابات كوريا واحتلالها لمنشوريا الى تفاقم حاد فى العلاقات الروسية اليابانية. وبالرغم من ضعف المواقف الروسية فى الشرق الاقصى لم يتنازل نيقولاى الثانى عن حقوقه، مما حمل اليابان على البدء بالحرب على روسيا.

وقد تسبب هجوم الاسطول اليابانى قبل إعلان الحرب رسميا على الاسطول

الروسى الراسى فى ميناء بور أرثور فى ليلة ٩ فبراير عام ١٩٠٤، تسبب فى تعطيل أهم السفن الحربية الروسية وساعد على انزال القوات اليابانية فى كوريا ومنشوريا بدون ان تلقى مقاومة.

وبدأ اليابانيون بمحاصرة بور أرثور فى مطلع شهر اغسطس عام ١٩٠٤ مستفيدين من عدم حسم القيادة الروسية. فأجبر فى ٢ يناير عام ١٩٠٥ حامية القلعة على الاستسلام. وتم تدمير ما تبقى من الاسطول الروسى فى بور أرثور من قبل اليابانيين، او ان طاقمها قام بنفسه بتفجير السفن.

وفى فبراير عام ١٩٠٥ اجبرت اليابان الجيش الروسى على الانسحاب بعد انهزامه فى معركة موكدن وتدمير الاسطول الروسى الذى تم نقله الى الشرق الاقصى من بحر البلطيك خلال معركة تسوسيما فى ١٤-١٥ مايو عام ١٩٠٥. وجعل كل ذلك بالاضافة الى قيام ثورة عام ١٩٠٥ فى روسيا جعل نيقولاى الثانى يوافق على البدء في مباحثات السلام مع اليبانوانتهت الحرب بعقد معاهدة السلام فى مدينة بورسموث ٢٣ اغسطس عام ١٩٠٥ ، وبموجب شروط السلام تنازلت روسيا عن حقوقها بالقسم الجنوبى من جزيرة ساخالين وحقها باستئجار شبه جزيرة لياو تونج والسكة الحديد فى منشوريا الجنوبية .

حل قضية الجزيرة بعد الحرب العالمية الثانية

تم تأكيد شروط معاهدة بورسموت لدى اقامة العلاقات السوفيتية اليابانية فى عام ١٩٢٥. مع ذلك فان الوفد السوفيتى أصر على ادراج بند فى نص البيان المشترك مفاده ان الاعتراف بهذه المعاهدة لا يعنى ان الحكومة السوفيتية تشارك الحكومة القيصرية فى مسؤوليتها عن عقد تلك المعاهدة.

تمكن الاتحاد السوفيتى فى أثناء الحرب العالمية الثانية من إقناع حليفتيه

بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية فى الائتلاف المضاد لهتلر بالموافقة على اعادة الاتحاد السوفيتى لاراضيه التى احتلتها اليابان. وفى فبراير عام ١٩٤٥ عقد فى مدينة يالتا المؤتمر الذى توصل الى اتفاق حول موعد دخول الاتحاد السوفيتى الحرب مع اليابان ، وذلك مع شرط ان يعاد الى موسكو بعد انتهاء الحرب القسم الجنوبى من جزيرة ساخالين وجزر الكوريل. وبدأ الاتحاد السوفيتى عملياته الحربية ضد اليابان فى شهر أغسطس عام ١٩٤٥. وتم انزال القوات السوفيتية على جزر الكوريل. فاستسلمت اليابان فى ٢ سبتمبر عام ١٩٤٥ واعلن الاتحاد السوفيتى عن ضمها الى اراضيه.

وعقد فى عام ١٩٥١ مؤتمر السلام فى مدينة سان فرانسيسكو الامريكية بهدف عقد معاهدة للسلام مع اليبان. ورفض الوفد السوفيتى توقيع المعاهدة التي طرحت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا مشروعا لها، فاقترحت موسكو تعديلاتها للمعاهدة ، ولكن لم يتم اخذها بالحسبان.

وفى عام ١٩٥٦ توجهت اليابان بطلب انضمامها الى هيئة الامم المتحدة . فتم توقيع البيان المشترك بين البلدين حول تطبيع العلاقات بينهما. وتشير بعض التقييمات الى ان هذه الوثيقة كان من شأنها ان تضعف مواقف الاتحاد السوفيتى فيما يتعلق بمسألة حدودها. وكانت المادة التاسعة للبيان تنص على ان الاتحاد السوفيتى يوافق على « ان تسلم الى اليابان جزيرتا هابوماى وشيكوتان مع شرط أن لا يتم ذلك إلا بعد توقيع معاهدة السلام بين الاتحاد السوفيتى واليابان».

كانت الولايات المتحدة خلال الحرب الباردة تؤيد موقف اليابان فى النزاع حول جزر الكوريل الجنوبية وتبذل كل ما فى وسعها للحيلولة دون تخفيف الموقف. فاعادت اليابان النظر فى موقفها من بيان عام ١٩٥٦ تحت

ضغط الولايات المتحدة. وصارت تطالب باعادة جميع الاراضى المتنازع عليها.

واشترط الاتحاد السوفيتى لتوقيع معاهدة الامن اليابانية الامريكية الجديدة إعادة جزيرتى هابوماى وشيكوتان الى اليابان انسحاب جميع القوات الاجنبية من اراضيها. وردا على ذلك تقدمت اليابان باعتراض مفاده انه لا يمكن ان يغير من جانب واحد مضمون البيان المشترك بين الاتحاد السوفيتى واليبان والذى يعد معاهدة صادق عليها برلمانا كلا البلدين. فوردت بعد فترة تصريحات من الجانب السوفيتى مفادها ان مسألة الاراضى فى العلاقات بين الاتحاد السوفيتى واليابان قد تم حلها فى نتيجة الحرب العالمية الثانية. ولذلك فقد انتهت بحد ذاتها.

وكان البيانان المشتركان السوفيتى واليابانى اللذان تم اتخاذهما فى عامى ١٩٧٣ و١٩٩١ ينصان على اهمية توقيع معاهدة السلام بين البلدين وحل ما تبقى من مسائل النزاع التى خلفتها الحرب العالمية الثانية.

واعترفت طوكيو وروسيا الاتحادية بان الاخيرة هى الوريث الشرعي للاتحاد السوفيتي. وما تزال المباحثات التى كانت تجرى بين الاتحاد السوفيتى واليابان فى موضوع عقد معاهدة السلام مستمرة بين اليابان وروسيا الاتحادية. وخلال الزيارة التى قام بها رئيس روسيا بوريس يلتسين الى اليابان فى شهر أكتوبر عام ١٩٩٣ تم توقيع بيان طوكيو، الذي أكد ان «الجانبين أجريا مباحثات جادة حول تبعية جزر إيتوروب وكوناشير وهابوماي. واتفق الجانبان على مواصلة المباحثات بهدف توقيع معاهدة السلام فى أسرع وقت، على أساس مبدأ الشرعية والعدالة».

النزاع بين روسيا واليبان ينتقل الى القرن الحادى والعشرين

وفى الفترة اللاحقة كان ينظر مرارا في مسائل توقيع معاهدة السلام ورسم الحدود بين روسيا واليابان خلال اللقاءات بين زعيمى الدولتين. ونتيجة تلك

اللقاءات كان الجانبان يتخذان قرارات ببذل قصارى الجهود لعقد معاهدة السلام بحلول عام ٢٠٠٠ لكن ذلك لم يتم.

وأعرب الرئيس بوتين فى عام ٢٠٠٥ استعداده لحل نزاع الاراضى طبقا لبيان عام ١٩٥٦ ،او بالاحرى تسليم جزيرتى هابوماى وشيكوتان الى اليابان. لكن الجانب اليبانى لم يوافق على الحل الوسط. فى يوليو عام ٢٠٠٧ قبل سيرغى ناريشكين نائب رئيس الوزراء الروسى اقتراح تقدم به ياسوهيسا شيوزاكى سكرتير مجلس الوزراء اليابانى بتقديم المساعدة فى تطوير منطقة الشرق الاقصى الروسية، وذلك بغية تخفيف التوتر بين البلدين. وكان الحديث يدور حول تطوير الطاقة الذرية ومد كابل الانترنت عبر الاراضى الروسية للاتصال بين اوروبا وآسيا وتطوير البنية التحتية، وكذلك التعاون فى مجال السياحة وحماية البيئة والأمن. وكان قد نظر فى الاقتراح فى يونيو عام ٢٠٠٧ خلال قمة الثمانى الكبار بين شينزو آبى رئيس الوزراء اليبانى وفلاديمير بوتين رئيس روسيا.

وقد جرى فى ١ يوليو اللقاء بين رئيس روسيا دميترى مدفيديف ورئيس الوزراء اليبانى تارو أسو، ولم يسفر اللقاء عن حدوث اى تحريك فى مسألة الاراضي.

العلاقات التجارية والعلمية بين روسيا واليابان

ازداد التبادل التجارى بين البلدين فى السنوات الاخيرة بمقدار ٣ أضعاف. وبلغ فى عام ٢٠٠٨ ما قيمته ٣٠ مليار دولار. ويحتوى القسم الاكبر من الصادرات اليابانية على آلاليات، بما فيها السيارات. اما المكون الرئيسى للصادرات الروسية الى اليابان فهو الخامات، بما فيها النفط والاخشاب. وقد شكلت فى نوفمبر عام ١٩٩٤ اللجنة الحكومية المشتركة الخاصة بمسائل

التجارة والاقتصاد. Sوطرحت اليابان فى عام ٢٠٠٦ مبادرة حول توطيد التعاون الروسى اليابانى فى الشرق الاقصى. وبهذا الصدد تعول روسيا على ان طوكيو ستشارك فى تفعيل مشاريع فى هذه المنطقة الروسية. ويدور الحديث حول المشاريع التى يقضى بها البرنامج الفيدرالى للتنمية الاقتصادية والاجتماعية فى منطقة الشرق الاقصى وما وراء بايكال حتى عام ٢٠١٣ ، والذى صادقت عليه الحكومة الروسية ، بما فى ذلك استصلاح حقول الفحم والحديد وتحديث السكة الحديد العابرة سيبيريا وإنشاء مراكز المواصلات الكبرى والطرق والانفاق والجسور وغيرها من مشاريع البنية التحتية. وقد بلغ مستوى التجارة الثنائية بين البلدين عام ٢٠٠٨ ما يقارب ٣٠ مليار دولار امريكي.

الاستثمارات

يتم فى الاونة الاخيرة توسيع العلاقات فى مجال الاستثمارات بين روسيا واليابان. وبحسب المعلومات الاحصائية فان الاستثمارات اليابانية الاجمالية فى روسيا بلغت عام ٢٠٠٣ ما مقداره ١,٩ مليار دولار ، بما فيها مبلغ ١,٣٥ مليار دولار يعود الى الاستثمارات المباشرة و ٥٥٠ مليون دولار يعود الى ما تبقى من مجالات الاستثمارات. وتشغل اليابان المرتبة الثامنة بين الدول الكبرى التى تستثمر فى روسيا.

وتعتبر شركة «تيوتا» من أكبر وأنشط الشركات المستثمرة فى الاقتصاد الروسي. وشغلت الشركة فى عام ٢٠٠٧ معمل تجميع السيارات فى ضاحية بطرسبورغ. وفى نوفمبر عام ٢٠٠٨ قامت شركة «تويوتا» بتفعيل المجمع المتعدد الوظائف الذى يضم المكتب ومستودع قطع الغيار. وتبلغ الاستثمارات فى إنشائه قيمة ١٢٠ مليون دولار.

وبالاضافة الى ذلك فثمة مشاريع استثمارية كبرى فى مجال الطاقة بجزيرة

ساخالين واستثمارات شركة السجائر اليابانية «جى تي» فى مدينة بطرسبورغ واستثمارات شركة «اساخى غاراسو» فى إنشاء معمل الزجاج فى مقاطعة نيجنى نوفغورود وغيرها من الاستثمارات.

بالرغم من التأثير السلبى للازمة العالمية على نتائج التجارة فى العام الموشك انتهائه حين انتقلت اليابان من المرتبة الثامنة الى المرتبة الحادية عشرة فى قائمة الشركاء التجاريين لروسيا فانه يمكن ملاحظة نمو فى التعاون الاستثماري. وتدخل اليابان فى قائمة الدول المستثمرة العشر فى الاقتصاد الروسي. وتقول ادارة الاحصاء المركزية الروسية ان مستوى الاستثمارات اليابانية فى روسيا ازداد بحلول اواخر شهر يونيو عام ٢٠٠٩ بمقدار مرة ونصف مرة بالمقارنة مع عام ٢٠٠٨. وقد بلغ حجم الاستثمارات الواردة الى روسيا من اليابان خلال فترة يناير – يونيو عام ٢٠٠٩ قيمة ٧٣٧ مليون دولار مما يزيد بمقدار الضعف عن المؤشر السنوى لعام ٢٠٠٨. ولدى ذلك فان حجم الاستثمارات المباشرة زاد بنسبة ٧٪ عما هو عليه فى عام ٢٠٠٨.

التعاون فى مجال الطاقة

تعتبر المشاريع الروسية اليابانية المشتركة فى مجال الطاقة احد المكونات الرئيسية للعلاقات الاقتصادية الروسية اليبانية، مثل مشاريع ساخالين على سبيل المثال. وبعد ان اتخذت شركات قطاع الغاز الطبيعى والطاقة الكهربائية اليابانية فى مايو عام ٢٠٠٣ قرارا بتحقيق ارساليات الغاز السائل طويلة الامد فى اطار مشروع « ساخالين – ٢ » قرر المشاركون فى المشروع توظيف استثمارات جديدة بمقدار نحو ١٠ مليار دولار، بما فى ذلك مبلغ ٥ مليار دولار يعود الى الشركات اليابانية.

وتجرى حاليا المباحثات بين شركة «Japan Pipeline Development

Organization اليابانية وشركة "غازبروم" الروسية حول إنشاء المؤسسة المشتركة الخاصة بتجارة الغاز الطبيعي في السوق الاوروبية. كما تعمل شركة "Japan Pipeline Development Organization" منذ عام ١٩٩٨ على اعداد مشروع إنشاء خط انابيب الغاز الذى سيمتد من جزيرة ساخالين الى جزيرة هوكايدو اليابانية. وبحسب المشروع الذى اعدته شركة "ستروى غاز" الروسية سيمر خط انابيب الغاز بمسارين، أولهما هو البرى والبحرى بطول ١٩٢ كم، بما فيه ٦٣ كم للخط البحري، وثانيهما هو البحرى بطول ١٦٩ كم. وقد تبلغ قدرة المشروع ٣ مليار متر مكعب من الغاز سنويا.

ثمة مثال آخر للتعاون ، وهو مناقشة مسألة إنشاء خط انابيب النفط المؤدى الى ساحل المحيط الهادئ. وفى نوفمبر عام ٢٠٠٥ وقع الرئيس الروسى فلاديمير بوتين ورئيس الوزراء اليابانى جونيشيرو كويزمى اتفاقية اولية خاصة بإنشاء خط انابيب النفط هذا. وقد يبلغ طول الخط ٤١٠٠ كم. وقد تبلغ كلفته ١١ مليار دولار. وستعادل قدراته على تمرير النفط ١,٥ مليون برميل من النفط يوميا.

التعاون العلمى التقني

بالاضافة الى ذلك يحقق التعاون فى مجال التبادل العلمى التقني، سواء كان على المستوى الحكومي فى اطار الاتفاقية الموقعة بين الحكومتين حول التعاون العلمى التقنى والاتفاقية حول التعاون فى مجال البحوث العلمية واستخدام الفضاء الكونى للاغراض السلمية وغيرها من الاتفاقيات، او بين الشركات اليابانية الخاصة ومؤسسات الدراسات والابحاث العلمية الروسية ، وذلك عن طريق إجراء دراسات وأبحاث من مختلف الانواع على قاعدة المركز العلمى التقنى الدولى الذى يقع مقره الرئيسى فى موسكو، وغيرها من المؤسسات.

الفصل الخامس

العلاقات الروسية الصينية

إن التاريخ هو دراسة الأحداث فى أزمنتها بدلا من دراسة الأشياء فى أمكنتها ومن هنا يتكون لديك منظور رحب وأوسع للحياة والواقع يمكنك من تحقيق وتحديد موقفك مسبقاً من أى جانب من جوانب الواقع أو الحياة هو جزء لا يتجزأ من الفلسفة التى تحقق منظور واسع ورحب وأكثر تفهما وتسامحاً أيضاً ولأنه يحقق أيضا محاول لتحقيق المنظور الفلسفى عبر دراسة الأحداث فى أزمنتها ويقول " نتشه " رأيه فى ذلك " بأن الفلسفة كلها أصبحت اليوم رهينة التاريخ .. " ومن هنا فإننى أرى أن دراسة التاريخ هو أفضل إعداد لفهم مشكلات الحاضر ورؤية المستقبل .. ويقول أيضاً " ويل ديورانت " إن الدول التى تمنح حرية كتابة التاريخ وفلسفته وجب قسمتها " بلاد العقل " التى تحافظ على التراث الإنسانى ..

والفكر الصينى مازال متأثراً إلى حد ما وحتى الآن بالنهل من فكر الحكماء لأنه لا يتحدث عن قديسين ولا يتحدث عن الصلاح بقدر ما يتحدث عن الحكمة فليس الرجل المثالى (وأعنى القدوة) فى نظر الصينيين هو المتين الورع بل هو صاحب العقل الناضج الرزين ... وهنا تظهر النقطة الهامة لأن الحكيم إذا عرف أكثر من الأخرين فهو يحاول إخفاء ما يعرفه فهو يجد تألفه مع ضآلة شأن الأخرين وأنه يتفق مع الناس البسطاء أكثر مما يتفق مع الناس المتعلمين وهو لا يعبأ بالثروة أو السلطان بل يقلص رغبته وشهواته إلى الحد الأدنى الذى

يكاد يتفق مع العقيدة البوذية وعندما ذهب " كونفو شيوس " حكيم الصين البارع فى بداياته إلى " لاوتسه " حكيم الحكماء ليطلب صله الحكمة بالتاريخ أجابه فظة قائلاً " إن الذين تسأل عنهم قد أستحالوا هم وعظامهم تراباً ... فأنزع عنك كبرياءك وتخلص من مطامحك الكثيرة ومن تصنعك ومآربك المتهورة .. " ومن هنا أجدنى أرى الغمامة مازالت محلقة فوق العقل الصينى للإبداع الخلاق... ومن ناحية أخرى أجد نمط الحياة وأوجه الصرف تغير إلى حد بعيد بعيداً عن روح الإمبراطورية فلم يكن تغيير تصميم الملابس الداخلية فى الصين مثلاً وليد الموضة والأزياء ولكنه فى الأكثر وليد التوفير بقدر الحاجة والحاجة فقط ولا داعى للزيادة ؟! بينما ظهرت تقارير دراسة عن عام ٢٠١١ تشير إلى إنفاق الشعب الصينى ما يقرب من ٢٧ مليار دولار سنوياً للدخول على المواقع الإباحية فى " الانترنت " وهو مبلغ يعادل ميزانية دوله مثل " الأردن " ثلاث مرات ومثل " اليمن " مرتين تقريباً ...؟! إن ذلك كله أبعد الصين ولو مرحلياً لتعلو إلى القمة وإن كانت على مقربة منها ؟!! .

ويُلاحظ فى السنوات الأخيرة نشوء تعاون وثيق بين روسيا والصين. إن مواقف البلدين فى منظمة الأمم المتحدة وخاصة فى مجلس الأمن غالباً ما تكون متطابقة أو متقاربة. فكلاهما تدعوان إلى عالم متعدد الأقطاب وإلى تعزيز دور الأمم المتحدة فى حل النزاعات القائمة بالطرق السلمية وتقفان ضد إنتشار السلاح النووي. وقد جرى مؤخراً تطور ملحوظ باتحاه تعزيز التعاون الروسى الصينى ضمن اطار منظمة شنغهاى . ويدل على ذلك اتساع نطاق التدريبات المشتركة الخاصة بمحاربة الإرهاب والقيام بعدد كبير من الاعمال المنسقة المتعلقة بمكافحة تجارة المخدرات لقد أعلن عام ٢٠٠٦ عام روسيا فى الصين واحتُفل فى روسيا عام ٢٠٠٧ بعام الصين. وأُجريت

بهذين المناسبتين زهاء ٥٥٠ فعالية تعليمية ورياضية واجتماعية

التعاون الاقتصادى والتجاري

وخلال العامين ٢٠٠٦ – ٢٠٠٧ تطور التعاون فى مجال التجارة والاستثمارات والطاقة. كما أقيمت ندوات صينية روسية لممثلى قطاع الأعمال. وازداد التبادل السلعى الروسى الصينى فى عام ٢٠٠٨ بالمقارنة مع عام ٢٠٠٧ بنسبة ٣٨.٧٪ وبلغ قيمة ٥٥.٩ مليار دولار. وازداد التصدير الروسي الى الصين فى العام نفسه بنسبة ٣٣٪. كما ازداد الاستيراد الروسى من الصين بنسبة ٤٢.٣٪ و بلغ الفاضل السلبى فى تجارة روسيا مع الصين عام ٢٠٠٨ قيمة ١٣.٥ مليار دولار.

وشغلت الصين عام ٢٠٠٨ المرتبة الثالثة بقائمة الشركاء فى التجارة الخارجية مع روسيا ، وذلك بعد ألمانيا وهولندا. وبلغت حصة الصين فى حجم التبادل التجارى الخارجى لروسيا فى عام ٢٠٠٨ نسبة ٧.٦٪. اما روسيا فشغلت المرتبة الثامنة فى التجارة الخارجية الصينية، وذلك بعد الولايات المتحدة واليابان وهونغ كونغ وكوريا الشمالية وتايوان وألمانيا واستراليا.

وتتطور على نحو فعّال الصلات بين المقاطعات والأقاليم الروسية والصينية . ففى الوقت الحاضر تقيم ٧٠ مقاطعة روسية علاقات مع أقاليم الصين. وقد بلغ حجم التجارة بين روسيا والصين فى عام ٢٠٠٦ حوالى ٣٤ مليار دولار. ثم ازداد فى عام ٢٠٠٧ إلى حد ملحوظ ليصل إلى ٤٨.١٦ مليار دولار. وتشغل الصين عام ٢٠٠٩ المرتبة الاولى فى التجارة الروسية الخارجية، وذلك بالرغم من انكماش حجم التجارة المتبادلة معها. ويلاحظ ابتداءا من عام ٢٠٠٨ انخفاض حجم التبادل السلعى مع الصين ، وذلك على خلفية الازمة المالية والاقتصادية العالمية. وبموجب نتائج الربع الاول لعام ٢٠٠٩ تقلصت التجارة الروسية

الصينية بنسبة ٣٨،٥٪ بالمقارنة مع الفترة نفسها فى عام ٢٠٠٨ ، بما فى ذلك انخفض التصدير الروسى الى الصين بنسبة ٤١٪ وتقلص الاستيراد الروسى من الصين بنسبة ٣٦،٨٪ ، الامر الذى سجل فاضلاً سلبياً فى تجارة روسيا مع الصين بقيمة ١،٥ مليار دولا. لكن تتوفر كافة المقدمات اللازمة لكى يصل حجم التبادل التجارى بين البلدين فى عام ٢٠١٠ إلى أكثر من ٦٠ مليار دولار.

فى عام ٢٠٠١ بلغ الحجم الاجمالى للوقود وموارد الطاقة المصدرة من روسيا إلى الصين ٥٠٠ مليون دولار ، ولكنه ارتفع فى عام ٢٠٠٧ ارتفاعاً كبيراً ليصل إلى ٦،٧ مليار دولار.

فى نوفمبر من عام ٢٠٠٧ وقعت اتفاقية بين شركة « روس نيفت» ومؤسسة الغاز والنفط الحكومية الصينية بخصوص بناء مصنع لتكرير النفط فى زيانغ زيمين باستطاعة قدرها ١٠ ملايين طن فى العام. كما وُقِّع بموسكو فى نوفمبر ٢٠٠٧ ملحق للاتفاقية الحكومية المعقودة بتاريخ ١٨ ديسمبر عام ١٩٩٢ حول التعاون لبناء مصنع فى الصين لانتاج أجهزة الطرد المركزى التى تعمل على الغاز وذلك لتخصيب اليورانيوم .

ووقعت «شبكة الطاقة الموحدة لروسيا» وشركة الكهرباء الحكومية الصينية عقداً لشراء وبيع الطاقة الكهربائية. وعلى العموم فإن النتائج الملموسة للتعاون بين البلدين واضحة للعيان حيث قام الطرفان ببناء المرحلة الأولى من محطة «تيان فان « الكهرذرية. وقد قامت شركة « آتم ستروى اكسبورت» الروسية فى عام ٢٠٠٧ بتسليم المفاعلين الاول والثانى إلى الجانب الصيني. كما وقعت الصين وروسيا فى العام ذاته اتفاقية إطار حول بناء المفاعلين الثالث والرابع للمحطة الكهرذرية المذكورة.

تنامى باطراد فى السنوات الاخيرة التعاون المتبادل فى مجال التجارة والاقتصاد. وحطم فى عام ٢٠٠٨ رقما قياسيا قدره ٥٦.٨٣ مليار دولار.

وتم فى عام ٢٠٠٩ عقد الاتفاقيات الاستراتيجية حول التعاون فى مجال النفط بقيمة ما يقارب ١٠٠ مليار دولار، وذلك فى إطار حوار الطاقة الروسى الصيني. كما تم توقيع اتفاقيات تجارية بين الاقاليم والمؤسسات الاقتصادية لكلا البلدين. ويتطور ايضا التعاون فى قطاعات الغاز والفحم والطاقة الكهربائية. يتنامى تدريجيا منذ منتصف عام ٢٠٠٩ تصدير منتجات المكائن التقنية المدنية الى الصين الشعبية. كما ازداد حجم واردات الاخشاب . ويتم تنويع التصدير الروسى الى الصين. وبدأت روسيا تصدر الى الصين دفعات كبيرة من الفحم الروسى بالاضافة الى إنجاز المشاريع المشتركة فى كل من الصين وروسيا. وتم فى يونيو اقرار الخطة المستقبلية للتعاون المتبادل فى مجال الاستثمار. كما يتطورالتعاون المتعدد الاطر على مستوى الاقاليم لكل من البلدين.

تم فى أعقاب المباحثات الروسية الصينية على مستوى القمة التى جرت فى موسكو فى يونيو عام ٢٠٠٩ توقيع اتفاقية منح قرض قدره ٧٠٠ مليون دولار يقدمه مصرف التصدير والاستيراد الصيني لمصرف « فنيشتورغ بنك» الروسى . وتم كذلك توقيع مذكرتى التفاهم حول التعاون فى مجال الغاز الطبيعى والفحم الى جانب مذكرة التفاهم الموقعة بين مجموعة الشركات « رينوفا» الروسية ومؤسسة استخراج الذهب الحكومية الصينية. وقامت وزارة التنمية الاقتصادية الروسية ووزارة التجارة الصينية بتوقيع مذكرة تفاهم حول تشجيع تجارة المبتكرات فى قطاع صناعة المكائن والآليات للبلدين. وتم فى أعقاب المباحثات بين الرئيسين الروسى والصيني توقيع خطة التعاون الاستثمارى الروسى الصينى والبيان المشترك حول نتائج اللقاء بين رئيسى البلدين والبروتوكول الملحق

بالاتفاقية الموقعة بين الحكومتين الروسية والصينية فى ٢٧ يونيو ١٩٩٧ حول الاسس التنظيمية لآلية عقد اللقاءات بين رئيسى الحكومتين.

التعاون فى مجال الثقافة والمجالات الانسانية

وتعتبر معاهدة حسن الجوار والصداقة والتعاون الموقعة بين الصين وروسيا فى ١٦ يوليو عام ٢٠٠١ اساسا لتطوير العلاقات الثنائية بين البلدين. وانجزت بنجاح عام ٢٠٠٨ خطة العمل الخاصة بتطبيق بنود المعاهدة لفترة اعوام ٢٠٠٥ - ٢٠٠٨. وفى نوفمبر عام ٢٠٠٨ تم إقرار الخطة المماثلة لفترة السنوات الاربع القادمة. وثمة مشاريع ثنائية ضخمة تساهم فى تطوير العلاقات الروسية الصينية ، وبينها مشروعا سنة روسيا فى الصين وسنة الصين فى روسيا اللذان تم انجازهما فى عامى ٢٠٠٦ - ٢٠٠٧ ، ومشروع سنة اللغة الروسية فى الصين الذي اقيمت مراسم افتتاحه عام ٢٠٠٩. وقد تم تحديد اجراءاته. كما من المقرر اطلاق مشروع سنة اللغة الصينية فى روسيا عام ٢٠١٠ .

وتعتبر سنة ٢٠٠٩ سنة اللغة الروسية فى الصين بصفتها جزءا من المشروع الثنائى الواسع النطاق الذى من شأنه ان يطور نجاح سنتى اللغة الروسية فى الصين واللغة الصينية فى روسيا اللتين قد جرتا عامى ٢٠٠٦ - ٢٠٠٧ ويدرس بمؤسسات التعليم العالى الروسية فى الوقت الحاضر ما يزيد عن ١٨ ألف مواطن صيني، ومنهم ٥٠٠ طالب يدرس على حساب الميزانية الفيدرالية الروسية. كما يزداد عدد الطلبة الروس الذين يقومون برفع كفاءتهم فى الصين. وبلغ عددهم ٩ آلاف طالب. وحضر فى عامى ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩ الى روسيا للعلاج والاستجمام اكثر من ١٥٠٠ طفل صينى من المناطق التى تعرضت للزلزال انتهت عام ٢٠٠٨ عملية التسوية الحدودية بين روسيا والصين. وتم توقيع الوثائق الخاصة بترسيم الحدود الروسية الصينية ، الامر الذى يعنى التسوية القانونية التامة

لمشكلة الحدود الصينية الروسية.

ويصادف عام ٢٠٠٩ الذكرى الستينية لاقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين. وفى هذه الاثناء تم التنسيق بشأن الفعاليات اليوبيلية التى سيجرى القسم الأكبر منها فى شهر اكتوبر حين سيقوم رئيس الوزراء الروسى فلاديمير بوتين بزيارة الصين الشعبية.

الفصل السادس

العلاقات الروسية الصربية

تنظر روسيا الى جمهورية صربيا كاستمرار لدولة صربيا والجبل الاسود المتحدة وجمهورية يوغوسلافيا الاتحادية السابقة.

ويستمر تقليديا الحوار السياسى بين روسيا وصربيا الذى يشمل مواضيع تخص علاقات التعاون الثنائية والمواضيع الدولية. ويعير الطرفان اهتماما كبيرا لمسألة السلام والاستقرار فى منطقة البلقان، ضمن اطار تسوية مشكلة اقليم كوسوفو.

تتم اللقاءات بين القيادات العليا للبلدين بشكل دورى ومنتظم. وكان من الاحداث المهمة فى العلاقة بين البلدين اللقاء الذى تم فى ٢٤ يونيو عام ٢٠٠٧ بين الرئيس الروسى فلاديمير بوتين والرئيس الصربى بوريس تاديج فى مدينة زغرب (كرواتيا) على هامش قمة دول جنوب شرق اوربا حول الطاقة، ولقائه رئيس الحكومة الصربية فويسلاف كوشتونتسه فى ٩ يونيو عام ٢٠٠٧ بمدينة سانت بطرس بورغ فى اثناء المنتدى التاسع للاقتصاد العالمي. وفى ديسمبر استقبل رئيس روسيا دميترى مدفيديف الرئيس الصربى بموسكو.

تقوم روسيا وصربيا بالتنسيق في موقفيهما من القضايا الدولية المحورية، وذلك فى اطار المنظمات الدولية. وتؤيد موسكو جهود بلغراد الرامية الى حماية وحدة اراضيها وسيادتها. وقد قدمت روسيا الى المحكمة الدولية الوثائق بهذا الشأن. وتنوى المشاركة فى المرافعات الخاصة بدعوى قدمته صربيا الى المحكمة الدولية بصدد الاعتراف غير الشرعى لاستقلال كوسوفو.

التعاون الاقتصادي

تعد صربيا شريكا تجاريا محوريا لروسيا فى البلقان. وقد بلغ التبادل السلعى بين البلدين عام ٢٠٠٨ قيمة ٤ مليارات دولار. ويشكل النفط والغاز نسبة تزيد عن ٧٠٪ من الصادرات الروسية الى صربيا. وتعود نسبة ٣٠٪ الباقية الى منتجات الاليومنيوم وصناعة معالجة المعادن. اما صربيا فتصدر الى السوق الروسية الورق والادوية والمنتجات النحاسية والاوانى المعدنية واخشاب باركيه. وفى ٢٨ يناير/كانون الثانى عام ٢٠٠٨ تم بمدينة موسكو التوقيع على اتفاقية بين الحكومة الروسية وحكومة جمهورية صربيا للتعاون فى قطاع النفط والغاز واتفاقية ثانية حول الشروط الاساسية لشراء اسهم شركة « الصناعات النفطية الصربية » التى تعادل ٥١٪ من الرأسمال الاساسى من قبل شركة « غازبروم » المساهمة.

ويسرى منذ عام ٢٠٠٠ مفعول اتفاقية التجارة الحرة بين البلدين. وتقضى هذه الاتفاقية بعدم فرض الرسوم الجمركية على ٩٠٪ من السلع المصدرة. وقد تم الاتفاق فى شهر سبتمبر على توسيع قائمة السلع هذه. وتعتبر شركات صربية مثل «صناعة نفط صربيا» و«صربيل غاز» و«كهرباء صربيا» شريكات تجارية اساسية لروسيا. وتقوم روسيا وفق الاتفاقية الموقعة مع شركة «صربيا غاز» بتوريد ٢ - ٢,٤ مليار متر مكعب من الغاز الى صربيا كل سنة. وتقوم شركة «انيرغوماشينوستروينيه» الروسية بالتعاون مع شركة «كهرباء صربيا» تقوم بتطوير المحطتين الكهرمائيتين على نهر دوناي. وتم فى ٢٤ ديسمبر عام ٢٠٠٨ توقيع رزمة من الاتفاقيات حول التعاون فى مجال النفط بين شركة «غازبروم» الروسية وشركة ««صناعة نفط صربيا» الصربية. وتشترى شركة «غازبروم» بموجب هذه الاتفاقية حصة ٥١٪ من اسهم شركة ««صناعة نفط صربيا». وفى الوقت نفسه تم

توقيع الملحق الخاص بالشروط الاساسية بالاتفاقية حول التعاون بين «غازبروم» و شركة « صربيا غاز» فيما يتعلق بإنشاء قسم طوله ٤٠٠ كيلومتر من خط انابيب الغاز «السيل الجنوبي» وترانزيت الغاز الطبيعى عبر اراضى صربيا. كما تم توقيع مذكرة التفاهم بين شركة «غازبروم اكسبورت» وشركة «صربيا غاز» بشأن إنشاء مستودع الغاز «باناتسكى دفور».

وقد بلغت الاستثمارات الروسية فى صربيا فى الوقت الحاضر قيمة ١مليار دولار. وبين المشاريع الروسية الصربية الواعدة مشروع إنشاء المحطة الكهرحرارية العاملة على الغاز الذى سيتم نقله الى صربيا عبر خط انابيب الغاز «السيل الجنوبي» ومشروع بناء مترو الانفاق والاوتوستراد الدائرى فى بلغراد.

وقد توجهت صربيا فى الصيف الماضى الى روسيا بطلب منحها قرض قدره مليار يورو. وقد تم الاتفاق المبدئى على تقديم هذا القرض.

التعاون فى المجالات الاخرى

تتطور الاتصالات بين الوزارات والمؤسسات الحكومية للبلدين، وخاصة بين وزارة الطوارئ الروسية ونظيرتها الصربية. وتنفيذا لتوجيهات الرئيس الروسى تقدم مساعدات انسانية لمناطق اقليم كوسوفو التى تقطنها اغلبية صربية. ويجرى العمل على تنظيم عمليات رفع الالغام المزروعة فى الاراضى الصربية. وتم بمدينة موسكو عام ٢٠٠٨ التوقيع على اتفاقية للتعاون بين وزارتى العدل للبلدين.

وفى شهر مارس عام ٢٠٠٨ الغت الحكومة الصربية من جانب واحد تاشيرات الدخول للمواطنين الروس الذين لا تزيد مدة اقامتهم على الاراضى الصربية عن ٩٠ يوما.

بلغ حجم التبادل التجارى عام ٢٠٠٨ بين البلدين ٤٠٤١ مليون دولارا، الا

انه يلاحظ فى عام ٢٠٠٩ انخفاض حجم التبادل التجارى بين البلدين بسبب الازمة الاقتصادية.

ان التقارب الروحى للشعبين والتاريخ الطويل على مدى قرون خلت يحددان الاتصالات فى مجالات الثقافة والفن والعلوم والتعليم، تدفع الطرفين الى تطوير علاقاتهم باستمرار، حيث يتم العمل حاليا لوضع برنامج للتعاون بين الحكومتين فى المجالات الثقافية والعلم والتعليم لمدة ٣ سنوات. ويعمل فى مدينة بلغراد مركز روسى للثقافة والعلوم.

العلاقات التاريخية الروسية الصربية

تمتد جذور العلاقات التاريخية بين الشعبين الروسى والصربى قديما فى التاريخ ويعود سبب تقويتها الى قرابة الجنسين واللغة. ومن اهم العناصر الرابطة لهذه العلاقات هى الدين المسيحى الذى اعتنقه الصرب منذ القرن السابع والذى دخل روسيا فى القرن العاشر.وساعد ظهور الكتابة السلافية بمساهمة المنورين كيريل وميفودى على تقارب الشعبين السلافيين الارثوذكسيين.

ان احد اكثر القديسين احتراما لدى الصرب هو القديس سافا الذى لجأ فى القرن ١٢ الى دير القديس بانتيليمون الروسى على جبل اثوس فى اليونان. ولاحقا اصبح اكثر الرهبان فى الدير من صربيا. وفى فترة الغزو المغولى انعدم وصول الرهبان من روسيا لذلك اصبح الدير صربيا لاربعة قرون لاحقة. وتتميز مجموعة النواميس الكنسية التى وضعها القديس سافا بكثرة احتوائها على الكلمات الروسية القديمة، مما يدل على ان الروس ساعدوا الصرب فى ترجمة واستنساخ الكتب. واعتمد هذا المؤلف ليكون المرجع القانونى الوحيد للكنيسة الارثوذكسية الروسية والذى اعيد طبعه فى روسيا مرات ومرات لغاية عام ١٩١٧.

وكان هذا القديس معتبرا فى روس القديمة ايضا وايقونته كأيقونة القديس سيميون (والده) كانت تزين كنيسة روسيا الرئيسية - كاتدرائية صعود العذراء فى الكرملين.واثر على تقديس المنور سافا الارتباط المتميز للمهاجرين الصرب الهاربين من الاضطهاد التركي. وفى القرن ١٤ كان يعيش فى صربيا نازحون روس اهداهم امير المنطقة قرية وكنيسة.

واول تذكير بمعركة الصرب المقدسة مع الاتراك فى كوسوفو كانت للحاج الروسى ايغناتي. بعد هزيمتهم فى هذه المعركة التجأ بعض الصرب الى الدير الذى اسسه القديس سيرجيوس رادونيجسكى وهم الذين بنوا فيما بعد كنيسة الثالوث الاقدس. واطلق على الدير لاحقا اسم لافرا الثالوث والقديس سيرجيوس - الذى اصبح الان مكانا يحج اليه المؤمنون الارثوذكس والسياح ليس فقط من روسيا بل ومن جميع انحاء العالم. وفى القرن ١٥ وصلت الدولة الصربية الى أوج ازدهارها الثقافي، الا انها فقدت لاحقا استقلالها السياسى لكونها اصبحت جزءا من الامبراطورية العثمانية. وفى تلك الفترة هاجر العديد من العلماء الصرب الى روسيا وساهموا بعلمهم وثقافتهم فى تطوير الثقافة فى روسيا. وكان باخومى الراهب الصربي احد ابرز المثقفين فى روسيا حيث كتب ٣٥ كتابا ومن ضمنها مجلد تسجيل الاحداث « كرونوغراف » الذى يتضمن بالاضافة الى التاريخ الروسى العديد من المؤلفات الصربية.

وتميزت العلاقات الروسية - الصربية ايضا بالقرابة بين السلالات فكانت زوريادة (صوفيا) باليولوغ ابنة حفيد الملك الصربى ستيبان ديتشانسكى قد تزوجت من امير موسكو المعظم ايفان الثالث واصبحت والدة قيصر روسيا الاول ايفان الرابع الرهيب ، الذى يعتبر اول من وضع وثيقة دبلوماسية اعتمدت كأساس لدفاع روسيا عن الصرب من الاحتلال التركي. المقصود بالامر طلب القيصر الروسي عام ١٥٥٠ من السلطان التركى الذى نقله رئيس الدير الواقع

على جبل اثوس والمتضمن عدم اخذ الجزية من الاديرة الارثوذكسية الواقعة على الجبل المقدس.

العلاقات بين صربيا وروسيا فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

أعار القيصر الروسى بطرس الاول لاول مرة انتباهه الى الشعوب السلافية الجنوبية لكونها حليفة روسيا فى المستقبل عندما قرر خوض الحرب ضد تركيا. لكن روسيا لم تتمكن من الاصرارعلى ضرورة احلال الحكم الذاتى فى صربيا الا فى عام ١٨١٢ حين تم توقيع معاهدة بودابست للسلام. اما اتفاقية ادريانوبل المعقودة بين الامبراطوريتين الروسية والعثمانية فاثبتت الحكم الذاتى فى صربيا تحت رعاية الامبراطورية الروسية.

وجه سفير روسيا فى القسطنطينية (اسطنبول) الانذار الاخير الى تركيا بطلب عقد اتفاقية الهدنة التركية الصربية لمدة شهرين بعد ان قدمت صربيا فى عام ١٨٧٦ دعمها لاهالى البوسنة والهرسك الذين هبوا ليتحرروا من نير الحكم العثمانى ومنيت صربيا بهزيمة فى الحرب مع تركيا. وتقدم القيصر الروسى ألكسندر الثانى بالمطلب نفسه فاعلن التعبئة العسكرية الجزئية فى البلاد. واضطرت تركيا الى قبول شروط الانذار الاخير. الامر الذى ساعد فى عقد مؤتمر القسطنطينية فى ديسمبر عام ١٨٧٦ بمبادرة من روسيا. واسفرت أعمال المؤتمر عن اصدار قرار بمنح الحكم الذاتى لكل من بلغاريا وبوسنة والهرسك. لكن الامبراطورية العثمانية اعلنت بعد ذلك رفضها الاعتراف بقرارات المؤتمر وبررت ذلك باعتماد الدستور الذي اعلن المساواة بين الطوائف الدينية، الامر الذى كان يعنى فى حقيقة الامر الغاء قرارات مؤتمر القسطنطينية. كما رفضت تركيا فيما بعد اقتراحات روسيا وبريطانيا العظمى وألمانيا وفرنسا ودولة النمسا المجر وايطاليا المعروفة كبروتوكول لندن التى أوصت اسطنبول بإجراء اصلاحات قضت بها قرارات مؤتمر القسطنطينية وايقاف اضطهاد الشعوب السلافية.

واعلنت روسيا فى ابريل عام ١٨٧٧ الحرب على تركيا ردا على عدم رغبتها فى ايجاد حل دبلوماسى للمسألة. وأصبحت بلغاريا مسرحا رئيسيا للعمليات الحربية. ولم يساعد الروس فقط الشعب البلغارى الشقيق فحسب بل والجيش الصربى الذى استأنف عملياته الحربية ضد تركيا. وانتهت الحرب الروسية التركية عامى ١٨٧٧ - ١٨٧٨ بعقد اتفاقية سان ستيفان للسلام التى نالت بموجبها كل من رومانيا والجبل الاسود وصربيا الاستقلال التام من تركيا. اما بلغاريا فنالت الحكم الذاتي. وكانت الخسائر التى تكبدتها روسيا فادحة . واستشهد فى حرب البلقان ١٠٠ ألف جندى روسي. تمت اعادة النظر الجزئى فى احكام معاهدة سان ستيفان ليس لصالح روسيا بسبب ان الدول الاوروبية خشيت تنامى قدرة روسيا التى رسخت اقدامها وهى تلعب دور الجهة الضامنة والمدافعة عن حقوق وحريات الشعوب المسيحية الارثوذكسية الشقيقة.

صربيا وروسيا فى القرن العشرين

بعد تحرر الشعوب السلافية التى شكل الصرب والكرواتيون نسبة ١٦.٥٪ منها من النير العثمانى صارت تواجه حالة عدم المساواة الاجتماعية تحت حكم امبراطورية النمسا المجر، الامر الذى كان يؤدى الى وقوع نزاعات وشجع الشعوب السلافية على الصراع من اجل نيل الاستقلال القومي. وكانت صربيا المستقلة تمارس النقد على السياسة النمساوية. وايدتها الامبراطورية الروسية فى ذلك.

وقد شاركت روسيا مشاركة مباشرة فى اقامة التحالف بين بلغاريا وصربيا واليونان والجبل الاسود التى بدأت فى اكتوبر عام ١٩١٢ الحرب ضد تركيا بهدف انتزاع اراضى مقدونيا منها. واصبح تنكيل قوات الامن التركية بحق السكان المحليين فى المدن المقدونية ذريعة لنشوب ما يسمى بحرب البلقان الاولى. واثارت انتصارات الحلفاء على الاتراك النهضة

القومية فى بلدان العالم السلافى كلها.

وبدأ فى روسيا شأنها شأن غيرها من الدول التى يقطنها السلافيون بدأ جمع التبرعات. وتطوع مئات من مواطنى روسيا لمحاربة تركيا فى وحدات الجيشين الصربى والبلغارى وجيش الجبل الاسود. وقدمت الدبلوماسية الروسية دعما لا يستغنى عنه لاتحاد البلقان. اما حرب البلقان الثانية التى نشبت فى عام ١٩١٣ فخيبت آمال روسيا. علما ان الحلفاء السابقين وبينهم بلغاريا من جهة وصربيا واليونان ورومانيا المنضمة اليهما فيما بعد من جهة اخرى صاروا يحاربون بعضهم البعض

واصبح من الممكن بوساطة روسيا عقد اتفاقية السلام التى قضت بان تفقد بلغاريا جزءا من اراضيها..

واثار تعاظم نفوذ روسيا فى البلقان عدم رضاء دولة النمسا المجر وحليفتها ألمانيا مما تسبب فى نشوب الحرب العالمية الاولى فى يوليو عام ١٩١٤ والتى انخرطت فيها روسيا التى وجدت نفسها مضطرة الى دعم صربيا. مما حال دون هزيمة صربيا بسبب ان النمساويين نقلوا جيشهم من بلغراد المحاصرة الى الجبهة الروسية

كانت صربيا عشية الحرب العالمية الثانية ضمن دولة يوغوسلافيا. وبعد اندلاع الحرب والغزو الالمانى والايطالى اصبحت محتلة. وبدأت فيها على إثر الاحتلال حركة المقاومة لالمانيا النازية وايطاليا الفاشية. وفى سبتمبر عام ١٩٤١ نشبت الانتفاضة الصربية فى مؤخرة القوات الالمانية ، الامر الذى خفض من الضغط الالمانى على موسكو. وتمكن الصرب خلال السنوات الاربع للمقاومة من قتل حوالى نصف مليون ألماني. ثم ساعدهم الجيش الاحمر فى تحريرشمال شرق يوغوسلافيا. وتم تحرير مدينة بلغراد فى ٢٠ اكتوبر عام ١٩٤١.

الفصل السابع

فترة وجود القوات السوفيتية فى أفغانستان

تثير فترة وجود القوات السوفيتية فى أفغانستان حتى بعد ٢٠ عاما من انسحابها الكثير من الجدل سواء كان فى روسيا أو خارجها. فلماذا أقدمت موسكو على إرسال قواتها الى هناك ؟ وهل يمكن أن تعوض المهام المطروحة آنذاك تلك الخسائر السوفيتية الفائقة ؟ لم يتم حتى ألان إيجاد أجوبة عن هذه الأسئلة .

ومما لا يثير الشك فان أحداث الثمانينات التى وقعت فى أفغانستان تلعب لغاية الآن دورا ملموسا فى تطور هذا البلد والتاريخ العالمى ككل. وليس من قبيل الصدفة أن تقارن فترة مرابطة القوات السوفيتية فى أفغانستان مع تواجد قوات التحالف الدولية الحالية هناك برئاسة الولايات المتحدة وبريطانيا. وقد تجلى بوضوح التشابه فى الأحداث.

قامت فى عام ١٩٧٨ بأفغانستان ثورة نيسان التى دشنت بدورها قيام جمهورية أفغانستان الديمقراطية. وتولى زمام السلطة الحزب الشعبى الديمقراطى الأفغانى برئاسة نور محمد تركي. وتم حظر نشاط غيره من الأحزاب السياسية. وكانت السياسة الخارجية للحزب الشعبى الديمقراطى فى أفغانستان موجهة آنذاك نحو الاتحاد السوفيتى الذى عقدت أفغانستان معه فى ديسمبر عام ١٩٧٨ معاهدة الصداقة والجوار والتعاون. وقد بدأت فى البلاد عملية الإصلاحات ، بما فيها شطب ديون الفلاحين وضمان المساواة بين الرجال والنساء والإصلاح الزراعي.

وبعث الاتحاد السوفيتى فى ربيع عام ١٩٧٩ عدة آلاف من المستشارين العسكريين إلى أفغانستان ، واقترحت القيادة السوفيتية فى الوقت نفسه على تركى بان ينحى أمين حفيظ الله الذى كان يشغل منصب رئيس الوزراء بعد أن اشتبهت موسكو بوجود اتصالات له مع الاستخبارات المركزية الأمريكية.

الا ان أمين قام فى سبتمبر عام ١٩٧٩ بانقلاب حكومى على تركي، وبدأ فى قمع الحركة المعارضة، وامتلأت السجون بالمعارضين لأمين. وفى أواخر عام ١٩٧٩ باتت الأوضاع الخطيرة فى البلاد تهدد بوجود النظام السياسى الجديد فى أفغانستان . وفشلت سياسة الإصلاحات، وكان الجيش يعانى من الشلل والتفتت ، وصار السكان يغادرون البلاد بشكل جماعي. وكانت الحكومة السوفيتية تعرب عن قلقها باحتمال سقوط نظام كابل وصعود الإسلاميين المتطرفين إلى السلطة ، الأمر الذى كان من شأنه ان يسفر عن حدوث اضطرابات بين السكان المسلمين فى جمهوريات آسيا الوسطى السوفيتية القريبة اثنيا وطائفيا من الشعب الأفغاني. وبالإضافة إلى ذلك فان الساسة السوفيت كانوا يبدون مخاوفهم من تقوية مواقف الولايات المتحدة فى أفغانستان ومن الغزو الأمريكى المحتمل ، وذلك بعد قيام الثورة الإيرانية وانتقال السلطة إلى الأمام الخمينى الذى قطع العلاقات كلها مع الولايات المتحدة. وفى مثل هذه الظروف ادخل الاتحاد السوفيتى فى ديسمبر عام ١٩٧٩ قواته إلى أفغانستان بهدف تقديم الدعم لحكومة كابل، وذلك استجابة لدعوات متكررة وردت فى حينها من جانب تركى وأمين بتقديم المساعدة العسكرية لأفغانستان. وقامت الوحدات الخاصة السوفيتية فى ٢٧ ديسمبر باقتحام مقر أمين الذى لقى مصرعه) و هكذا أيضا ترى روسيا المبرر يلى المبرر لتغطية التوغل الروسى فى أفغانستان)

نتيجة هذا الهجوم المفاجئ. وانتقلت السلطة إلى بابراك كارمال زعيم فرع "برشام" فى الحزب الشعبى الديمقراطى الأفغانى والذى وصل إلى البلد مع الوحدات السوفيتية.

وبقيت القوات السوفيتية فى أفغانستان بهدف دعم القوات المسلحة الأفغانية التى كانت تتصدى للمعارضة المسلحة (المجاهدون) متمثلة بالأحزاب السياسية الأفغانية الدينية التى كانت تنطلق من معسكرات تدريبها ومقارها في مدينة بيشاور الباكستانية. وتلقى المجاهدون الأفغان الدعم العسكرى والمالى من الولايات المتحدة والصين والدول الأعضاء فى الناتو وعدد من دول الشرق الأوسط ، وكذلك من الاستخبارات الباكستانية. وكانت تتموضع فى الأراضى الباكستانية مخيمات مخصصة لتدريب المقاتلين وحشد الأسلحة والذخائر التى تنقل لاحقا إلى أفغانستان.

معارك مستديمة فى أفغانستان

بحلول ربيع عام ١٩٨٠ كانت القوات السوفيتية قد انجرت إلى العمليات القتالية فى أراضى أفغانستان. وغدت العملية التى أجريت فى إقليم قونار الأفغاني فى فبراير عام ١٩٨٠ أول معركة كبيرة لها. ووجهت كتيبتا المشاة الميكانيكية السوفيتية المدعومتان بالطائرات والمدفعية والوحدات الحكومية الأفغانية ضربة قوية على طول ضفتى النهر وقامتا بمحاصرة مدينة أسد آباد وشتت القوى الكبيرة للمتمردين وحملتها على الفرار إلى باكستان.

وتحمل فى المرحلة الأولى الجنود السوفيت على عاتقهم أعباءً رئيسية فى الأعمال القتالية التى أجريت فى أفغانستان. ولم يمتلك الجيش الأفغانى المتموضع فى المراكز الإدارية والمخصص أساسا لحراسة أجهزة السلطة الشرعية خبرات كافية لخوض عمليات قتالية.

وغير المجاهدون تكتيكهم بعد أن لحقت بهم هزائم فى أعوام ١٩٨٠ – ١٩٨٢ . فصاروا يتفادون الاصطدامات المباشرة مع الجيش السوفيتى ويركزون على تكتيك تمثل فى توجيه ضربات مفاجئة من قبل مجموعات صغيرة ثم الفرار . وصاروا يلجأون القيام بمناورات وأعمال قتالية فى المناطق الجبلية الوعرة حيث كان من الصعب استخدام المدرعات ضدهم . ومع ذلك فان القوات السوفيتية حيثما تمكنت من حمل المجاهدين على الحرب التقليدية كانت تكبدهم خسائر فادحة.

وقد زادت العمليات الحربية من نشاطها ووصلت إلى ذروتها فى عامى ١٩٨٤–١٩٨٥. وقتل فى عام ١٩٨٤ ما يزيد عن ٢٣٤٣ عسكرى سوفيتي. وعمت العمليات الحربية فى عامى ١٩٨٥–١٩٨٦ الأراضى الأفغانية كلها. وكانت غالباً ما تنتقل «المناطق المطهرة» إلى سيطرة المجاهدين حالما تنسحب القوات السوفيتية منها إلى مواقع تموضعها الدائم ، الأمر الذى يضطرها إلى العودة للعمليات الحربية مجددا فى تلك المناطق . وعلى سبيل المثال فان القوات السوفيتية أجرت طيلة فترة تواجدها فى أفغانستان ١٢ عملية حربية فى وادي بنجشير ضد أحمد شاه مسعود أحد القادة الميدانيين الذى أطلق عليه لقب «أسد بنجشير» . وفى نتيجة العملية التاسعة فقط نجحت القوات السوفيتية فى طرد قوات مسعود من القسم الوسطى للوادي. غير إن النجاحات العسكرية هذه لم تدعم بإقامة أجهزة السلطة الحكومية فى الأقاليم.

وكان المجاهدون يتلقون معونات من مراكزهم الواقعة فى الأراضى الباكستانية التى لم يتم إغلاق الحدود معها. وكان الجنود السوفيت الأسرى ينقلون عبر تلك الحدود إلى باكستان، بالرغم من التصريحات التى كان المسئولون الباكستانيون يدلون بها حول عدم وجود عسكريين سوفييت أسرى فى أراضيها.

انتفاضة الجنود الأسرى

اندلعت فى ٢٦ ابريل عام ١٩٨٥ انتفاضة العسكريين السوفيت الذين تم أسرهم فى أفغانستان ، وذلك فى منطقة بيشاور الجبلية الباكستانية حيث كانت توجد هناك قاعدة لتدريب المتمردين الأفغان فيها سجن للأسرى. وتمكنت مجموعة من العسكريين السوفييت الأسرى الذين كانوا يواجهون هناك ظروف سجن قاسية من نزع سلاح مفرزة الحراسة للمجاهدين وأفرجت عن الجنود الأفغان من الجيش الحكومى الذين كانوا ايضاً معتقلين هناك ، واستولت على بعض أبنية السجن. ثم طالب المنتفضون من المجاهدين بان يتيحوا لهم فرصة للقاء السفير السوفيتى فى باكستان وممثلين عن الأمم المتحدة. وعول المجاهدون على قمع الانتفاضة بأسرع وقت، لكنهم فشلوا فى حساباتهم. إذ أن الأسرى السوفيت والأفغان استولوا على مخازن الأسلحة واحد المواقع المحصنة. فتمكنوا من صد كل الهجمات الموجهة ضدهم. بما فيها تلك الهجمات التى شاركت فيها وحدات الجيش الباكستاني. وفى نتيجة القصف المدفعى وقعت قذيفة فى مخزن الأسلحة، مما تسبب فى نشوب حريق هائل وانفجارات شديدة أدت بدورها إلى مقتل غالبية المنتفضين . وبعد وقوع هذا الحادث أمر أكثر القادة الميدانيين الأفغانيين تطرفا قلب الدين حكمتيار جنوده بعدم اسر العسكريين السوفيت ، بمعنى آخر تصفيتهم .

البحث عن حلول جديدة للقضية

استمرت العمليات الحربية فى الأراضى الأفغانية طيلة النصف الأول لعام ١٩٨٥ . إلا أن القيادة السوفيتية والأفغانية صارت تميل الى البحث عن مواقف جديدة مبدئيا من حل القضية. وبدأت مباحثات مع قادة المجاهدين المعتدلين. وتكللت المباحثات مع أحمد شاه مسعود احد القادة الميدانيين بنجاح جزئي،

الأمر الذى ساعد على إقامة هدنة هشة فى وادى بنجشير. وبحلول عام ١٩٨٥ اكتسب الجيش الأفغانى الحكومى خبرات كافية لخوض معظم العمليات الحربية. أما وحدات الجيش السوفيتى فكانت تناط بها مهام مرافقة القوافل وحراسة الأهداف الإستراتيجية للبنية التحتية وطرق المواصلات. وسمح التغير فى طبيعة عمل الجيش السوفيتى وارتفاع القدرة القتالية للجيش الحكومى بسحب جزء من القوات السوفيتية من أفغانستان: فوج للدبابات وفوجين للمشاة الميكانيكية و٣ أفواج مضادة للطائرات فى النصف الأول لعام ١٩٨٦. وبدأت الحكومة الأفغانية فى عام ١٩٨٧ بممارسة السياسة الرامية إلى المصالحة الوطنية. وتخلى الحزب الشعبى الديمقراطى الأفغانى رسميا عن احتكار السلطة واصدر فى يوليو عام ١٩٨٧ قانونا ينظم مسائل تأسيس الأحزاب السياسية ونشاطها. وعقد فى ٢٩ نوفمبر فى كابل المجلس الأعلى لأفغانستان «لويا جرغا» الذى صادق على دستور جمهورية أفغانستان. فانتخب محمد نجيب الله رئيسا للجمهورية. وأعلن الرئيس الجديد لنواب البرلمان الأفغانى عن مواصلة نهج وقف إطلاق النار. وكان من المفترض أن تنسحب القوات السوفيتية خلال ١٢ شهرا، وذلك باتفاق بين الجانبين. وتوقفت القوات السوفيتية منذ يناير عام ١٩٨٧ عن خوض عمليات حربية هجومية ، ولم تشتبك مع المجاهدين إلا فى حال هجومهم على مواقع تموضعها الثابت. غير ان وجود الجيش السوفيتى الأربعين لم يسمح للمجاهدين بالوصول إلى أهدافهم الرامية إلى الإطاحة بالحكومة فى جمهورية أفغانستان الديمقراطية. ومن جانب أخر فان الأحزاب الإسلامية المعارضة اعتبرت سياسة المصالحة الوطنية التى كانت تمارسها السلطات الأفغانية بأنها دليل على ضعفها وزادت من جهودها الرامية إلى إسقاط الحكومة فى كابل . كما ازداد النشاط المسلح للمجاهدين، وذلك

فى ظروف إعلان القوات السوفيتية والحكومية عن وقفهم لإطلاق النار من جانب واحد. وانتقلت المعارضة فى النصف الثانى لشهر يناير عام ١٩٨٧ إلى الهجوم الحاسم على الحاميات السوفيتية والحكومية وتعرضت أيضا للهجوم قرى وبلدات مسالمة.

الاتحاد السوفيتى يتخذ قرارا بسحب قواته نهائياً من أفغانستان

فى ديسمبر عام ١٩٨٧ وخلال زيارته للولايات المتحدة الأمريكية أعلن ميخائيل غورباتشوف الأمين العام للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتي ان القرار السياسى بانسحاب القوات السوفيتية من أفغانستان قد اتخذ. وبدأت بعد فترة فى جنيف المباحثات بين وفود الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وأفغانستان وباكستان بهدف الوصول إلى حل سياسى للقضية الأفغانية. وتم فى ١٤ ابريل عام ١٩٨٨ توقيع ٥ اتفاقيات تتعلق بتسوية الوضع حول أفغانستان. وبموجب هذه الاتفاقيات التى يسرى مفعولها منذ ١٥ مايو ذلك العام كان يتعين على القوات السوفيتية إن تغادر أراضى أفغانستان تماما. أما الولايات المتحدة وباكستان فالتزمت بعدم تمويل المتمردين الأفغانيين.

وكان الاتحاد السوفيتي يراعى كل التزاماته . وقد سحب نصف قواته حتى ١٥ أغسطس عام ١٩٨٨ . ومع ذلك فلم تتوقف العمليات الحربية فى أفغانستان ، بل زادت من حدتها فى أنحاء البلاد كلها منذ البدء فى سحب القوات السوفيتية. فمنذ منتصف مايو بدأ المجاهدون بالقصف الصاروخى للعاصمة كابل. وأنشأت قواعد ومخيمات ومستودعات جديدة فى المناطق المتاخمة لحدود إيران وباكستان. كما ازدادت إرساليات الأسلحة للمتمردين ، وزود المجاهدون بصواريخ «ارض – ارض» و» ارض– جو»ستينغر».

وأصبحت العملية «تايفون » التى أجرتها القوات السوفيتية فى الفترة ما بين ٢٣ و٢٦ يناير عام ١٩٨٩ آخر عملية حربية لها . وتعرضت مواقع مجاهدى أحمد شاه مسعود للقصف الجوى والمدفعى المكثف. وبصورة عامة فان القوت السوفيتية وجهت ضد المجاهدين فى السنة الأخيرة لتواجدها فى أفغانستان ضربات مؤلمة. وتم الاستيلاء على ما يزيد عن ١٠٠٠ مدفع مضاد للطائرات و٣٠٠٠٠ صاروخ نفاث و٧٠٠ قذيفة هاون وحوالى ٢٥٠٠٠ لغم ، وكذلك كميات فائقة من الأسلحة الخفيفة وما يزيد عن ١٢ مليون طلقة لها. وتم فى النصف الثانى من عام ١٩٨٨ الاستيلاء على ٤١٧ قافلة تابعة للمعارضة كانت تسير من باكستان وإيران. غير ان المجاهدين كانوا لايزالون يشكلون خطرا على الحكومة الأفغانية.

ونفذ الجانب السوفيتى اتفاقية جنيف. وغادر الجيش السوفيتى الأربعون فى ١٥ فبراير كل أراضى أفغانستان . وأكدت الأحداث التى تلت انسحاب القوات السوفيتية أن التوازن فى هذا البلد لم يكن يحافظ عليه إلا بفضل وجود القوات السوفيتية.

وغدت نتائج ما يسمى بالحرب الأفغانية مؤسفة إلى درجة للاتحاد السوفيتي. وبلغ عدد القتلى الإجمالى فى صفوف القوات المسلحة السوفيتية ١٥ ألف شخص. ويعتبر ٤١٧ عسكريا سوفيتيا بين المفقودين والأسرى. وعاد إلى الوطن ١٣٠ شخصاً منهم. أما مصير الباقين فلا يزال مجهولا لحد الآن.

الفصل الثامن

العلاقات الروسية التركية

العلاقات الثنائية بين الدولتين الروسية والتركية لها تاريخ عمره ٥ قرون . وبعث ايفان الثالث الامير الاكبر وحاكم روسيا فى عام ١٤٩٢ برسالة الى السلطان العثمانى بيازيد الثانى حول مسائل التجارة البحرية بين الجانبين . وافتتحت السفارة الدائمة للامبراطورية الروسية بالقسطنطينية فى عام ١٧٠١. وأقيمت العلاقات الدبلوماسية بين تركيا وروسيا السوفيتية فى ٢ يونيو عام ١٩٢٠ . وفى عام ١٩٢٣ أقيمت العلاقات الدبلوماسية بين تركيا والاتحاد السوفيتي. واعترفت تركيا فى عام ١٩٩١ بروسيا الاتحادية بكونها وارثة لحقوق للاتحاد السوفيتي.

وقد عقدت بين روسيا وتركيا ما يزيد عن ٦٠ معاهدة تخص التعاون فى المجالات المختلفة. وضمن أهم الاتفاقيات المعقودة فى السنوات الاخيرة معاهدة اسس العلاقات (عام ١٩٩٢) ، وخطة الاعمال الخاصة بتطوير التعاون بين روسيا وتركيا فى القارة الاوراسية (عام ٢٠٠١) ، واتفاقية التعاون العسكرى (عام ٢٠٠٢) ، والبيان السياسى المشترك حول تعميق الصداقة والشراكة (عام ٢٠٠٤).

ويجرى فى السنوات الاخيرة الحوار السياسى النشط بين البلدين على المستوى الاعلى. وقد زار فلاديمير بوتين الرئيس الروسى تركيا فى عام ٢٠٠٤ . وشارك بوتين فى عام ٢٠٠٥ فى مراسم افتتاح خط انابيب الغاز «السيل الازرق»

وذلك خلال القمة التاسعة لمنظمة التعاون الاقتصادى بين دول البحر الاسود التى انعقدت فى مدينة سمسون التركية فى عام ٢٠٠٧وزار الرئيس التركى أحمد نجدت سيزر روسيا فى الفترة من ٢٨ يونيو الى ٣٠ يونيو عام ٢٠٠٦ ، واحتلت مركز الصدارة فى المباحثات بينه وبين الرئيس الروسى المواضيع مثل التعاون فى مجال الطاقة والبناء والاستثمارات والتعامل مع القضايا العالمية والاقليمية .

وقد تم فى يوم ٥ يوليو عام ٢٠٠٨ اللقاء بين الرئيس الروسى دميترى مدفيديف والرئيس التركى عبد الله جول ، وذلك فى إطار الاحتفالات بمناسبة حلول الذكرى العاشرة لمدينة استانا الكازاخستانية .

وقام رئيس الوزراء التركى رجب طيب اردوغان بزيارة روسيا عدة مرات . ففى ١٣ اغسطس عام ٢٠٠٨ زار اردوغان موسكو حيث تقدم بمبادرة انشاء« منطقة الاستقرار والتعاون فى القوقاز». وقد تم فى نوفمبر عام ٢٠٠١ تشكيل مجموعة العمل الرفيعة المستوى التى نظرت فى جلستها الرابعة المنعقدة فى شهر ابريل عام ٢٠٠٨ بانقرة فى مسائل التعاون ، ولاسيما فى البلقان والتسوية القبرصية والأوضاع فى افغانستان والعراق ومنطقة البحر الأسود ومنطقة ما وراء القوقاز ووسط آسيا.

وأصبح البروتوكول الخاص بانتهاء المباحثات الثنائية حول دخول السلع والخدمات الروسية للاسواق التركية فى إطار عملية انضمام روسيا الى منظمة التجارة العالمية والذى تم توقيعه يوم ١٩ ابريل عام ٢٠٠٥ فى انقرة أصبح إنجازا هاما فى تطور العلاقات الروسية التركية. وقد جرت عام ٢٠٠٧ فى تركيا فعاليات سنة الثقافة الروسية. اما عام ٢٠٠٨ فشهد فعاليات سنة الثقافة التركية فى روسيا. وتعد منتجعات تركيا من أفضل الاماكن لاستجمام المواطنين الروس. وقد زار تركيا فى عام ٢٠٠٨ عدد قياسى من السواح الروس بلغ ٢.٧ مليون شخص.

قام الرئيس الروسى فلاديمير بوتين يوم ٦ اغسطس ٢٠٠٩ بزيارة تركيا . ووقع الطرفان الروسى والتركى فى إطار زيارة بوتين عددا من الوثائق الرامية إلى تطوير التعاون بين البلدين فى مجالات النفط والغاز والطاقة النووية، ومن بينها اتفاقية حول التعاون فى المجال النووى وبروتوكول سيسمح بمد خط «السيل الجنوبي» لنقل الغاز الروسى إلى أوروبا عبر مياه تركيا الاقليمية فى البحر الأسود، وبتنفيذ مشروع مد خط أنابيب الغاز «السيل الأزرق-٢»، إضافة إلى بروتوكولين حول التعاون فى مجال مد خط النفط «سامسون - جيهان» واتفاقية حول بناء أول محطة كهرذرية على الأراضى التركية من قبل الخبراء الروس. وبالاضافة الى ذلك وقع سيرغى كيريينكو رئيس شركة «روس آتوم» الروسية وزميلة ظافر البير القائم باعمال رئيس وكالة الطاقة الذرية التركية اتفاقية بين الحكومتين حول الانذار السريع عن الحوادث النووية، وكذلك تبادل المعلومات عن المفاعلات النووية. وتم توقيع مذكرة تفاهم فى مجال المقاييس والتقييمات ومذكرة تفاهم فى مجال استكشاف واستخدام الفضاء الكونى ومذكرة تفاهم فى مجال الرقابة على أمن الصادرات والواردات السمكية والبحرية، وبروتوكول الخاص بالتعاون التجارى والاقتصادى وتوريد الاسمدة المعدنية والخامات من البوتاسيوم والفسفور ومذكرة تفاهم بين شركة «انتر راو» الروسية و«تيتاش» التركية، فى مجال تجارة الطاقة الكهربائية. كما إلتقى رئيس الوزراء الروسى فلاديمير بوتين بعد مباحثاته مع زميله أردوغان بالرئيس التركى عبد الله غول، وقد جرى اللقاءخلف الأبواب المغلقة.

استحدث الرئيس الروسى دميترى مدفيديف ورئيس الوزراء التركى طيب اردوغان فى اعقاب زيارة دميترى مدفيديف لتركيا يوم ١٢ مايو عام ٢٠١٠ مجلسا للتعاون على مستوى قيادة البلدين سيقوم برسم استراتيجية تطوير

العلاقات بينهما وتنسيق تطبيق المشاريع الكبرى فى مجال التعاون السياسى والتجارى الاقتصادى والثقافى الانساني.

وجاء ذلك فى البيان المشترك الذى وقعه الطرفان يوم ١٢ مايو فى اطار زيارة الرئيس الروسى الى تركيا ان نشاط المجلس سيخدم ترسيخ علاقات الشراكة بين البلدين وتنسيق اعمالهما من اجل دعم السلام والاستقرار والامن فى العالم.

كما وقع البلدان يوم ١٢ مايو عام ٢٠١٠ اتفاقية حول الالغاء المتبادل لتأشيرات السفر. ويسرى مفعول الاتفاقية على مواطنى البلدين الذين يفدون الى البلد المضيف لمدة اقصاها ٣٠ يوما بمن فيهم السياح.

التعاون الاقتصادى التجاري

تعد تركيا شريكة اقتصادية تقليدية لروسيا. ويزداد حجم التبادل السلعى بين البلدين من سنة الى أخرى. وقد بلغ عام ٢٠٠٤ قيمة ١١ مليار دولار. اما فى عام ٢٠٠٨ فبلغ قيمة قياسية قدرها ٣٣،٨ مليار دولار. وتشير وزارة التنمية الاقتصادية الروسية الى ان تطور الازمة الاقتصادية العالمية ادى الى انخفاض حجم التبادل السلعى بين روسيا وتركيا حيث انخفض هذا المؤشر فى الفترة ما بين يناير ومايو حتى قيمة ٦،٧ مليار دولار، مما يعد اقل بنسبة ٥١٪ بالمقارنة مع الفترة المماثلة فى عام ٢٠٠٨ . لكن البلدين ينويان رفع حجم التبادل التجارى بينهما الى ١٠٠ مليار دولار خلال ٥ سنوات قادمة.

وتشغل تركيا المرتبة الخامسة بين الشركاء التجاريين لروسيا. ومن أهم الصادرات الروسية الى تركيا موارد الطاقة والمنتجات الحديدية والمواد الكيميائية. اما الواردات الروسية من تركيا فتشمل النسيج ومنتجاته والماكينات ووسائل النقل ومنتجات الصناعة الكيميائية والمواد الغذائية.

وبلغ حجم الاستثمارات التركية فى روسيا نحو ٧ مليارات دولار. اما الاستثمارات الروسية فى تركيا فبلغت زهاء ٤ مليارات دولار.

وتم فى عام ١٩٩٢ تشكيل اللجنة الحكومية المختلطة الخاصة بالتعاون التجارى الاقتصادى والعلمى والتقني. وتعمل فى إطار اللجنة مجموعات العمل الخمس. وتعتبر اللجنة هيئة حكومية ثنائية تتحمل المسؤولية عن مسائل التعامل الاقتصادي.

وتم فى عام ١٩٩١ تأسيس مجلس الاعمال التركى الروسي. وفى عام ٢٠٠٤ أسس مجلس الاعمال الروسى التركي. ويساهم المجلسان فى إقامة علاقات العمل المباشرة بين الشركات والاقاليم الروسية والتركية.

قام الرئيس الروسى دميترى مدفيديف يوم ١٢ مايو عام ٢٠١٠ بزيارة تركيا اسفرت عن توقيع ١٧ اتفاقية ، منها اتفاقيات التعاون فى مجال الطاقة و بناء محطة كهرذرية وفى مجال الزراعة وايضا عن الغاء تأشيرات السفر بين البلدين الذى

ووقع الطرفان ايضا اتفاقية التعاون حول بناء وتشغيل محطة كهروذرية فى موقع اككويو قرب مدينة ميرسين التركية. وشاركت فى المناقصة الخاصة ببناء هذه المحطة التى اعلنت منذ اواخر سبتمبر عام ٢٠٠٨ حوالى ١٤ شركة رائدة فى العالم. وبعد فحص العطاءات اعلنت الحكومة التركية ان الفائز فى المناقصة هو الكونسورسيوم الروسى التركى الذى يضم شركتى «اتوم ستروى اكسبورت» و«انتر راو يى إس» الروسيتين للطاقة وشركة «Park Teknik" التركية.

ووقعت روسيا وتركيا خلال زيارة مدفيديف كذلك على مذكرة للتعاون فى مجال ضمان النقل الآمن للنفط في منطقة البحر الاسود. ويعطى الطرفان الاولوية ابان ذلك لمشروع انبوب النفط سامسون ـ جيهان الذى بدأ بناؤه فى اواخر

ابريل عام ٢٠١٠. ويمر الخط من شمال تركيا الى جنوبها التفافا على مضيقى البوسفور والدردنيل، وسينقل النفط الروسى من حوض البحر الاسود الى الاسواق الاوروبية.

هذا وكانت "Eni" و"Calik" التركيتان و"روس نفط" و"ترانس نفط" الروسيتان قد وقعت فى اكتوبر ٢٠٠٩ مذكرة تفاهم تنص على امكانية استحداث مؤسسة مشتركة خاصة ببناء انبوب النفط "سامسون ـ جيهان

مجمع الوقود والطاقة

تحتل تركيا مرتبة ثالثة بعد ألمانيا و ايطاليا من حيث حجم مشتريات الغاز الروسي. وقد بلغ حجم الارساليات فى عام ٢٠٠٨ زهاء ٢٥ مليار متر مكعب ، بما فيها ١٠ مليارات متر مكعب يتم ضخها عن طريق خط انابيب الغاز « السيل الازرق».

وصادق الرئيس التركى أحمد نجدت سيزر فى مايو عام ٢٠٠٦ على المشروع الخاص بإنشاء خط انابيب البترول «سمسون – جيحان» الذى ينقل النفط الروسى والكازاخى الى ساحل البحر الابيض المتوسط. واقتنت شركة «لوك اويل اوراسيا بيترول» الروسية فى عام ٢٠٠٨ حصة ١٠٠٪ من أسهم شبكة محطات البنزين التركية «اكبيت».

وتعد الطاقة الكهربائية من أكثر مجالات التعاون الاقتصادى التجارى بين البلدين مستقبلية. وتشارك مؤسسة « تكنوستروى اكسبورت» الروسية للتجارة الخارجية فى إنشاء السد والمحطة الكهرذرية «ديرينر» بقدرة ٦٧٠ ميغاواط ، وذلك فى مقاطعة ارتفين التركية.

وفى ٢٩ ديسمبر عام ٢٠٠٨ حصلت شركة «انتر راوى اس – تى جى ار»

التى تم تأسيسها فى تركيا على ترخيص باستيراد الطاقة الكهربائية من روسيا عبر اراضى جورجيا.

كما واخذ يتطور التعاون بين البلدين فى مجال الطاقة الذرية. ووقعت شركتا « اتوم ستروى اكسبورت» الروسية و» أرغ انشاءات تجارة وصناعة « التركية فى ١١ مايو عام ٢٠٠٧ مذكرة تفاهم بينهما حول إقامة التعاون الاستراتيجى فى تسويق تكنولوجيات السلع والمعدات والخدمات الخاصة بصناعة الطاقة الذرية فى تركيا. وتشترك المؤسسة الروسية التركية التى تضم شركة «اتوم ستروى اكسبورت» و» انتر راوى اس» الروسيتان وشركة «بارك تكنيك» التركية فى المناقصة الخاصة بإنشاء اول محطة كهرذرية فى تركيا التى تم اعلانها فى مارس عام ٢٠٠٨. واتخذت وكالة الطاقة الذرية التركية فى ١٩ ديسمبر قرارا يفيد بان عطاء المناقصة الروسى يتفق ومتطلبات الاستخدام الآمن الدولية للمحطات الكهرذرية.

قطاع الانشاءات

يعمل فى روسيا حاليا أكثر من ١٥٠ شركة انشائية تركية. وأنجزت الشركات التركية منذ اواخر الثمانينات نحو ٨٠٠ مشروع يبلغ الحجم الاجمالى للصفقات المعقودة بصددها قيمة ٢٦ مليار دولار. وكانت قد عقدت الشركات التركية فى عام ٢٠٠٧ صفقات بمبلغ قدره ٤.٣ مليار دولار. وتقوم الشركات الروسية ايضا بانشاء مشاريع فى تركيا. ووقع مجمع الصلب والحديد « ماغنيتوغورسكي» الروسى والشركة التركية الكبرى المتخصصة فى استيراد الفحم « اتاكاش غروب» البروتوكول حول إنشاء مجمع الصلب والحديد فى تركيا والذى تبلغ إنتاجيته نحو ٢.٦ مليون طن من المنتوجات الحديدية سنويا. وتقدر قيمة الصفقة بمبلغ ١.١ مليار دولار.

لا يزال هنالك جود واسع للشركات التركية فى سوق المقاولات الروسية، حيث قامت الشركات التركية ابتداءا من اواخر الثمانينات بانشاء ما يزيد عن ٨٠٠ مشروع. ويقيم الحجم الاجمالى للاعمال التى نفذتها شركات المقاولة التركية ب ٤٠٠ مليون دولار. والجدير بالاشارة الى المساهمة الروسية فى تحقيق مشاريع تركية مثل مجمع الصلب والحديد فى الاسكندرونة، الذى يقيم الحجم الاجمالى للاستثمارات فيه ب ١.٧ مليار دولار ومحطتين كهرمائيتين فى ديرينير و ترول ومحطة توزيع الغاز فى محافظة سيفاس ونفق تحت مضيق البوسفور (مشروع مرمراي) وخطوط انابيب الغاز والجسور.

قطاع بناء السفن

يتطور فى السنوات الاخير التعاون النشط بين البلدين فى مجال بناء السفن. وفى أعوام ٢٠٠٦ – ٢٠٠٨ قام معمل بناء السفن «كراسنوى سورموفو»الروسى ببناء سفينة سياحية وسفينتى شحن وناقلة بحرية للجانب التركي، تتميز بمواصفات بيئية ممتازة. وتم فى عام ٢٠٠٧ إبرام عقد خاص بقيام الجانب الروسى بإنشاء ١٠ ناقلات بحرية بحمولة ٦.٩ الف طن لحساب الجانب التركي.

رؤيـــة :

ونلاحظ عزيزى القارئ انه بالرغم من آفاق كل هذا التعاون الضخم بين تركيا وروسيا إلا أن المصالح الخاصة لكل منهما كانت هى الغالبة والمسيطره بشكل مكثف على طبيعة العلاقات رغم كون تركيا عضو بالناتو ورغم القواعد الأمريكية الضخمة فى تركيا والصواريخ متوسطة المدى والتى كادت تؤدى إلى حرب ذرية بين أمريكا وروسيا والتى كان رد فعلها نقل صواريخ روسيا إلى كوبا ورغم الاختلافات الأيدولوجية والخوف الأمريكى من سيطرة أو مهاجمة روسيا لتركيا فى أول استقبال للسفير الأمريكى فى روسيا (أيام ستالين) .

ورغم المحاذير الروسية من أية عوائق لعبور الأسطول الروسى عبر مضيق البوسفور إلى البحر المتوسط ورغم كل ذلك إلا أن المصالح المشتركة عبرت كل هذه العوائق نحو اتصال عميق وتعاون مثمر معبراً عن نضوج الفكر لدى القيادة السياسية فى البلدين فى أتزان بين المصالح والتوجهات السياسية بين الشرق والغرب وعلى الأراضى التركية بل والروسية أيضاً باستثمارات تركية فى روسيا بلغت ما يقرب من خمسة مليارات دولار وإلغاء تأشيرة الدخول بين البلدين مما يعد قفزه سياحية لم يسبق لها مثيل .. أليست هذه العلاقة نموذجاً لتغلب المصالح فوق السياسة ويمكنها أن تصبغ قدرتها على المحاور الأخرى ؟!

الفصل التاسع

روسيـــا وإيـــران

مؤتمر طهران عام ١٩٤٣

انعقد مؤتمر طهران فى الفترة ما بين ٢٨ نوفمبر و١ ديسمبر عام ١٩٤٣ فى العاصمة الايرانية طهران . واجتمع فيه للمرة الاولى ما يسمى ب «الترويكا (الثلاثة) الكبيرة» وهم فرانكلين روزفلت رئيس الولايات المتحدة ووينستون تشيرشل رئيس وزراء بريطانيا العظمى وجوزيف ستالين رئيس مجلس المفوضين الشعبيين للاتحاد السوفيتي.

وكان المؤتمر أول قمة لرؤساء الحكومات فى الدول الثلاث المتحالفة بالحرب العالمية الثانية.، ثم تلاه مؤتمرا يالطا وبوتسدام فى عام ١٩٤٥. وكان مؤتمر طهران يهدف الى وضع الاستراتيجية النهائية للتصدى لألمانيا وحلفائها. وكانت مسألة فتح الجبهة الثانية فى اوروبا الغربية موضوعا رئيسيا فى المؤتمر، علما بانه لم يتم فتحها فى عام ١٩٤٢ ولا فى عام ١٩٤٣ ، بالرغم من التزامات اخذتها على نفسها بهذا الصدد كل من الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى ، وذلك فى الوقت الذى كان فيه الجيش السوفيتى يخوض منذ عام ١٩٤١ معارك دامية. كما أدرجت فى جدول اعمال المؤتمر منح ايران الاستقلال.

اجراءات أمنية مشددة

حرصا على ضمان الامن أقام الرئيس الامريكى لدى وصوله الى طهران لا فى السفارة الامريكية بل فى السفارة الروسية الواقعة بالقرب من السفارة

البريطانية. وقد انشأ فى مجال بين السفارتين ممر مغطىً بالمشمع للحيلولة دون مراقبة تحركات الزعماء ، ثم احيط المجمع الدبلوماسى ب ٣ اطواق من المشاة والدبابات. كما تم فرض الحصارعلى المدينة فى فترة انعقاد المؤتمر باستخدام القوات الخاصة والمخابرات حيث توقف عمل وسائل الاعلام . وانقطع الهاتف والتلغراف والاتصال اللاسلكي.

الاتفاق على فتح الجبهة الثانية

واتضح فى المؤتمر ان روزفيلت وستالين يسعيان الى اتفاق. وكان وينستون تشرشل فى البداية يلتزم باستراتيجية سابقة تكمن فى عزل الروس. واقترح روزفيلت بان يحضر الممثل الروسى كل اللقاءات الامريكية البريطانية التى سبقت القمة. وبالرغم من قرارات متخذة سابقا أصر تشرشل على تأجيل عملية انزال القوات الامريكية والبريطانية فى فرنسا. وبنتيجة مناقشات مطولة دخلت مسألة «اوفيرلود» ، وهى التسمية السرية لعملية انزال قوات الولايات المتحدة وبريطانيا وحلفائهما فى فرنسا الشمالية الغربية ، الى مأزق. فقام ستالين من كرسيه وقال بنوع من الانزعاج متوجها الى أعضاء الوفد السوفيتى المرافقين له : « تنتظرنا اشغال كثيرة فى البيت . ولا نريد ان نقضى وقتنا سدىً ، فيبدو لى اننا لا نستفيد شيئا». وحانت لحظة محرجة ، وفهم تشرشل ذلك ، ولهذا أقدم على قبول حل وسط خوفا من فشل المؤتمر. وفى النتيجة تم التوصل الى اتفاق على فتح الجبهة الثانية فى شمال فرنسا فى شهر مايو عام ١٩٤٤ . وتعهد ستالين بان تبدأ القوات السوفيتية هجوما على الالمان فى هذا الموعد تقريبا ، وذلك للحيلولة دون نقل القوات الالمانية من الجبهة الشرقية حيث دارت المعارك مع القوات السوفيتية الى الجبهة الغربية.

تجدرالاشارة الى مناسبة تتعلق بالاحتفال بعيد ميلاد تشرشل يوم ٣٠ نوفمبر عام ١٩٤٥ فى السفارة البريطانية بطهران حيث رفعت أنخاب كثيرة. غير ان نخبا واحدا تذكره الجميع حين قال رئيس الولايات المتحدة : « فى الوقت الذى نحتفل به بعيد ميلاد رئيس الوزراء البريطانى لا يزال الجيش الاحمر يسحق الجحافل الالمانية. فلنرفع نخب نجاح السلاح السوفيتي».

فكرة تأسيس هيئة الامم المتحدة

كان روزفيلت وستالين منذ وقت طويل من أنصار التسوية الشاملة للعلاقات الدولية. اما تشرشل فكان يتميز بنوع من التحفظ فى هذا الشأن ، ولم يصدق بامكانية التعاون مع الاتحاد السوفيتى فى فترة ما بعد الحرب. لذلك شكك تشرشل بفعالية المنظمة الدولية المستقلبلية التى كان من شأنها ان تجمع بين الامم. كما كان تشرشل يشك بان هذه الفكرة طرحت لدفع بريطانيا الى هامش السياسة الدولية.

واتفق مشاركو المؤتمر على ان العالم فى فترة ما بعد الحرب ستديره الدول الاربعة، وهى الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ، الامر الذى اعتبر انتصارا كبيرا بالنسبة للاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة التى تولت للمرة الاولى (بعد الرئيس وودرو ويلسون الذى بادر بدخول الولايات المتحدة فى الحرب العالمية الاولى) وظيفة عالمية شاملة. اما الدور البريطانى فى النظام العالمى فانكمش الى حد كبير.

القرارات حول مستقبل المانيا وبولندا وإيران بعد الحرب

ناقش المؤتمر ايضا مسألة مستقبل المانيا. ودعا ستالين وروزفيلت الى تقسيم المانيا الى دويلات صغيرة للحيلولة دون التوسع الالمانى مجددا. غير

ان القرار النهائى بهذا الشأن لم يتخذ فى المؤتمر. غدت مسألة بولندا فى المؤتمر موضوعا مؤلما ومتنازعا عليه بالنسبة للعلاقات السوفيتية البريطانية. وأكد ستالين فى طهران ان الحدود السوفيتية البولندية الشرقية يجب ان تمر بالخط المحدد فى سبتمبر عام ١٩٣٩ ، مقترحا بدفع الحدود البولندية الغربية الى نهر أودر الالماني. ووافق تشرشل على هذا المقترح ملاحظا ان الاراضى التى تحصل عليها بولندا أحسن بكثير من تلك التى تتركها. كما أعلن ستالين ان الاتحاد السوفيتى يعول على استحواذ كينسبيرغ (كالينينغراد حاليا) وإبعاد الحدود مع فنلندا عن لينينغراد (بطرسبورغ حاليا). واتخذ المؤتمر بياناً حول ايران اعلن المشاركون فيه عن رغبتهم فى الحفاظ على استقلال وسيادة ووحدة اراضى ايران.

وفى ختام المؤتمر تعهد ستالين بالدخول فى الحرب ضد اليابان بعد انهزام المانيا. اذن فان مؤتمرطهران وطد التعاون بين الدول الرئيسية الاعضاء فى التحالف المعادى للفاشية وقام بتنسيق خطط العمليات القتالية ضد المانيا النازية.

وظهر من هنا المساندة الأمريكية لإيران فى الاستقلال ووحدة الأرض بعيدا عن روسيا وبريطانيا وهى نقطة البداية لدولة إيرانية حديثة ومستقلة ..

الفصل العاشر

العلاقات الروسية الاسرائيلية

أقيمت العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفيتى وإسرائيل فى مايو عام ١٩٤٨ ، وتجدر الإشارة إلى أن الاتحاد السوفيتى صوّت فى خريف عام ١٩٤٧ إلى جانب قرار تقسيم فلسطين إلى دولتين . وقد قطعت العلاقات بين موسكو وتل أبيب فى عام ١٩٥٣ ثم فى عام ١٩٥٦ ثم انقطعت العلاقات فى يونيو عام ١٩٦٧ بسبب رفض إسرائيل وقف إطلاق النار فى حرب حزيران مع العرب. واستؤنفت الاتصالات على المستوى القنصلى فى عام ١٩٨٧ . اما عام ١٩٩١ فشهد استعادة العلاقات الدبلوماسية بين إسرائيل والاتحاد السوفيتي.

ويقطن إسرائيل ما يزيد عن مليون واحد ممن ينحدرون من الاتحاد السوفيتي، الامر الذى يعتبر عاملا هاما فى العلاقات الثنائية. وجاءت الزيارة التى قام بها الرئيس الروسى فلاديمير بوتين الى إسرائيل فى أبريل عام ٢٠٠٥ خطوة هامة فى تعزيز العلاقات الروسية الاسرائيلية.. وكان إيهود أولمرت يزور روسيا عام ٢٠٠٧ مرتين فى زيارة العمل.

فى ٢-٣ يوايو زارت موسكو تسيبى ليفنى وزيرة الخارجية الاسرائيلية والنائب الاول لرئيس الوزراء . وزار وزير الخارجية الروسية سيرغى لافروف إسرائيل فى أكتوبر عام ٢٠٠٥ وسبتمبر عام ٢٠٠٦ ويونيو عام ٢٠٠٧ . وخلال زيارته التى قام بها الى إسرائيل فى مارس عام ٢٠٠٨ تم توقيع معاهدة إلغاء نظام منح تأشيرات الدخول بين روسيا وإسرائيل ، الامر الذى ساعد كثيرا فى

زيادة عدد السياح الروس الذين يزورون إسرائيل. وزار إسرائيل عام ٢٠٠٧ حوالى ٢٠٠ ألف سائح. اما فى عام ٢٠٠٨ ارتفع عددهم حتى ما يقارب ٣٨٠ ألف سائح . وذلك رغم ان سريان مفعول المعاهدة لم يبد إلا فى شهر سبتمبر/ أيلول فقط.

التعاون فى المجال التجارى والاقتصادي

تنظم العلاقات الروسية الاسرائيلية فى المجال التجارى والاقتصادى الاتفاقية الموقعة بين الحكومتين الروسية والاسرائيلية يوم ٢٧ أبريل عام ١٩٩٤. وتقضى هذه الاتفاقية بمنح كل من الجانبين الروسى والاسرائيلى نظام الافضلية القصوى فى التجارة وتشكيل اللجنة الروسية الاسرائيلية المشتركة الخاصة بالتعاون التجارى والاقتصادي. وقد وقعت بين الحكومتين اتفاقيات التعاون العلمى التقنى والتعاون فى مجال القطاع الزراعى والصحة والطب والغاء الضرائب المزدوجة والتعاون فى مجال النقل البحري.

نظرت اللجنة الروسية الاسرائيلية المشتركة الخاصة بالتعاون التجارى والاقتصادى فى اجتماعها السادس الذى عقد فى نوفمبر عام ٢٠٠٦ فى حالة وآفاق العلاقات الثنائية فى شتى المجالات.

ويدل النمو السنوى للتبادل السلعى بين الجانبين على ازدياد حجم العلاقات الروسية الاسرائيلية فى مجال التجارة والاقتصاد. وكان حجم التبادل السلعى لم يزد عام ١٩٩١ عن ١٢ مليون دولار. فيما وصل فى عام ٢٠٠٦ إلى ١.٩ مليار دولار.

وبين الاتجاهات الرئيسية للتعاون الروسى الاسرائيلي يمكن ذكر الابحاث الفضائية والمواصلات والتكنولوجيات المعلوماتية والاتصال التكنولوجيات

الزراعية والصناعية وقطاع الاعمال الخاصة بالماس ومعاجة الماس والمعادن ضمنا. والجدير بالذكر ان نسبة ٤٥-٥٥٪ من إجمالى التصدير الاسرائيلى تعود الى قطع الألماس غير المعالجة. ويشغل النفط ومشتقاته مكانة هامة فى التعاون بمجال الطاقة (نسبة ٣٠-٤٠٪ من إجمالى التصدير الروسى الى إسرائيل). ومن أكثر المشاريع مستقبلية قد يكون مشروع توريد الغاز الطبيعى الروسى الى إسرائيل. وتجرى مباحثات بهذا الشأن بين شركة «غازبروم» الروسية والجانب الاسرائيلي. ويبدى الجانب الاسرائيلى اهتماما باستقطاب الرأسمال الروسى الى إنجاز المشاريع الاسرائيلية فى مجال البنية التحتية والنقل والانشاء. وتتضمن السلع المستوردة من إسرائيل بجملتها المكائن والاجهزة واجهزة الاتصال الهاتفى والتلغرافى واللاسلكى ضمنا والاجهزة الطبية (نسبة ٤٥-٦٠٪ من اجمالى الاستيراد الاسرائيلي) ومنتجات الصناعة الكيميائية والغذائية والمستحضرات الطبية. المشاريع المشتركة فى مجال الفضاء والمواصلات والاتصال وقعت بين الوكالتين الفضائيتين الروسية والاسرائيلية فى ٣١ اغسطس عام ١٩٩٤ مذكرة التفاهم التى من شأنها أن تنظم التعاون فى مجال الفضاء بين الجانبين. وقام الصاروخ الفضائى الروسى «ريسورس-٠١» فى يونيو عام ١٩٩٨ باطلاق القمر الصناعى الاسرائيلى الصغير « تيخسات-٢». اما فى شهر ديسمبر عام ٢٠٠٠ فقام الصاروخ الروسى بإطلاق القمر الصناعى الاسرائيلى «آروس- آ١». وفى عامى ٢٠٠٣ و٢٠٠٦ تم إطلاق القمرين الصناعين الاسارائيلين الاخرين «آموس -٢ « و»آروس - بى ١» بواسطة الصاروخين الروسيين.

يتطور أيضا التعاون بين الشركات الروسية والاسرائيلية فى مجال المواصلات والاتصال، بما فى ذلك بفضل توسيع انتاج اجهزة الاتصال الحديثة فى روسيا

وتحديث وسائل الاتصال التقليدية الروسية وتطبيق التكنولوجبيات الاسرائيلية الخاصة بالاتصال عن طريق الاقمار الصناعية فى روسيا. وقد تم الوصول الى اتفاق مبدئى على تنظيم التعاون بين الجانبين فى مجال صنع التقنيات والانظمة التى تقدم خدمات طبية عن بعد.

التعاون العلمي

يجرى العمل على تشكيل الآليات الخاصة بتمويل وإنجاز المشاريع المشتركة فى مجال الابحاث والتصاميم العلمية. قد أنشئ لدى اكادية المبتكرات الحكومية الروسية فى اواخر عام ٢٠٠٥ مركز التعاون بين روسيا وإسرائيل فى مجال المبتكرات.

وتم فى يونيو عام ٢٠٠٦ توقيع مذكرة التعاون فى مجال العلم التكنولوجيات والمبتكرات الصناعية بين الوكالة الفيدرالية للشؤون العلمية والمبتكرات الروسية ومركز الابحاث العلمية الاسرائيلي.

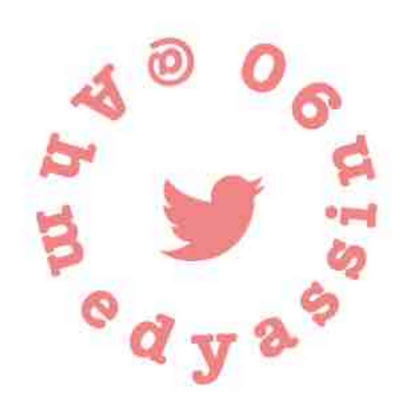
التعاون فى مجال صنع ومعالجة المواد الزراعية

قد تم إنجاز عدد من المشاريع فى القطاع الزراعي، بما فى ذلك تحديث مجمع الدفيئات وتوسيع معمل الدواجن وتنظيم انتاج الجبنة فى مجمع الالبان واللحوم بمقاطعة موسكو.اما فى مدينة نيجنى نوفغورود الروسية فيتم هناك تحديث المعمل المصغر الخاص بانتج المواد الغذائية والعصير والمواد الغذائية المكثفة. وانشئت بمقاطعات موسكو ولينينغراد وسامارا الروسية المعامل المصغرة الخاصة بمعالجة لحم الدجاج والديك الهندي.

رؤية أيضاً :

مما لاشك فيه أن العلاقات الروسية الإسرائيلية أثر فيها إلى حد بعيد

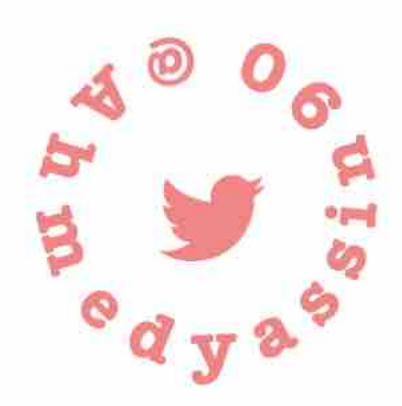
العلاقات السوفيتية العربية والروسية العربية أيضاً وكانت المصالح والاتفاقيات التحتية من كلا الجانبين تمر عبر الاتصالات السياسية الثنائية طبقاً لمصالح البلدين على الصعيد السياسى والتى حافظ عليها كلا الطرفان إلى حد بعيد بخطوط لم تنقطع يوماً بينهما ساعد على ذلك الرؤية السوفيتية بالاسترخاء العسكرى فى المنطقة والتعاون العسكرى مع الدول العربية وخاصة فى مصر وسوريا ولكن أيضاً بما يعنى الحفاظ على أمن إسرائيل وحدودها وبما لا يحقق الطموحات العربية تجاه إسرائيل بحيث تكون المساندة للقضية الفلسطينية والقضايا العربية فى حدود وإطار ميزان دقيق لا يتجاوز التفوق الإسرائيلى فى اتفاقيات ثنائيه بين روسيا وأمريكا وبما يسمح للميزان الأمريكى والغربى بالميل نحو إسرائيل وبما يعنى للعرب « مجبر أخاك لا بطل ؟! » ولم يتحقق الميزان العادل أو قرب منه ؟! ووفقا للموقف العربى المترهدل عادت العلاقات وتسير فى طريق النمو ولكن أيضاً وفقاً للمثل الذى تجيده القيادة الروسية « كل شيء ممكن ولكن بحذر أيضاً ؟! .



تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90

الباب السابع

روسيا وأوروبا



تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90

الفصل الأول

الناتو وعلاقات الحلف مع روسيا

تم تأسيس منظمة حلف شمال الأطلسى (الناتو) فى ٤ ابريل عام ١٩٤٩ حين وقع ١٢ بلدا، وهى بلجيكا وكندا والدنمارك وفرنسا وأيسلندا وإيطاليا ولوكسمبورغ وهولندا والنرويج والبرتغال وبريطانيا العظمى والولايات المتحدة معاهدة واشنطن او معاهدة شمال الاطلسى التى تكفل نظام الأمن العام .وتصف المادة ٥ من المعاهدة الهجوم على بلد عضو واحد بأنه هجوم على الحلف كله، وتقضي بتقديم المساعدة الجماعية له. وتتيح المادة ١٠ للدول الأعضاء فرصة لان تقترح لاية دولة أخرى قادرة على الإسهام فى أمن منطقة شمال الأطلسى الانضمام إلى الحلف. وكانت اليونان وتركيا قد انضمتا الى الحلف فى عام ١٩٥٢ وألمانيا الاتحادية فى عام ١٩٥٥ واسبانيا فى عام ١٩٨٢ .

وتوجه الناتو فى مطلع التسعينات بسبب تغيرات جذرية وقعت فى وسط أوروبا وأوروبا الشرقية وانتهاء الحرب الباردة توجه نحو التوسع والتعاون مع دول المعسكر الاشتراكى السابق. وقد شكلت فى عام ١٩٩١ آلية للمشاورات السياسية بين الناتو والأعضاء السابقين فى معاهدة وارسو. وتم فى عام ١٩٩٤ إقرار برنامج « الشراكة من أجل السلام» الذى كان من شأنه تطوير العلاقات بين القوات المسلحة فى دول الحلف والدول الشريكة. وانضمت إلى الحلف فى عام ١٩٩٩ كلّ من المجر وبولندا وتشيكيا ، ودخلت الحلف فى عام ٢٠٠٤ كلّ من بلغاريا وليتوانيا ولاتفيا ورومانيا وسلوفاكيا

واستونيا ، وفى عام ٢٠٠٩ تم قبول البانيا وكرواتيا فى هذا الحلف . وبالإضافة الى ذلك فان فرنسا رجعت إلى التشكيلة العسكرية للحلف بعد مرور ٤٣ عاما من غيابها فيها. ومما يجدر الذكر ان فرنسا مع استئناف مشاركتها فى عمل معظم وحدات التشكيلة العسكرية الا انها تمتنع عن المشاركة فى فريق التخطيط النووى للحلف. ويعنى ذلك ان رئيس فرنسا لا يزال يسيطر على الزر النووى الفرنسي. إذن فان حلف شمال الأطلسى يضم حاليا ٢٨ دولة. ويقع مقر الناتو فى مدينة بروكسل. وتتخذ كافة قراراته بالإجماع ، ويشغل منصب الأمين العام للحلف منذ عام ٢٠٠٤ ممثل هولندا ياب دى هوب سخيفر. ولا يمتلك الناتو قوات خاصة به. وتخصص الدول الأعضاء قواتها بغية إجراء عمليات حربية بشروط محددة.

منطقة مسؤولية الناتو

تحدد معاهدة عام ١٩٤٩ منطقة مسؤولية الناتو بفضاء شمال الأطلسي. وكانت قد طرحت مسألة توسيعه بهدف حماية المصالح الحيوية للحلف مرارا. تم طرح هذه المسألة لاول مرة فى قمة بون التى عقدت عام ١٩٨٢ . وأصبحت هذه المسألة أكثر آنية فى عام ١٩٩٠ إبان النزاع فى الخليج العربي، حيث أيد الناتو قرار الولايات المتحدة بارسال القوات الى المنطقة ووافق على ان أعضاء الحلف يمكن ان تقدم للولايات المتحدة دعما عسكريا كل واحد على حدة. علما بانه كان من المستحيل حينذاك إجراء عملية جماعية . وأعلن الناتو بشهر ديسمبر عام ١٩٩٢ فى البيان الذى يخص مسألة تفاقم الوضع فى يوغوسلافيا السابقة أعلن جاهزيته لتقديم المساعدة فى تنفيذ قرار مجلس الأمن الدولي. وقد باشر الحلف بالعمليات الحربية خارج منطقة مسؤوليته فى عامى ١٩٩٤-١٩٩٥ حين قامت قوات الحلف بقصف مواقع الصرب. وفى مارس عام ١٩٩٩ بدأ الناتو أول حرب

واسعة فى تاريخه بتوجيه ضربات جوية إلى جمهورية يوغوسلافيا الاشتراكية دون ان يفوضه بذلك مجلس الأمن الدولي. ووافق الناتو فى ابريل من العام نفسه على الفكرة الإستراتيجية التى ثبتت فيها إمكانية إجراء عمليات حربية ردا على نزاعات لا تتماشى مع المادة ٥ لمعاهدة شمال الأطلسي. وازدادت مسألة توسيع مسؤولية الناتو إلحاحا بعد وقوع العمليات الارهابية فى الولايات المتحدة عام ٢٠٠١ . وفى عام ٢٠٠٣ تم تشكيل قوات الانتشار السريع التي تناط بها مهمة ان تكون فى حالة تأهب دائم للانتشار فى أية منطقة من مناطق العالم.

وتركز حاليا جهود الناتو الرئيسية على قيادة قوات حفظ الأمن الدولية فى أفغانستان. وبالاضافة إلى ذلك فان الناتو يترأس قوات حفظ الأمن الدولية فى كوسوفو. واعتبارا من عام ٢٠٠١ يجرى الناتو فى البحر الابيض المتوسط عملية « الجهود النشيطة» التى ترمى إلى الحيلولة دون تهريب المواد التى قد يستخدمها الارهابيون. ويقوم الناتو منذ عام ٢٠٠٥ بأداء مهمته الخاصة بإعداد كوادر الجيش والأمن والشرطة فى العراق. كما يشارك الناتو منذ عام ٢٠٠٨ فى العمليات الدولية الخاصة بمكافحة القراصنة عند ساحل الصومال.

روسيا – الناتو

فى عام ١٩٤٩ حين قام حلف الناتو دعا الاتحاد السوفيتى بحزم الى إدانة كل من اسسه.

الا ان الاتحاد السوفيتي حاول فى عام ١٩٥٤ التخلى عن سياسة المواجهة وإنشاء نظام الأمن لعموم أوروبا. وفى يناير عام ١٩٥٤ طرح الاتحاد السوفيتى فى اجتماع حضره وزراء الخارجية للولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وبريطانيا وفرنسا مشروعا بهذا الشأن لم يوافق عليه الجانب الغربي.

ثم طرح الاتحاد السوفيتى فى ٣١ مارس عام ١٩٥٤ مشروعا بديلا أعربت الحكومة السوفيتية فيه عن استعدادها للنظر بالتعاون مع الجهات المعنية فى مسألة مشاركة الاتحاد السوفيتى فى معاهدة شمال الأطلسي. وجاء فى مذكرات الحكومة السوفيتية التى تم توجيهها إلى كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا انه فى حال انضمام الاتحاد السوفيتى إلى الحلف فان منظمة معاهدة شمال الأطلسى ستتحول من تكتل عسكرى مغلق الى منظمة مفتوحة لان تنضم إليها دول أوروبية أخرى، الأمر الذى كان له أهمية كبيرة لتعزيز السلام العالمى الى جانب إنشاء نظام الامن الأوروبى الفعال.

فى ٢٠ ديسمبر عام ١٩٩١ أعرب بوريس يلتسين أول رئيس لروسيا فى رسالة بعث بها الى وزراء الخارجية للدول الأعضاء فى الناتو عن استعداد روسيا للنظر فى مسألة الانضمام الى الناتو باعتبارها هدفا سياسيا مستقبليا. ووقعت روسيا والناتو فى ٢٢ يونيو عام ١٩٩٤ مذكرة التفاهم فى إطار برنامج « الشراكة من أجل السلام» والبروتوكول الخاص الذى منح موسكو صلاحيات أكثر مما يمتلكها المشاركون الآخرون فى هذا البرنامج واعترف بوضعها القانوني، كونها دولة كبرى. لكنه لم يمنح روسيا حق التصويت لدى اتخاذ قرارات فى الناتو فى ٣١ مايو عام ١٩٩٥ تم تفعيل برنامج الشراكة الخاص بروسيا والناتو « مجالات الحوار العميق والشامل بين روسيا والناتو». فى ٢٧ مايو عام ١٩٩٧ وقع فى باريس بوريس يلتسين رئيس روسيا وخافيير سولانا الامين العام للناتو وممثلون عن ١٦ دولة أعضاء فى الناتو ميثاق العلاقات المتبادلة والتعاون والأمن بين روسيا والناتو. ويشكل الفصل الرئيسى الخاص بجوانب العلاقات السياسية العسكرية نواة للميثاق. ويقضى الميثاق بحظر نشر الأسلحة النووية فى أراضى الأعضاء الجدد فى الحلف كما يقضى الميثاق بتشكيل المجلس الدائم «روسيا –

الناتو» واللجنة العسكرية المشتركة الدائمة « روسيا – الناتو». وأقامت روسيا فى ١٨ مارس عام ١٩٩٨ ممثليتها الرسمية لدى الناتو التى انيط بها تأمين العلاقات بين روسيا والناتو باجمعها، بما فيها مكوناتها العسكرية.

وعقد يوم ١٨ مارس عام ١٩٩٨ فى لوكسمبورغ الاجتماع اليوبيلى (الذكرى الأولى) للمجلس الدائم « روسيا – الناتو». وعقدت فى ١١-١٢ يونيو عام ١٩٩٨ فى بروكسل جلستا مجلس حلف شمال الأطلسى والمجلس الدائم «روسيا- الناتو» على مستوى وزراء الدفاع.

وقد تم تعليق العلاقات بين الناتو وروسيا فى ٢٤ مارس عام ١٩٩٩ بعد بدء الناتو فى العدوان على يوغسلافيا. وتم استدعاء الممثل العسكرى الروسى لدى الناتو وتأجيل افتتاح بعثة الناتو فى موسكو. كما تغير موقف روسيا من ميثاق « روسيا – الناتو». واتخذت روسيا قرارا بعدم مشاركتها فى الاجتماع اليوبيلى للناتو فى واشنطن فى أبريل عام ١٩٩٩ .

وقررت وزارة الدفاع الروسية استدعاء جميع العسكريين الروس الذين كانو يتلقون التعليم فى مؤسسات التعليم العالى فى الدول الاعضاء فى الناتو، وكذلك الدورات التدريبية القصيرة لدى مؤسسات التعليم العالى للحلف. واستؤنفت فى يوليو عام ١٩٩٩ الاجتماعات الشهرية للمجلس الدائم» روسيا- الناتو».١٦ ابريل عام ٢٠٠٠ – زيارة الأمين العام للناتو إلى موسكو. واستئناف التعاون فى كافة الاتجاهات فى اطار المجلس الدائم « روسيا- الناتو». فبراير عام ٢٠٠١ – افتتاح المكتب الإعلامى للناتو فى موسكو. مايو عام ٢٠٠٢ – افتتاح البعثة العسكرية للناتو فى موسكو. ٢٨ مايو عام ٢٠٠٢ – اعتماد بيان رؤساء الدول والحكومات فى روسيا الاتحادية والدول الأعضاء فى الناتو بروما وتأسيس مجلس «روسيا – الناتو». وضع فى مارس عام ٢٠٠٨ أساس للاتفاق

حول نقل الإمدادات غير العسكرية لدول الناتو وغيرها من الدول المشاركة فى قوات حفظ الأمن الدولية فى أفغانستان عبر الأراضى الروسية.

ولكن فى أغسطس عام ٢٠٠٨ أعلن ياب دى هوب سخيفر الأمين العام للناتو ان العلاقات بين الحلف وروسيا بعد ما حدث فى القوقاز لا يمكن ان تتطور مثل عادتها. وتوقفت روسيا ردا على ذلك عن مشاركتها فى الاتفاق الذى عقد مع الناتو فى اطار برنامج «الشراكة من أجل السلام». وبالإضافة الى ذلك فان روسيا تخلت مؤقتا عن المشاركة فى مناورات مشتركة مع قوات الناتو وأوقفت زيارات سفن الناتو الى الموانئ الروسية. ولم ترجع العلاقات بين روسيا والناتو إلى الوضع الطبيعى إلا فى ٥ مارس عام ٢٠٠٩ حينما قرر وزراء الخارجية فى دول الناتو استئناف عقد اجتماعات رسمية لمجلس « روسيا-الناتو» على مستوى وزراء الخارجية بحلول شهر يونيومن نفس العام .

وقد أدرج موضوع استئناف التعاون مع روسيا وسبله اللاحقة فى جدول الاعمال لقمة الناتو التى ستعقد فى ٣-٤ أبريل الجاري. وفى أعقاب ذلك يمكن توقع انعقاد أول اجتماع رسمى لمجلس « روسيا- الناتو» على مستوى السفراء، ثم على مستوى الوزراء.

لكن العلاقات بين روسيا والناتو شهدت بعد مرور عدة أسابيع تفاقما جديدا. وقد أعلنت موسكو ان عقد اجتماع رسمى لمجلس « روسيا- الناتو» لا يعد إجراءً بناء. وتم تأجيل الاجتماع الى فترة غير محددة. وسبب ذلك هو إجراء مناورات الناتو فى جورجيا التى قد بدأت فى ٦ مايو عام ٢٠٠٩ ،وكذلك القرار القاضى بإلغاء الاعتماد للدبلوماسين الروسيين لدى الناتو فى أواخر أبريل عام ٢٠٠٩ . وردا على طرد الدبلوماسيين الروس من بروكسل اتخذت موسكو قرارا بإلغاء

اعتماد ازابيل فرانسوا رئيسة المكتب الإعلامى للناتو فى موسكو و دبلوماسى آخر عامل فى هذا المكتب.

بحث مجلس روسيا الناتو فى اجتماعه فى جزيرة كورفو اليونانية فى ٢٧ يونيو عام ٢٠٠٩ بمشاركة وزير الخارجية الروسى سيرغى لافروف بين أمور أخرى الأحداث المأساوية فى أغسطس عام ٢٠٠٨ حين هاجم نظام سآكاشفيلى اوسيتيا الجنوبية واضطرت روسيا لاتخاذ تدابير إيجابية لارغام جورجيا على الجنوح للسلام. وبحث المجلس كذلك قضايا توسيع الحلف وإعادة التعاون العسكرى بين روسيا والناتو.

الفصل الثانى

العلاقات الروسية الايطالية

أقيمت العلاقات الدبلوماسية بين إيطاليا وروسيا فى فبراير عام ١٩٢٤ . وانقطعت العلاقات مع بداية الحرب العالمية الثانية بسبب ان إيطاليا غدت حليفة لألمانيا التى اعتدت على الاتحاد السوفيتي. واستؤنفت العلاقات بحجمها الكامل فى ٢٥ اكتوبر عام ١٩٤٤ . واعترفت ايطاليا فى ديسمبر عام ١٩٩١ بروسيا كونها دولة مستقلة. وتقوم العلاقات الروسية الايطالية على اساس معاهدة الصداقة والتعاون الموقعة فى ١٤ اكتوبر عام ١٩٩٤ ، وخطة العمل للعلاقات بين روسيا وايطاليا الموقعة فى ١٠ فبراير عام ١٩٩٨ للفترة حتى عام ٢٠١٧ ، وتتضمن الخطة شتى مجالات التعاون الثنائي. ويسرى حاليا مفعول ٢٠ وثيقة سياسية تطال التعاون بين روسيا وايطاليا.

وتعتبر اتفاقية تسهيل عملية منح التأشيرات الموقعة بين الحكومتين فى يونيو عام ٢٠٠٤ حدثا غز فى التعاون الثنائي.

وسبق لفلاديمير بوتين عندما كان رئيسا لروسيا الاتحادية ان التقى رئيس الوزراء الايطالى سيلفيو برلوسكونى ١٠ مرات. وقد اثبتت زيارتا العمل اللتان قام بها الى روسيا رئيس الوزراء الايطالى رومانو برودى الطبيعة الخاصة للعلاقات الروسية الايطالية المتطورة بشكل ديناميكي.

ويتسم الحوار السياسى الروسى الايطالى بتطابق المواقف من أكثر القضايا الدولية والاقليمية حدة. وتؤيد إيطاليا بشكل متواصل تعميق العلاقات بين روسيا

من جهة والاتحاد الاوروبى والناتو من جهة اخرى، وتدعو الى اقامة التعاون الفعال والمتكافئ بين روسيا وهاتين المنظمتين الاقليميتين.

العلاقات الاقتصادية

بدأت فى عام ١٩٩٩ أعمال المجلس الروسى الايطالى الخاص بالتعاون الاقتصادى والصناعى والمالى الذى ينظر فى المسائل الرئيسية للتعاون الثنائى فى مجال التجارة والاقتصاد. وازداد التبادل السلعى بين روسيا وإيطاليا فى عام ٢٠٠٦ بنسبة ٤٠٪ بالمقارنة مع عام ٢٠٠٥. وبلغ قيمة ٣٤ مليار دولار. وفى عام ٢٠٠٧ بلغ قيمة ٣٦ مليار دولار. وتوظف الاستثمارات الايطالية فى معظم الاحوال بصناعة المواد الغذائية وصناعة المقاييس الكهربائية ودباغة الجلود وصناعة السيارات والطاقة والتجارة.

وتحتل العلاقات بين الاقاليم الروسية والايطالية مكانة هامة فى العلاقات الثنائية . وقد تم توقيع ما يزيد عن ٤٠ اتفاقية بين اقاليم ايطاليا وكيانات روسيا الاتحادية.

التعاون فى مجال النفط والغاز

تعد روسيا احد الموردين الرئيسيين للغاز الطبيعى الى إيطاليا التى تعتبر بدورها ثانى مستهلكى الغاز فى اوروبا. ووقعت شركة «غازبروم» الروسية و شركة « ايني» الايطالية فى نوفمبر عام ٢٠٠٦ اتفاقية التعاون الاستراتيجى التى اتيحت لشركة «غازبروم» بموجبها منذ عام ٢٠٠٧ امكانية تحقيق الارساليات المباشرة للغاز الروسى الى السوق الايطالية. وقد قامت شركة «غازبروم اكسبورت» فى عام ٢٠٠٧ بتوريد ما يقارب ٢١.٩٦ مليار متر مكعب من الغاز الى ايطاليا. وتقضى الاتفاقية بتمديد مفعول العقود الخاصة بتوريد الغاز الى ايطاليا حتى

عام ٢٠٣٥. وتقوم شركتا «غازبروم» الروسية و» ايني» الايطالية ،على اساس متكافئ ، بتحقيق مشروع خط انابيب الغاز « السيل الجنوبي» الذى سينقل الغاز الروسى الى جنوب اوروبا . وتقدر قيمة المشروع ب ١٤ مليار دولار. وتبلغ قدرته التصميمية زهاء ٣٠ مليار متر مكعب. ومن المخطط البدء فى اولى الارساليات فى عام ٢٠١٣. ويمر الخط البحرى لخط انابيب الغاز فى قاع البحر الاسود من الساحل الروسى الى الساحل البلغاري.

وتناقش روسيا وايطاليا امكانية التعاون بين شركتى «غازبروم» و» ايني» فى اطار تحقيق المشاريع المشتركة الخاصة باستكشاف وتنقيب النفط والغاز فى الدول الثالثة ، بما فيها الجماهيرية الليبية.

كبرى مشاريع التعاون الاستثماري

تم فى ابريل عام ٢٠٠٤ فى مدينة ليبيتسك الروسية افتتاح معمل الغسالات الكهربائية الذى أنشأته شركة « انديزيت» الايطالية . ويصنع المعمل مليون غسالة كهربائية سنويا. كما يعمل فى مدينة ليبيتسك معمل الثلاجات الذى ينتج ١.٥ مليون ثلاجة سنويا، والذى أنشاته الشركة نفسها.

وقد افتتح فى يناير عام ٢٠٠٦ فى منطقة ستوبينو الواقعة بمقاطعة موسكو معمل البلاطة السيراميكية الذى أنشأته شركة «ماراتسى تسيراميكي» التى وظفت قيمة ما يربو على ٤٠ مليون دولار فى هذا المشروع. وفى عام ٢٠٠٦ وقعت الشركة المساهمة « سيفيرستال–آفتو» مع شركة«فيات» للسيارات اتفاقية تقضى بتجميع السيارات الايطالية الصغيرة الحجم فى مدينة نابيريجنى تشيلنى الروسية. ومن المتوقع ان توظف شركة « سيفيرستال–آفتو» ما يقارب ٣٠ مليون دولار فى تنظيم هذا المشروع.

وغدت الطاقة احد المجالات الامتيازية لاستقطاب الرأسمال الايطالي. وفى يونيو/حزيران عام ٢٠٠٤ وقعت شركة « اينيل» الايطالية وشركة» اى اس ان» الروسية من جهة وشركة «راوو اى اس» الروسية من جهة اخرى الاتفاقية العامة والمعاهدة حول منح حق ادارة المحطة الكهرحرارية الشمالية الغربية لمدة ٣ سنوات لكونسورتسيوم « اينيل – اى اس ان» الروسى الايطالى المشترك الذى التزم باستقطاب مبلغ قدره ٢٢٧ مليون دولار لانشاء الوحدة الكهربائية الثانية التى تبلغ قدرتها ٤٥٠ ميغاواط ومد خط الاسلاك الكهربائية الى حى بريمورسكى فى مدينة سانت بطرسبورغ.

وتبدى شركة « اينيل» اهتماما متزايدا بعمليات اعادة التنظيم والخصخصة التى تجرى فى قطاع الطاقة الكهربائية الروسى ، ولاسيما فى شركات توليد الطاقة الكهربائية . واتفقت الشركة الايطالية فى عام ٢٠٠٦ على اقتناء حصة ٤٩.٥ ٪ من اسهم شركة « روى اينيرغوسبيت» من وشركة «اى اس ان» مقابل ١٠٥.٥ مليون دولار. ولا تقضى الاتفاقية بدخول شركة « اينيل» فى رأسمال شركة « روى اينيرغوسبيت» فحسب .بل ومشاركة الجانب الايطالى فى ادارة الشركة التى تعمل على توريد الكهرباء الى المستهلكين مثل شركة «غازبروم» وشركة السكك الحديد الروسية.

وفى مجال صناعة الطائرات تتعاون شركة « سوخوي» الروسية وشركة « الينيا ايرونوتيكا» الايطالية اللتان توصلتا الى الاتفاق على تصنيع طائرة الركاب المتوسطة المدى RRJ (حتى ٥٠٠٠ كيلومتر) التى تتفق ومواصفات السوق العالمية. وتشارك فى المشروع ايضا شركة " سنيكما موترز" الفرنسية التى ستقدم محركات للطائرات الجديدة. ويقول الخبراء ان السوق الروسية تحتاج الى ٢٠٠ طائرة من هذا النوع ، بينما تحتاج السوق الاوروبية الى ٥٠٠ طائرة . ويقضى المشروع بانشاء المؤسسة الروسية الايطالية المشتركة التى تمتلك وشركة

" الينيا ايرونوتيكا" فيها حصة ٢٥٪ سهم من حزمة الاسهم.

وتشارك شركة " سيلكس" الايطالية فى المشروع الروسى الخاص بمد شبكة اتصالات الهواتف النقالة فى مناطق وسط الفولغا وقازان وموسكو وكالينينغراد وفالآم وسامارا وبطرسبورغ الروسية . وتعود الى شركة " "سيلكس" حصة ٥١٪. بينما تمتلك شركة "تيترابروم" الروسية حصة ٤٩٪ من اسهم المشروع " تيترا" . وقد جرت المباحثات بين شركة السكك الحديد الروسية وشركتى ""انسالدوبريدو" شركة "الستوم" الايطاليتين اللتين تعتبران أهم الشركات المنتجة لقاطرات وعربات السكك الحديد السريعة ، وذلك فى إطار تحقيق المشروع الروسى الخاص بتنظيم الحركة السريعة فى السكك الحديد الروسية. وقد قدم الى وزارة النقل الروسية مقترحا بتوريد ١٦ قطارا سريعا يحتوى كل منها على ٦ عربات. وينص المقترح على تجميع ٨ قطارات من مجموع ١٦ قطارا فى المعامل الروسية. وتبلغ قيمة المشروع ٣٠٧ ملايين يورو. كما تتم دراسة امكانية التعاون والتكامل فى تصنيع القطارات الكهربائية المخصصة للسكك الحديد الاقليمية الروسية فى المعامل الروسية.

التعاون فى مجال الفضاء

يحتل فى الاونة الاخيرة التعاون فى مجال التقنيات العالية والصناعة الفضائية مكانة هامة فى العلاقات الاقتصادية بين الجانبين.

ويسرى منذ ٢٤ اغسطس عام ٢٠٠٤ مفعول اتفاقية التعاون فى مجال استكشاف الفضاء للاغراض المدنية بين روسيا وايطاليا. وقد قام رائد الفضاء الايطالى روبيرتو فيتورى فى ابريل عام ٢٠٠٥ برحلة فضائية على متن سفينة النقل الفضائية « سويوز».

التعاون فى المجال العسكرى وحالات الطوارئ

تتعاون روسيا وإيطاليا بنشاط فى المجالين العسكري-السياسي والعسكرى - التقنى وذلك على اساس الاتفاقية الموقعة بين الحكومتين

يوم ١٤ نوفمبر عام ١٩٩٦حول التعاون فى المسائل العسكرية التقنية ومجال الصناعة الدفاعية. وقد جرت فى سبتمبر عام ٢٠٠٤ بالبحر الابيض المتوسط المناورات البحرية الحربية الروسية- الايطالية. وفى عام ٢٠٠٥ تم التوصل الى اتفاق على اجراء مناورات بحرية مشتركة بشكل منتظم . وتم التأكيد على هذا الاتفاق خلال انعقاد اجتماع مجلس روسيا – الناتو فى عام ٢٠٠٦ . ويتطور التعاون العسكرى فى الاتجاهات الرئيسية الاربعة وهي: انشاء منظومات الاسلحة الجوية وبالدرجة الاولى المنظومات بدون طيار، وتصميم الالكترونيات الخاصة بالطيران ، ووسائل الاتصال الدفاعية، وتصميم انظمة الاسلحة البحرية.

وقد ابدت ايطاليا تضمان لا مثيل له مع روسيا بصدد العملية الارهابية فى مدينة بيسلان الروسية ، الامر الذى اعطى دفعة جديدة للتعاون فى مجال حالات الطوارئ. وكانت الحكومة الايطالية من اولى الحكومات التى وجهت معونات لازمة للتغلب على عواقب هذه المأساة، وبصورة خاصة قامت الحكومة الايطالية بتمويل انشاء مركز الانعاش. كما تمول ايطاليا عددا من المشاريع الاخرى فى مجال الرعاية الصحية بمدينتى بيسلان وفلاديقوقاز الروسيتين.

ويتطور التعاون بين البلدين فى مجال تصفية آثار الكوارث البيئية ، بما فيها مكافحة الحرائق باستخدام الطائرة البرمائية الروسية «بي-٢٠٠».

العلاقات الثقافية

فى الفترة ما بين عام ٢٠٠٥ واوائل عام ٢٠٠٦ نظمت فى روسيا بمبادرة من الجانب الايطالى سلسلة من الفعاليات الاقتصادية والثقافية التى كانت تحمل عنوان «سنة ايطاليا فى روسيا». وتتطور بنشاط العلاقات بين منظمات الشبيبة فى البلدين.

وتجرى منذ عام ٢٠٠٤ فى المدارس الثانوية لكل من ايطاليا وروسيا اسابيع الثقافة واللغة للبلدين. وقد وقعت فى موسكو عام ٢٠٠٤ اتفاقية إنشاء المركز العلمى المشترك على اساس معهد الاقتصاد والاحصائيات و المعلومات بموسكو وجامعة نابولي. وقد بدأت فى عام ٢٠٠٤ أعمال منتدى الحوار بين المنظمات المدنية الذى من شأنه ان يشجع التعاون بين ممثلى الرأى العام لكل من البلدين فى شتى المجالات. وقد نظم فى إطار هذا المنتدى بالفترة ما بين شهرى اكتوبر ونوفمبر عام ٢٠٠٦ فى مدن روما وفلورنسا وفيرونا وبولونيا وبيروجيا وسيينا اسبوع اللغة الروسية. وتم فى عام ٢٠٠٣ تأسيس الجائزة المشتركة التى يمنحها رئيس الروس ورئيس الوزراء الايطالى «تقديرا لفضل شخصى كبير فى تطوير الصداقة والتعاون بين روسيا وايطاليا». وقد حاز على أول جائزة من هذا النوع المخرج الايطالى فرانكو دزيفيرلى ومدير متحف بوشكين الحكومى للفنون التشكيلية إيرينا انتونوفا.

ممثلية الكنيسة الارثوذكسية الروسية فى مدينة بارى الايطالية

شيدت ممثلية الكنيسة الروسية فى مدينة بارى الايطالية والتى تضم الكنيستين العلوية والسفلية والدير ودار الحجاج بدعم من القيصر نيكولاى الثانى وشقيقة زوجته الاميرة يليزافيتا فيودوروفنا خلال اعوام ١٩١٣ – ١٩١٨ .

وقد تم جمع تبرعات لانشاء الممثلية فى الكنائس الارثوذكسية لعموم روسيا. وأعد تصميم الممثلية الذى هو على نمط الفن المعمارى لمدينتى بسكوف ونوفغورود المهندس المعمارى الكسى شوسيف. وحالت الحرب العالمية الاولى والثورة فى روسيا دون اكمال اعمال الانشاء. وفى عام ١٩٣٧ تم بيع المنشآت وقطعة من الارض بسعر رمزى لبلدية مدينة باري، اذ ان المهاجرين الروس لم يمتلكوا اموالا كافية لصيانة الكنيسة والحفاظ عليها.

وابتداءا من أواخر الاربعينات لم يستخدم الا القسم الكنسى للمجمع الذى شهد فى أواخر القرن العشرين انهياراً تاما.

وتجدر الاشارة الى ان بلدية مدينة بارى لم تعرقل ابدا قيام القداس الارثوذكسى فى الكنيسة بل ووافقت على دفع أجر القسيس. وفى عامى ١٩٩٨ و٢٠٠١ تم تسليم الكنيسة العلوية وبعض المنشآت الدينية الى حوزة بطريركية موسكو. وفى عام ٢٠٠٤ تم تقديس الكنيسة العلوية التى كان قد اعاد بناؤها الجانب الروسي. اما الكنيسة السفلية فكانت طائفة ارثوذكسية روسية تابعة للكنيسة الروسية فى الخارج تقوم بمراسم القداديس هناك خلال مدة طويلة. وقد تم فى الكرملين بنوفمبر عام ٢٠٠٧ توقيع مذكرة تفاهم بين الحكومتين الروسية والايطالية حول منح الجانب الروسى الحق بامتلاك المجمع الارثوذكسى الروسى فى مدينة بارى الايطالية. يعد المجمع الارثوذكسى الروسى فى مدينة بارى الايطالية تراثاً عالمياً ادرج فى قائمة منظمة يونسكو الدولية. ويقع المجمع على بعد ٣ كيلومترات عن كاتدرائية كاثوليكية تحفظ فيها رفات االقديس نيقولاي العجائبى الذى يمجد ويحترم بصورة خاصة فى روسيا والذى كان يعيش فى القرن الرابع الميلادى بمدينة ليكيا الواقعة فى جنوب تركيا. وتم فى عام ١٠٨٧ نقل رفات هذا القديس المسيحى من تركيا الى مدينة بارى الايطالية التى تحولت فيما بعد الى قبلة للحجاج الارثوذكس الروس. ويتوجه الى هناك الاف من الحجاج من كافة انحاء روسيا ليقبلوا رفات القديس نيقولاى صانع المعجزات.

الفصل الثالث

العلاقات الرسمية والدينية بين روسيا الاتحادية ودولة الفاتيكان

عند الحديث عن العلاقات بين روسيا والفاتيكان يجب ابراز اتجاهين فى هذه العلاقات. اولا العلاقات الرسمية بين دولتين وثانيا العلاقات الدينية بين كنيسة روما الكاثوليكية والكنيسة الارثوذكسية الروسية.

١ - العلاقات الرسمية بين الدولتين

يعتبر نيقولاى الاول الامبراطور الروسى الاول والوحيد الذى التقى قداسة البابا فى عام ١٨٤٥ . هيأ هذا اللقاء لاتفاق عام ١٨٤٧ الذى ينص على تسوية وضع الكنيسة الكاثوليكية فى روسيا. فى عام ١٩١٣ جرت التحضيرات فى بطرسبورغ لاقامة علاقات دبلوماسية كاملة مع الفاتيكان. ولكن نشوب الحرب العالمية الاولى ومن ثم قيام ثورة اكتوبر عام ١٩١٧ حال دون ذلك.

لم تكن هناك علاقات بين الاتحاد السوفيتى والفاتيكان لغاية سبعينات القرن الماضي. ففى عام ١٩٦٣ قامت رادا ادجوبى (ابنة نيكيتا خروشوف الذى كان على راس الدولة السوفيتية انذاك) برفقة زوجها اليكسى ادجوبى الذى كان رئيسا لتحرير صحيفة « ايزفيستيا » حينها، قاما بزيارة شخصية الى بابا الفاتيكان. وفى يناير عام ١٩٦٧ استقبل البابا بافل السادس نيقولاى بودغورنى رئيس مجلس السوفييت الاعلى انذاك استقبالا غير رسمي. وخلال الفترة الممتدة من عام ١٩٦٥ وحتى عام ١٩٨٥ التقى اندريه غروميكو وزير الخارجية السوفيتى

عضو المكتب السياسى للحزب الشيوعى السوفيتى كلا من البابا بافل السادس والبابا يوحنا بولس الثاني.

حظى ميخائيل غورباتشوف السكرتير العام للحزب الشيوعى السوفيتى وهو اول مسؤول للدولة السوفيتية باستقبال رسمى فى الاول من ديسمبر عام ١٩٨٩ . ساعدت هذه الزيارة على اقامة علاقات دبلوماسية بين الكرسى البابوى والدولة السوفيتية فى الفاتيكان فى ١٥ مارس عام ١٩٩٠. بعد ذلك افتتحت لاول مرة ممثلية لدولة الفاتيكان فى موسكو وبالمقابل افتتحت ممثلية للدولة السوفيتية فى الفاتيكان. ونتيجة لذلك حصلت الكنيسة الكاثوليكية منذ بداية التسعينات على امكانية القيام بمهامها فى روسيا على اكمل وجه. وفى ١٨ نوفمبر عام ١٩٩٠ استقبل قداسة البابا يوحنا بولس الثانى ميخائيل غورباتشوف باعتبارة اول رئيس للاتحاد السوفيتي. تكرر لقاء الطرفين فى نوفمبر عام ٢٠٠٠ . فى ٢٠ ديسمبر عام ١٩٩١ التقى بوريس يلتسين قداسة البابا يوحنا بولس الثانى وتكرر اللقاء فى ١٠ فبراير عام ١٩٩٨ . وحظى الرئيس فلاديمير بوتين بلقاء الحبر الاعظم مرتين الاولى فى ٥ يونيو عام ٢٠٠٠ والثانى فى ٦ نوفمبر عام ٢٠٠٣ ، كما التقى قداسة البابا بينيديكت الـ ١٦ فى ١٣ مارس عام ٢٠٠٦ .

قام الرئيس ديمترى مدفيديف بزيارة الى الكرسى البابوى فى شهر ديسمبر عام ٢٠٠٩ وكانت نتيجة هذه الزيارة رفع مستوى العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين الى درجة سفارة. وفى شهر فبراير عام ٢٠١١ قام الرئيس ديمترى مدفيديف بزيارة رسمية الى الفاتيكان التقى خلالها قداسة البابا بينيديكت الـ١٦ .

الاختلافات الدينية ومحاولات الحوار

تجرى اللقاءات بين القيادة الروسية والفاتيكان على مستوى النخبة وكقاعدة

لا يتم خلال هذه اللقاءات التطرق الى موضوع توحيد الكنيسة الارثوذكسية الروسية والكنيسة الكاثوليكية . ولقد اعلنت دولة الفاتيكان عدة مرات عن استعدادها للتعاون مع بطريركية موسكو، الا ان التباعد بين الطرفين منذ قرون عديدة ترك بصماته العميقة على مواقف الجانبين اللذين يمثلان اكبر طائفتين مسيحيتين فى العالم. فبعد « الانقسام الكبير » فى الكنيسة المسيحية عام ١٠٥٤ حيث انقسمت الكنيسة المسيحية الى الكنيسة الكاثوليكية فى الغرب والكنيسة الارثوذكسية فى الشرق. منذ ذلك التاريخ ولغاية هذا اليوم لم يحصل لقاء بين الحبر الاعظم وبطريرك موسكو وسائر روسيا. وتميزت العلاقة بين الكنيستين طوال هذه الفترة بانها كانت متضادة وذلك بسبب التنافس على كسب الرعية وخاصة فى المناطق الحدودية والمتاخمة او المشتركة فى روسيا. نتيجة لهذا التنافس تشكلت جمعيات غيرطائفية فمثلا اعلنت قيادة ليتوانيا الكاثوليكية دينا رسميا للدولة فى القرنين ١٥ و١٦ وحتى الان الارثوذكسية تأتى بالمرتبة الثانية من حيث العدد. وفى جمهورية بيلاروس هناك حوالى ١٥ ٪ من السكان ينتمون الى الطائفة الكاثوليكية، وفى اوكرانيا يقيم حوالى ٥ مليون شخص ينتمون الى الكنيسة الكاثوليكية اليونانية او البابوية يراعون الطقوس حسب الكنيسة الارثوذكسية ولكنهم رسميا جزء من الكنيسة الكاثوليكية. ان جذور هذه الجمعيات او الطوائف تعود الى عام ١٥٩٩ حيث تم بين الكنيسة الكاثوليكية وبعض مطارنة الكنيسة الارثوذكسية ابرام اتفاقات (بريست – ليتوانيا المتحدة) التى بموجبها تتحد الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الارثوذكسية تحت رئاسة البابا. الا ان الكنيسة الارثوذكسية لم تعترف بهذه الاتفاقيات واعتبرتها محاولة لتقويض الكنيسة الارثوذكسية وتقسيمها.

من الامور التى تمنع حاليا التقارب بين الكنيستين هو الاختلاف فى اسس

الايمان واجراء الطقوس. اضافة لذلك هناك اختلافات سياسية ايضا. فالكنيسة الارثوذكسية لم تطمح يوما او تطالب بالسيادة او تكافح من اجل سلطة الدولة كحزب سياسي. ومنذ القدم حلت الكنيسة الارثوذكسية هذه المسألة على الشكل التالي: لكل من الكنيسة والدولة خصوصية ومهام مختلفة ولكن تساعدان الواحدة الاخرى فى النضال من اجل الافضل، الدولة تدير الشؤون الدنيوية ولكنها لا تأمر الكنيسة ولاتقوم بالتبشير القسري.

ومن الضرورى الاشارة الى ان القرن العشرين شهد تطبيعا فى العلاقات بين الكنيستين، ففى ديسمبر عام ١٩٦٥ التقى افيناغور بطريرك الكون والبابا بافل السادس برفقة المجمع الرئاسى للكنيستين حيث ازيلت محرمات عام ١٠٥٤ وتم توقيع بيان مشترك « بادرة العدل والغفران المتبادل ». ومنذ شهر مايو عام ١٩٨٠ تتم بين اونة واخرى لقاءات لجان تابعة للكنيستين. وكانت الكنيسة الروسية خلال فترة ما قد رفضت استخدام كلمة « هرطقة » بالنسبة للكنيسة الكاثوليكية، بالرغم من ان هذا لايعنى ازالة الخلافات الموجودة بينهما. ان العائق الرئيسى امام اجراء حوار مثمر بين الكنيستين حسب رأى الكنيسة الارثوذكسية هو التبشير على اراضيها. فمثلا اعترضت الكنيسة الارثوذكسية الروسية على رفع الممثلية الكاثوليكية عام ٢٠٠٢ الى درجة الابريشية فى روسيا ورافق ذلك عقد اجتماعات معادية للكاثوليكية، حيث على اثرها طرد من روسيا اسقف وثلاثة كهنة كاثوليك.

وبهدف حل المسائل التى تبرز بين فترة واخرى قام الكاردينال والتر كاسبيررئيس المجلس البابوى لتوحيد الطوائف المسيحية فى العالم عام ٢٠٠٤ بزيارة موسكو مرتين، حيث نتج عن الزيارتين تشكيل لجنة مشتركة للنظر فى قضايا التبشير.

وخلال زيارة غورباتشوف عام ١٩٨٩ وزيارة يلتسين عام ١٩٩٨ الى الفاتيكان دعى البابا لزيارة موسكو، الا ان ذلك لم يحصل بسبب عدم وجود دعوة من بطريرك موسكو، وهذا حسب الفاتيكان يتناقض مع القواعد المتبعة لقيام البابا بزيارة رسمية او دينية. ومن جانبه قال بطريرك موسكو بعدم امكانية اللقاء مع البابا الى حين ازالة المشاكل الموجودة بين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الارثوذكسية الروسية. وكان المطران كيريل رئيس قسم العلاقات الكنسية الخارجية قد اعلن عام ٢٠٠٧ (حاليا بطريرك موسكو وسائر روسيا) انه بخصوص لقاء البطريرك اليكسى الثانى والبابا بينيديكت الـ ١٦ انه لا يستثنى ابدا امكانية حصول مثل هذا اللقاء.

واكد المطران كيريل عام ٢٠٠٧ عدم اعتراف بطركيرية موسكو بوضع الكنيسة الكاثوليكية فى روسيا الاتحادية كأبريشية (منذ فبراير ٢٠٠٢). الا انه فى يناير عام ٢٠٠٨ قيم بتفائل آفاق اجراء لقاء بين بطريرك موسكو والبابا بينيديكت الـ ١٦ على ارض محايدة. وتجدر الاشارة الى ان لقاء ٧ ديسمبر عام ٢٠٠٧ فى الفاتيكان بين المطران كيريل (انذاك رئيس قسم العلاقات الكنسية الخارجية) والبابا بينيديكت الـ ١٦ جرى فى جو من الصداقة والهدوء، حيث تم التوصل الى اتفاق لاستمرار الحوار وقيم ايجابيا جهود كل جانب الموجهة نحو تقريب المواقف امام المشاكل الاكبر التى تقلق البشرية، وتم التطرق بشكل خاص الى مجموعة مؤتمرات ومشاورات حول المسائل المتعلقة بالحفاظ على القيم المسيحية فى اوروبا المعاصرة والبشرية جمعاء.

فى نهاية نوفمبر عام ٢٠٠٨ وخلال مؤتمر الطائفة الكاثوليكية الذى انعقد بموسكو دعا الرسول البابوى انطونيو مينينى الاساقفة الكاثوليك ، دون النظر الى الصعوبات التى يواجهونها ، الى تعزيز علاقات الصداقة والاخوة مع اساقفة الكنيسة الارثوذكسية.

فى شهر مايو عام ٢٠١٠ زار المطران ايلاريون رئيس قسم العلاقات الكنسية الخارجية فى الكنيسة الارثوذكسية ايطاليا، حيث التقى خلالها عدة مرات مع ممثلى الكنيسة الكاثوليكية. وفى شهر يونيو عام ٢٠١٠ دعا الرسول البابوى انطونيو مينينى الاساقفة الكاثوليك فى روسيا الى حضور الطقوس الدينية فى الكنائس الارثوذكسية بين فترة واخرى كما دعا الى تعزيز علاقات الصداقة والاخوة مع اساقفة الكنيسة الارثوذكسية. وعبرت الكنيسة الكاثوليكية عن عزمها وحرصها على تعزيز العلاقات مع الكنيسة الارثوذكسية من خلال تقديمها قائمة بايقونات الكنيسة الارثوذكسية الموجودة لديها التى رسمت فى القرن الـ ١٧ والتى فقدت بعد ثورة ١٩١٧ ويحتفظ الفاتيكان بها. ومن المعلوم ان الفاتيكان سلم الكنيسة الارثوذكسية الروسية رفات القديس نيقولاى والقديس كيبريان وايقونة مريم العذراء.

وتبقى هنا فى النهاية وقفه تعنى : هل تتوحد الكنيستان فى روسيا والفاتيكان أمام التيار الإسلامى أو ما يسمى بمكافحة الإرهاب وبالتالى هل يؤثر ذلك على المواقف السياسية لكلا البلدين أم تظل الكنيسة الأرثوذكسية فى روسيا بعيدة تارة أو مؤثرة تارة أخرى فى السياسية الخارجية لروسيا وذلك ما ستسفر عنه الأحداث القادمة ؟!

الفصل الرابع

تاريخ العلاقات الروسية الفرنسية

كانت العلاقات الروسية – الفرنسية لعقود طويلة تعبر عن الاوضاع فى اوربا، لقد بدأت هذه العلاقات فى اواسط القرن ١١ حيث تزوج ملك فرنسا هنرى الاول من انا كيفسكايا كريمة يارسلاف الحكيم والتى اصبحت ملكة فرنسا وبعد وفاة زوجها اصبحت وصية ووريثة للعرش. واقيمت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين فى عام ١٧١٧ عندما قدم اول سفير لروسيا لدى فرنسا اوراق اعتماده الموقعة من قبل القيصر بطرس الاكبر. لقائد الثورة الفرنسية العظيمة عام ١٧٨٧ صدى واسعا بين طبقة المثقفين الروس حيث اعلن الكثير منهم بضرورة القيام باجراءات مماثلة فى روسيا. فى حين دعت الامبراطورة الروسية كاترينا الثانية حينها الى تشكيل تحالف ضد فرنسا لان ماجرى فى فرنسا حسب رأيها يهدد كل الانظمة الملكية فى اوربا ومع ذلك كانت الامبراطورة معجبة بافكار المصلحين الفرنسيين وكانت لها مراسلات مع فولتير وديدرو التى عبرت فيها عن مساندتها لافكار « الاستبداد المستنير » الذى يقضى بان يكون الملك عادلا وحكيما ومتعلما. واستنادا الى الرسائل المنشورة يمكن القول ان فولتير لم يكن اديبا فقط بل ومستشارا سياسيا للامبراطورة الروسية. واشترت الامبراطورة مكتبة فولتير بعد وفاته بكاملها والتى اصبحت فيما بعد من معالم بطرسبورغ وعلامة للعلاقات بين روسيا وفرنسا. فى عام ٢٠٠٣ خلال الاحتفالات المكرسة للذكرى ٣٠٠ لتأسيس بطرسبورغ تم انشاء مكان منفرد لهذه المكتبة ومركز ابحاث خاص لدراسة عصر التنوير افتتحه جان

بيير رافارين رئيس وزراء فرنسا انذاك والذى شارك فى الاحتفالات المذكورة.

وتميز القرن ١٨ والقرون التى تلته فى روسيا ولع بكل شئ فرنسى : الموسيقى والادب والملابس وغيرها، واكثر من هذا فان اللغة الفرنسية اصبحت تستخدم للتفاهم بين المثقفين كما اصبحت اللغة الام للعديد من اسر النبلاء. ولم يكن الامبراطور اليكساندر الاول بعيدا عن هذه الظاهرة حيث كان من المعجبين بالثقافة الفرنسية ومن المعجبين جدا بعبقرية نابليون. كل هذا لم يوقف الامبراطور الفرنسى عن قيامه عام ١٨١٢ بالهجوم على روسيا بهدف احتلالها. وكانت نهاية هذه العملية هزيمة القوات الفرنسية ودخول القوات الروسية باريس. واصبح الحلف السياسى - العسكرى الموقع عام ١٨٩١ بين روسيا وفرنسا قمة التطور فى العلاقات بين البلدين. لقد تضمنت هذه الوثيقة المساعدة المتبادلة فى حالة قيام المانيا او النمسا - هنغاريا بالهجوم على روسيا او فرنسا. واصبح الجسران - جسراليكساندر الثالث المقام على نهر السين فى فرنسا (وضع حجر الاساس له الامبراطور الروسى والامبراطورة اليكساندرة فيودوروفنا عام ١٨٩٦) وجسر ترويتسكى على نهر النيفا فى بطرسبورغ الذى صممه الفرنسيون (وضع حجر الاساس عام ١٨٩٧ بحضور الامبراطور نيقولاى الثانى والرئيس الفرنسى فيليكس فور) واللذان اكمل بنائهما فى نفس الوقت رمزا للصداقة الروسية الفرنسية والتقارب السياسى - الثقافى للبلدين.

وسبق قيام الحرب العالمية الاولى تأسيس حلف معاهدة الوفاق التى ضمت كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا والصين. ومنذ عام ١٩١٤ حاربت القوات الفرنسية والروسية جنبا الى جنب ضد المانيا والنمسا - هنغاريا وحلفائهما. وبعد ثورة ١٩١٧ خرجت روسيا من الحرب ولكن قرر ٤٤٠٠ متطوع روسى القتال الى جانب القوات الفرنسية والمقيدونية. لقد انتهت الحرب العالمية

الاولى بانتصار قوات التحالف التى قررت اجتياح اراضى الجمهورية السوفيتية الفتية تحت شعار اعادة النظام الملكي. وفى عام ١٩١٩ توجه الوزير الفرنسى كليمانصو بنداء الى الدول الاخرى للمشاركة فى فرض الحصار على روسيا السوفيتية وعقد الجنرال الفرنسى جانين اتفاقا مع اليكساندر كولتشاك الذى قاد المقاومة ضد السلطة السوفيتية واصبح قائدا لقوات التحالف فى منطقة الشرق الاقصى وسيبيريا. وفى جنوب روسيا كان جيش دينيكين قد حصل على مساعدات عينية ومادية من هذه الدول ومن ضمنها فرنسا التى ساندت بقوة القوات الفنلندية والبولندية فى صراعها مع روسيا السوفيتية بعد قيام ثورة اكتوبر عام ١٩١٧ وانتهاء الحرب الاهلية هاجر حوالى ٤٠٠ الف مثقف من روسيا الى فرنسا حيث اصبحوا جزء من الحياة الثقافية والسياسية والعسكرية الفرنسية. ففى مقبرة سانت جنفييف – ديس بوا التى تسمى المقبرة الروسية حيث اصبحت المثوى الاخير لكثير من المشاهير الروس مثل الشاعر ايفان بونين الحائز على جائزة نوبل والشاعرة زينائيدة غيبوس والرسام قسطنطين كوروفين والاقتصادى والفيلسوف بطرس ستروفيه والامراء يوسوبوف وشيريميتيف وغيرهم كما دفن فى باريس مغنى الاوبرا المشهور فيودر شاليابين.

العلاقات السوفيتية - الفرنسية

كانت فرنسا من ضمن الدول التى تأخر اعترافها بالاتحاد السوفيتي. حيث اقيمت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين فى ٢٨ اكتوبر عام ١٩٢٤ وبدأت فترة تاريخية جديدة للعلاقة بين البلدين. ومن ابرز رموز هذه العلاقة هو القتال جنبا الى جنب خلال الحرب العالمية الثانية ضد القوات النازية على الجبهة السوفيتية – الالمانية وعلى الاراضى الفرنسية المحتلة والكثير على علم ببطولات طيارى

فرنسا الحرة من فوج « نورماندى – نيمان » وايضا بطولات المواطنون السوفييت الذين تمكنوا من الهرب من معسكرات الاعتقال النازية وقاتلوا ضمن فصائل المقاومة الفرنسية حيث لقى العديد منهم مصرعهم فى المعارك ضد القوات الفاشية على الارض الفرنسية حيث مثواهم الاخير (تعتبر مقبرة نوير سان مارتن من اكبر المقابر التى دفن فيها الانصار السوفييت).

لقد تطورت العلاقات الروسية – الفرنسية بعد الحرب العالمية الثانية بوتائر سريع اكثر مما مع الدول الرأسمالية الاخرى، حبث وقعت فى الستينات من القرن الماضى اتفاقية للتعاون فى مجال التلفزيون الملون حيث صمم نظام « سيغام – ٣ » الروسى – الفرنسى وادخل حيز العمل عام ١٩٦٧ فى فرنسا والاتحاد السوفيتى فى آن واحد.

وفى عام ١٩٦٥ اتفق البلدان على التعاون فى مجال استخدام الطاقة الذرية فى الاغراض السلمية حيث جاء فى البيان الصادر عام ١٩٦٦ بان البلدين يرغبان بتطوير تبادل الخبرات والاستشارات وتشكيل لجنة مشتركة دائمية للتعاون، كما تم الاتفاق على انشاء خط للاتصال المباشر بين رئيسى الحكومتين. وفى عام ١٩٧٠ تم التوقيع على بروتوكول يفيد بمشاركة المنظمات السوفيتية فى بناء مجمع التعدين فى فوس سور مير وكذلك التعاون فى مجال الصناعات التعدينية. وفى عام ١٩٧١ تم التوصل الى اتفاق لتزويد فرنسا بالغاز الطبيعى مقابل تزويد الاتحاد السوفيتى بالانابيب والمواد اللازمة لعمل حقول الغاز ومد خطوط امداد الغاز فى الاتحاد السوفيتي. وفى عام ١٩٧٣ اتفق على زيادة حجم الغاز المورد الى فرنسا. وفى عام ١٩٧٠ ايضا وفى بيان مشترك اعرب الطرفان على ضرورة مناقشة الدول النووية لموضوع نزع السلاح النووي. كما تم توقيع بروتوكول يقضى بالتشاور السريع بين الحكومتين حال ظهور ما يهدد السلم العالمى وكان قد تم عام ١٩٦٦ الاتفاق

على التعاون فى مجالات العلوم والتقنية والاقتصاد وايضا فى مجال ابحاث الفضاء واستخدامها للاغراض السلمية ولقد توج هذا الاتفاق بارسال اول رائد فضاء فرنسى الى الفضاء على متن مركبة فضاء سوفيتية ، وتم لاحقا تنفيذ ٦ رحلات فضائية مشتركة على متن المحطات الفضائية « سالوت » و « مير » حيث اجريت ابحاث علمية متنوعة .

لقد كان الاتحاد السوفيتى وفرنسا اول الداعين (عام ١٩٧١) الى لقاء هلسنكى للامن والتعاون فى اوربا والذى نتج عنه تشكيل مجلس الامن والتعاون الاوربى (منظمة الامن والتعاون فى اوربا). وكانت روسيا وفرنسا المبادرتان فى انهاء « الحرب الباردة » من خلال سياسة الانفراج والتعاون بينهما فى السبعينات من القرن الماضي.

علاقات فرنسا بروسيا الجديدة

تعتبر التسعينات من القرن الماضى بداية مرحلة جديدة فى العلاقات الروسية – الفرنسية. لقد تم فى ٧ فبراير عام ١٩٩٢ التوقيع على وثيقة جديدة تتضمن سعى الطرفين الى تطوير « علاقات جديدة مبنية على اساس الثقة المتبادلة والتضامن والتعاون » ومنذ ذلك التاريخ وقع الجانبان عشرات الاتفاقيات والوثائق للتعاون فى مختلف نواحى الحياة.

وتوطدت علاقات الصداقة بين قيادتى البلدين حيث زار الرئيس الفرنسى السابق روسيا مرات عديدة ومنها مشاركته فى احتفالات الذكرى ٣٠٠ لتأسيس مدينة بطرسبورغ عام ٢٠٠٣ . كما ادى فلاديمير بوتين ثانى رئيس لروسيا المعاصرة عدة زيارات الى فرنسا بين عامى ٢٠٠١ – ٢٠٠٣ .

ومع بداية القرن ٢١ تميزت مواقف البلدين السياسية بالتقارب ففى عام

٢٠٠٣ وقف الاثنين ضد غزو العراق الا ان الولايات المتحدة الامريكية لم تستجيب الى نداء الحل السلمى للازمة. وفى عام ٢٠٠٨ بعد العدوان الجورجى على اوسيتيا الجنوبية توسط الرئيس الفرنسى نيقولا ساركوزى لحل الازمة حيث تم وضع خطة مدفيديف – ساركوزى للتسوية السلمية النزاع العسكرى بين روسيا وجورجيا.

التعاون الروسى - الفرنسى فى مجال الاقتصاد

فى عام ٢٠٠٨ زاد حجم التبادل التجارى بين البلدين عن ٢٠ مليار يورو. وبلغت قيمة الصادرات الفرنسية ٧ مليار يورو (اى ٤ اضعاف مما كانت عام ١٩٩٨) وقيمة الاستيرادات من روسيا ١٣،٧ مليار يورو. وتستورد روسيا من فرنسا وسائط النقل والمعدات الزراعية والصناعية والتقنية الكهربائية والالكترونية والعطور والادوية والمعادن المشعة والكيميائية ومواد غذائية وغبرها. فى حين تصدر الى فرنسا الخامات الهيدروكربونية ومشتقاتها والمواد المشعة والاسمدة والمعادن ومواد كيميائية والصلب والمعدات والالكترونيات. وتحتل فرنسا المرتبة التاسعة فى الصادرات الروسية والمرتبة السابعة فى الاستثمارات فى روسيا. ومن اهم المراحل فى العلاقات بين البلدين اقامة المنتدى الاقتصادى الروسى – الفرنسى فى سبتمبر عام ٢٠٠٨ بمدينة سوتشى الروسية.

اللجان الحكومية الروسية - الفرنسية المشتركة

شكلت عام ١٩٩٦ لجنة حكومية روسية – فرنسية مشتركة للتعاون فى مجالات التجارة والاقتصاد والعلوم والتقنية ويعتبر مجلس التعاون الاقتصادى والمالى والتجارى المشكل عام ١٩٩٢ هو الهيئة العاملة لهذه اللجنة. وضمن اطار اللجنة هناك مجموعات عاملة فى مجالات الفضاء والطيران والوقود والطاقة وامن المواقع النووية وحماية البيئة والنقل والمصارف والمجمع الزراعي. وتم خلال

اخر اجتماع للجنة المنعقد فى سبتمبر عام ٢٠٠٨ التوقيع على مجموعة من الوثائق التى من ضمنها التعاون فى تنفيذ مشاريع ضمن بروتوكول كيوتو ومذكرة التعاون فى مجال فاعلية الطاقة وتجديد مصادرها، كما تم الاتفاق بين شركة « روس كوسموس » الروسية وشركة « اريانسبيس » الفرنسية التى تعمل فى مجال النقل فى الفضاء لشراء ١٠ صواريخ روسية ناقلة من نوع « سويوز – اس تى ».

التعاون فى مجال الفضاء وصناعة الطائرات

يشترك البلدان فى تنفيذ عدد من برامج الفضاء الضخمة : فمنذ عام ١٩٩٦ تعمل بنجاح شركة « ستارسيم » للاستخدام التجارى للصواريخ الروسية الناقلة من نوع « سويوز » بالاشتراك مع وكالة الفضاء الاوربية فى تنفيذ مشروع « سويوز – كورو » المتضمن اطلاق الصواريخ الروسية الناقلة من المطار الفضائى فى « كورو » الواقع فى غويانا الفرنسية.

ومن المسائل المهمة هو مشروع انتاج محرك طائرات من نوع « SM – ١٤٦ " للطائرة الروسية " سوبر جيت – ١٠٠" ومن المشاريع المستقبلية فى مجال الطيران التعاون مع شركة " ايروباص " لانتاج A–٣٥٠ وتحويل الطائرة A – ٣٢٠ الى طائرة نقل الحمولة. ويجرى العمل للتعاون فى انتاج طائرة مروحية بحمولة ٤.٥ طن مع الشركة الفرنسية " يفروكوبتر " وكذلك لانتاج طائرة مروحية ذات حمولة كبيرة اضافة الى صناعة محرك للمروحية " كا – ٢٢٦ تى " بالاشتراك مع شركة " توربوميكا " والحصول على شهادة كتابية بمطابقته للمواصفات المطلوبة.

التعاون فى مجال الطاقة

منذ اكثر من ٤٠ سنة تستورد فرنسا الغاز الروسى حيث يغطى حاليا ٢٠ ٪

فقط من احتياجات السوق الفرنسية. وفى عام ٢٠٠٦ مددت شركة « غازبروم » الروسية وشركة « غاز دى فرانس » اتفاقية الغاز الى سنة ٢٠٣٠ .

ومنذ مدة طويلة تعمل فى روسيا شركات فرنسية مثل « غاز دى فرانس » و « طوطال » واريفا » و« الستوم » وهى مستعدة للاشتراك فى تنفيذ مد انابيب الغاز لمشروعى « السيل الجنوبى » و« السيل الشمالى ». وتم فى عام ٢٠٠٧ انشاء مؤسسة مشتركة « الستوم – اتوم اينيرغوماش «لانتاج توربينات للمحطات الكهروذرية ، كما وقعت شركة « طوطال «وشركة «غازبروم» لاستغلال حقل الغاز السائل فى بحر بارينتس. وهناك مشاريع مشتركة بين البلدين فى مجالات اخرى منها التحول الى البث التلفزيون الرقمى الذى تنفذه الشركة المشتركة « الماز – انتى وتومسون برودكاست » وايضا مشاريع بناء طرق عصرية للسيارت ومد سكك حديد للقاطرات السريعة فى روسيا وتقوم بتنفيذ هذه المشاريع شركة « الستوم » و« فينسى » و« بويغ » و« بيجو ستروين » وبوشر ببناء مصنع لتجميع السيارات فى منطقة كالوغا. كما تم التوصل الى اتفاق مع شركة « رينو » لتحديث مصنع « افتوفاز » وهو اضخم مصنع فى قطاع صناعة السيارات بروسيا.

الفصل الخامس

العلاقات الروسية القبرصية

بعد اعلان استقلال جمهورية قبرص عام ١٩٦٠ كان الاتحاد السوفيتى من بين اولى الدول التى اقامت الجمهورية الفتية علاقات دبلوماسية معها.

ان العلاقات الروسية – القبرصية الحالية بقيت كما كانت فى السابق علاقات صداقة وتقارب المواقف حول المشاكل الدولية الاساسية، ولقد اشار رجال السياسة فى قبرص مرات عديدة الى مساندة روسيا للتوصل الى تسويه عادلة للمشكلة القبرصية. لقد زار عدد من رؤساء قبرص روسيا الاتحادية حيث زارها جيورجيوس فاسيليو فى اكتوبر عام ١٩٩١ و١٩٩٢ كما زارها غلافكوس كليريديس فى مايو عام ١٩٩٥ بمناسبة الذكرى الـ ٥٠ للانتصار على الفاشية ثم زارها فى يوليو عام ١٩٩٨ . وفى مايو ٢٠٠٣ زارها تاسوس بابادوبولس حيث شارك فى لقاء روسيا – الاتحاد الاوروبى وشارك فى الاحتفالات المقامة بمناسبة ٣٠٠ سنة على تأسيس مدينة بطرسبورغ. كما وصلها فى مايو عام ٢٠٠٥ للمشاركة فى الاحتفالات المكرسة للذكرى الـ ٦٠ للانتصار فى الحرب الوطنية العظمى، كما زارها فى يناير عام ٢٠٠٦ . اما دميترى خريستوفياس فقد زار روسيا فى نوفمبر عام ٢٠٠٨ .

والقاعدة القانونية للعلاقات الحالية بين البلدين مبنية على اكثر من ٢٠ اتفاقية مختلفة للتعاون بينهما. حيث وقعت فى السنوات الاخيرة مجموعة من الاتفاقيات بين الهيئة الفيدرالية للرقابة المالية فى روسيا والهيئة القبرصية

لمكافحة الخروقات المالية وتهريب العملة (عام ٢٠٠٤) واتفاقية اخرى حول تسهيل منح تاشيرات السفر (٢٠٠٥) واتفاقية التعاون بين النيابة العامة الروسية والقبرصية (٢٠٠٦) واتفاقية للتعاون فى مجال الرعاية الصحية والعلوم الطبية (٢٠٠٨).

التعاون فى المجالات الاقتصادية

اصبحت روسيا الاتحادية الشريك الاستثمارى الرئيسى لقبرص حيث تعادل نسبة مساهماتها ٨٠ ٪ من مجمل الاستثمارات الاجنبية فى الجزيرة وهذه النسبة نبلغ « ٢٦,١ ٪ من مجمل الاستثمارات الروسية فى الخارج ». كما ان قبرص احدى الدول التى لها استثمارات كبيرة فى روسيا حيث يصل مجموع استثماراتها الى اكثر من ٥٠ مليار دولار (الجزء الاكبر لهذه الاستثمارات يشما العمليات المالية للشركات الروسية العاملة فى الجزيرة). وبلغ حجم هذا المؤشر للفترة من يناير يونيو عام ٢٠١٠ ما مقداره ٣,١٢ مليار دولار. فى عام ٢٠٠٩ بلغ حجم التبادل التجارى بين البلدين ٨١٥ مليون دولار مقابل ١,٣ مليار عام ٢٠٠٨ . ويشكل تصدير معدات الطاقة ٦٦,٥ ٪ من مجمل الصادرات الروسية الى قبرص، اما المعدات الميكانيكية فلا تزيد نسبتها عن ٥ – ٨ ٪ . اما قبرص فتصدر الى روسيا الاحذية والملابس والمواد الغذائية. وتتطور العلاقات فى قطاع السياحة بشكل ملحوظ حيث تحتل روسيا المرتبة الثانية بعد بريطانيا بعدد السياح الوافدين الى قبرص. ففى عام ٢٠٠٩ بلغ عدد السياح الروس الى قبرص ١٥٠ الف سائح. ومن جانبها سهلت قبرص مستلزمات الحصول على تاشيرات الدخول لمواطنى روسيا. وفى عام شهر مارس عام ٢٠٠٩ شكلت لجنة عمل مشتركة فى مجال السياحة للعمل فى ظروف الازمة العالمية. ويناقش الجانبان حاليا المشاريع الثنائية فى مجال الطاقة وامدادات المياه ومن

ضمنها مشروع تحديث محطات الكهرباء فى قبرص. كما تدرس امكانية تنفيذ مشاريع مشتركة فى موسكو فى مجال الصناعات التحويلية وبناء الطرق. وضمن اطار اتفاقية عام ١٩٩٢ الخاصة بتطوير منطقة ساحل البحر الاسود الروسي، من المحتمل مستقبلا مشاركة شركات البناء والمال القبرصية فى بناء المنشآت الرياضية بمدينة سوتشى حيث ستجرى الالعاب الاولمبية الشتوية عام ٢٠١٤ .

ومن المراحل الهامة فى تطور العلاقات الاقتصادية بين البلدين كان تصديقهما فى شهر ابريل عام ٢٠٠٩ على بروتوكول مرفق باتفاقية منع الازدواج الضريبى الموقعة عام ١٩٩٨ . حيث ثبتت التزامات كل جانب ليس فقط لتقديم المعلومات عن الشركات المقيمة والتى هى مدينة لبلدها، بل والمساعدة فى جمع مبالغ المديونية. وحسب هذا البروتوكول اصبحت قبرص اول بلد يوافق على القيام بهذا العمل لصالح روسيا.

التعاون فى المجال الثقافى

يتعاون البلدان بشكل جيد فى مجال الثقافة. فمنذ عام ٢٠٠٦ ينظم فى قبرص مهرجان الصداقة القبرصية - الروسية. واعتبر عام ٢٠٠٧ ،عام اللغة الروسية فى قبرص. يقيم فى قبرص تقريبا ١٣٠ الف انسان يتكلم اللغة الروسية او يفهمها من ضمنهم ٣ الاف خريج من الجامعات السوفيتية والروسية وحوالى ٦٠ الف مواطن روسي. ويعمل فى نيقوسيا وليماسول ولارانكا اكثر من ١٠ شركات مملوكة لمواطنى روسيا، وفى نيقوسيا يوجد المركز الروسى للعلوم والثقافة. ومنذ عام ٢٠٠٦ يعمل فى نيقوسيا مركز لدراسة اللغة الروسية اسس بمساعدة حكومة موسكو. وفى فبراير عام ٢٠١٠ باشرت قناة RTCY بثها باللغة الروسية على مدار اليوم.

الفصل السادس

العلاقات الروسية الألمانية

يعود تاريخ إقامة العلاقات الدبلوماسية بين ألمانيا الاتحادية والاتحاد السوفيتى إلى يوم ١٣ سبتمبر عام ١٩٥٥ ، وفي ٢٦ ديسمبر عام ١٩٩١ أصبحت ألمانيا الموحدة واحدة من أولى الدول التى اعترفت بروسيا بصفتها وارثة للاتحاد السوفييتي.

وتشغل اجتماعات القمم بين رئيس روسيا ومستشار ألمانيا الاتحادية مكانة خاصة فى العلاقات الروسية الألمانية وتبنى عليها قاعدة عامة للعلاقات الودية الطيبة بين البلدين. كما ويجرى الحوار النشط بين وزيرى خارجية الدولتين.

وتمكن الجانبان الروسى والالماني خلال عقود السنين الاخيرة من ايجاد حلول للمشاكل التى ما زالت قائمة فى العلاقات الثنائية منذ الحقبة السوفيتية. ويحمل الحوار السياسى بين البلدين طابعا نشيطا ومنتظما. وعقدت فى عام ٢٠٠٨ اللقاءات الستة بين رئيس روسيا ومستشارة ألمانيا الفيدرالية ،بالاضافة الى ٣ مكالمات هاتفية.

يعقد كل سنة منذ عام ٢٠٠١ المنتدى الالمانى – الروسى « حوار بطرسبورغ». كما تجرى سنويا لقاءات بين ممثلى الرأى العام للبلدين.

وابتداءً من صيف عام ١٩٩٨ تجرى كل سنة مشاورات بين الدولتين، وجرت فى ٢ أكتوبر عام ٢٠٠٨ الجولة العاشرة للمشاورات الروسية الالمانية التى

اسفرت عن طرح فكرة « الشراكة من اجل التحديث» التى من شأنها ان تزيد من فاعلية التعاون فى المجال الاجتماعى والانسانى والاقتصادى ومجال العلم والتقنيات والصحة والطاقة وكذلك التبادل الاكاديمي.

فقد وقع البلدان فى السنوات الأخيرة الاتفاقية الخاصة بتسهيل تبادل الزيارات بين مواطنى ألمانيا الاتحادية وروسيا ، واتفاقية ترانزيت المواد العسكرية والأفراد الألمان عبر أراضى روسيا الى افغانستان وذلك بسبب مشاركة ألمانيا الاتحادية فى قوات التحالف الدولية فى أفغانستان (عام ٢٠٠٣) ، والبيان المشترك حول توسيع التعاون بين روسيا وألمانيا فى مكافحة الإرهاب الدولى (عام ٢٠٠٤).

العلاقات فى المجال الاقتصادى التجاري

وجاءت الاتفاقية بين شركة «غازبروم» الروسية وشركة «باسف» الكيميائية الألمانية فى مجال الطاقة حجر أساس لبناء أنبوب الغاز «نورد ستريم» (عام ٢٠٠٥) .

وأضحت ألمانيا على مدى سنوات أخيرة من أهم شركاء روسيا الاتحادية التى أصبحت بدورها فى عام ٢٠٠٧ مستهلكًا رئيسًا للصادرات الألمانية لتسبق الصين فى هذا الشأن. وازداد التبادل التجارى بين البلدين فى عام ٢٠٠٧ بنسبة ٢٣ بالمائة وبلغ ٥٦ مليار يورو. وبلغت الاستثمارات الألمانية فى الاقتصاد الروسى فى عام ٢٠٠٧ حوالى ٥ مليارات يورو . وتعمل في روسيا الآن ما يقارب ٤.٥ الف شركة ألمانية. ويأتى فى صدارة التعاون الروسى الألمانى اليوم مهمة زيادة عدد المشاريع المشتركة وقبل كل شيء فى مجال التكنولوجيات العالية. ومن المشاريع المستقبلية المشتركة الكبرى ذات الأهمية لكافة دول أوروبا بناء وإستخدام لازر مشغّل بألكترونات حرة فى مدينة همبورغ الألمانية ،وتشييد المجمع المعجّل الخاص بدراسة الأيونات الثقيلة و البروتونات المضادة في مدينة دارمشتادت.

ومن أهم الجهات المنسقة للتعاون المشترك فى مجال الاقتصاد هى المجموعة الروسية الألمانية المشتركة الخاصة بالقضايا الإستراتيجية للتعاون الاقتصادى والمالى والائتمانى التى تم تشكيلها فى عام ٢٠٠٠ وتُعقد جلساتها فى روسيا الاتحادية وألمانيا بالتناوب.

وبلغ التبادل السلعى بين الجانبين فى عام ٢٠٠٨ قيمة ٦٧.٢ مليار دولار، اى ما يزيد عما هو عليه فى عام ٢٠٠٧ بنسبة ٢٥,٢٪. وتتقدم ألمانيا الاتحادية الدول الاخرى من حيث حجم الاستثمارات فى الاقتصاد الروسي. وازداد هذا الحجم فى عام ٢٠٠٨ بالمقارنة مع سنة ٢٠٠٧ بقيمة ١٠,٧ مليار دولار. اما الحجم الاجمالى للاستثمارات الالمانية فى الاقتصاد الروسى فبلغ فى عام ٢٠٠٨ قيمة ١٧,٤ مليار دولار.

وتخطط الشركات الالمانية فى عام ٢٠٠٩ لتفعيل البرامج الاستثمارية فى روسيا بقيمة ٩ مليارات يورو. وتساهم في المشاريع الجديدة الشركتان الالمانيتان الكبيرتان « Siemens AG " و " Daimler AG

شيء ما يبقى :

عزيزى القارئ هل ترى معى أن هذا التعاون المكثف بين روسيا وألمانيا قد أسدل الستار على الماضى البغيض بين الدولتين أم يبقى التحالف الغربى وشراكه الناتو قابعة فى عمق العلاقات لم يحن بعد ظهورها طالما غطاء المصالح الحالية يلقى بظلاله وثقله عليها إلى حين تختلف الاستراتيجيات وتتحرك الأحداث فى اتجاه مضاد للمصالح الحالية وقد حدث ذلك بعد الحرب العالمية الأولى ؟! وفى كل الأحوال أرى فى تحليل خاص أن دوام الحال من المحال ؟! ولكن إلى حين ؟!

إنشاء وسقوط جدار برلين احد رموز الحرب الباردة

بعد سقوط ألمانيا النازية عام ١٩٤٥ قسمت برلين إلى أربعة أقسام، وهى القسم الانجليزى والقسم الأمريكى والقسم الفرنسى والقسم السوفيتي. وظهرت عام ١٩٤٩ على الخارطة السياسية دولتان جديدتان وهما جمهورية ألمانيا الديمقراطية وجمهورية ألمانيا الاتحادية ، وأعلنت برلين الشرقية عاصمة لجمهورية ألمانيا الديمقراطية. فوجه الاتحاد السوفيتى إلى الدول الغربية تحذيرا أخيرا طالبها بمغادرة برلين الغربية وتحويلها إلى مدينة خالية من السلاح. لكن الدول الغربية رفضت قبول التحذير، الأمر الذى أدى فى نهاية المطاف إلى تجاور النظامين السياسيين الاشتراكى والرأسمالى فى مدينة واحدة. وبدأ الألوف من الناس يغادرون جمهورية ألمانيا الديمقراطية مما كان يمكن أن يجعل ألمانيا الديمقراطية تخلو من القوى العاملة.

إنشاء سور حول برلين الغربية

ومن اجل الحيلولة دون هجرة القوى العاملة بدأت القيادة الألمانية الشرقية فى إعداد خطة من شأنها أن تفصل برلين الغربية عن أراضى جمهورية ألمانيا الديمقراطية المحيطة بها. واتخذ برلمان جمهورية ألمانيا الديمقراطية قرارا بان تغلق فى ليلة ١٢ على ١٣ أغسطس عام ١٩٦١ الحدود التى تفصل القسم السوفيتى عن أقسام الاحتلال الغربية. وفوجئ أهالى برلين فى صباح يوم ١٣ أغسطس بفك سكك الترام وبقطع طرق السيارات بأسلاك شائكة. أما وسائل النقل العامة فلم يكن بوسعها تعدى حدود قسم الاحتلال. وصار الكثير من السكان يواجهون مشاكل فى الحضور الى مواقع العمل والاتصال بأقاربهم الذين بقوا فى الطرف الآخر من الحدود المقامة.

إما تشييد الجدار الخرسانى فبدأ فى ١٧ أغسطس عام ١٩٦١، الأمر الذى أثار

الاحتجاج لدى الدول الغربية وامتعاض الألمان فى كل من ألالمانيتين الشرقية والغربية. لكن السلطات الألمانية الشرقية لم تتأثر بذلك وأمرت فى أكتوبر عام ١٩٦١ بالزيادة من ارتفاع الجدار. وبلغت كلفة عملية إنشاء الجدار قيمة ١٥٠ مليون دولار. وصار جدار برلين فى نهاية المطاف عبارة عن سور مصنوع من الخرسانة المسلحة المحيطة بالأسلاك الشائكة والأسلاك التى يمر بها التيار الكهربائي. وبلغ طول الجدار ١٠٦ كيلومترات ضمت ٣٠٠ مركزا للمراقبة و٢٢ مخبأ. وقطع الجدار ٩٧ شارعا فى المدينة و٦ فروع لمترو الأنفاق وعشرة أحياء سكنية.

وأصبحت محاولات الهجرة والفرار من ألمانيا الديمقراطية بعد تشييد الجدار أمرا محفوفاً بخطر فقدان الحياة. وقد قتل خلال سنوات وجود الحدود المصطنعة داخل ألمانيا ٩٦٠ شخصا ممن حاولوا الفرار من ألمانيا الشرقية إلى ألمانيا الغربية بمن فيهم ٢٥٠ شخصا قتل عند تعديهم لجدار برلين. ووقع أكثر حالات الفرار جماهيرية إلى برلين الغربية فى ليلة ٤ على ٥ نوفمبر عام ١٩٦٤ حين فر ٥٧ شخصا عبر نفق تم حفره تحت الجدار.

مقدمات سقوط جدار برلين

بدأت فى مطلع التسعينات عملية الديمقراطية فى الاتحاد السوفيتى التى ترأسها ميخائيل غورباتشوف الأمين العام للحزب الشيوعى السوفيتى آنذاك، الأمر الذى أثر على أمزجة الناس فى دول المعسكر الاشتراكى بأوروبا الشرقية. وفى ٨ يونيو عام ١٩٨٧ شهدت حفلة الروك الموسيقية التى أقيمت قبالة مبنى الرايخستاغ (البرلمان الألمانى) وقوع أعمال شغب و عصيان شارك فيها الشباب الألمان الشرقيون. وألقى الرئيس الأمريكى رونالد ريغان فى ١٢ يونيو للعام نفسه كلمة عند جدار برلين توجه فيها إلى غورباتشوف بدعوة إلى هدم الجدار.

سقوط جدار برلين

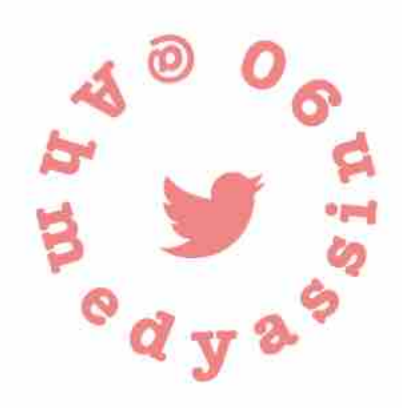
اضطرت حكومة ألمانيا الديمقراطية إلى تقديم تنازلات إلى سكانها تحت ضغط المظاهرات الشعبية الواسعة النطاق. وأعلن مجلس الدولة لألمانيا الديمقراطية فى ٢٧ أكتوبر عام ١٩٨٩ العفو عن الأشخاص المحكوم عليهم بالسجن لمحاولتهم الفرار من ألمانيا الشرقية إلى ألمانيا الغربية . أما فى مساء يوم ٩ نوفمبر فأعلنت السلطات الألمانية الشرقية فتح الحدود بين برلين الشرقى وبرلين الغربية . وتوجهت الجماهير الألمانية المنتشية بالنصر من كلا جهتى الجدار ليهدموه ويفككوه الى قطع تحولت الى هدايا تذكارية. وتم فى نهاية عام ١٩٩٠ إزالة كافة المنشآت الحدودية ماعدا قسم صغير من الحدود يبلغ طوله ١.٣ تم إبقاؤه بمثابة تمثال تذكارى لأبرز رموز الحرب الباردة.

يوجد الآن في المدينة متحف جدار برلين. وذلك بالقرب من معبر «تشيك بوينك تشارلي» الذى استخدم سابقا لعبور الأجانب

والدبلوماسيين وممثلى جيوش التحالف من القسم السوفيتى إلى القسم الأمريكي. ويستعرض المتحف مستلزمات ومبتكرات كان مخترقو الحدود يستعينون بها الى جانب لوحات الرسامين فى موضوع سقوط جدار برلين. وزين الرسامون الطليعيون ما تبقى من الجدار بلوحاتهم ، وبينها لوحة الرسام الروسى دميترى فروبيل بعنوان «قبلة اخوية» التى يظهر فيها الرئيس الألمانى الشرقى إريك هونيكر وهو يعانق نظيره السوفيتى ليونيد بريجنيف.

الباب الثامن

روسيا والعرب



تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90

الفصل الأول

مقدمـة

لم يكن من اليسير على أى باحث الوصول إلى حقيقة تلك الحقبة الهامة للغاية والتى أثرت إلى حد بعيد على مسيرة الأحداث فى تلك المنطقة الهامة للغاية أو بما يمكن اعتباره بؤرة أحداث العالم وهى الشرق الأوسط دون الحصول على ما تركه عراب السياسة السوفيتية والروسية «يفجينى بريما كوف» فى كتابة القيم معلوماتياً عن الشرق الأوسط بعنوان « المعلوم والمخفي» والذى أوصلنى إلى الحقيقة فى العمق والمضمون فى إظهار ما هو مخفى وتوضيح ما هو معلوم بما أبعد البحث العلمى عن دهاليز التخمين أو دروب الأوهام ... وكذلك ما تركه عراب السياسة المخفية الأمريكية فى الشرق الأوسط وهو «مايلز كوبلاند» فى كتابة أيضاً عن المعلوم والمخفى فى السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط فى كتابة « اللاعب» والذى ترجم إلى العربية بعنوان « حياة مايلز كوبلاند» والحديث عن نفسى الحقبة من وجهة النظر الأمريكية ... وذلك ما يسعد أى باحث ويجعل من البحث فائدة للقارئ أيضاً ... وقبل الخوض فى خصوصية العلاقة السوفيتية العربية مع كل دولة على حدا كان من الواجب والمفضل والهام أيضاً كتابه هذا الفصل عن طبيعة وأصول العلاقة العربية السوفيتية والروسية بشكل عام كانت هى الأصل قبل التخصيص ؟! ومما توفر من معلومات ووثائق توفرت السمات الهامة لطبيعة هذه العلاقة...

سمات وطبيعة العلاقة السوفيتية (الروسية) العربية:

«أولاً : لم يكن للتواجد السوفيتى فى الشرق الأوسط تأثير فعال فى تغيير الأحداث فى العالم قبل ظهور التواجد السوفيتى فى مصر فى أعقاب صفقة الأسلحة التشيكية لمصر.

ثانياً : إن التواجد الروسى فى المنطقة كانت تحكمه المصلحة الإستراتيجية التى كان يسعى إليها الاتحاد السوفيتى وصولاً إلى مرتبة الدولة العظمى (وليس الإمبراطورية) فى التواجد فى مياه البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط لتأمين حدوده الجنوبية وامتداد تأثير تواجده فى الحصول على كل مميزات الإستراتيجية لدولة عظمى ... هذا من ناحية ومن ناحية أخرى استفاد الاتحاد السوفيتى من هذا التواجد فى دعم الأيدلوجية (وأقصد الشيوعية) التى كان من أهم أهدافه السعى إلى نشرها فى العالم وخاصة فى الشرق الأوسط إذا ما علمنا أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تعترف بالثورة البلشفية الروسية والتى قامت عام ١٩١٧ إلا فى عام ١٩٣٣ أى قبل أحداث الحرب العالمية الثانية بوقت قصير؟!

ثالثاً : كان من أشد الصعوبات والتى قربت من المستحيل دخول التيار الشيوعى أو بالمعنى الواضح « المذهب الشيوعي» إلى منطقة الشرق الأوسط والتى يتواجد وبعمق فى ثقافتها وجذور هذه الثقافة نشأة الديانات السماوية الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام وفى الحقيقة أيضاً وما قبلها من ديانات سماوية تتحكم وإلى حد بعيد فى سلوك ومناهج ومعتقدات هذه المنطقة الحيوية من العالم ... ولكن خوف زعامات هذه المنطقة من عودة الاستعمار مرة أخرى والذى ذاق شعوبه ويلات هذا الاستعمار بالإضافة إلى أخطاء وأسلوب الإمبراطورية الأمريكية الحديثة والقادمة بقوة فى فهم طبيعة المنطقة والأسلوب الأفضل فى التعامل معها وتأثير السياسية الانجليزية والفرنسية وتدخلها فى صميم هذه

العلاقة الجديدة (سحب تمويل السد العالى فى مصر وحظر السلاح عليها) يسر كل هذه لجوء هذه الزعامات (المتمثل فى القومية العربية وتيارها الناصري) فى الاندفاع أو اللجوء للقوة السوفيتية القادمة والتى كانت تحلم بالقدوم أيضاً .

رابعاً : ظل المنغص الأساسى فى العمق فى تلك العلاقة الضيق و الحنق السوفيتى (الروسي) من اعتقالات وتضييق الخناق من حين إلى آخر مع الجذور الشيوعية فى المنطقة العربية وظل هذا الحال دون الإفصاح فى العمق من كلا الطرفين مع تجاهل كل منهما متعمداً لكى تستمر العلاقة وما ارتضته القيادة السوفيتية (الروسية) فى الداخل من اللقاء فى منتصف الطريق مع الزعامات العربية الجديدة بقبول التيار الاشتراكى الذى ظهر فى تلك الحقبة ليكون مرحلة اقتراب نحو الفكر الشيوعى ويقول فى ذلك « بريما كوف » « أما فيما يتعلق ببعض الايدولوجيين السوفيت الذين كانوا مقيدين بأطر عقائدية ضيقة فكانوا يشيرون أحياناً إذا لم يكن علناً فى الاجتماعات المغلقة على أية حال إلى تعارض إعلان المبادئ الاشتراكية مع الأقوال التى تبدأ « بسم الله الرحمن الرحيم» ولهذا لم يكن بإمكانهم الجمع مثلاً بين العضوية فى الحزب الشيوعى الإيطالى والإيمان بالله .. ؟! .

خامساً : تغير الوضع ايضاً بسبب النظرية الجديدة التى تقدمت بها « موسكو » فقد تم عن « فلاديمير لينين» تطور النظرية التى بإمكان البلدان المتحررة من التبعية الاستعمارية بموجبها أن تسير فى المرحلة الأولى نحو الاشتراكية بطريقتها الخاصة لا عن طريق دكتاتورية البروليتاريا التقليدية وهكذا تم وضع نظرية الاتجاه الاشتراكى وأصبح تأميم وسائل الإنتاج على نطاق واسع أى تدخل الدولة فى الاقتصاد وكذلك تأسيس أحزاب أو اتحادات تحت شعارات اشتراكية المقاييس الرئيسية للبلدان التى سارت فى طريق التنمية غير الرأسمالى .

سادساً : منذ أواسط الستينات أخذ يسود فى الاتحاد السوفيتى نهج المزيد من البرجماتية تجاه البلدان العربية وقل بشكل متزايد النظر إلى الأحداث فى الشرق الأوسط على ضوء الخلافات بين الأنظمة القومية والأحزاب الشيوعية المحلية وجرى الحديث فى اللقاءات فى اللجنة المركزية للحرب الشيوعى السوفيتى مع ممثلى الأحزاب الشيوعية عن ضرورة التقارب مع قادة البلدان العربية وأوصوهم بالموافقة على أن القيادة الثورية وليس هم تعتبر فى المرحلة الراهنة القوة البارزة فى حركة التحرر فى العالم العربى وهذا ما جعل العلاقة تستمر فى حدود الأمان ولكن ايضاً كان فى العمق الكثير ولكن ما بقى هو الحل المؤقت للقاء فى منتصف الطريق .

سابعاً : إن الدعم الاقتصادى والعسكرى الروسى فى المنطقة ينطلق من مبدأ التواجد الاستراتيجى المهم ولا مانع من التقارب فى الخطوات الأولى طالما أتحد الطريق ولم يكن الدعم بالقدر الكافى والممكن للمواجهة مع الغرب (انجلترا وفرنسا) وسياسة الولايات المتحدة التى انساقت بعيداً عن رغبتها فى هذا الوقت وراء الضغوط البريطانية والفرنسية بحتمية ارتباط الشرق الأوسط و درته مصر فى أحلاف فى مواجهة المد الشيوعى السوفيتى وبالخطأ أيضاً أدى ذلك إلى مزيد من اللجوء إلى الاتحاد السوفيتى (روسيا) وبدأ يظهر على السطح ما كان فى العمق بل وفى العمق البعيد أيضاً بعد حرب يونيو ١٩٦٧ وقبيل حرب أكتوبر ١٩٧٣ مما دفع القيادات العربية (بالخطأ الروسي) المقابل للخطأ الأمريكى (السابق) إلى الابتعاد عن روسيا والاقتراب من أمريكا مرة أخرى وأقول فى هذا ايضاً أن السبب الرئيسى يرجع فى ذلك من الجهة العربية فى كون سياساتها رد فعل اضطرارى وإلى أمريكا وروسيا إلى الوضوح والشفافية فى أصول وطبيعة العلاقة وفى اعتقادى أن كل شئ كان من الممكن ولكن كان للواقع رأى آخر ؟! وبمزيد من التفاصيل :

كيف رأى الاتحاد السوفيتى الشرق الأوسط

أولاً : أن الخطأ والتعنت الغربى (بريطانيا وفرنسا) جر السياسة الأمريكية إلى خيار وحيد عرض على الزعامات العربية (وأقصد مصر بالذات وفى المقدمة) إما الأحلاف (الاستمرار الموجود) أو الضغوط بل والعداء ؟!

ثانياً : التقط الاتحاد السوفيتى الخيط وتقدم إلى المنطقة على طبق من الذهب بحثاً عن التواجد الاستراتيجى والايدولوجى أيضاً..

ثالثاً : الرؤية الروسية تتلخص فى أن الوحدة العربية والقومية العربية بندائها الوحدوى عقبة فى طريق التيار (الشيوعي) وان لم يظهر العداء المباشر لها وإنطلاقاً من المبادئ الدوجماتية كانت اللجنة المركزية لحزب البلاشفة الشيوعى ثم اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى فى المراحل الأولى تركز على أن التحرر الوطنى فى العالم لايمكن أن تتطور إلا بقيادة الشيوعيين أو على الأقل بمشاركتهم المباشرة فى هذه القيادة وكانت وجهة النظر هذه سائرة فى القيادة السوفيتية فى الخمسينات ولم يبدأوا بالابتعاد عنها ببطء إلا فى النصف الثانى من الستينات ولكن عجلة التاريخ والأحداث كانت أسرع وأوقع من التغيير الروسى .. وكانت السفارة الروسية فى القاهرة تبلغ القيادة فى موسكو بمثل هذه التقييمات السلبية المجردة غير المرتبطة بالواقع المصرى والتى كثيراً ما كانت مبالغاً فيها « هذا ما قاله بريما كوف» .

رابعاً : حاول الاتحاد السوفيتى الحركة قبل وبعد حرب أكتوبر بترميم تلك العلاقة بما لا يخل بالتوازن الجديد فى المصالح العليا للاتحاد السوفيتى وتوازنات السياسة الدولية مع الغرب ولكن على ما يبدو أن هذا الترميم لم يكن كافياً لتغيير حركة الأحداث ولم يكن فى الميزان العدل أو الصواب أيضاً مما دفع العلاقات العربية الروسية إلى الاتجاه غرباً وأقول وساعد على ذلك أيضاً

بداية التصدع فى الاتحاد السوفيتى وأعلنت روسيا (الوريث الشرعى للاتحاد السوفيتي) وعلى لسان فلاديمير بوتن إن التعامل مع الشرق الأوسط لم يعد يخضع لتأثير أيديولوجى « رغم أن ما منحه النظام الناصرى لروسيا وهو شرعية وحق التواجد فى الشرق الأوسط كان يعنى الكثير والذى استفادت منه « موسكو» إلى حد بعيد وأصبح إطار التعامل كما تراه روسيا هو المقابل و كاشى (نقدي) والدفع مقدماً والشكك ممنوع والزعل مرفوع وعاد العرب إلى مربع صفر من جديد بحثاً عما يقدم لهم بمخدر موضعى هو الممكن والمتاح والخيار الاستراتيجى والعاقبة عندكم فى المسرات وأصبح الوضع بعد كل التعاون العسكرى والدعم العسكرى الروسى العربى هو تقليص المساحة التى كانت فى أيدى العرب وزيادة المساحة المحتلة من إسرائيل وفى إنتظار السلام والسلام...

و بقيت ملحوظة هامه و هى أن ما اقصده و اعنيه بتاريخ التواجد هو التواجد الامبراطورى السياسى و الايدولوجى و ليس التاريخى

الفصل الثانى

السلاح الروسى فى المنطقة الشرق أوسطية

إن استخدام السلاح بشكل عام يهدف إلى ثلاثة أهداف لا رابع لهم وهو الدفاع عن الذات والحفاظ على سلامة الأرض أو اكتساب أرض جديدة وأخيراً للردع وفى أى معيار عسكرى لا يوجد كما أرى سبباً خامساً فهل حقق السلاح الروسى فى المنطقة العربية الأهداف الثلاثة أو أحدها على الأقل ؟! .

قول حق:

إن السلاح الروسى كان متطوراً إلى حد كبير مع بدايات الصفقات السوفيتية إلى الشرق الأوسط وبالأخص هنا عند نقطة البداية فى القاهرة وكانت الصفقات متناسبة إلى حد بعيد مع طبيعة الأرض فى الشرق الأوسط ومع المستوى العلمى والتكنولوجى وقتها لإضفاء المصداقية وجذب الزبون فى السوق الجديدة وإحداث التوازن السياسى الذى كان يحتاجه جميع الأطراف وأقصد الساسة العرب وأعنى فى المقدمة عبد الناصر وما يمثله وقتها والنظام السوفيتى وما يريده... وفى النهاية فهو فى المرحلة الأولى مناسب ومتناسب مع طبيعة الأحداث وأعنى السياسة الدولية والإقليمية ونقطه البداية الموفقة بالحتمية والسليمة بطبيعتها ... ؟! .

وماذا بعد ؟!

توالت الأحداث بحلوها ومرها وإن كان مرها هو ما تناوله العرب فى أحيان كثيرة حيث بدأ ميزان التوافق الدولى بعد أن حصلت عليه موسكو يميل إلى

ما تبتغيه وحتمية التوافق بحيث لا تتجاوز أحداث الشرق الأوسط الجديدة خطوط احتمالية التصادم المباشر وإمكانية التعايش مع الأحداث تطبيقاً للمصالح العليا السوفيتية والغربية أيضاً وانعكس ذلك بالطبع على نوعية السلاح وطبيعة الاستخدام وفق ما سمى وقتها «نظرية الاسترخاء العسكرى فى الشرق الأوسط» ليكون فى الجانب العربى دفاعياً بحتاً وبالدرجة الأولى (وإن كان عكس ذلك تماماً على الجانب الإسرائيلى) ليكون الميزان لإسرائيل يميل إلى الردع ثم ميلاً نحو إمكانية الهجوم؟! وبالتالى أختل التوازن فى الشرق الأوسط ناحية إسرائيل (ولكن وفق وعود غربية بعدم التصعيد) ولكن لضمان أمن إسرائيل وحتى لا يندفع العرب بمقولة أنهم أصحاب حق وعدل يريدون أخذه ؟! وكان ما كان ؟! وقد عانى فى ذلك الكثير من القادة العرب (وأعنى عبد الناصر) والسادات بعد ذلك ؟! ولكن لم يكن يستطيع كل منهما أن يعلن ذلك علناً أو بشكل رسمى لظروف سياسية وشعبية وعسكرية أيضاً وهذا ما دفع السادات إلى إخراج الخبراء العسكريين السوفيت بقرار منفرد ودون مشاركة مع الجانب السوفيتى وتم تطوير استخدام السلاح الدفاعى ليتحرك هجومياً وفقاً للمتيسر والمتاح وهو يحسب بالدرجة الأولى للعسكرية المصرية بشكل مباشر والقيادة السياسية وقتها بالطبع ...وتحرك الجيش المصرى على أرض مسرح العمليات وفقاً للمتيسر والمتاح وهى معجزة بأى مقياس عسكرى حتى الآن ؟!! وحصل على أرض وفقاً للمتاح وأستكمل الباقى بقاعدة الانتصار الممكن والصلابة المطلوبة ؟! والتمسك بما حصل عليه باقتدار بالغ غير الموازين بالإصرار على التواجد و ساعد كثيراً وإلى حد كبير على نجاح التفاوض السياسى .

ولكن أيضاً ؟!

فى حصيلة كل هذه الصفقات نجد أن السلاح الروسى أكتسب سوقاً جديداً

وواعداً فى العالم والشرق الأوسط (وأعنى دولاً عربية عديدة) وأكتسب أرضاً على المستوى السياسى فى توازنات القوى السياسية فى العالم (وأعنى مع الغرب والولايات المتحدة) وهى مكاسب ضخمة تجاهلها العديد من المحللين السياسيين فى المنطقة وإن أشار إليها يافجينى بريماكوف عرضاً ودون تفصيلات بأن الاتحاد السوفيتى كانت له مصالح أستطاع تحقيقها فى الشرق الأوسط والعالم بصفه عامه وفق تواجده فى الشرق الأوسط وما كان ليتاح له التواجد فى الشرق الأوسط لولا المساندة السياسية التى أعطاها النظام الناصرى له مضطراً بعد صفقه السلاح التى عقدت بواسطة تشيكية فى القاهرة بعد العناد الأمريكى والغربى والذى كان ناجحاً إلى حد كبير فى أعقاب وخلال حرب عام ١٩٤٨ بحظر دخول سلاح إلى الشرق الأوسط (فى عهد الملك فاروق الأول) ملك مصر وقتها (بينما كان يتدفق على الجانب الإسرائيلى بمساعدة بريطانية وموافقة أمريكية) مما أضطره إلى محاولة خرق هذا الحصار فى الحصول على أسلحة من اسبانيا أدى سوء تخزين إلى إفسادها أثناء النقل وهو ما عرف بعد ذلك (بقضية الأسلحة الفاسدة) والتى لم يعرف تفاصيلها إلا لاحقاً ؟!! وحاولت الولايات المتحدة استدراك الخطأ والعناد مع النظام الناصرى ولكن كان قد سبق السيف العزل كما يقول المثل العربى وتحركت الولايات المتحدة متأخرة واعترف كما ظهرت الوثائق أن ذلك كان بضغوط إنجليزية وفرنسية ؟! ولكن أيضاً لا يغنى حظر من قدر كما يقول المثل العربى أيضاً ؟! .

وفى النهاية :

وللوصول إلى هذه النهاية وجب العودة إلى البداية وهى الغرض من السلاح بشكل عام ؟! فهل حقق السلاح المأمول منه لتحقيق طموحات القيادة السياسية فى الشرق الأوسط ؟! لا أعتقد ذلك !! وهل حقق الاحتفاظ بالأرض العربية

بشكل عام ؟! لا اعتقد ذلك (الجولان وفلسطين والسيادة العراقية؟!) فهى نقصت ولم تزيد ؟! ولم تحقق اكتساب أراضى جديدة أيضاً ؟! وأخيراً فهل حققت الردع ؟! وأعتقد أيضاً أنها لم تحقق الردع المطلوب بالسلاح السوفيتى فقط ولكن لزم إلى جانب ذلك تنويع مصادر السلاح وهذا ما أمكن تحقيقه إلى حد بعيد ؟! .

وأخيراً ؟!

عززى القارئ لم أكن متجنياً فى التحليل وحاولت كل طاقتى الحيادية والتخلى مبتعداً قدر الإمكان عن تحليل الجانب السياسى والمعنوى ليكون أقرب إلى الواقع وحجتى ألا يلام جانب أو يغفل حق بداية من حكم (فاروق الأول) وحتى الآن فلم يكن هناك من خان الأمانة العسكرية أو خان الوطن ولكن كانت هناك خطوات اضطرارية وقرارات لم يكن هناك سبيل للمناورة والاختيار بينها فهى بين جانب وسياسة دولية قوية ودول نامية متطلعة إلى المستقبل تختار بين العمى كله أو نصف العمى فى ظلام حالك وأحداث ساخنة بين الرغبة فى مستقبل مستنير أو تخلف فى نظام عالمى يحكمه الظلم فى الظلام ؟! وأيضاً

كانت تلك هى النتائج واضحة ومجردة ومشيئة الأقدار لتكون أمام الأجيال القادمة صادقة ليكون الوصول والتفاؤل ممكناً أيضاً ؟!! وفى النهاية استطيع القول بأن السلاح الروسى فى المنطقة كان قفزة تكنولوجية عالية ولكنه أيضاً لم يحقق الطموحات السياسية العربية المأمولة وفق متغيرات ومصالح دولية أملتها الظروف بين الممكن والمتاح ؟! .

الفصل الثالث

الإمبراطورية الروسية ودور دبلوماسييها فى استقلال مصر عن الدولة العثمانية

يعود تاريخ العلاقات الدبلوماسية بين الإمبراطورية الروسية ومصر الى أكثر من ٢٥٥ عاماً وخمسة وعشرين عاما عندما اصدرت الإمبراطورة يكاتيرينا الثانية عام ١٧٨٤ مرسوما يقضى بتعين كندراتى فون تونوس كأول قنصل روسى فى الاسكندرية ليضع حجر الأساس فى بناء تاريخ طويل من العلاقات بين مصر وروسيا لا تزال مستمرة ليومنا هذا .

بعثة البارون تونوس

حكاية المصير المأساوى لاول قنصل روسى فى مصر

تعتبر السنة الجارية يوبيلية بالنسبة للعلاقات بين روسيا ومصر. وقد اصدرت الامبراطورة الروسية يكاترينا الثانية قبل ٢٢٥ عاما اى فى عام ١٧٨٥ مرسوما بتعيين اول مبعوث رسمى روسى فى مصر. وهو الموظف الروسى النمساوى الأصل البارون كوندرات فون تونوس البالغ من العمر ٣٥ سنة حيث امرته الامبراطورة بان يذهب الى الاسكندرية ليكون قنصلا عاما لروسيا.

وقد اقيمت علاقات بين المسؤولين فى روسيا ومصر لاول مرة ابان الحرب الروسية التركية (١٧٦٨ – ١٧٧٤) حين دخلت السفن الروسية البحر الابيض المتوسط عبر مضيق جبل طارق ووجدت نفسها فى مؤخرة الامبراطورية العثمانية.

وكانت القاعدة الحربية الروسية فى جزيرة باروس اليونانية تستقطب ممثلى الشعوب المختلفة المضطهدة من قبل السلطات العثمانية والتى كانت تعلق آمالها على السلاح الروسى فى مهمة التحرر من النير التركي. وبينهم مبعوثو الحاكم المصرى على بك الذى أعلن عام ١٧٦٨ استقلال مصر عن الامبراطورية العثمانية. وكانت القوات المصرية المدعومة من قبل الاسطول الروسى تخوض العمليات الحربية ضد الاتراك. وبالرغم من ان على بك الذى توفى فى عام ١٧٧٣ لم يتمكن من تحقيق الاستقلال التام لبلاده فان سيطرة السلطة العثمانية على مصر ضعفت الى حد كبير.

وقد نالت روسيا الحق بتعيين قنصل فى اية مدينة فى الامبراطورية العثمانية بموجب معاهدة كوتشوك كينارجى عام ١٧٧٤ التى ثبتت نتائج حرب السنوات الست بين البلدين. لكن الاتراك كانوا خلال ١٠ سنوات يتملصون من تنفيذ هذه المعاهدة. ولم يصل القناصل الروس الى مدن الامبراطورية العثمانية الا بعد توقيع الاتفاقية التجارية بين الدولتين.

وجرت العادة آنذاك ان يعين القناصل من اجل مصلحة التجارة الروسية فقط. لكن مصر اصبحت استثناءا من هذه القاعدة. وكانت بعثة البارون تونوس سياسية وليست تجارية. وأمل المصريون بالتحرر من الحكم العثماني. اما الروس فاعتبروهم حلفاء لهم فى حال نشوب حرب جديدة مع الاتراك. وقد رفرف العلم الروسى فوق مبنى القنصلية العامة الروسية فى الاسكندرية فى ٢٧ يوليو عام ١٧٨٥ . واندلعت الحرب بين روسيا وتركيا بعد سنتين.

وطالب الاتراك السلطات الروسية باستدعاء القناصل الروس من بضعة مدن تابعة لهم بما فيها الاسكندرية. وقام القنصل الروسى البارون تونوس فى ١٩ سبتمبر عام ١٧٨٧ بانزال العلم الروسى من فوق مبنى القنصلية الروسية وغادر البلاد .

لكن بعثته لم تنته بعد اذ كانت روسيا تنوى توجيه اسطولها الحربى الى المنطقة الشرقية للبحر الابيض المتوسط.

ورفع البارون تونوس الذى اقام بعد ذلك فى ايطاليا تقريرا الى بطرسبورغ اشار فيه الى احتمال انفصال مصر عن الامبراطورية العثمانية.

وظهر ان نيل مصر استقلالها يخدم مصالح روسيا. لذلك فان الامبراطورة الروسية يكاترينا الثانية امرت بعد اطلاعها على تقرير تونوس باستدعائه الى بطرسبورغ ، حيث تلقى امراً بالعودة الى مصر فورا وتسليم رسالة من يكاترينا الثانية الى الحكام المصريين تعهدت لهم فيها بالدعم العسكرى الروسى فى حال اقدامهم على الانتفاضة ضد الاتراك.

حضر البارون تونوس فى سبتمبر عام ١٧٨٨ سراً الى دمياط ثم توجه الى القاهرة حيث حضر هناك اجتماع الديوان او مؤتمر وجهاء مصر. واطلعهم تونوس على رسالة الامبراطورة الروسية ، فاستمعوا اليها بانتباه. لكنهم لم يردوا عليها ، لانه لم تصل بعد اليهم اية انباء عن وصول الاسطول الروسي. وجعل الحكام المصريون القنصل الروسى يقيم فى قلعة القاهرة وبدأوا فى الانتظار. ولم يعرف البارون تونوس والحكام المصريون نبأ نشوب الحرب بين روسيا والسويد فى اغسطس عام ١٧٨٨ ، الامر الذى منع الاسطول الروسى من عبور بحر البلطيق والوصول الى البحر الابيض المتوسط.

لم ترد اية انباء حول مصير البارون تونوس طيلة سنة. ثم ورد نبأ موته. وبموجب المعلومات الواردة من الاسكندرية فان الاتراك طلبوا من حكام مصر تسليم البارون تونوس اليهم. فقرر حكام مصر قتل القنصل الروسى كيلا يتعرض للتعذيب و لا يطلع السلطات التركية فى اسطنبول على خطط الحرب الروسية المصرية المشتركة

ضد الامبراطورية العثمانية. ويعتقد ان ذلك حدث فى ٢٨ سبتمبر عام ١٧٨٩. وهكذا تم طى اول صفحة للعلاقات الدولية بين روسيا ومصر.

نحن، بارادة الله، كاترينا الثانية امبراطورة وقيصرة روسيا وصاحبة الألقاب الاخرى نبلغ كل من يهم الامر والجميع بما ينبغى العمل به:

انطلاقا من الصداقة الطيبة التى تربط امبراطوريتنا بالباب العالى العثمانى واستنادا الى المعاهدات والاتفاقيات المعقودة بيننا وبينه، بما فيها معاهدة السلام الموقعة عام ١٧٧٤ والاتفاقية التجارية الموقعة عام ١٧٨٣ قد قررنا انه فى منفعتنا ومصلحتنا ان نعين قنصلا عاماً لنا فى الاسكندرية وعموم مصر الخاضعة للباب العالى المذكور اعلاه، وذلك من اجل ان تنمو تجارة رعايانا أكثر فاكثر ولكى يلقى رعايانا الذين يحضرون الى هناك لممارسة اعمالهم الدعم والمعونة اللتين يحتاجون اليهما.

وبهذا الصدد فاننا نأمر بأن يختار الرائد البارون كوندراتى تونوس لأداء واجباته ونخوله بصلاحياتنا الامبراطورية. كما نبلغه بصدور مرسومنا بهذا الشأن ونقرر تعيينه قنصلا عاما لروسيا فى الاسكندرية وعموم مصر. وبهذا الشأن نحيط علما بذلك جلالة السلطان وولاته والباشوات والحكام وعمدات المدن وغيرهم من المسؤولين العسكريين والمدنيين.

كما اننا نرغب ونطالب بان يعترف بالرائد كوندراتى تونوس المذكور اعلاه بكونه قنصلا عاما لنا ويسمح له بأداء واجباته فى جو من الهدوء والحرية فى سبيل مصلحة قضيتنا ورعايانا ومن اجل ان يحظى بالحقوق والامتيازات والحريات التى تتفق ووظيفته الى جانب غيره من القناصل العامين للشعوب الصديقة والمفضلة فى ولايات الباب العالى العثماني.

اما نحن من جانبنا فنتعهد بان نقدم فى حالات مؤاتية ومشابهة لحالتنا المساعدة المتبادلة والامتيازات الممكنة. ونشهد اننا قد ثبتنا تخويلنا بختم الدولة.

سلم فى مدينة سانت بطرسبورغ يوم ١ ديسمبر عام ١٧٨٤ من قبل امبراطورتنا، وذلك فى السنة الثالثة والعشرين لحكمها القيصري.

بعثة ألكسى لاغوفسكى

لكن أول قنصلية روسية أفتتحت بشكل فعلى فى القاهرة يعود تاريخها إلى العام ١٨٦٢ عندما أرسلت وزارة الخارجية خريج دائرة الشرق الاوسط الدبلوماسى ألكسى لاغوفسكى فى محاولة لتنشيط دور روسيا الامبراطورية فى الشرق ، وتحديدا من مصر التى كانت ولو بشكل غير رسمى لا تزال فى حينها خاضعة للسيطرة العثمانية مما جعل من عمل القنصلية فى القاهرة امرا ذا أهمية قصوى. فخلال فترات قصيرة وبنتيجة النجاحات التى حققها لاغوفسكى استطاعت القنصلية الروسية توسيع نشاطها الدبلوماسى على الاراضى المصرية لتصل الى مدن اخرى فبإضافة إلى توسيع عمل القنصلية فى الإسكندرية تم إفتتاح مكاتب إخرى فى كل من بورسعيد والسويس والمنصورية والاسماعلية وغيرها من المدن المصرية.

الدبلوماسية الروسية فى مصر فى النصف الثانى للقرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين

مع تشكل الجمعية الروسية للملاحة والتجارة عام ١٨٥٦ ودخول قناة السويس قيد الخدمة، بدأت العلاقات الروسية المصرية تأخذ طابع التعاون فى مجالات

عدة بما فيها التعاون فى مجال رى الاراضى والجيولوجيا والآثار والسياحة والطب والثقافة. وشهدت تلك الفترة تبادل الزيارات لممثلين عن القيصر

الكسندر الثانى ومحمد على الذى فتح بدوره نافذة للحوار السياسى ايضا مع الإمبراطورية الروسية فى حينها، تكللت فيما بعد بزيارة أخوة القيصر ألكسندر الثالث الى مصر عام ١٨٨٨ ونجليه نيقولاى (اخر امبراطور لروسيا مستقبلا) وغيورغى فى عام ١٨٩٠ومن ثم الزيارة التى قام بها الخديوى عباس قبل توليه مهمات السلطة إلى مدينة بطرسبورغ. وفى العام ١٩٠٠ قام بزيارة إلى مدينة أوديسا عندما كان متوجها إلى رومانيا. إلا أن الزيارة المهمة فى تاريخ العلاقات بين البلدين هى تلك التى قام بها محمد على عام ١٩٠٩ إلى القوقاز ورحلته الشهيرة إلى سيبيريا فى طريقه إلى اليابان. وعلى الرغم من كل هذه العلاقات المنفتحة على مصر فإن الدبلوماسية الروسية لم تنظر الى مصر كدولة مستقلة، وذلك مراعاة لأعتبارات اخلاقية وادبية تجاه السلطان التركى ولكنها كانت تدعم توجهات الشعب المصرى للحصول على الاستقلال عن السيطرة التركية والبريطانية. ونتيجة الدور الكبير الذى لعبه الكسى سميرنوف كمبعوث وسفير للإمبراطور الروسى استطاعت مصر الحفاظ على القرار السياسى الذاتى المستقل فى إطار الامبراطورية العثمانية واستمر الامر على هذا الحال حتى الحرب العالمية الاولى.

هذه الحرب كانت بالنسبة للدبلوماسية الروسية تجربة جديدة لتثبت قدراتها على تحمل مسؤوليتها أمام الامبراطورية، ولاسيما أن المعارك الطاحنة على جبهات الحرب فى فلسطين أوقعت المئات من الجنود الروس وكان على القنصلية استقبال الأعداد الكبيرة من الضحايا والجرحى والمهجرين وقد نجحت فى إنجاز هذه المهمة الصعبة.

لكن لم تكن هذه هى المهمة الوحيدة التى وجب على الدبلوماسين الروس وتحديدا سميرنوف مواجهتها، فالنشاط الملحوظ لمؤيدى ثورة البلاشفة المتواجدين فى

مصر فى حينها ونتيجة عدم الاستقرار السياسى فيها والوجود الكبير للمهاجرين من أوروبا جعل من نشاط البلاشفة أمرا واقعيا كان على القنصلية مواجهته، وقد نجحت فى نهاية المطاف فى طرد مجموعة كبيرة من البلاشفة خارج الحدود المصرية، إلا أن انتصار ثورة أكتوبر فى روسيا ووصول البلاشفة الى الحكم وانهيار الامبراطورية حوّلت سميرنوف وعددا كبير من الدبلوماسيين الروس إلى مهاجرين نتيجة عدم انصياعهم لقرارات حكومة روسيا السوفيتية آنذاك. ان التقلبات السياسية التى عصفت بروسيا بعد انتصار البلاشفة أثرت بشكل أو بآخر على العلاقات الدبلوماسية مع العالم ككل، لكن العلاقات المصرية السوفيتية استؤنفت من جديد فقط فى العام ١٩٤٣ ومنذ ذلك الحين تربط البلدين علاقات متميزه تسعى الحكومة المصرية لتحويلها الى إستراتيجية والفضل فى كل هذا يعود الى الدبلوماسيين الروس الأوائل الذين وضعوا اللبنة الاولى فى تاريخ العلاقات الروسية المصرية.

العلاقات الروسية المصرية

أقيمت العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفيتى ومصر فى ٢٦ اغسطس عام١٩٤٣ . و شهدت العلاقات بين البلدين تغيرات جدية، كما تغيرت أولوياتها على الصعيدين الخارجي والداخلي. اصبحت روسيا ومصر اليوم شريكتين على الصعيدين الثنائي والدولي.

وتمت الخطوة الأولى للتعاون المصرى الروسى فى أغسطس عام ١٩٤٨ حين وقعت اول اتفاقية اقتصادية حول مقايضة القطن المصري بحبوب وأخشاب من الاتحاد السوفيتي . وشهدت العلاقة تطورات متلاحقة كان أبرزها بعد ثورة يوليو عام ١٩٥٢ حين قدم الاتحاد السوفيتى لمصر المساعدة فى تحديث قواتها المسلحة وتشييد السد العالي.

وبلغت العلاقات الثنائية ذروتها فى فترة الخمسينات – الستينات من القرن العشرين حين ساعد آلاف الخبراء السوفيت مصر فى إنشاء المؤسسات الانتاجية ، وبينها السد العالى فى اسوان ومعمل الحديد والصلب فى حلوان ومجمع الألومنيوم بنجع حمادى و مد الخطوط الكهربائية اسوان – الاسكندرية. وتم فى مصر إنجاز ٩٧ مشروعا صناعيا بمساهمة الاتحاد السوفيتي. وزودت القوات المسلحة المصرية منذ الخمسينات باسلحة سوفيتية. وتلقت العلم أجيال من اولئك الذين يشكلون حاليا النخبة السياسية والعلمية والثقافية فى بلاد الاهرام، ومن بينهم الرئيس المصرى الحالى حسنى مبارك الذى تخرج من احد المعاهد العسكرية السوفيتية.

وعلى الرغم من التوتر الذى شهدته العلاقات فى عهد الرئيس المصرى الراحل أنور السادات وإنقطاعها تماما حتى سبتمبر ١٩٨١ فانها بدأت فى التحسن التدريجى فى عهد الرئيس مبارك.

وفى الوقت الحاضر تم تطبيع العلاقات الروسية المصرية فى كافة المجالات. وكانت مصر فى طليعة الدول التى أقامت العلاقات الدبلوماسية مع روسيا الاتحادية بعد انهيار الاتحاد السوفيتى عام ١٩٩١. وتتطور العلاقات السياسية على مستوى رئيسى الدولتين والمستويين الحكومى والبرلماني. وجاءت الزيارة الرسمية الأولى للرئيس مبارك إلى روسيا الاتحادية فى سبتمبر ١٩٩٧، وقع خلالها البيان المصرى الروسى المشترك وسبع اتفاقيات تعاون. وقام حسنى مبارك بزيارتين الى روسيا عام ٢٠٠١ و ٢٠٠٦ و اعدت خلالهما البرامج طويلة الأمد للتعاون فى كافة المجالات والبيان حول مبادئ علاقات الصداقة والتعاونوقد قام الرئيس فلاديمير بوتين بزيارة عمل الى القاهرة فى ٢٦–٢٧ ابريل عام ٢٠٠٥ . وصدر فى ختام المباحثات الثنائية التى جرت فى القاهرة

البيان المشترك حول تعميق علاقات الصداقة والشراكة بين روسيا الاتحادية وجمهورية مصر العربية والذى يؤكد طبيعتها الاستراتيجية . واتخذت دورة مجلس جامعة الدول العربية فى سبتمبر عام٢٠٠٥ للمرة الاولى فى تاريخها قرارا باعتماد سفير روسيا فى جمهورية مصر العربية بصفته مفوضا مخولا لدى جامعة الدول العربية و في ١– ٢ نوفمبر عام ٢٠٠٦ وصل الرئيس المصرى حسنى السابق الى موسكو بزيارة رسمية. وكان الوفد المرافق له يضم كلا من وزير الاعلام ووزير الصناعة والتجارة ووزير الاستثمار الى جانب وزير الخارجية.

قام وزير الصناعة والطاقة الروسى فيكتور خريستينكو بزيارة الى القاهرة فى ١٠–١١ ابريل عام ٢٠٠٧ . وتم توقيع مذكرة التفاهم فى مجال إنشاء منطقة صناعية خاصة يساهم فيها الرأسمال الروسي. وتم التركيز الخاص على هذه المسألة خلال المباحثات التى اجراها رئيس وزراء جمهورية مصر العربية أحمد نظيف مع نظيره فلاديمير بوتين، وذلك أثناء زيارته الى موسكو فى ١٠–١٣ نوفمبر ومن الممقران يبنى فى المنطقة الصناعية الروسية معمل لصنع قطع الغيار للسيارات والطائرات ومشاريع الطاقة الروسية. وقد خصصت مصر قطعة ارض لإنشاء هذه المنطقة فى ضاحية الاسكندرية برج العرب.

أصبح موضوع التعاون فى ميدان الطاقة الذرية الموضوع الرئيسى للمباحثات التى جرت فى موسكو يوم ٢٥ مارس عام ٢٠٠٨ بين الرئيسين دميترى ميدفيديف وحسنى مبارك وأسفرت عن توقيع اتفاقية حول التعاون فى ميدان الاستخدام السلمى للطاقة الذرية فى يوم ٢٣ يونيو عام ٢٠٠٩ جرت فى القاهرة المباحثات بين الرئيس الروسى دميترى مدفيديف ونظيره المصرى حسنى مبارك . وتم بعد اختتام لقائهما التوقيع على عدد من الوثائق الخاصة بالشراكة الاستراتيجية بين البلدين .كما وقع الجانبان اتفاقية حول تسليم السجناء لقضاء محكوميتهم فى

الوطن ومذكرة تفاهم بين وزارتى الثروات الطبيعية فى البلدين والبروتوكول حول التعاون فى مجال التلفزة واتفاقية التعاون فى مجال الرقابة على المخدرات وغيرها. وقع رئيسا روسيا ومصر معاهدة الشراكة الاستراتيجية بين روسيا الاتحادية ومصر. وترسم هذه الوثيقة المؤلفة من ٣٠٠ صفحة اتجاهات التعاون بين البلدين خلال السنوات العشر القادمة. وبالاضافة الى ذلك تم توقيع مذكرة التفاهم بين وزارتى العدل فى الدولتين ومذكرة التفاهم والتعاون بين وكالة الارشيف الفيدرالية الروسية والمكتبة الوطنية المصرية وارشيف مصر.

العلاقات الروسية المصرية فى مجال الإقتصاد

أما بالنسبة للميدان الاقتصادى فقد تقلص نطاق التعاون العملى فى التسعينات . ولكن من الملاحظ أنه ينمو باطراد فى السنوات الأخيرة . وقد بلغ حجم تبادل السلع والخدمات بين البلدين فى عام ٢٠٠٦ حوالى مليار و٩٥٠ مليون دولار. ويشكل التبادل التجاري منه قرابة المليار و٢٠٠ مليون دولار .وقد ازداد حجم التبادل التجارى فى السنوات الأربع بحوالى ٥ امثال . وهو يشكل الآن أكثر من مليارى دولار . وبلغ التبادل السلعى بين البلدين فى عام ٢٠٠٨ حوالي ٢,٠٦٥ مليار دولار. وتشغل الخامات والمواد الغذائية وزناً نوعياً عالياً فى الصادرات الروسية بينما تشكل المنتجات الزراعية والسلع الاستهلاكية البنود الأساسية فى الصادرات المصرية.

ويشهد التعاون بين مصر وروسيا فى مجال الطاقة على التقدم الملحوظ للتعاون الروسى المصرى الأمر الذى يبدو واضحاً فى ميادين استخراج وإنتاج النفط والغاز الطبيعي. وتتابع شركة « لوكويل» النفطية الروسية بنجاح نشاطها فى مصر. وقد وقعت شركة» نوفاتيك» فى عام ٢٠٠٧ اتفاقية حول إنشاء مؤسسات مشتركة مع شركة» ثروة» لاستخراج وإنتاج الغاز فى حقول بلدة العريش. كما تعمل شركة

النفط والغاز الروسية العملاقة « غاز بروم» بنشاط فى مصر.

وتتطور العلاقات الثنائية فى ميدان بناء المكائن. فيتم فى مصر منذ عدة سنوات إنتاج سيارات « لادا». وقد وقعت شركة « كاماز» المساهمة الروسية مذكرة تفاهم فى مارس مع شركة مصرية .

التعاون فى مجال الطاقة

فى الوقت الحاضر أنجز الخبراء المصريون والروس العمل الخاص بإعداد اتفاقية ثنائية حول الاستخدام السلمى للطاقة النووية. ويرى العديد من الخبراء أن اختيار روسيا كشريك لتحقيق البرنامج الذرى المصري أفضل من التعاون مع الولايات المتحدة فى هذا المجال.وكان حسنى مبارك قد أعلن فى عام ٢٠٠٧ عن ضرورة الاستفادة من الطاقة الذرية لتوليد الكهرباء. وقد أصبح موضوع التعاون فى ميدان الطاقة الذرية الموضوع الرئيسى للمباحثات التى جرت فى موسكو يوم ٢٥ مارس عام ٢٠٠٨ بين الرئيسين دميترى ميدفيديف وحسنى مبارك وأسفرت عن توقيع اتفاقية حول التعاون فى ميدان الاستخدام السلمى للطاقة الذرية التى ستتيح لروسيا المشاركة فى المناقصة المتعلقة ببناء أول محطة كهرذرية بمصر. وكان الاتحاد السوفيتى قد أمد مصر بمفاعل ذرى فى عام ١٩٥٨ . وقد تم تشغيل هذا المفاعل فى عام ١٩٦١ . ومن جانب آخر زار مصر فى ١٦ يونيو سيرغى كيريينكو مدير عام شركة « روس آتوم» الحكومية الروسية . وتساهم شركة «لوكويل» الروسية في استثمار حقول النفط المصرية فى الصحراء الغربية ومنطقة خليج السويس، وتنوى استثمار ٤٠٠ مليون دولار فى هذا المشروع. وفى اكتوبر عام ٢٠٠٤ انجزت الشركة مشروع مد خط انابيب تصدير النفط الى خارج مصر عن طريق الساحل الغربى للبحر الاحمر والذي يبلغ طوله ١٠٠ كيلومتر. وقد اقامت شركة الغاز المصرية «ايجاز» التعاون النشيط مع شركتي «غازبروم»

و«نوفاتيك» الروسيتين. تتطور العلاقات الثنائية فى مجال صنع السيارات. وقد وقعت شركة» كاماز» فى مارس عام ٢٠٠٤ مع شركة «تاكو يوروماتيك» المصرية مذكرة التفاهم حول إنشاء معمل تجميع السارات « كاماز» . وفى فبراير عام ٢٠٠٦ تم افتتاح معمل تجميع السيارات «لادا» فى مصر. كما يتطور التعاون فى ميدان السياحة بصورة دينامية. وبلغ العدد الاجمالى للسياح الروس القادمين إلى مصر فى عام ٢٠٠٨ زهاء ١.٨مليون شخص بينما لم يتجاوز هذا العدد ٧٥٠ الف سائح فى عام ٠٥

ميدان التعليم

فى عام ٢٠٠٥ وقع وزير التعليم والعلوم الروسى آ.آ. فورسينكو مع نظيره المصرى آ. سلامة بروتوكولاً خاصاً حول تطوير التعاون الثنائى فى مضمار التعليم العالى والعلوم وذلك أثناء زيارة العمل التى قام بها إلى القاهرة .

وفى عام ٢٠٠٦ بدأت عملها فى القاهرة الجامعة الروسية المصرية التى تأسست بمبادرة من الرئيس المصرى السابق حسنى مبارك وافتتحت بالاسكندرية خلال مدة قصيرة.

الفصل الرابع

مصر فى عيون ورؤية روسيا

مقدمـــة:

أحداث متعددة التأثير وعميقة الأثر لم يكن ليتوقعها أكثر المحللين السياسيين فى العالم توفيقاً أو حتى قرباً من الأحداث والمعلومات بعد الحرب العالمية الثانية وهى دخول الاتحاد السوفيتى إلى منطقة الشرق الأوسط مهد الحضارات والرسالات السماوية وذات الموقع الجغرافى الفريد وبؤرة الأحداث وأرض النفط والدولارات البترولية أيضاً؟! ويرجع كل ذلك مفجر الأحداث وباديها أيضاً وهو صفقه الأسلحة التشيكية (الروسية) بين روسيا ومصر وهى لاشك وليده خطأ أمريكى فى إستراتيجية الشرق الأوسط والتى كانت كل أوراقها فى يدها طوعاً ورغبة من الأنظمة العربية الثورية الحديثة من ناحية ومن ناحية أخرى لم يكن فى مقدور ومخطط الاتحاد السوفيتى الدخول إلى تلك المنطقة فى هذا الوقت بالذات طبقاً للظروف والتوازنات الدولية ؟! ووقعت الولايات المتحدة الأمريكية وأعتقد (وبعد مرور هذه السنوات الطويلة) أنها لم تكن لترغب فى ترك الأوراق لتنتقل ولو بعضها من بين يديها وهى تتطلع لاعتلاء القمة على العالم وريثة طبيعية للإمبراطورية الإنجليزية والفرنسية أيضاً وكانت المنطقة مؤهلة لتقبل الدور الأمريكى بصدر رحب لإمبراطورية تتطلع لمبادئ إنسانية وتنادى بحرية الشعوب وحقوق الإنسان (وشاءت الأقدار) أن وقعت أمريكا تحت ضغوط (ثلاثية) الأبعاد عميقة الأثر من إسرائيل الابن الناشئ للغرب ووكيل مصالحه الجديد

فى الشرق الأوسط وتابعه واللوبى الصهيونى فى الداخل الأمريكى ثم البعد الثالث من انجلترا وفرنسا دعوه إلى التشدد والحزم بطبيعة استعمارية للثورات الناشئة فى الشرق الأوسط وعلى قمتها بالطبع مصر ؟! ومن هنا تراجع البنك الدولى عن تمويل السد العالى وتراجعت أمريكا عن تقديم قروض على ثلاث دفعات ٥٠ ، ١٥٠، ٢٠٠ مليون دولار لزوم التمويل ورفضت تحديث الجيش المصرى بسلاح أمريكى فى صفقه علنية أصبحت فى منظور مصر حتمية بعد أحداث غزة والجيش المصرى فى العريش (فى تصعيد مباشر وعاجل ومتعمد من إسرائيل) وإن كان الميول فى السياسة الأمريكية فى البداية كانت نحو مساندة الثورة الناشئة فى مصر وعلى مسمع ومرآى منها (عندما أبلغ الرائد على صبرى بأمر من الناصر مساعد الملحق العسكرى فى السفارة الأمريكية فى مصر بميعاد الثورة فرد عليه قائلاً إن لم تكونوا شيوعيون (Go on) وصدق الكونجرس الأمريكى بمعونة اقتصادية لمصر بمقدار ٥٠ مليون دولار ؟! وفى حل وسط طلبت إنجلترا وفرنسا من ناصر الإنضمام لحلف بغداد ورفض ثم مطالبة أخيره بعدم مهاجمة من ينضم من الدول العربية ورفض الدخول فى دائرة الأحلاف ومنع تمويل السد العالى وصفقه السلاح وبدأ الحصار العسكرى والاقتصادى بمنع استيراد القطن المصرى وفى خيار اضطرارى ولا أقول ميلاً ايدولوجياً أو رغبات يساريه إستجاب ناصر لنصيحة شواين لاى وزير خارجية الصين وقتها وجواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند وقتها بطرق أبواب الشرق (روسيا) والتى لم يكن فى برنامجها الحالى دخول الشرق الأوسط وفى أحسن الأحوال لها مسانده الأنظمة الشيوعية الناشئة ودعمها؟! وقدم لها عبد الناصر وجبه الدخول إلى الشرق الأوسط وبدأت تضيع أو تذهب أوراق اللعب مد يد اللاعب الأمريكى (أو بعضها) لتقع فى أيد النظام الروسى (فى موسكو) وبدأت موجه جديدة

من الحركة السياسية فى العالم والشرق الأوسط بعقد صفقة الأسلحة التشيكية ثم عرض روسيا بتمويل السد العالى ودعم الصناعة المصرية ثم إعادة تأهيل القوات المسلحة المصرية مباشرة وبأسلحة كانت وفى الحقيقة والواقع مناسبة تكنولوجياً وواقعياً لمتطلبات وطموحات القيادة العسكرية المصرية ومهامها فى هذه الفترة وتستجيب أيضاً لطموحات القيادة السياسية فى الانطلاق نحو إعادة نداء القومية العربية وبدأت تتحرك سياسياً وعسكرياً (فى اليمن والجزائر) ومساندة سوريا والعراق (وهذا على سبيل المثال لا الحصر) .. وبالطبع استتبع ذلك دعم إقتصادى وصناعى تواكب وتناغم أيضاً مع طموحات القيادة السياسية والعسكرية المصرية ليدعم كل هذا القوى الناعمة والمؤثرة لمصر فى الشرق الأوسط وإفريقيا وآسيا (من خلال مجموعة عدم الانحياز)...

وماذا بعد ؟!

لم يترك الغرب وخاصة فرنسا وإنجلترا (ولا أقول أمريكا حتى الآن) ليذهب عبد الناصر لأبعد ما وصل إليه وبدأ العدوان الثلاثى على مصر بعد وصول صفقة السلاح إلى مصر فى مايو ١٩٥٦) ومغادرة القوات البريطانية لأرض مصر (فى قناة السويس) فى يونيو ١٩٥٦) لتعود فرنسا وانجلترا وإسرائيل فى عدوان ثلاثى بدأ فى ٢٩ أكتوبر من نفس العام) ولاقى العدوان الثلاثى معارضة سوفيتية شمل الإنذار الشهير من روسيا إلى فرنسا وإنجلترا ومعارضه أمريكية ايضاً بإعلان إيزنهاور الرئيس الأمريكى وقتها بمعارضة العدوان الثلاثى على مصر (وليس بسبب تأميم قناة السويس وحدها ؟!) ... وأستمر الدعم الصناعى والتكنولوجى السوفيتى والعسكرى أيضاً متناغماً ومواكباً الطموحات المصرية ؟! وكان وقتها قد بدأ التوازن السياسى الدولى (الوفاق الدولي) والدعوة للحفاظ على أمن إسرائيل (حتى من روسيا) وأقتصر الدعم العسكرى (بدأ فى التراجع) ليكون

فى إطار دفاعى وبأسلحة دفاعية بحته للمحافظة على التوازن العسكرى (وكانت تدعم إسرائيل بالكثير).

وبدأ بميل نظام التسليح ناحية إسرائيل وخوفاً من تهور عربى أو تحرك عسكرى (طبقاً للطموحات السياسية الجديدة فى الشرق الأوسط) والذى قد يؤثر على رغبة القوى الكبرى فى عدم التصادم المباشر قد ينزلق إليه أحد الأطراف فى مواجهة لا يحمد عقباها ؟؟ ووفقاً لهذه النظرية التى تحوى الحفاظ على أمن إسرائيل وتحجيم القوى العربية واستمرار الدعم الغربى لإسرائيل بشكل متطور وحديث أثر بالطبع على رغبات إسرائيل فى السيطرة على أحداث الشرق الأوسط وكسر شوكة عبد الناصر (أو تقليم أظافره) وكانت حرب ١٩٦٧؟! وأيضاً كانت هناك المنغصات و المطبات التى أدت بالسلبيات تظهر على السطح فى العلاقات العربية السوفيتية مثل مشروع الوحدة ١٩٥٨ بين سوريا ومصر والذى كان لا يصب فى المصلحة السوفيتية ثم دعم مصر للثورة فى العراق والسودان خاصة وأن هذه الأنظمة كانت تعارض المد الشيوعى فى بلادها وزجت بأصحاب الفكر الشيوعى فى السجون وحتى فى مصر أيضاً ثم الرغبة الروسية فى التوازن وتفادى المواجهة المباشرة من أى لاعب ثانوى فى المنطقة وللحقيقة أن كل ذلك كان يتم خلف الأبواب المغلقة دون إعلان رسمى وفقاً لرغبة جميع الأطراف فى عدم قطع حبل الوصال إلى النهاية وأضطر الاتحاد السوفيتى إلى الدعم العسكرى لمصر (كان فى نطاق دفاعى بحت) لم يتوائم مع المهام الجديدة لتحرير الأرض مما آثار الحنق والغضب فى المؤسسة العسكرية المصرية وبشكل ظاهر (وبشكل غير رسمي) وبالتالى الضيق والقلق فى القيادة السياسية (عبد الناصر) فى محاولات ضغوط على الجانب السوفيتى فى زيارات متعددة ومباحثات مطوله وعتاب ينتهى بمزيد من الأسلحة الدفاعية مما أضطر

عبد الناصر لإعلان قبوله مبادرة « روجرز» وزير الخارجية الأمريكية لحل أو بداية حل لمشكلة الشرق الأوسط بطرق سليمة ومبادئ أمريكية أيضاً وتم ذلك على طاولة المباحثات مع الجانب السوفيتى (والذى لم يكن ليتوقع أن تكون نقطة النهاية وعلى يد عبد الناصر الذى منحهم نقطة البداية) مع صفقه الأسلحة التشيكية وتوفى عبد الناصر تحت ضغوط نفسية ومرضية وتردى فى الشارع العربى (الأردن – منظمة التحرير الفلسطينية) والتقط السادات الخط من بدايته مع إعلان عبد الناصر قبول مبادرة روجرز فى محاولة لاستمرار الضغط على الجانب الروسى بهذه الورقة تارة وبعقد اتفاقية إستراتيجية مع الجانب الروسى بعيدة المدى من جانب آخر ؟! و فى محاولة ما يمكن إنقاذه فى الوفاء بالأسلحة المتفق عليها مع عبد الناصر فى محاولة أخيرة) ؟! (وصلت نهايتها فى ٢ أغسطس ١٩٧٣) أى قبل الحرب بثلاثة شهور فقط وفى كل الأحوال كانت مصر فى حاجة إليها لتأمين جبهتها الداخلية والمواقع الحيوية الهامة فيها أمام الطيران الإسرائيلى المتغطرس بالتفوق وأدت بالتالى لحماية الجيش المصرى فى المواجهة مع إسرائيل وهنا كانت نقطة النهاية للتواجد العسكرى المباشر فى مصر بطرد أو الاستغناء عن الخبراء السوفيت الموجودين فى مصر وبدأت حرب ١٩٧٣ بتطويع السلاح المصرى الدفاعى ليستخدم فى التحرك قدر الممكن والمتاح لتحرير الأرض المصرية ولتعود الأوراق من جديد لتتحرك من الأيدى الروسية لتنتقل إلى الأيدى الأمريكية من جديد ولكن ليس بكامل أوراقها فلا زالت توجد فى سوريا ورقة اللعب الأخيرة فى أيدى روسيا الاتحادية وأنتقل اللعب ليكون على الجانب الإيرانى ؟! والتاريخ يعود دوماً ؟! ولكن وتلك الأعجوبة والتى لا يدركها الكثيرون ليبقى السؤال من جديد من الخاسر ؟! وماذا بعد أيضاً ؟! وما تخبئة الأقدار ؟!

الفصل الخامس

العلاقات الروسية القطرية

اقيمت العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفيتي وقطر فى ٢ اغسطس عام ١٩٨٨ وفتحت السفارة السوفيتية فى ١٢ نوفمبر عام ١٩٨٩ والقطرية بموسكو فى ١٤ نوفمبر ١٩٨٩ . فى ٢٦ ديسمبر عام ١٩٩١ اعلنت قطر اعترافها الرسمى بروسيا.

فى ديسمبر عام ٢٠٠١ قام امير دولة قطر حمد بن خليفة آل ثانى بزيارة رسمية روسيا الاتحادية. وفى ١٢ فبراير عام ٢٠٠٧ زار رئيس روسيا الاتحادية فلاديمير بوتين دولة قطر التى تم خلالها التوقيع على مجموعة من الاتفاقيات بين الحكومتين واتفاقيات على مستوى الوزارات.

فى نوفمبر عام ٢٠٠٧ استقبل فلاديمير بوتين ولى العهد القطرى تميم بن حمد ورئيس الوزراء ووزير الخارجية حمد بن جاسم (حمد بن جاسم زار روسيا فى سنوات ١٩٩٣و١٩٩٨و٢٠٠٠و٢٠٠١و٢٠٠٦و٢٠٠٧).

يستمر العمل فى تشكيل القاعدة القانونية للمعاهدات والاتفاقيات. وتم توقيع اتفاقيات للتعاون فى مجال الاقتصاد والتجارة والتقنية مع قطر(نوفمبر ١٩٩٠) وفى مجال الرياضة والتربية البدنية والشباب (فبراير ١٩٩٧) والنقل الجوى (ابريل عام ١٩٩٨) ومذكرة بين وزارتى خارجية الدولتين (نوفمبر عام ١٩٩٨) واتفاقية التعاون العسكرى – التقنى (مايوعام ١٩٩٩) وحول تجنب الضريبة المزدوجة (سبتمبر عام ٢٠٠٠) وحول التعاون بين وكالة الانباء القطرية و

وكالة انباء «ايتار – تاس » الروسية (ابريل عام ١٩٩٨) واتفاقية التعاون بين غرفة التجارة والصناعة الروسية وقطر (ديسمبر عام ٢٠٠١) وبين وكالة الانباء القطرية و وكالة انباء «نوفستى » الروسية (نوفمبر عام ٢٠٠٦) وتشجيع رأس المال وحماية الاستثمارات وانشاء مجلس اعمال روسى – قطرى (فبراير عام ٢٠٠٧) ومذكرة تفاهم بين الشركة الروسية المساهمة» لوك اويل» و شركة النفط القطرية (فبراير عام ٢٠٠٧) والتعاون القنصلى (فبراير عام ٢٠٠٧).

العلاقات التجارية – الاقتصادية

بقى حجم التبادل التجارى بين البلدين عام ٢٠٠٧ قليلا وبلغ ٧.٥ مليون دولار و فى عام ٢٠٠٨ بلغ ٢٥ مليون دولار.

وتبدى شركة « لوك اويل « المساهمة رغبتها فى تنفيذ عمليات المسح الجيولوجى و استغلال حقول النفط القطرية. وضمن اطارالمعاهدة الموقعة خلال زيارة الرئيس الروسى فلاديمير بوتين الى الدوحة فى فبراير عام ٢٠٠٧ بين شركة «لوك اويل « وشركة نفط قطر تم التوصل الى مجموعة معينة من الاتفاقات لتنفيذ مشاريع فى قطاع النفط و الغاز.

فى مارس عام ٢٠٠٧ زار قطر وفد من مجمع الوقود والطاقة الروسى برئاسة رئيس شركة «روس اينيرغو» اوهانسيان وضم الوفد ممثلى شركات «روس نيفت» و«غازبروم نيفت « و « لوك اويل اوفر سيز « و« غلوبالستروى اينجينيرينغ « و ستروى ترانس غاز «. وتم فى اثناء المباحثات الاتفاق على تشكيل لجنة عمل مشتركة لتحضير الاشكال النموذجية للتعاون فى قطاع النفط و الغاز.

فى ابريل عام ٢٠٠٧ اجرى وزير الصناعة والطاقة الروسى خريستينكو و

رئيس مجلس ادارة شركة «غاز بروم» المساهمة مباحثات مهمة في الدوحة.

في يونيوعام ٢٠٠٧ زار نائب رئيس الوزراء وزير الطاقة والصناعة القطرى عبدالله بن حمد العطية موسكو حيث التقى خلالها النائب الاول لرئيس الوزراء الروسى و رئيس مجلس ادارة شركة «غاز بروم» دمترى ميدفيديف. تم خلال اللقاء توقيع اتفاقية مع شركة قطر للنفط لتبادل المعلومات والخبراء كما تمت مناقشة افاق التعاون ومن ضمنها كيفية تنفيذ المشاريع الاستثمارية والتعاون على اساس تبادل الاصول وفى اسواق احتياطيات الطاقة لمناطق اسيا والمحيط الهادئ واوروبا.

في ديسمبر عام ٢٠٠٨ انعقد في موسكو اللقاء الوزارى السابع للدول المصدرة للغاز (رأس وفد قطر نائب رئيس الوزراء وزير الطاقة والصناعة عبدالله بن حمد العطية). وقع ممثلوا ١١ دولة مصدرة للغاز اتفاقا لتأسيس منتدى الدول المصدرة للغاز واقرت النظام الداخلي. وتقرر ان يكون مقر المنتدى في مدينة الدوحة. ويتم التعاون البناء ضمن اطار الهيئة الثلاثية المشكلة من روسيا وقطر وايران في عام ٢٠٠٨ .

وتحقق التطور اللاحق بأجراء اتصالات لشركة «روس نيفت» و شركة «غلوبال ستروى انجينيرنغ» مع شركة قطر للنفط الموجه نحو التعاون المستمر.

تحددت الاستثمارات بالرأسمال القطرى البالغ ١٠- ٢٠ مليون دولار والمودعة في الاوراق المالية الروسية، ورأس المال الروسى الخاص في قطر البالغ ٣ - ٥ ملايين دولار.وتجرى مباحثات بين مؤسسة قطر للاستثمارات و شركة «غاز بروم» الروسية و مجموعة شركات «اينترروس» لتطوير التعاون الاستثماري. واقتنت مؤسسة الاستثمارات القطرية مجموعة اسهم شركة «غاز بروم» المساهمة. في سبتمبر عام ٢٠٠٧ اجرى مصرف «فنيش تورغ بنك» الروسى في الدوحة استشارات حول امكانية مساهمة القطريين في انشاء مصرف

(روسى – عربى) للاستثمارات واقناعهم لتمويل مجموعة مشاريع فى روسيا.

ساهم المصرف القطرى – البحرينى « كيو انفيست » بأستثمار جزء من رأس ماله فى العقارات بموسكو وسانكت – بطرسبورغ. فى يوليو عام ٢٠٠٧ انجزت مجموعة الشركات الروسية «زاب » فى الدوحة مشروعا فى مجال البناء وتخطط للبدء بمشروع جديد.

وتبرز الشركات الروسية «ستروى ترانس غاز » المساهمة وشبكة الطاقة الموحدة و«روسال» المتحدة و» تيخنوبروم ايكسبورت » اهتمامها للمشاركة فى المشاريع بقطر.

وبهدف اجراء استشارات للتعاون فى مجال الملاحة باستخدام الاقمار الصناعية اتصلت شركة «روسكوسموس «بالمجلس الاعلى للمعلومات والاتصالات التكنولوجية القطري. وفى ٣١ يناير عام ٢٠٠٨ زار الدوحة وفد من شركة «روسكوسموس » برئاسة نائب رئيس الشركة ميدفيدجيكوف. وخلال الزيارة التقى الوفد برئاسة المجلس الاعلى للمعلومات والاتصالات التكنولوجية، وتم التعريف بمنظومة الملاحة الفضائية «غلوناس ».

وتم فى فبراير ٢٠٠٧ تشكيل مجلس الاعمال الروسى – القطرى وبرعايته انعقدت فى الدوحة ندوة تعريفية للاعمال.

منذ شهر اغسطس عام ٢٠٠٣ بدأت شركة الخطوط الجوية القطرية رحلات مباشرة بين موسكو والدوحة. ونتيجة ازدياد عدد السياح والمسافرين الترانزيت ارتفع عدد الرحلات عام ٢٠٠٨ الى ٧ رحلات اسبوعيا (حوالى ٦٠ الف مسافر فى السنة).

ويستمر توسيع العلاقات الرياضية والفنية وغيرها من المجالات. حيث عمل

بالدوحة بعقود خاصة ٢٥ مدربا روسيا فى (السباحة والرمى والشطرنج وغيرها) وفى المجال الفنى زار قطر فنانون من مدينة ياروسلافيل وبينزا. وبلغ عدد السياح الروس اكثر من ٤٠٠ سائح. وفى الدوحة تعطى دروس فى اللغة الروسية.

وللمشاركة باللقاءات والفعاليات المختلفة زار قطر ممثلوا الكنيسة الارثوذكسيةالروسية ومجلس المفتين فى روسيا. وتعمل جمعية الصداقة الروسية – القطرية (يرأسها السفير السابق تيخوميروف)

ويزيد عدد المواطنين الروس القاطنين فى الدوحة عن اكثر من ٧٠٠ شخص.

المندوب الروسى لبن جاسم: إذا تكلمت معى بهذه النبرة لن يكون هناك شيء اسمه قطر فى ٦ فبراير ٢٠١٢

فى تسجيل بثته القناة الفرنسية «٢» لحوار دار بين مندوب روسيا فى مجلس الأمن فيتالى تشوركين ورئيس وزراء قطر ووزير خارجيتها حمد بن جاسم، حيث وجه بن جاسم الكلام لمندوب روسيا قائلا: أحذرك من اتخاذ أى فيتو بخصوص الأزمة فى سوريا، فعلى روسيا أن توافق القرار وإلا فإنها ستخسر كل الدول العربية فرد الروسى بكل هدوء أعصاب: إذا عدت لتتكلم معى بهذه النبرة مرة أخرى، لن يكون هناك شيء اسمه قطر بعد اليوم. وهاجم المندوب الروسى فى مجلس الأمن فيتالى تشوركين، رئيس الوزراء القطرى ووزير الخارجية حمد بن جاسم، خلال جلسة مجلس الأمن، المتعلقة بسوريا وخاطب تشوركين رئيس وزراء قطر قائلا: أنت ضيف على مجلس الأمن فاحترم نفسك وعد لحجمك وأنا أساسا لا أتحدث معك أنا أتحدث باسم روسيا العظمى مع الكبار فقط.

واستخدمت روسيا والصين حق النقض «الفيتو» فى مجلس الأمن لإحباط مشروع قرار يدين القمع فى سوريا. وبرر تشوركين استخدام بلاده للفيتو ضد

القرار، بأن مشروع القرار حول سوريا «لم يكن متوازنا». وقال تشوركين: إن النص «يدعو الى تغيير النظام مشجعا المعارضة على السعى للسيطرة على السلطة» ويوجه «رسالة غير متوازنة إلى الطرفين» النظام والمعارضة مؤكدا أنه «لم يكن يعكس واقع الوضع فى سوريا». وأشار تشوركين إلى بعض التعديلات التى طالبت موسكو بإدخالها على النص فى اللحظة الأخيرة، واتهم الغربيين بعدم ابداء «مرونة» فى المفاوضات

الفصل السادس

العلاقات الروسية العراقية

رؤية روسية:

أقيمت العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفيتى والعراق فى ٩ سبتمبر عام ١٩٤٤ ، ثم انقطعت فى يناير عام ١٩٥٥ بمبادرة من الحكومة العراقية، وأستؤنفت العلاقات الدبلوماسية فى ١٩ يوليو عام ١٩٥٨ . واعترفت حكومة العراق بروسيا الاتحادية بصفتها وارثة لحقوق الاتحاد السوفيتي.

التعاون قبل اجتياح العراق للكويت

كان الاتحاد السوفيتى والعراق يتعاونان بنشاط فى الفترة ما بين عام ١٩٥٨ وعام ١٩٩٠ ، لا سيما فى المجال العسكرى التقني. وكان العراق من أهم مستوردي المعدات الحربية السوفيتية . وقد بلغ حجم المبيعات العسكرية للعراق فى تلك الفترة قيمة ٣٠.٥ مليار دولار. والى جانب ذلك فان الخبراء السوفيت كانوا يقومون باصلاح المعدات العسكرية الخاصة ، وقد انشئت بمساعدة الاتحاد السوفيتى فى العراق المصانع العسكرية، وبينها مصنع مدافع هاوتزر ومصنع الرشاشات كلاشنيكوف ومصنع ذخائر المدفعية. كما تم إعداد الكادر الوطنى العراقي.

وكان الاتحاد السوفيتى يساهم بنشاط فى قيام صناعة النفط العراقية وفى تنمية القدرات العسكرية الدفاعية العراقية . وقد انشأ بمساعدة الاتحاد السوفيتى ١٠٠ مشروع اقتصادي تم انجاز ٨٠ مشروعا منها. وتم بمشاركة الاتحاد السوفيتى تطوير حقول نفط الرميلة الشمالية

وحقول نهر عمر واللحيس التى بلغت انتاجيتها الاجمالية ٤٥ مليون طن سنويا، كما جرى أنشاء خط انابيب مشتقات النفط بغداد – البصرة، وإنشاء المحطات الكهروحرارية والكهرومائية «الناصرية» «النجيبية» و«دوكان» بقدرتها الاجمالية ١٤٤٠ ميغاواط. كما شارك الاتحاد السوفيتى فى أنشاء معمل الالات الزراعية فى الاسكندرية ومعمل الادوية فى سامراء. وباتت بغداد فى منتصف الثمانينات من أكبر مشترى المعدات الحربية السوفيتية بالشرق الأوسط. وبحلول عام ١٩٩٠ تم بيع ما يقارب ٣ الاف وحدة من عربات المشاة القتالية والكمية نفسها من ناقلات الجنود المدرعة ومن المدافع و ٤٥٠٠ دبابة و٧٠٠ منظومة صاروخية لمكافحة الدبابات و٣٠٠ منظومة مضادة للطائرات و٣٤٨ مروحية و١٠٠٠ طائرة و٤١ سفينة.

وبحسب تقييمات الخبراء فان العراق اشترى فى الاتحاد السوفيتى على مدى ٣٠ عاما معدات حربية واسلحة بمبلغ ٣٠,٥ مليار دولار وحصل على ٦٠ ترخيصاً بصنع الاسلحة الروسية.

وقد فرض مجلس الامن الدولى فى أغسطس ١٩٩٠ العقوبات على العراق التى قضت بحظر التعاون مع العراق فى المجال العسكرى وتصدير واستيراد السلع، وكذلك توجيه الأموال الى العراق. وصادق الاتحاد السوفيتى على اجراءات الحظر هذه حارماً نفسه من توريد الأسلحة والمعدات الى العراق. فيما استمر التعاون فى المجال العلمى والتقنى حتى ديسمبر عام ١٩٩٠، وذلك فى ٩٦ مشروعا تم انجاز ٨٤ منها.

التعاون الروسى العراقى فى الفترة ما بين عام ١٩٩٠ وعام ٢٠٠٣

وقد تغير مضمون التعاون الثنائى بين البلدين بعد فرض العقوبات، وانتقل التعاون من المجال العسكرى التقنى الى المجال الاقتصادى حيث كانت روسيا تصدر الى العراق سيارات الشحن «كاماز» والحافلات والكمائن المختلفة وعربات القطار وقضبان

السكك الحديدية والانابيب ومراجل البخار. واشتغلت الشركات الروسية بإنشاء صوامع الارز والذرة . وظلت شركات النفط الروسية بعد عام ١٩٩١ تعمل فى العراق. وتم فى اغسطس عام ١٩٩٣ فى بغداد لاول مرة بعد فرض عقوبات مجلس الامن الدولى توقيع ٣ اتفاقيات عراقية – روسية فى مجال التعاون الاقتصادى والتجارى والتقني ، وكذلك اتفاقية تشكيل اللجنة الروسية – العراقية على مستوى الحكومتين للتعاون التجارى والاقتصادى والعلمى والتقني. وقد عقدت منذ سبتمبر عام ١٩٩٤ ستة اجتماعات لها. وكانت قبل بدء العملية الحربية الامريكية فى مارس عام ٢٠٠٣ قد عملت فى العراق ٣٩ شركة روسية بلغت حصة ٢٠ شركة منها فى استخراج النفط العراقى نسبة ٤٠٪. وكانت أقاليم روسيا مثل تتارستان (فى مجال النفط والغاز وتوريد الشاحنات «كاماز») وجمهورية تشوفاشيا ومقاطعة كالوغا ومقاطعة ياروسلافل تبدى نشاطها الخاص فى التعاون مع بغداد. وبحسب معطيات وزارة التنمية الاقتصادية فى روسيا الاتحادية فان الحجم الاجمالى للصفقات المعقودة بهدف توريد السلع الى العراق من روسيا ودول اخرى بوساطة روسية بلغ قيمة ١,٥ مليار دولار. وقد بلغ حجم التداول السلعى لدى الشركات الروسية العاملة فى العراق قبل بدء العملية الحربية الامريكية ٧,٧٣ مليار دولار. وكانت روسيا تتقدم الدول الاخرى فى مجال التداول السلعى العراقى على الصعيد الاقتصادى الخارجي، وقد بلغت حصتها فيه نسبة ١٥٪. الا انه تم تعليق كل العقود الروسية العراقية مع بدء العملية الحربية الامريكية فى العراق . وتكبدت الشركات الروسية خسائر كبيرة. وانخفض التبادل السلعى بين البلدين فى عام ٢٠٠٣ حتى ٢٥٢ مليون دولار، مما يقل ٨ أضعاف عما هو عليه فى عام ١٩٨٩ حين زاد هذا المؤشر عن ٢ مليار دولار. واقر مجلس الدوما لروسيا الاتحادية فى ٢١ مارس عام ٢٠٠٣ بيانا بصدد بدء الاعمال الحربية للولايات المتحدة وبريطانيا ضد جمهورية العراق وصف فيه هذه العملية الحربية بانها خرق لاصول القانون الدولي.

اسباب تقلص الوجود الروسى فى العراق

نجم تقلص النشاط الروسى فى العراق بدرجة كبيرة عن الاوضاع الامنية المتدهورة هناك، بما فيه إزاء المواطنين الروس . وتجدر الاشارة هنا الى الهجوم المسلح على قافلة تابعة للسفارة الروسية فى أبريل عام ٢٠٠٣ ، واختطاف ٨ موظفين فى شركة « انتر انيرغوسيرفيس» فى أبريل عام ٢٠٠٤ ، ومقتل موظف فى الشركة نفسها نتيجة عملية ارهابية وقعت فى مايو عام ٢٠٠٤ ، وهجوم مسلحين على حافلة كانت تقل خبراء شركة «انتر انيرغوسيرفيس» فى مايو عام ٢٠٠٥ أسفر عن مقتل ٣ مواطنين روس، وهجوم مسلحين على سيارة تابعة لسفارة روسيا الاتحادية فى يونيو عام ٢٠٠٦ اسفر عن مقتل موظف واحد واختطاف ٤ آخرين تم اعدامهم فيما بعد. وفى نوفمبر عام ٢٠٠٨ تسببت قافلة مدرعة تابعة للجيش الامريكي فى حادث مرورى خطير وقعت فيه سيارات تابعة للسفارة الروسية ببغداد.

بدأ عودة العلاقات الاقتصادية بين البلدين

زار موسكو فى ٢٢-٢٣ ديسمبر عام ٢٠٠٣ وفد لمجلس الحكم المؤقت فى العراق برئاسة عبد العزيز الحكيم رئيس المجلس آنذاك. وقد دارت بينه وبين الرئيس الروسى فلاديمير بوتين مباحثات اسفرت عن شطب الجزء الاعظم من الديون الروسية بذمة العراق. كما نوقشت فى المباحثات مسألة فتح فروع لشركات النفط الروسية فى العراق.

وقد بلغ الدين العراقي لروسيا عشية سقوط نظام صدام حسين قيمة ١٢،٩ مليار دولار. وفى اواخر عام ٢٠٠٤ اتخذ نادى باريس الذى تعد روسيا عضواً فيه قرارا بشطب ٨٠٪ من الدين الحكومى العراقي. ولكن موسكوذهبت ابعد من ذلك وقامت بشطب نسبة ٩٣٪ من دين العراق لها.

وفى ١٠ مارس عام ٢٠٠٤ وقعت فى بغداد بين شركة النفط الروسية «لوكويل» ووزارة النفط العراقية مذكرة التفاهم والتعاون التى تم ايفاد اول مجموعة للخبراء العراقيين بموجبها يوم ٧ يونيو الى روسيا لاخذ دورات فى مجال استخراج النفط. واقتضت المذكرة تشكيل اللجنة الفنية الخاصة بتنسيق التعاون فى مجال استخراج النفط والغاز فى اراضى العراق.

فى ٢٤-٢٥ يوليو عام ٢٠٠٤ زار موسكو زيارة عمل وزير الخارجية العراقى هوشيار زيبارى الذى ناقش سبل استئناف عمل الخبراء الروس فى العراق.

وقد وقع الرئيس الروسى فلاديمير بوتين فى ٢٦ أغسطس عام ٢٠٠٤ مرسوما بالغاء الحظر على توريدات المعدات الحربية والاسلحة الى العراق.

وزار موسكو فى ٦-٨ ديسمبر عام ٢٠٠٤ رئيس الوزراء العراقى اياد علاوي على رأس وفد حكومى واسع . وجرت أثناء الزيارة مباحثات تخص الاستقرار السياسى فى العراق وإقامة علاقات التعاون الاقتصادى بين البلدين فى شتى المجالات واستئناف مفعول العقود المعلقة، لاسيما فى مجال قطاع النفط التى تم إبرامها فى عهد صدام حسين.

فى ١٨-٢١ سبتمبر عام ٢٠٠٧ زار موسكو فى زيارة عمل وزير الخارجية العراقى هوشيار زيباري الذى وقع مع نظيره الروسى مذكرة تفاهم بشأن تأسيس القنصليات العامة للبلدين ، وبصورة خاصة قنصلية روسيا الاتحادية فى مدينة اربيل التى تم افتتاحها فى ٢٨ نوفمبر عام ٢٠٠٧ .

وعقد بموسكو فى ١١ فبراير عام ٢٠٠٨ الاجتماع الخامس للجنة الروسية العراقية الحكومية الخاصة بالتعاون التجارى والاقتصادى الذى اسفر عن توقيع اتفاقية تسوية دين العراق لروسيا بموجب القروض المقدمة سابقا . كما تم توقيع

مذكرة التفاهم الخاصة بتطوير التعاون فى مجال التجارة والاقتصاد والعلم والتقنيات. وتمت فى اواخر مارس عام ٢٠٠٨ زيارة وفد روسى الى العراق ضم وحيد الكبيروف رئيس شركة « لوكويل» الروسية والكسندر سلطانوف نائب وزير الخارجية الروسي. ونتيجة المباحثات مع قيادة العراق تم الوصول الى تشكيل مجموعة العمل الخاصة بخلق الظروف لتفعيل مشروع حقل «القرنة الغربية» ، وذلك بموجب القوانين العراقية التى يتم وضعها ، بما فى ذلك قانون النفط العراقى الجديد. وقد استأنفت شركة «سيلوفيا ماشيني» الروسية فى مطلع يوليو عام ٢٠٠٨ مفعول الاتفاقية الخاصة بإنجاز مشروع المحطة الكهرومائية «العظيم» التى تم عقدها فى عام ٢٠٠١ ومن ثم جرى تعليقها. ومن المخطط ان ينجز هذا المشروع فى عام ٢٠١٠. وثمة مشروع آخر تحققه هذه الشركة الروسية فى العراق، وهو مشروع توريد المعدات والاجهزة الكهربائية للمحطة الكهروحرارية «دبس».

وجرت فى ١٨ أغسطس عام ٢٠٠٨ فى موسكو المباحثات بين سيرغى شماتكو وزير الطاقة الروسى وكريم وحيد حسن وزير الطاقة الكهربائية العراقي. وقد وافق الجانب العراقى على اقتراح روسيا بتشكيل مجموعة عمل ثنائية خاصة بتطوير التعاون فى مجال الطاقة. كما نوقشت خلال المباحثات مسألة اعادة اعمار المحطة الكهروحرارية « الحارثة » : وذلك بمساعدة شركة «تيخنوبروم اكسبورت» الروسية الكبرى. وقد زار العراق فى يناير عام ٢٠٠٩ لاول مرة خلال السنوات الخمس المنصرمة فى زيارة رسمية الوفد الروسى الرفيع المستوى برئاسة النائب الاول لرئيس مجلس الفيدرالية الروسى الكسندر تورشين. وضم الوفد ادارة مجلس اتحاد مستخرجى النفط الروس برئاسة يورى شافرانيك. وقد اجرى اعضاء الوفد مباحثات مع القيادة العراقية العليا فى شتى مجالات التعاون الثنائى ، ابتداءً من المشاريع فى مجال الطاقة والامن، بما فى ذلك

استئناف التعاون العسكرى التقنى وانتهاءً بمسائل التعاون فى مجال التعليم.
الصورة والأصل :

عزيزى القارئ ما سبق كان الصورة (الظاهر) فى العلاقات الروسية العراقية أما فى الأصل (وأقصد العمق) فيوجد الكثير ... حيث يقول جيمس بيكر فى مذكراته أن شيفرنادزه قال فى المحادثات السرية قبل حرب الخليج الأولى "يجب علينا أن نتكاتف معاً لأن صدام حسين يعرف كيف يلعب على ما بيننا من تناقضات ... إنه خطير لا يمكن توقع تصرفاته .. " و فى موضع آخر " إن هذا الرجل يجب ضربه على مؤخرته على ما يفعل " ؟! وكان ما يظهر فى الصورة هو لحماية النظام السوفيتى فى العلن من الضغوط العربية أمام المعارضين فى الداخل (اللوبى العربي) والمعارضين العرب لضربه (فى الخارج العربي) وعلق على مجمل ما سبق جيمس بيكر قائلاً " فى الوقت ذاته تراجعت حساسيات السوفيت الهشة؟! يعوضنا اشتراكهم فى التحالف وأدركت أن مجمل علاقاتنا لم تصب بسوء وذلك عندما أبلغنى شيفرنادزة بأن السوفيت سوف يؤيدوننا فى أى قرار جديد فى الأمم المتحدة ... " .

وفى موضع آخر من مذكراته أورد قائلاً " ولأسباب إستراتيجية خاصة اعترف جورباتشوف بشكل مماثل بضرورة البقاء فى الفلك الأمريكى أياً كانت الغضاضة التى يشعر بها شخصياً تجاه هذا الاقتراح فقد كانت استمرارية الدعم المادى والمعنوى الأمريكى لبرنامج إصلاحه المؤلم والمثير للجدل أمراً مهماً .. ومن ناحية أخرى كان يدرك تماماً أن مفتاح عدم انقطاع الدعم الإضافى لبرنامجه يقع فى يد واشنطن ... فقد تدخلنا لدى السعوديين وأصدقائنا لتقديم الدعم المادى لجورباتشوف .. "

ثم يضيف جيمس بيكر "جغرافيا لم يكن يفصل الاتحاد السوفيتى سوى بضع

مئات من الأميال من الأراضى الإيرانية والتركية.. ولذا فإن قلقهم فى هذا الصدد أشبه بالقلق الأمريكى تجاه نشوب حرب فى أمريكا الوسطي.. " .

وفى مجمل تعليقه على الموقف السوفيتى يقول بيكر " كان العراق دوله عميل للاتحاد السوفيتى وواجهه لهم ... وبعد خمسة أشهر تعرض العميل "الحليف" لأقوى هجوم جوى غربى منذ الحرب العالمية الثانية كما أن راعية " يقصد الاتحاد السوفيتى) طرف دبلوماسى فى هذا الهجوم ... وهذا الشبح سوف يطوف بخلد دول أخرى حليفة سوف تتساءل بدون شك عن مدى مصداقية وديمومة ارتباطها بموسكو... "؟!.

ويقول يافيجينى بريماكوف عراب السياسة الروسية فى الشرق الأوسط فى مذكراته بعنوان " المخفى والمعلوم فى الشرق الأوسط" " عندما حدث إمكانية تقارب بين النظام العراقى والسورى أوفد كل منهما ممثله الأعلى للاجتماع فى موسكو برعاية سوفيتية فأرسل العراق " طارق عزيز" وأرسلت سوريا " عبد الحليم خدام" وفشل الاجتماع ؟!

وأضاف يافجينى بريماكوف معلقاً ؟! وهذا هو الأهم فيما أذكر بأن هذا الاجتماع كان يمكن أن ينجح لو حضرة أندريه جروميكو وأ ضاف بأن جروميكو كان فى استجمام خارج موسكو ولهذا لم يحضر الاجتماع .. ؟! فيما يعنى أن موسكو لم يكن لديها الرغبة فى إنجاح هذه المحادثات؟!.

ويضيف بريماكوف فى كتابه " المخفى والمعلوم فى الشرق الأوسط أيضاً " عند افتتاح السد العالى فى مصر والذى حضرة رئيس الوزراء السوفيتى وقتها "نيكيتاخروشوف" أن عبد الناصر حاول تقريب ومصالحة الرئيس العراقى " عبد السلام عارف" مع خروشوف قائلاً له " إنه رجل وطنى وشريف" و سخر خروشوف

قائلاً " لو اضطررت للتبرز فلن أتبرز مع هذا الرجل فى مكان واحد ؟! " ..

عزيزى القارئ مما سبق سواء فى الصورة كما أوضحت فى البداية أو فى الأصل كما أوضحت فى النهاية فهل كان فى العلاقات السوفيتية العربية نوع من الثأر فى العمق لما فعلته الأنظمة العربية وأقصد فى هذه الحالة "العراق" على ما فعلته فى الأنظمة الشيوعية على أراضيها من قمع واعتقال وربما وصل إلى حد البتر لتلك الأنظمة من واقع ايدولوجى ؟! وأعتقد أن هذه النقطة كانت دائماً هى المؤثر فى بؤرة العلاقات العربية السوفيتية وأن حاول الطرفان الالتفاف حولها ؟! أم ترى معى أيضاً أن روسيا كانت تعاقب النظام العراقى على حربة مع إيران الحليف الأقوى والأهم (خاصة بعد نهاية حكم بهلوي" ... أم أن المصالح الإستراتيجية العليا لروسيا كما أوردها جيمس بيكر كانت الحاكم والمتحكم فى الموقف الروسى الذى رأى أن مصالحه الحالية أهم وتقتضى ذلك ، وأن الأنظمة العربية الهشة سوف تعود عاجلاً أم آجلاً طالما يحكمها مرض النسيان أو تتناسى عن قصد أو ضعف ؟! أم ترى معى أن مجمل الأحداث كانت تتحرك فى اتجاه واحد نحو هذا الموقف الروسى الذى أوصل صدام حسين ونجليه وحفيده والعراق إلى ما وصل إليه وتلك قضية أخرى ترتبط إلى حد بعيد بالمواقف العربية الأخرى سواء فى مصر أو ليبيا أو السودان أو الشرق أوسطيه مع إيران ثم فى الأهم وهو الموقف مع سوريا ....؟!

رؤية تحليلية :

وتبقى دوما فى الأعماق أمور شتى ويمتد آثارها إلى ابعد مما يتصوره المحللون السياسيون فى المنطقة فدائماً ما كانت العلاقة بين البلدين فى محك الخلاف أو قريباً منه على الرغم من الموقع الجغرافى الهام للعراق بالنسبة للاتحاد السوفيتى ؟! وقد أرجع عراب السياسة الروسية فى الشرق الأوسط يا فجينى

بريما كوف فى كتابة (المخفى والمعلوم فى الشرق الأوسط) ذلك إلى إختلاف المفهوم ومصادر المعلومات حيث كانت السفاره الروسية فى البلدان الهامة فى الشرق الأوسط تستقى المعلومات التحتية من الأنظمة الشيوعية فى تلك البلدان من ناحية ومن ناحية أخرى تتبنى وجهة النظر هذه وتنقلها إلى القيادة فى موسكو ؟! هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كان ما ينغص هذه العلاقة وإلى حد بعيد ما لاقاه الزعماء الشيوعيين فى المنطقة من قمع واعتقال (وخاصة فى العراق ومصر) على أيدى النظام العراقى والمصرى بتأثير سلبى كان فى العمق إلى حد كبير رغم أوجه التعاون المرتفعة واتى تخدم بالطبع المصالح السوفيتية وإثبات الوجود الروسى ورعاية المصالح أيضاً وفى وجهة النظر الروسية كما أرى أنها وازنت بين الأهمية الإيرانية والعراقية وكان الأرجح الكفة الإيرانية فهى الأقرب والأولى بالرعاية ويبقى فى الذهن سؤال هام ومحير وهو هل يحتفظ النظام الروسى بالثأر من النظام العراقى لما فعله بالأنظمة الشيوعية ؟! أم كانت المصالح هى الأغلب والسؤال الثانى هل هو العقاب لنظام صدام حسين الذى أستأذن الولايات المتحدة (السفيرة الامريكيه فى بغداد) وأهمل المشورة مع الجانب الروسى فى الأمر الخطير وهو غزو العراق ؟! فترك العراق فريسة للهجوم الأمريكى الانجليزى وتركه يتمزق ويحرق أيضاً ؟! والسؤال الأخير وهو ترى ما الثمن الذى حصل عليه الاتحاد السوفيتى (روسيا) فيما بعد لترك العراق ومساندة الغزو فى الغرف المغلقة والمعارضة السياسية (المجاملة) فى العلن ؟! وهل ندم النظام الروسى على ذلك فاتخذ موقفاً متشدداً فى إيران وسوريا ؟! أم أن مصالحه المباشرة كانت هى الأغلب والأعم مع إيران وسوريا ؟ أم أنها السياسة ودروبها ؟! ...

الفصل السابع

العلاقات الروسية الفلسطينية

تربط أهالى روسيا بفلسطين علاقات خاصة ومتميزة على مدى قرون طويلة. فعقب اعتناق روسيا رسمياً الدين المسيحى بمذهبه الأرثوذكسى أُرسلت من عاصمة روسيا القديمة كييف بعثة دبلوماسية إلى القدس. وبعد مرور قرن على ذلك زار الأراضى المقدسة كبير الرهبان دانيال مع مجموعة من الرهبان الروس. ومنذ القدم لم يكن الروس الأرثوذكس يأتون إلى فلسطين للصلات والتبرك فحسب بل وكانوا أيضاً يقدمون العون للكنائس الأرثوذكسية القديمة. ففى القرن السادس عشر فى عهد القيصرين ايفان الثالث وايفان الرهيب (الرابع) كانت ترسل إلى القدس من روسيا تبرعات حكومية ضخمة لدعم البطركيات الأرثوذكسية الممثلة هناك. وقد طرحت فى روسيا مرات عديدة مسألة إنشاء بعثة روحية كممثلية دائمة للكنيسة الروسية لدى بطركيات الشرق . وفى عام ١٨٤٧ صادق القيصر نيقولا الأول على القرار الخاص بإنشاء البعثة . وبعد ذلك صدر مرسوم من المجمع المقدس (السينودس) حول تأسيس « البعثة الروسية فى القدس». وفى فبراير عام ١٨٤٨ وصل إلى القدس القوام الأول من البعثة . وفى ذلك الوقت كان الأرثوذكس فى فلسطين بحاجة إلى الدعم المادى والمعنوي وخاصة العرب منهم ، الذين كانوا يشكلون أغلبية رعية البطركية، يعانون من تمييز معين من جانب اليونانيين. وبمساعدة الأرشمندريت بورفيري اوسبنسكى رئيس البعثة الروسية افتتح بطريرك القدس سيريل مدرسة يونانية عربية ملحقة بدير الصليب وعين رئيس البعثة الروسية قيماً على كافة المؤسسات التعليمية التابعة

للبطركية. كما تمّ إنشاء مطبعة لإصدار الكتب اللازمة للأرثوذكس العرب. وفى عام ١٨٥٨ افتتحت فى القدس قنصلية روسية تحولت منذ عام ١٨٩١ إلى قنصلية عامة. كما تأسست فى بطرسبورغ فى عام ١٨٥٦ شركة الملاحة والتجارة الروسية لتنظيم رحلات الحج من أوديسا إلى يافا. وفى عام ١٨٥٩ تم إنشاء اللجنة الفلسطينية الخاصة برئاسة الأمير الأكبر قسطنطين نيكولايفتش نجل نيقولاى الأول . وفى أبريل ـ مايو من العام نفسه قام الأمير قسطنطين بزيارة القدس مع عائلته. وكان ذلك أول حج يقوم به أفراد العائلة القيصرية. وقد تفقد الأمير الروسى أول مبنى مقتنى من قبل الروس فى القدس وهو مكان يقع بالقرب من كنيسة القيامة (دار الكسندروف) وكذلك قطعة كبيرة من الأرض فى شمال غرب المدينة القديمة . وهذه المنطقة لا تزال تسمى من قبل العرب هناك بالمسكوبية.

فى ٨ مايو عام ١٨٨٢ جرى افتتاح الجمعية الفلسطينية الامبراطورية (أضيفت إليها فى عام ١٨٨٩ كلمة : الامبراطورية). وكان نجل القيصر الكسندر الثانى وشقيق القيصر الكسندر الثالث الأمير الكبير سيرغى مؤسساً ورئيساً لهذه الجمعية.ويعتبر تأسيس هذه الجمعية محطة هامة فى تاريخ العلاقات بين روسيا وفلسطين.فهى لم تقتصر على الاهتمام باحتياجات الحجاج الروس القادمين إلى الأراضى المقدسة وإنما كانت تبدى المساعدة والدعم بصورة مباشرة إلى أبناء الطوائف الأرثوذكسية فى بلاد الشام وذلك على كافة المستويات الدينية والثقافية والتعليمية والاقتصادية . وبحلول عام ١٩١٤ وصل عدد المدارس ودور المعلمين والمعاهد الدينية إلى ١١٣. وقد كانت تثير الاهتمام الكبير مدرسة البنات ببلدة بيت جالا فى فلسطين التى أسسها الأرشمندريت أنتونين كابوستين والتى وضعت لاحقاً تحت إشراف الجمعية الامبراطورية الأرثوذكسية الفلسطينية وأصبحت دار معلمات .

ولكن أدى اندلاع الحرب العالمية الأولى فى صيف عام ١٩١٤ وانضمام تركيا إلى التحالف المضاد لروسيا وانجلترا وفرنسا ثم وصول البلاشفة إلى الحكم بعد ثورة أكتوبر عام ١٩١٧ إلى حدوث تغييرات جذرية فى أوضاع الجمعية والمدارس التابعة لها و كذلك فى العلاقات التى كانت تربط روسيا وفلسطين . فقد انقطت هذه العلاقات لمدة طويلة. وبقيت البعثة الروحية الروسية والمواقع التابعة للجمعية الامبراطورية الارثوذكسية الفلسطينية من كنائس وأديرة ومدارس ومعاهد بيت القديس سيرجيوسدينية ودور للحجاج بدون اى عناية أو دعم. وقد كانت البعثة من الناحية القانونية الكنسية منفصلة عن بطركية موسكو ثم أضحت تابعة للكنيسة الأرثوذكسية الروسية فى الخارج التى حرصت فى غضون عشرات السنين على حفظ الممتلكات الأرثوذكسية الروسية فى القدس .

فى ٢٢ مايو عام ١٩٩٢ تبنى هيئة رئاسة مجلس السوفيت الأعلى لروسيا الاتحادية قراراً يوصى الحكومة باتخاذ الإجراءات اللازمة لإعادة إنشاء الجمعية الامبراطورية الارثوذكسية الفلسطينية واسترجاع ممتلكاتها وحقوقها. وفى عام ١٩٩٧ وبموجب قرار السلطة الوطنية الفلسطينية تم تسليم بطركية موسكو كالتفاتة ارادة طيبة موقع كنسى في بيت لحم وذلك أثناء زيارة بطريرك موسكو وسائر روسيا والكسى الثانى ولفلسطين بمناسبة الاحتفال بمرور ١٥٠ عاماً على تأسيس البعثة الروحية الروسية فى القدس. وبعد شهر من ذلك اى فى يونيو عام ١٩٩٧ أعيدت للكنيسة الأرثوذكسية الروسية ممتلكات أخرى فى بيت لحم والخليل وأريحا التى كان الأرشمندريت انتونين قد ابتاعها والتى كانت حتى الفترة الأخيرة تابعة للكنيسة الروسية فى الخارج ومن ضمنها موقع شجرة الجميز فى أريحا (شجرة زكا العشار) الذى تبلغ مساحته حوالى ١٢ ألف متر مربع. وفى فبراير من عام ٢٠٠٨ قامت الحكومة الإسرائيلية بتسليم بين الحجيج (بيت القديس سيرجيوس) فى القدس.

العلاقات بين روسيا وفلسطين فى التاريخ الحديث

أقيمت العلاقات الثنائية الرسمية بين الاتحاد السوفيتى وفلسطين فى عام ١٩٧٤. وتم فى موسكو فتح ممثلية منظمة التحرير الفلسطينية التى تم تحويلها فى عام ١٩٩٠ الى سفارة دولة فلسطين. وبدأ فى غزة منذ عام ١٩٩٥ عمل ممثلية روسيا لدى إدارة السلطة الفلسطينية. وتم نقل الممثلية فى عام ٢٠٠٤ الى مدينة رام الله الواقعة فى الضفة الغربية.

وتم فى عام ١٩٩٨ تأسيس جمعية الصداقة الفلسطينية الروسية. ويعد محمود عباس رئيسا فخريا لها. وفى عام ٢٠٠١ اعيد تأسيس جمعية الصداقة الروسية الفلسطينية. وفى عام ٢٠٠٨ تم تأسيس مجلس الاعمال الروسى الفلسطيني.

وتجرى اللقاءات الروسية الفلسطينية على المستوى الاعلى بشكل منتظم. وقد التقى محمود عباس رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية برئيس روسيا الاتحادية فى يناير عام ٢٠٠٥ فى موسكو، ثم فى ابريل عام ٢٠٠٥ فى رام الله ، ثم فى مايو عام ٢٠٠٦ بمدينة سوتشى ، ثم فى فبراير عام ٢٠٠٧ بمدينة عمان الاردنية ، ثم فى يوليو عام ٢٠٠٧ وابريل وديسمبرعام ٢٠٠٨ بموسكو.

وقد شارك نبيل شعث العضو فى اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية ووزير الخارجية الاسبق فى السلطة الوطنية الفلسطينية فى المنتدى الدولى تحت رعاية هيئة الامم المتحدة «تحديات عملية السلام والحوار الفلسطينى الاسرائيلي». وجرت فى أبريل عام ٢٠٠٨ بموسكو جلسة دورية للجنة العمل الروسية الفلسطينية التى يترأسها من الجانب الفلسطينى نبيل شعث.

وزارسيرغى لافروف وزير الخارجية الروسى الاراضى الفلسطينية فى سبتمبر

عام ٢٠٠٤ وأكتوبر عام ٢٠٠٥ وسبتمبر عام ٢٠٠٦ ويونيو عام ٢٠٠٧ ومارس عام ٢٠٠٨ وفبراير عام ٢٠٠٩ ، وذلك فى إطار جولات العمل التى قام بها فى دول الشرق الاوسط.

وقدمت اشكال مختلفة من المساعدات للفلسطينيين منذ منتصف السبعينات فى القرن الماضى ، وضمنها تعليم الخبراء فى الجامعات والمعاهد الروسية وإعداد الكوادر والعلاج المجانى وما الى ذلك. فى يناير/كانون الاول عام ٢٠٠٦ فازت حركة حماس فى الانتخابات البرلمانية، فاتخذت اسرائيل والولايات المتحدة والاتحاد الاوروبى قرارا بفرض الحصار السياسى والاقتصادى على الحكومة الفلسطينية الجديدة. وتقدمت روسيا بمبادرة اقامة حوار مع هذه الحركة لتتاح لها فرصة للتخلى عن مواقفها المتطرفة. وأعلن رئيس روسيا الاتحادية ان التوقف عن تقديم المساعدة للفلسطينيين يعد خطأ كبيرا. فزار وفد الحركة موسكو مرتين فى ٣ مارس عام ٢٠٠٦ و٢٦-٢٧ فبراير عام ٢٠٠٧ ، وذلك لاجراء مشاورات فى وزارة الخارجية الروسية. وكانت روسيا قد قدمت للسلطة الوطنية الفلسطينية مساعدة مالية انسانية بمقدار ١٠ ملايين دولار أمريكى مرتان فى مايو عام ٢٠٠٦ وسبتمبر عام ٢٠٠٨. وذلك بهدف تلبية الحاجات الاجتماعية الفلسطينية. وقامت فى أغسطس عام ٢٠٠٧ ويونيو عام ٢٠٠٨ طائرات وزارة الطوارئ الروسية بنقل المساعدة الانسانية بما فيها المواد الغذائية والادوية والخيمات الى اهالي قطاع غزة.

وقد قدمت حكومة روسيا الاتحادية فى فبراير عام ٢٠٠٩ المساعدة الانسانية لاهالى قطاع غزة الذين تأذوا نتيجة النزاع المسلح بين اسرائيل وحماس. وقامت ٤ طائرات تابعة لوزارة الطوارئ الروسية فى ٢ يناير و٦-٧ يناير عام ٢٠٠٩ بنقل دفعتين من المساعدات الانسانية بوزن نحو ١١٠ طن الى مطار العريش المصري. وتم

تسليم تلك الامدادات الى منظمة خيرية مصرية لتنقلها لاحقا الى اهالى قطاع غزة.
وعقدت بين حكومتى روسيا والسلطة الوطنية الفلسطينية ووزاراتهما اتفاقيات حول التعاون فى مجال التعليم عام ١٩٨٨ ، والتعاون الثقافى والعلمى عام ١٩٩٤ ، والتعاون التجارى والاقتصادى عام ١٩٩٨ ،والتعاون بين هيئة الرقابة المالية الروسية وديوان هيئة الرقابة المالية الفلسطينية. لكن تطبيق هذه الاتفاقيات يعد صعبا فى الوقت الحاضر بسبب الوضع المعقد فى المنطقة.

الفصل الثامن

العلاقات الروسية - المغربية

اقيمت العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفيتى والمغرب فى ١ سبتمبر عام ١٩٥٨. فى ٣٠ ديسمبر عام ١٩٩١ اعترف المغرب بروسيا الاتحادية.

ومن الاحداث المهمة فى تاريخ العلاقات بين البلدين - زيارة الملك الحسن الثانى الى موسكو فى اكتوبر عام ١٩٦٦ وتم خلالها التوقيع على اتفاقيات التعاون فى مجالات الثقافة والبث الاذاعى و التلفزيونى والاقتصاد و فى مجال العلم و التقنية، وايضا تصدير الماكينات و المعدات السوفيتية الى المغرب.وزار ولى العهد المغربى (حاليا ملك المغرب) موسكو على رأس وفد مغربى في عامى ١٩٨٢ و ١٩٨٤.

ومن جانبه زارالمغرب رئيسان لمجلس السوفيت الاعلى (ليونيد بريجنيف فى فبراير عام ١٩٦١ و نيقولاى بودغورنى فى ابريل عام ١٩٦٩) ورئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفيتى الكسى كوسيجين فى اكتوبر عام ١٩٧١.

وتحتل زيارة الملك محمد السادس الى موسكو فى الفترة بين ١٤ -١٨ اكتوبر عام ٢٠٠٢ موقعا مهما فى تاريخ العلاقات الروسية - المغربية، وخلال مباحثاته مع الرئيس الروسى فلاديمير بوتين تم التوقيع على بيان مشترك حول الشراكة الاستراتيجية بين روسيا الاتحادية و المملكة المغربية.

وفى الفترة بين ٢٢ -٢٣ نوفمبر عام ٢٠٠٥ قام وزير الخارجية الروسى سيرغى لافروف اثناء جولته فى شمال افريقيا بزيارة المغرب واستقبله الملك

محمد السادس. كما التقى رئيس الوزراء ووزير الخارجية والتعاون.

فى ٧ سبتمبر عام ٢٠٠٦ قام الرئيس الروسى فلاديمير بوتين بزيارة رسمية الى المغرب (مدينة الدار البيضاء) التي اجرى خلالهامباحثات انفرادية وبمشاركة الوفد المرافق مع الملك محمد السادس. فى نهاية المباحثات وقعت مجموعة وثائق للتعاون فى مجالات مختلفة.

وتم فى عام ٢٠٠٦ فى موسكو لقاء وزيرالخارجية والتعاون محمد بن عيسى ووزير الدولة المغربى فاسى فخرى مع وزير الخارجية الروسى سيرغى لافروف وسكرتير مجلس الامن الروسى ايغور ايفانوف.

فى الفترة بين ٢٧ فبراير– ١ مارس عام ٢٠٠٧ قام وفد مغربى ضم فى عضويته وزير الداخلية شكيب بن موسى ووزير الخارجية والتعاون المغربى الطيب فاسى فهرى ووزير لداخلية فؤاد على الهمة .

وقام ياسين المنصورى المدير العام للادارة العامة للدراسات والمستندات بزيارة عمل الى موسكو حيث اجرى مباحثات مع وزير الخارجية الروسى سيرغى لافروف و سكرتير مجلس الامن ايغور ايفانوف.

وتعمل اللجنة الحكومية المختلطة الروسية – المغربية للتعاون فى مجال الاقتصاد و فى المجال العلمى – التقنى و التى عقدت اجتماعها الثالث عام ٢٠٠٨ بمدينة الرباط.

العلاقات التجارية - الاقتصادية

وتم تشكيل لجنة روسية – مغربية مشتركة للتعاون الاقتصادى وفى مجال العلم و التقنية. وعقدت اللجنة اجتماعين الاول فى مدينة الرباط سنة٢٠٠٤ و الثانى فى موسكو سنة ٢٠٠٦ .

وحققت العلاقات الثنائية فى الاقتصاد والتقنية افضل تطور لها فى مجالى الطاقة وصناعة التعدين. وتم بمساهمة الاتحاد السوفيتى وروسيا بناء المحطة الكهرحرارية «جرادة « ومجموعة السدود في منصور الذهبى ومد خطوط كهرباء الضغط العالى لمسافة ٢٠٠ كم، وتشييد محطة « مولاى يوسف « الكهرومائية. وفى عام ١٩٩٩ انجزت شركة « اينيرغوماش ايكسبورت « الصيانة الكاملة للمحطة الكهرحرارية «جرادة «.

ويعتبر» مجمع الوحدة « (ساهمت فى انشائه شركة تيخنوبروم ايكسبورت) رمزا للتعاون المثمر بين البلدين، وهو من اضخم مجمعات الطاقة المائية فى العالم العربى وافريقيا، واعتمدت روسيا له مبلغ ١٠٠ مليون ايكيو يقدم كقرض. وفى عام ١٩٩٨ باشر المجمع بانتاج الطاقة الكهربائية. ويوفر هذا المجمع ٣٠٪ من مجموع الطاقة الكهرومائية المنتجة فى المغرب.

فى ديسمبر عام ٢٠٠٤ زار وفد من شركة «زاروبيش فودوستروى « مدينة الرباط .و ترغب هذه الشركة بالاشتراك فى المناقصة الخاصة بتزويد المحافظات الشمالية الشرقية للمغرب بالمياه.

وتدخل المغرب ضمن ثلاثة دول (مع مصر و الجزائر) رئيسية فى مجال التعاون التجارى مع روسيا فى افريقيا، وفى عام ٢٠٠٥ احتلت المركز الاول. وتتميز المرحلة الحالية للعلاقات التجارية الاقتصادية بين البلدين بارتفاع ثابت لحجم التبادل التجارى منذ عام ١٩٩٤ . حيث بلغ حجم التبادل التجارى فى عام ٢٠٠٨ مقدار ١٣٤٦٫٦ مليون دولار امريكي. وتصدر روسيا الى المغرب بشكل اساسى المواد الخام (النفط والفحم الحجرى) والحبوب اضافة لذلك تصدر الصفائح المعدنية والمواد الكيمياوية والاسمدة والاخشاب. ومنذ سنة ١٩٩٨ تحتل روسيا المركز الثانى (بعد الاتحاد الاوربى) بين مستهلكى

المنتجات الزراعية المغربية (الحمضيات و الطماطم).

وتطورت باطراد العلاقة بين الشركات الروسية و المغربية. فى سنة ٢٠٠٨ جرت اتصالات مكثفة بين الشركة الروسية المساهمة «ماغنيتوغورسكى ميتالورغيتشسكى كومبينات » وشركة « مغرب ستيل » المغربية.

كما تعمل فى مجال التنقيب الجيولوجى فى المغرب شركة « زاروبيج جيولوجيا » و الشركة المساهمة الروسية « تيسامو غروب ».

فى عام ٢٠٠٨ بدأت العمل فى السوق المغربية شركة جديدة – شركة«انتيكو » التى تعتزم استثمار اكثر من ٣٢٥ مليون يورو فى بناء ٢ مليون متر مكعب من المبانى السياحية فى المغرب.

اما التعاون فى مجال صيد الاسماك فيتم على اساس الاتفاقية الجديدة الموقعة فى ٧ نوفمبر/تشرين ثانى عام ٢٠٠٦ . وعقدت اللجنة الروسية – المغربية المشتركة ثلاثة اجتماعات كان اخرها فى مدينة سانكت بطرسبورغ.

فى عام ٢٠٠٥ اجريت مباحثات لزيادة حجم صادرات مصنع الجرارات بمدينة فلاديمير ومصنع بناء الماكينات، حول توريد شركة « يفروخيم » الى المغرب المواد الكيمياوية بصورة مباشرة (الامونيا والكارباميد ونترات الامونيا). ومنذ عام ٢٠٠٥ تجرى شركة «سيفرستال » مباحثات حول توريد معادن نصف مصنعة الى شركة الميتالورجيا «سوناسيد » المغربية.

فى يوليو عام ٢٠٠٥ زار الرباط وفد للتعريف بالسيارات الروسية من طراز «غاز-٣١ » و حافلات صغيرة لنقل الركاب من طراز«غازيل ».

وتعمل فى المغرب خمس مؤسسات مشتركة مع روسيا مختصة ببناء الموانئ ، واستخراج الجبس ومعالجته، والحفر فى الماء، وبيع المعدات الزراعية.

وانجزت شركة « ماريوسبيسيا » المشتركة العمل لاعادة بناء مينائين لصيد الاسماك في جنوب البلاد بقيمة ٧٥٠ الف دولار.

وهناك خطط محددة للتعاون في مجال الجيولوجيا واستخراج الخامات الطبيعية ،و الري، والتزود بالمياه ، والطاقة الذرية والفضاء (تم في ١٠ ديسمبر عام ٢٠٠١ اطلاق قمر صناعي مغربي من قاعدة اطلاق الصواريخ في بايكونور، وتجرى مباحثات لاطلاق قمر ثان).

واظهرت القيادة المغربية اهتماما باقامة علاقات طويلة الامد للتعاون في مجال التقنية العسكرية مع روسيا، وخاصة شراء معدات حربية مضادة للدبابات ومدفعية مضادة للطائرات، اضافة الى قطع الغيار للاسلحة الروسية. ولهذا الغرض زار الرباط وفد روسي في شهر يناير عام ٢٠٠٥.

التعاون فى مجال العلم والثقافة والمعلومات

تم في ابريل عام ١٩٩٨ في الرباط توقيع اتفاق تعاون بين وكالة ايتار – تاس ووكالة الانباء المغربية.

ويعمل في المغرب بعقود ١٠ اساتذة روس في مجال التعليم المهني. ويدرس في الجامعات و المعاهد الروسية حوالى ٢,٥ الف طالب مغربي. في مارس عام ٢٠٠٤ تم توقيع اتفاق بين (معهد اسيا وافريقيا) التابع لجامعة موسكو وجامعة محمد الخامس المغربية بشأن تعليم الطلاب والمتدربين والباحثين العلميين.

العلاقات في مجال السياحة تحمل طابعا مرحليا، ففي عام ٢٠٠٤ زار المغرب ١١,٣ الف سائح من روسيا.

ان احسن مثال لتوثيق التعاون في مجال السياحة هو مشروع بناء مجمع سياحي في ضواحي مدينة مراكش (يبلغ حجم الاستثمارات المالية حوالى

١٥٠ مليون يورو) بمساهمة شركة الاستثمارات المالية الروسية « ميتروبول » و المصرف الاستثمارى المتحد.

كان من بين الاحداث المهمة فى العلاقات الثنائية اقامة ايام ثقافية للمملكة المغربية فى روسيا بمدينتى موسكو وفلاديمير فى الفترة من ٢٢ – ٢٨ اكتوبر عام ٢٠٠٧. وتم لاول مرة بعد الفترة السوفيتية اقامة مهرجان اسبوع الفيلم الروسى فى الفترة ٢٣ – ٣٠ نوفمبر عام ٢٠٠٨ فى مدينتى الرباط ومراكش كما جرت بنجاح ايام الثقافة الروسية فى المغرب.

الفصل التاسع

العلاقات الروسية الكويتية

اقيمت العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفيتى والكويت فى ١١ مارس عام ١٩٦٣. وزار موسكو فى نوفمبر عام ١٩٩١ وزير الخارجية الكويتى حينذاك صاحب السمو الشيخ صباح الاحمد الصباح امير البلاد الحالي، وذلك ضمن وفد كويتي قام بزيارة رسمية الى موسكو برئاسة الامير الراحل جابر الصباح. واعلنت الكويت فى ٢٨ ديسمبر عام ١٩٩١ اعترافها الرسمى بروسيا الاتحادية كوارثة لحقوق الاتحاد السوفيتي. فى نوفمبر عام ١٩٩٤ قام فيكتور تشيرنوميردين رئيس الوزراء الروسى الاسبق بزيارة رسمية للكويت. وذلك فى اطار جولته فى المنطقة. وتم اثناء الزيارة توقيع عدد من الاتفاقيات الثنائية.

وفى سبتمبر عام ٢٠٠٥ عقد لقاء بين وزير الخارجية الروسى سيرغى لافروف ووزير الخارجية الكويتى محمد صباح السالم الصباح، وذلك على هامش الدورة الستين للجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة. وفى ديسمبر عام ٢٠٠٥ زار موسكو وزير الطاقة الكويتي احمد الفهد الصباح الذى اجرى مباحثات مع وزراء الصناعة والطاقة والخارجية وادارة شركة «روس اينيرغو» الروسية. وزار وزير الطاقة الكويتى روسيا مرة ثانية فى سبتمبر عام ٢٠٠٦ بهدف توقيع الاتفاقية الخاصة بتسوية ديون الاتحاد السوفيتى السابق للكويت. فى مايو جرت زيارة عمل لوزير الخارجية الروسى سيرغى لافروف الى الكويت. كما انه زار هذا البلد فى عام ٢٠٠٨ للمشاركة فى الاجتماع الوزارى الثالث

الخاص بالعراق. وعقد اللقاء بينه وبين امير الكويت صاحب السمو الشيخ صباح الاحمد الجابر الصباح.

التعاون فى مجال مكافحة الارهاب

زار الكويت فى ابريل عام ٢٠٠٦ اناتولى سافرونوف الممثل الخاص لرئيس روسيا فى قضايا التعاون الدولى الخاص بمكافحة الارهاب، وتم خلال الزيارة التوصل الى الاتفاق المبدئى على تشكيل آلية للتعاون الثنائى فى هذا المجال.

شارك عبد الله معتوق وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الكويتى فى عمل القمة العالمية للزعماء الدينيين التى عقدت فى موسكو فى يوليو عام ٢٠٠٦. اما وكيل وزير الاوقاف عبد الفلاح فمثل الكويت فى اجتماعات مجموعة الرؤية الاستراتيجية « روسيا والعالم الاسلامي» التى عقدت فى يناير عام ٢٠٠٦ . وزار الكويت فى ابريل عام ٢٠٠٦ راوى عين الدين رئيس مجلس المفتين فى روسيا. وتم خلال الزيارة توقيع بروتوكول حول التعاون فى المجال الدينى ونشر دين الاسلام المعتدل. ووافق الجانب الكويتى مبدئيا على تمويل مشروع انشاء مسجد فى موسكو.

استقبل امير الكويت فى مايو عام ٢٠٠٨ مفتى جمهورية الشيشان سلطان ميرزايف. ونوقشت خلال اللقاء الذى عقد بينهما سبل تعزيز مواقف دين الاسلام المعتدل فى منطقة شمال القوقاز.

العلاقات فى مجال التجارة والاقتصاد

يتم تنظيم العلاقات فى مجال التجارة والاقتصاد بواسطة اتفاقية عام ١٩٨٥ التى تقضى بتقديم نظام الافضلية القصوى لكل من الجانبين. وبلغ التبادل السلعى بين روسيا والكويت على مدى السنوات الاخيرة ما يقارب ١٨.٤ مليون دولار

سنويا. وتصدر روسيا الى الكويت المعادن الحديدية والاخشاب والورق والمواد الاستهلاكية والرافعات والاطارات وبندقيات الصيد. وتستورد منها المحروقات.

عقدت فى عام ١٩٩٤ بين روسيا والكويت اتفاقية التشجيع المتبادل للاستثمارات. وفى عام ١٩٩٤ تم عقد اتفاقية تفادى الضريبة المزدوجة. ويسرى اعتبارا من عام ١٩٧٨ مفعول اتفاقية النقل الجوي. فى نوفمبر عام ١٩٩٤ تم تشكيل اللجنة الحكومية المشتركة الخاصة بالتعاون فى مجال التجارة والاقتصاد والعلم والتقنيات. وعقد يوم ١٩ اغسطس فى موسكو اول اجتماع لها. كما اتخذ قرار بتشكيل لجان فرعية فى اطار اللجنة، وذلك فيما يخص التعاون فى مجال الطاقة والتجارة والاقتصاد و العلم والتقنيات. زار الكويت فى ابريل عام٢٠٠٧ وفد مجلس الاعمال الروسى العربي. وتم تشكيل مجلس الاعمال الروسى الكويتي. حدثت تغيرات فى مسألة توجيه الاستثمارات الكويتية الى روسيا. وقام رجال الاعمال الكويتيون بفتح شبكة من المتاجر والمطاعم «Mathers Care " و" Body shop " و " Starbucks " . وزار الكويت فى نوفمبر عام ٢٠٠٧ ممثلون عن شركة "غازبرو جيوفيزيكا" بغية مناقشة مسألة تشكيل مؤسسة مشتركة مع شركة "نور" المالية الاستثمارية الكويتية.

التعاون الثقافى والعلمي

ويقوم التعاون فى مجال الثقافة والعلم على اساس اتفاقية التعاون فى مجال العلم والثقافة والتعليم. فى عام ٢٠٠١ تم توقيع اتفاقية التعاون الاكاديمى بين معهد بلدان أسيا وأفريقيا لدى جامعة موسكو الحكومية وجامعة الكويت التى تقضى بتبادل الطلبة والاساتذة. واعتبارا من عام ٢٠٠٤ استئنف ايفاد الطلبة المستعربين الروس لتلقى التعليم فى جامعة الكويت.

فى نوفمبر عام ٢٠٠٦ زار الكويت وفد وكالة انباء «نوفوستي» الروسية برئاسة نائب رئيس التحرير لمناقشة مسألة التعاون مع وكالة الانباء الكويتية ووسائل الاعلام المحلية.

فى فبراير عام ٢٠٠٩ افتتح فى موسكو معرض «ذخيرة الدنيا» الذى قدم الآثار والتحف من الفن الاسلامى المغولي

الفصل العاشر

العلاقات الروسية الجزائرية

كان الإتحاد السوفيتى أول دولة فى العالم تقيم علاقات دبلوماسية مع الجزائر المستقلة، وذلك فى ٢٣ مارس عام ١٩٦٢. واعترفت الجزائر بروسيا الاتحادية رسميا فى ٢٦ ديسمبر عام ١٩٩١ . وفى ٣ – ٦ ابريل عام ٢٠٠١ قام الرئيس الجزائرى عبد العزيز بوتفليقة بزيارة رسمية لروسيا الاتحادية . وفى ٤ ابريل تم توقيع البيان حول الشراكة الاستراتيجية بين الدولتين. وقام رئيس روسيا فلاديمير بوتين بزيارة رسمية للجزائر فى ١٠ مارس عام ٢٠٠٦ . وقام رئيس الجزائر عبد العزيز بوتفليقة فى الفترة ما بين ١٨ و ١٩ فبراير عام ٢٠٠٨ بزيارة رسمية لروسيا الاتحادية . وفى ٢٣ نوفمبر عام ٢٠٠٥ زار وزير الخارجية الروسى سيرغى لافروف الجزائر فى اطار جولته فى المغرب العربي. و جرت الزيارة الجوابية لوزير الخارجية الجزائرى الى موسكو فى ١٢ – ١٤ ابريل عام ٢٠٠٧ .

التعاوّن الروسى الجزائري

لقد ساهم الخبراء السوفيت مساهمة فعالة فى تطوير الإقتصاد الجزائري. كما أنّ الاف الطلاب الجزائريين تلقوا العلم فى الجامعات السوفيتية. بدأ التعاون التجارى والاقتصادى بين روسيا والجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية منذ ستينيات القرن الماضى حين منح الاتحاد السوفيتى الجزائر قروضا لاغراض التنمية الاقتصادية بمبلغ مليارى دولار. وقدم المساعدة الكبيرة فى إنشاء القاعدة

الصناعية الوطنية وتطوير فروع الاقتصاد مثل الطاقة والتعدين والصلب والحديد وبناء الماكينات و انشاء المشاريع المائية . ونفذت بمساعدة الاتحاد السوفيتى مشاريع كبرى فى شتى فروع الاقتصاد الجزائري، ومنها مصنعا الصلب والحديد فى الحجار وعنابة والمحطة الكهرحرارية فى جيجل وخط انابيب الغاز الرار – حاسى مسعود وسد «بنى زيد». وكان اعداد الكوادر الوطنية لشتى فروع الاقتصاد الجزائري يشغل دائما مكانة هامة فى التعاون الثنائي. وادى انهيار الإتحاد السوفيتى الى إيقاف العديد من المشروعات الكبيرة فى الجزائر. ولكن العلاقات الثنائية تشهد حالياً مرحلة جديدة.

ولئن كان حجم التبادل التجارى بين البلدين فى عام ٢٠٠١ لم يتجاوز ٢٠٠ مليون دولار فقد ازداد هذا المؤشر فى عام ٢٠٠٦ بمقدار ثلاثة امثال وبلغ قيمة ٦٤٣.٨ مليون دولار. اما فى عام ٢٠٠٧ فازداد التبادل التجارى بين البلدين بمقدار مرتين وبلغ ١٣٣٨.٤ مليون دولار وبلغ ١٣٤٢ مليون دولار فى عام ٢٠٠٨ ، بما فى ذلك كانت قيم الصادرات الروسية الى الجزائر ١١٢٠.٥ مليون دولار . وبين الصادرات الروسية الموردة الى الجزائرالماكينات والمعدات ووسائل النقل بنسبة ٦٣٪ والمعادن غير الحديدية ومنتجاتها بنسبة ٨.٥ ٪. فى الربع الاول من عام ٢٠٠٩ انخفض التصدير الروسى الى الجزائر وبلغ قيمة ٢٥,٩٧ مليون دولار فقط اى اقل بمقدار تسعة امثال بالمقارنة مع الفترة المماثلة لعام ٢٠٠٨. اما الاستيراد الروسى من الجزائر فبلغ قيمة ١.٣٤ مليون دولار .

تم التوقيع فى ٨ مارس عام ٢٠٠٦ على اتفاقية تشكيل مجلس الاعمال الروسى الجزائري. فى ٥–٦ نوفمبر عام ٢٠٠٨ عقد فى موسكو اجتماع اللجنة الحكومية الروسية الجزائرية الخاصة بالتعاون التجارى والاقتصادى والعلمى والتقني. كما تم التوصل الى الاتفاق المبدئى على تنفيذ مشاريع جزائرية يمكن ان تساهم فيها الشركات الروسية.

التعاون فى مجال النفط والغاز

بعد عام ٢٠٠٠ بدأت الشركات الروسية تدريجياً بالعودة الى الجزائر.فعلى سبيل المثال تمّ تدشين خط انابيب الغاز حوض الحمراء الذى قامت بمدّه شركة «ستروى ترانس غاز» الروسية.فى عام ٢٠٠١ بدأت شركة «روس نفط» بالتنقيب فى أحد حقول الغاز الجزائرية،وفى العام ٢٠٠٥ بدأت عملية مد خط أنابيب الغاز سهير هاجرت انوس وفى العام ٢٠٠٦ بدأت شركة «ستروى ترانس غاز» بترميم خط انبوب الغاز وليد جلال.

ولكن فى شهر ديسمبر لم تمدد الشركة الجزائرية «سوناتراك» مذكرة التفاهم مع «غازبروم» الروسية والتى وُقّعت فى العام ٢٠٠٦، والسبب فى ذلك عدم الاتفاق على المشاريع المشتركة، لكن المباحثات بين الطرفين مستمرة. الجدير بالذكر أن مذكرة التفاهم التى وُقّعت بين «غازبروم» و «سوناتراك» والتى كانت تؤمن أكثر من ثلث كمية الغاز المصدر الى اوروبا أحدثت ضجة فى أوساط مؤسسات الغاز الاوروبية.

فى الوقت الحاضر توصلت شركتا « روس نفط» و «ستروى ترانس غاز» الى نتائج ملموسة فى مجال استخراج الهيدروكربونات الجزائرية حيث تشاركان فى استثمار حقل الهيروكربونات فى محافظة اليزى الجزائرية، ناهيك عن اكتشافها ل ٣ مكامن رابحة جديدة للهيدروكربونات.

وفى ابريل عام ٢٠٠٨ قامت شركة «ستروى غاز» بانجاز خط انابيب الغاز «سهير هاجرت انوس « بطول ٢٧٣ كيلومترا . وتقوم الشركة حاليا بتنفيذ مشروع تطوير خط انابيب الغاز « جى كا» بطول ١٥٠ كيلومترا بالاضافة الى مشاركتها فى المناقصة الخاصة بإنشاء خط انابيب الغاز «الشرق – الغرب».

وترسخت فى السوق الجزائرية شركة «زاروبيج فود ستروي» التى تقوم بتحقيق مشاريع انشاء السدود وانابيب الماء والانفاق. كما تعمل شركة «باردل اى كومبني» التى يساهم فيها الرأسمال الروسى بنسبة ١٠٠٪ بتنفيذ مشاريع انشائية فى الجزائر.

التعاون التقنى فى المجال العسكري

بما أن الجيش الجزائرى كان فى حينه مجهزا على نحو شبه كامل بالسلاح والعتاد الروسي، فهو اليوم بأمس الحاجة لإعادة التأهيل والتحديث، ولذلك فان التعاون فى المجال التقنى العسكرى أصبح ضرورة ملحة فى وقتنا الراهن.

وقعت روسيا والجزائر أثناء زيارة الرئيس فلاديمير بوتين للجزائر فى مارس من العام ٢٠٠٦ على صفقة سلاح بقيمة ٧,٥ مليار دولار، مقابل شطب الديون الجزائرية الى روسيا، وتضمنت الصفقة حصول الجزائر على ٣٦ مقاتلة حربية من طراز ميغ٢٩ س. م. ت و ٢٨ مقاتلة من طراز سوخوي٣٠ وكذلك ١٤ طائرة تدريب قتالى من طراز ياك١٣٠ الى جانب ٨ بطاريات دفاع جوى إس–٣٠٠ ومضادات الدبابات «ميتيس» و» كورنيت»، و ٣٠٠ دبابة من طراز تي–٩٠. كما تم التوقيع على اتفاقية لتحديث ٣٦ مقاتلة ميغ ٢٩ كانت الجزائر قد اشترتها فى التسعينات من القرن الماضى من بيلوروسيا واوكرانيا فضلا عن ٢٥٠ دبابة من طراز تي–٧٢. وفى نوفمبر عام ٢٠٠٢ أطلقت روسيا الى المدار القمر الصناعى الجزائرى ألسات–١. ولكن عشية زيارة الرئيس بوتفليقة لموسكو أفادت صحيفة «كوميرسانت» الروسية أنه للمرة الاولى فى تاريخ العلاقات الروسية الجزائرية اعيدت الى روسيا دفعة من طائرات ميغ ٢٩ المُصدّرة سابقا الى الجزائر. وحسب رواية الجانب الجزائرى فان ذلك مرتبط بوجود عيوب فنية فى هذه الطائرات بالاضافة الى عدم تنفيذ الروس لالتزاماتهم حيال الوسطاء، ولكن

الجانب الروسى أصر خلال فترة طويلة على بطلان هذه الدعاوى.

ويؤكد مصدر للصحيفة المذكورة أن المقصود ليس الفسخ التام للعقد. وحسب قول هذا المصدر فقد عرضت على الجزائر بدلا من الطائرات المعادة طائرات ميغ ٢٩ –ام٢ الاكثر حداثة أو أسلحة ومعدات غير جوية. ولكن ذلك سيكلف الجزائر مبالغ كبيرة ولايستبعد المصدر احتمال زيادة عدد طائرات سوخوى –٣٠م.ك.ي»A« التى سيجرى تسليمها للجزائر.

ومن المحتمل ان تقوم وزارة الدفاع الروسية أو دولة ثالثة بشراء طائرات الميغ المُعادة. ومع ذلك فقد أشار مصدر آخر لصحيفة "كوميرسانت" الى أنه لايستبعد ان تقبل الجزائر طائرات الميغ المذكورة والتى يبلغ عددها ١٥ طائرة بعد ازالة عيوبها. وأضاف المصدر المذكور قائلا أنه لم يعرف بعد بأية طريقة ستعوض الجزائر السُلف وغرامات التأخير المتعلقة بالعقد ولاسيما أنه أُخذت بعين الاعتبار في أثناء توقيع العقد مسألة شطب ديون الجزائر لروسيا.

علما بأنه وقع عقد بقيمة ١ مليار و٢٨٦ مليون دولار لتوريد ٢٨ طائرة ميغ–٢٩ م.س.ت ذات مقعد واحد و٦ مقاتلات ذات مقعدين من طراز ميغ ٢٩– و.ب فى اطار حزمة اتفاقيات حول التعاون العسكرى التقنى مع الجزائر بمبلغ اجمالى يصل الى حوالى ٨ مليارات دولار وبموجب هذه الاتفاقيات تعهدت روسيا بأن تشطب تدريجيا ديون الجزائر المستحقة للاتحاد السوفيتى البالغة زهاء ٤ مليارات و ٧٠٠مليون دولار وذلك مع تنفيذ حزمة الطلبيات الجزائرية المذكورة.

وأشار المصدر المذكور آنفا الى أن القفزة النوعية فى علاقات روسيا مع الجزائر وخاصة فى ميدان التعاون العسكرى أثارت ردود فعل قوية من الجانب الفرنسى وازداد ذلك بصورة خاصة بعد وصول نيكولا ساركوزى لسدة الرئاسة.

وتجدر الاشارة الى ان فرنسا تقوم على نحو نشيط بعرض مقاتلاتها من طراز "رافال" فى منطقة المغرب العربي.

بلغ عدد خريجى الجامعات والمعاهد الروسية المدنية والعسكرية من ابناء الجزائر ١٣ الف شخص

الفصل الحادى عشر

العلاقات الروسية الليبية

الاتصالات على الصعيد السياسي

اقيمت العلاقات الدبلوماسية بين موسكو وطرابلس فى ٤ سبتمبر عام ١٩٥٥. وفى ديسمبر عام ١٩٩١ اعلنت ليبيا عن اعترافها الرسمى بروسيا بعد انهيار الاتحاد السوفيتى .

وبدأت العلاقات الثنائية تتطور بنشاط بعد ان تولى معمر القذافى السلطة فى عام ١٩٦٩ . وقام معمر القذافي بزيارات رسمية الى موسكو اعوام ١٩٧٦ و ١٩٨١ و١٩٨٥ و٢٠٠٨ .

فى مارس عام ١٩٩٢ اصدر مجلس الامن الدولى القرار رقم ٧٤٨ بشأن فرض العقوبات الاقتصادية على الجماهيرية الليبية مما وجه ضربة شديدة الى التعاون الروسى – الليبى فى المجال العسكرى والتقني. وتم وقف تلك العقوبات فى عام ١٩٩٩ والغاؤها عام ٢٠٠٣ .

فى اواخر عام ١٩٩٠ نشطت الاتصالات السياسية بين البلدين. وزار روسيا الاتحادية فى عامى ٢٠٠٠ و٢٠٠١ عبدالرحمن شلقم امين اللجنة الشعبية العليا للأتصال الخارجى والتعاون الدولي. وفى مايو عام ٢٠٠١ قام ايغور ايفانوف وزير الخارجية الروسى آنذاك بزيارة عمل الى ليبيا وذلك لأول مرة فى تاريخ العلاقات الثنائية.

وفى ابريل عام ٢٠٠٤ ويونيو عام ٢٠٠٥ زار موسكو فى زيارتى عمل سيف

القذافى نجل معمر القذافى الذى يترأس منظمة القذافى الخيرية.

وكان قد اعلن عن التحضير لزيارة الرئيس الروسى انذاك فلاديمير بوتين الى ليبيا فى اثناء وجود سيرغى لافروف وزير الخارجية الروسى فى طرابلس فى ديسمبر عام ٢٠٠٧.

قام فلاديمير بوتين رئيس روسيا الاتحادية بزيارة رسمية الى الجماهيرية الليبية في ١٦-١٧ ابريل عام ٢٠٠٨ ، وكانت هذه الزيارة بمثابة اول لقاء بين زعيمى الدولتين وتم اثناء الزيارة توقيع عدد من الوثائق المهمة وبينها البيان حول تعزيز الصداقة وتطوير التعاون ومذكرة التفاهم الخاصة تطوير التعاون فى شتى المجالات الاقتصادية. واتفاقية العلاقات التجارية والاقتصادية والمالية.

وجاء فى البيان حول تعزيز الصداقة وتطويرالتعاون ان البلدين ينويان تعميق التعاون فى مجال الامن القومى والدفاع وبصورة خاصة عن طريق اجراء مشاورات بين الهيئتين المختصتين للدولتين ، وتوطيد الاتصالات فى المجال العسكرى التقني. ولم يوقع أثناء المباحثات على اتفاقيات فى مجال التعاون العسكرى التقنى رغم ان الوفد الروسى كان يضم ممثلين عن هيئة التعاون العسكرى-التقنى الفيدرالية. وتستمر المباحثات فى هذا الشأن. ونص البيان ايضا على رغبة الطرفين فى تعميق وتوسيع الحوار السياسى على شتى المستويات والاسهام فى تطوير الحوار بين مؤسسات كلا البلدين التى تعمل في مجال الطاقة ، مع الاخذ بعين الاعتبار موازنة المصالح لمنتجى موارد الطاقة ومستهلكيها على حد سواء ، بغية خلق الظروف الملائمة لزيادة استقرار سوق الطاقة العالمي.

وفى ٣١ اكتوبر عام ٢٠٠٨ جرت اول زيارة لزعيم الثورة الليبية معمر القذافى الى موسكو خلال السنوات العشرين الاخيرة. وادت المباحثات الى عقد اتفاقية بين الحكومتين الروسية والليبية فى مجال استخدام الطاقة الذرية للاغراض

السلمية. كما تم الاتفاق على انشاء مصرف مشترك وتم توقيع مذكرات التفاهم الرامية الى تنشيط العلاقات بين البلدين.

فى ٣٠ يوليو عام ٢٠٠٨ زار موسكو البغدادى المحمودى أمين اللجنة الشعبية العامة فى الجماهيرية الليبية . وزار البغدادى المحمودي يوم ١٥ مايو ٢٠٠٩ مدينة سوتشي حيث التقى برئيس الوزراء الروسى وقتها فلاديمير بوتين.

عقود واتفاقيات

بدأ تتشكل قاعدة الاتفاقيات القانونية الحديثة من توقيع اتفاقية التعاون التجارى والاقتصادى والعلمى والتقنى واتفاقية تشكيل اللجنة الحكومية الثنائية الخاصة بالتعاون التجارى والاقتصادى والعلمى والتقني فى يوليو عام ١٩٩٥. كما تم توقيع اتفاقية التعاون فى مجال صناعة النفط والغاز والطاقة الكهربائية فى ٨ اكتوبر عام ١٩٩٨ واتفاقية استخدام الطاقة الذرية للاغراض السلمية فى ١ نوفمبر عام ٢٠٠٨ .

وفى ١٩ مايو عام ٢٠٠٩ ابلغ الجانب الليبى رسميا الجانب الروسى حول انتهاء الاجراءات الحكومية الخاصة بسريان مفعول اتفاقية تشجيع الاستثمارات وحمايتها المتبادلة واتفاقية استخدام الطاقة الذرية للاغراض السلمية.

التعاون الاقتصادى والتجاري

بلغ حجم التعاون الاقتصادى والتجارى بين روسيا وليبيا فى فترة ١٩٧٠ – ١٩٨٠ حوالى المليار دولار. وتم فى اطاره بناء عدد من المشاريع فى الجماهيرية منها مركز البحوث الذرية «تاجورة» وخطان لنقل الطاقة الكهربائية (بطول ١٩٠ و٤٦٧ كم) وخط انابيب الغاز بطول ٥٧٠ كم. وتم حفر حوالى ١٣٤ بئرا لاستخراج النفط ، واجريت دراسات ارضية وجيونباتية وايقولوجية فى مساحة

٣.٥ مليون هكتار واعدت خطط تطوير صناعة الغاز وشبكات كهرباء الضغط العالى وصناعة الماكينات ، واعدت المبررات التقنية – الاقتصادية من اجل المرحلة الثانية من مجمع الحديد والصلب فى مصراتة (١.٦٧ مليون طن سنويا مع احتمال توسيعه الى ٥ ملايين طن).

فى ١–٢ ديسمبر عام ٢٠٠٨ عقدت فى موسكو الجلسة الاولى للجنة الثنائية الخاصة بالرقابة على تنفيذ اتفاقية العلاقات التجارية والاقتصادية والمالية التى وضعت خطة تسوية الديون الليبية عن طريق تصدير المنتجات والخدمات الروسية الى ليبيا حتى عام ٢٠٢٠. وكان المبلغ المتفق عليه خلال زيارة فلاديمير بوتين الى الجماهيرية الليبية فى ابريل عام ٢٠٠٨ قد بلغ ٤.٦ مليار دولار . وعلى حد قول كودرين وزير المالية الروسى تقلص هذا المبلغ جراء المباحثات الى ٤.٥ مليار دولار، وسيتم شطب الديون بشكل نهائى حين تحيل ليبيا الى الجانب الروسى اموالا مقابل منتجات الشركات الروسية. وعقدت بموسكو الجلسة الثانية للجنة الثنائية المذكورة فى ٣٠–٣١ يوليو عام ٢٠٠٩ .

بلغ التبادل السلعى الروسى الليبى فى عام ٢٠٠٨ قيمة ١٥١.٢ مليون دولار بما فيه التصدير الروسى الى ليبيا الذى بلغ قيمة ١٤٨.٤ مليون دولار. ويعد هذا المؤشر اقل بنسبة ٣٥٪ مقارنة مع عام ٢٠٠٧ حين بلغ اا التبادل السلعى قيمة ٢٣١.٨٢ مليون دولار. وذلك لسبب انخفاض الاسعار العالمية لاهم الصادرات الروسية الى ليبيا. وتعود نسبة ٩٨٪ من التبادل السلعى الى التصدير الروسي.

اما الصادرات الروسية الاساسية فتتألف من الوقود والحبوب والماكينات والمعدات ووسائل النقل. وبلغ حجم التصدير الليبى الى روسيا عام ٢٠٠٨ قيمة ٢.٧٥ مليون دولار فقط.

فى فترة ١٩٩٧ – ٢٠٠١ عقدت فى عاصمتى البلدين على التوالى خمس دورات للجنة الروسية – الليبية للتعاون الاقتصادى والتجارى والعلمى – التقني. ووقعت فى ختامها اتفاقيات التعاون فى مجال الوقود وصناعة الطاقة والتعاون بين غرفتى التجارة والصناعة فى البلدين، وتم الاتفاق مبدئيا على مشاركة المؤسسات الروسية فى تنفيذ المشاريع الكبرى فى ليبيا فى مجال الطاقة والاتصالات والنقل والزراعة واستخراج النفط والغاز ومد انابيب الغاز ومشاريع البنية الاساسية.

فى اواخر عام ٢٠٠٧ احتجز الكسندر تسيغانكوف ممثل شركة النفط الروسية «لوكويل» فى ليبيا بتهمة الاشتباه بممارسته التجسس الصناعي. وفى يناير عام ٢٠٠٧ ارسل سيرغي ايفانوف النائب الاول لرئيس الوزراء الروسى رسالة الى نظيره الليبى يرجو فيها الافراج عن تسيغانكوف ، وبالفعل جرى اطلاق سراحه فى شهر يوليو ٢٠٠٨ . ولكن هذا الحادث العارض لم يقف حائلا دون فوز شركة عملاقة روسية اخرى فى مجال النفط والغاز هى «غازبروم» فى مناقصة استثمار احد قطاعات النفط والغاز فى ليبيا.

وفى ابريل عام ٢٠٠٧ تشكل مجلس الاعمال الروسي– الليبى وعقد فى طرابلس المنتدى الروسى – الليبى تحت شعار «امكانيات روسيا فى مجال التصدير».

واستؤنفت فى عام ١٩٩٩ الرحلات الجوية بين موسكو وطرابلس. غير انها توقفت فيما بعد لمردودها الاقتصادى المتدني. وعرضت وزارة النقل الروسية على الجانب الليبى مشروعا للاتفاقية الجديدة الخاصة بتنظيم الرحلات الجوية بين البلدين.

التعاون فى مجال النفط والغاز

وازداد نشاط البيزنس الروسى فى مضمار دخول السوق الليبية. وعلى سبيل المثال افتتحت فى ليبيا ممثليات لمؤسسات «مونوليتسبيت ستروي» و«تيخنوبروم اكسبورت» و«تات نفط جيوفيزيكا» و«ستروى ترانس غاز». وبنتيجة النظر فى العطاءات فى اطار المرحلة الثانية للمناقصة فى اكتوبر عام ٢٠٠٥ حصلت شركة «تات نفط» الروسية على امتياز استثمار قطاع النفط فى منطقة مدينة غدامس. وفى ديسمبر عام ٢٠٠٦ نالت هذه الشركة الحق باستثمار ٣ حقول اخرى في مناطق غدامس وسرت. اما شركة «غازبروم » فنالت الحق باستغلال حقل اخر فى خليج سرت.

وقد وقعت شركة «غازبروم » الروسية وشركة الغاز والنفط الليبية الوطنية مذكرة تفاهم. واتفقت الشركتان على إنشاء مؤسسة مشتركة ستعمل باتجاهات التعاون فى كافة مجال النفط والغاز ، بما فى ذلك الاستكشاف والاستخراج والنقل والتسويق.

تدرس شركة «ستروى ترانس غاز» الروسية امكانية انجاز المشروع الخاص بإنشاء شبكة توزيع الغاز على شاطئ البحر المتوسط بين مدينتى زوارة وبنغازى ، ويقدر المشروع بقيمة ١ مليار دولار بالاضافة الى تطوير معمل الغاز فى مدينة خطيبة الذى تقدر قيمته ب ٢٦٠ مليون دولار، وتطوير حقلى النفط فى منطقتى رمال والطفل.

وتبدى ليبيا اهتمامها بالمشاركة فى المشاريع الاستثمارية فى روسيا الاتحادية الخاصة بمجال النفط. وايدت ليبيا فكرة انشاء منتدى الدول المصدرة للغاز وشاركت فى اللقاء السابع للمنتدى الذى عقد فى موسكو يوم ٢٣ ديسمبر عام ٢٠٠٨ .

التعاون فى مجال الطاقة الذرية

فى عام ٢٠٠٦ تم انجاز المشروع الذى كانت تقوم به الشركة الروسية «اتوم انيرغو اكسبورت» الخاص بتطوير منظومات الماء واطفاء الحريق، وكذلك انشاء مركز البحوث النووية فى تاجورة.

فى بناير وقعت شركة «اتوم ستروى » الروسية البروتوكول حول تطوير منظومات التهوية وتكييف الهواء والرقابة على الاشعاع وانشاء المحطات الكهربائية الفرعية والتحكم فى منظومة«توكوماك» وغيرما من انظمة الامن فى مركز تاجورة وكذلك توريد قطع الغيار وتدريب الخبراء.

وتنظر الحكومة الروسية فى رزمة من الوثائق اللازمة لتوقيع الاتفاقية حول توريد الوقود النووى المستهلك الى روسيا الاتحادية.

التعاون فى مجال الانشاء

تشكل اتفاقية إنشاء ٥٥٤ كيلومتراً من سكة الحديد «سرت – بنغازي» مع شركة السكك الحديدية الروسية « ار جى دي» اساسا لصفقات بمليارات الدولارات. وتبلغ قيمة الاتفاقية ٢,٢ مليار يورو، مما يؤمن على حد قول وزير المالية الروسي نسبة ٧٠٪ للمشتريات الليبية من المعدات والاجهزة ومنتجات المعادن الحديدية الروسية. وشارك سيرغى ايفانوف نائب رئيس الوزراء الروسى فى مراسم افتتاح هذا المشروع فى ٣٠ اغسطس عام ٢٠٠٨ .

تشارك مؤسستا «موس مترو سترو» و « موسكوفسكى متروبوليتين» الروسيتان في المناقصة الخاصة بانشا مترو الانفاق فى طرابلس. وفى ١ يوليو ٢٠٠٩ وقع مدير المشروع الليبى الذى يقيم ب ٤ مليارات دولار وقع مع ممثل الشركتين المذكورتين البروتوكول الخاص بتقديم العروض التجارية فى مجال انشاء ٣ خطوط لمترو الانفاق.

تستعد شركة «تيخنو بروم اكسبورت» الروسية لتشكيل مؤسسة روسية – ليبية مشتركة بغية تنفيذ مذكرة التفاهم مع صندوق الاستثمار الليبى الافريقي.

وتم توقيع ٣ عقود خاصة بانشاء البنية التحتية للوحدات السكنية فى مدن الزاوية وبئر غنم وجنزور بقيمة ١.٢ مليار دولار وذلك بين شركة «سوغلاسيه» الروسية و صندوق التنمية الاقتصادية الاجتماعية الليبي. وتدرس امكانية توقيع العقد الخاص بانشاء الطريق بين سرت وجبية بطول ٤٠٠ كيلومتر وبقيمة ٥٠٠ مليون دولار. وتستمر المباحثات حول انشاء مجمع المطار فى طبرق وغيره من المطارات.

التعاون العسكري- التقنى

يجرى التعاون العسكرى – التقنى بين البلدين منذ امد بعيد . ويتم تبادل الوفود العسكرية ، ووقعت عقود لتحديث بعض اصناف الاسلحة والمعدات العسكرية الروسية الموجودة لدى الجيش الليبي. وفى اغسطس عام ٢٠٠٥ عقد بموسكو الاجتماع الثالث للجنة الحكومية الثنائية حول التعاون العسكرى – التقنى وتم فيه اقرار البرنامج المتوسط الاجل للتعاون العسكرى – التقنى بين الجانبين .

وطبقا لمعطيات وزارة الدفاع الروسية فقد اعدت بمناسبة زيارة فلاديمير بوتين رئيس روسيا الاتحادية السابق لليبيا اتفاقيات لتزويد ليبيا باسلحة قيمتها حوالى ٣ مليارات دولار، وتشمل تصدير المنظومات الصاروخية المضادة للجو القصيرة المدى «تور – م ٢ ي» و ١٢ مقاتلة جديدة من طراز» سو – ٣٥ « ، وكذلك بيع واصلاح قطع الغيار والذخيرة من اجل الاسلحة.

الجدير بالذكر ان الجماهيرية الليبية اعتبرت وقتها من أكبر الدول

المشترية للسلاح الروسي. لكن موسكو لم تتمكن من العودة الى الى سوق الاسلحة الليبية الا بعد زيارة فلاديمير بوتين الى الجماهيرية التى قام بها عام ٢٠٠٨ ووقع اتفاقية استئناف العلاقات بين البلدين فى المجال العسكرى التقني. وأعربت طرابلس حينذاك بصورة خاصة عن رغبتها فى اقتناء ١٢ مقاتلة «سو-٣٥» المتعددة الاغراض و٤٨ دبابة «ت -٩٠ أس» وبضعة منظومات مضادة للجو «اس - ١٢٥ بيتشورا» و» تور أم ٢ أي» و»أس - ٣٠٠ بى أم أو - ٢ فافوريت» الى جانب غواصات ديزل الكهربائية من طراز « ٦٣٦ كيلو» او «القاتل الهادئ». وبالاضافة الى هذه الاسلحة فان معرض «لافيكس ٢٠٠٩ « الذى اقيم فى طرابلس فى اكتوبر عام ٢٠٠٩ شهد لاول مرة مقاتلة «ميغ - ٣٥» الحديثة وطائرة «ياك - ١٣٠ التدريبية القتالية ومروحية «كا-٥٢ آ التمساح» للاستطلاع والقتال. فى يناير عام ٢٠٠٨ دخلت سفينة روسية ميناء ليبى لاول مرة فى تاريخ روسيا الاتحادية، وهى الكاسحة «ميخائيل بوبنوف».

وقامت فى اكتوبر ٢٠٠٨ حاملة الطائرات الروسية «بطرس الأكبر» والسفينتان الحربيتان المرافقتان لها بزيارة ودية الى الجماهيرية الليبية ورست فى ميناء بنغازي.

الأصل والصورة :

ما فات كـان الصورة أو الواجهة أو بمعنى آخر الواجهة الدبلوماسية الرقيقة والتى يقبع فى عمقها المصالح والرغبات والايدولوجيات وربما الخلافات أيضاً ومنذ قيام الثورة فى ليبيا والإطاحـة بالنظام الملكى السنوسـى والتيار أو الاتجاه العام فى الجماهيرية الليبية يدور فى الفلك والقرب من إيطاليا ربما لأسباب تاريخية أو الجوار وقد لاحظ الجميع على المستوى السياسى ذلك!؟ ولكن على

المستوى الأكبر نحو الدول العظمى كان الاتجاه نحو الاتحاد السوفيتى بطبيعة الحال لعدم توافق أهداف الثورة الليبية وتطلعاتها مع الأهداف والرغبات والمصالح الغربية والذى يسيل لعابه مع خروج أى برميل نفط يحمل أيضاً فى طياته عوائد دولاريه . ومن الطبيعى أن يطمع العرب فى البترول وعوائده الدولارية وهى أهداف أساسية يقع فى خلفها كل الأحداث و تصاعدات الأحداث فى الاتجاه السلبى بين ليبيا والغرب لاقترابها من دعم الدول المارقة عن الفلك الغربى أيضاً . ولم يصبر الغرب طويلاً على الجماهيرية الليبية فسرعان ما وجد الغرب ضالته فى أزمة عرفت باسم لوكيربى اتهمت ليبيا بتدبيرها فوق اسكتلندا وهى طائرة أمريكية وقامت الدنيا ولم تهدأ . طاره بغارات جوية على مبنى الرئاسة الليبية ذاتها فى العزيزيــة (المقر الرئاسى فى طرابلس) تبعتها محاولات اغتيال عديدة ثم الحصار الغربى الذى امتد لأربعة عشر عاماً متصلة وسط غفوة عربية طالت لهذه المدة وكان يمكن أن تطول عن ذلك دهراً؟! وسكون وهدوء دولى وكانت العلاقات الليبية الروسية قد وصلت إلى المرتبة الثامنة على مستوى العالم فى استيراد السلاح الروسى والذى أثر بشكل إيجابى وإلى حد كبير فى إمداد الآلة العسكرية الروسية بالدولارات وهذا بخلاف الصناعة والتجارة ولكن اكتشفت ليبيا بعد وقت طويل أن روسيا لم تعد سنداً كافياً فى المجال السياسى الذى يمكن أن تتحرك من خلاله أو اعتماداً عليه فأعلنت ليبيا تخليها عما وصفه الغرب بدعم الإرهاب الدولى وتخليها أيضاً عن برنامجها النووى وسلمت أمريكا كل ما لديها من تكنولوجيا روسية فى هذا المجال وطواعية وعلى سفن أمريكية وبهدوء وصراحة ووضوح شديد وكأنها تنقل شحنه من القمح أو الأسمنت من ليبيا إلى شواطئ الولايات المتحدة الأمريكية ولم يرضى روسيا ذلك بطبيعة الحال التحول السياسى والميل بهذه الطريقة نحو السياسية الأمريكية وكانت ليبيا ترى بل

وتعتقد أن ما فعلته قد يعطيها فترة مهادنه لالتقاط الأنفاس مع الغرب والولايات المتحدة بالذات لتتمكن من الوقوف من جديد بعد الحصار الطويل وكأنها تعلمت الدرس بأن الخارج من الحظيرة الأمريكية خاسر وحتى النهاية ؟! ولكن كان الوهم أقرب ولم ينس الغرب ثأره من نظام القذافى فى ليبيا وقد حل عليه الدور بشكل أقرب إلى الحتمية بعد الانتهاء من نظام صدام حسين فى العراق ولم يجد مكاناً أو باباً للخروج؟! وبدأ التحرش بالنظام ساعد عليه رغبة الثأر أيضاً من بعض الأنظمة العربية وبدأ النظام يتداعى وتركته روسيا يتداعى ويسقط بطريقة درامية مأساوية عنيفة لم يتوقعها الجميع؟! فهل ما فعلته روسيا مع نظام الجماهيرية الزبون الممتاز فى الدفع فى السلاح والصناعة والتجارة انتقاما وثأراً أيضاً من ميله نحو أمريكا وتسليمه الأسلحة الروسية أم كان وفق توافق روسى غربى لترك المصالح الروسية فى سوريا وهى الأهم والأقرب والأنفع أيضاً لمصالح روسيا فى البحر المتوسط ؟! وإن كان هناك تسريب لبعض المعلومات التى تفيد بأن معارضة فى القيادة الروسية كانت لا تريد ترك ليبيا وفقاً لهذه المصالح أيضاً وكان يتزعمها الرئيس الروسى السابق ميدفيديف ؟! و لكن كان فى الجانب الأقوى فلاديمير بوتن رجل روسيا القوى والمنتقم والذى أراد أن يجعل ليبيا نموذجاً للمتجهين نحو البوصلة الغربية والأمريكية ؟! وضاعت ليبيا وإن خرجت دموع الندم من روسيا على لسان مديفيديف بأن روسيا نادمه على ترك النظام الليبى فى مهب الريح الغربى ؟! وإن أظهرت الرياح بأن الغرب بزعامة أمريكا قد تتخلى عن وعدها مع روسيا لترك مصالحها الإستراتيجية والعليا فى سوريا ولهذا كان الحزم والتشدد الروسى فى الأمم المتحدة والفيتو الشهير الذى يعلن فى طياته القول بأن روسيا بالأمس غير روسيا اليوم وأن كلمته فى سوريا لن تنزل إلى الأرض أبداً فهل يكون صادقاً هذه المرة أم تكون

مثل كلمات القبطان حنفى الشهيرة فى الفيلم المصرى الشهير وتسقط فى سابع أرض وليس الأرض فقط وهذا ما ستسفر عنه الأيام القادمة ويقول المثل العربى ماحك ظهرك مثل ظفرك فتولى أنت جميع أمرك ؟! ...

الفصل الثانى عشر

العلاقات الروسية السعودية

كان الاتحاد السوفيتى اول دولة غير عربية اعترفت بالمملكة العربية السعودية واقام معها علاقات دبلوماسية فى فبراير عام ١٩٢٦ .

فى نوفمبر عام ١٩٩٤ زار رئيس الحكومة الروسية فيكتور تشرنوميردين الرياض، ضمن اطار جولته الى دول مجلس التعاون الخليجي، وتم خلال الزيارة التوقيع على اتفاقية عامة للتعاون بين الحكومتين الروسية والعربية السعودية فى مجالات التجارة والاقتصاد واستثمار الاموال والعلم والتقنية والثقافة والرياضة و الشباب.

قام الامير عبدالله ولى العهد (حاليا عاهل المملكة) بزيارة رسمية الى موسكو فى نوفمبر عام ٢٠٠٣ واجرى خلالها مباحثات مع الرئيس الروسى فلاديمير بوتين، وتم خلال الزيارة التوقيع على مجموعة من الاتفاقيات لتطوير علاقات التعاون الثنائية ومن ضمنها اتفاقيات فى مجال النفط والغاز ومجال العلم والتكنولوجيا.

قام الرئيس الروسى فلاديمير بوتين فى فبراير عام ٢٠٠٧ بزيارة الى المملكة العربية السعودية. وتم خلال هذه الزيارة التوقيع على اتفاقية ثنائية فى مجال الاتصالات الجوية ومعاهدة تفادى دفع الضريبة المزدوجة على المداخيل ورؤوس الاموال، وعدة اتفاقيات فى مجال الثقافة وتبادل المعلومات والتعاون المصرفي. كما تم خلال الزيارة تحديد اتجاهات جديدة للتعاون (التكنولوجيا الذرية وغزو الفضاء فى الاغراض السلمية).

فى نوفمبر عام ٢٠٠٧ وصل موسكو بزيارة رسمية الامير سلطان بن عبدالعزيز ولى العهد ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام فى المملكة السعودية وقتها.

وزار الامير بندر بن سلطان الامين العام لمجلس الامن الوطنى فى المملكة العربية السعودية موسكو فى السنوات ٢٠٠٦ و٢٠٠٧ و٢٠٠٨ .

العلاقات التجارية - الاقتصادية

ازداد حجم التبادل التجارى بين روسيا والمملكة العربية السعودية فى الفترة مابين سنوات ٢٠٠٣ - ٢٠٠٨ من ٢١١،٨ الى ٤٨٨،٧ دولار امريكى (بلغت قيمة الصادرات الروسية ٤٦٥،٩ مليون دولار امريكى). وتتألف الصادرات من المعادن والمنتجات المعدنية، و العلف والورق والكارتون والخشب وسيارات الشحن.

الطاقــة :

يتطور التعاون فى مجال الطاقة ويستمر تبادل الزيارات على مستوى الوزارات. فى عام ٢٠٠٤ تم التوقيع على اتفاقية بين الشركة الروسية المساهمة «لوكويل اوفرسيز هولدنغ» و حكومة المملكة العربية السعودية حول مساهمة الشركة الروسية فى عمليات التنقيب وبناء مصنع لتسييل الغاز بجانب حقل «غوار» وهو اكبر حقل نفطى فى العالم الواقع فى جنوب شرقى المملكة العربية السعودية.

فى عام ٢٠٠٤ تم فى مدينة الخبر افتتاح مكتب للشركة الروسية المساهمة «ستروى ترانس غاز » وقامت هذه الشركة فى سنة ٢٠٠٥ بطلب من غرفة التجارة والصناعة لمدينة الرياض بوضع تصور لانشاء شبكة وطنية لنقل وتوزيع الغاز فى المملكة العربية السعودية ووضعت تصميما لتوزيع الغاز فى مدينة الرياض. ومنذ سنة ٢٠٠٦ تعمل فى مدينة الخبر ممثلية شركة «غلوبالستروى - انجينيرينغ » وتقوم الشركات الفرعية

لشركة «تات نيفت» باختبار المعدات الخاصة بالابحاث الجيوفيزيائية. ومنذ سنة ٢٠٠٢ يعمل مجلس الاعمال الروسى –السعودي. وفى ابريل عام ٢٠٠٨ تم فى الرياض برعاية غرفة التجارة والصناعة الروسية ومجلس الاعمال الروسي– العربى اقامة المعرض الروسى الاول « روسيا والمملكة العربية السعودية – آفاق مستقبلية جديدة للتعاون التجارى –الاقتصادى « و ندوة اعمال. منذ سنة ٢٠٠٢ تعمل اللجنة الحكومية المشتركة الروسية – السعودية فى مجال التجارة والاقتصاد و التعاون فى المجال العلمى – التقني. وانعقد فى الرياض عام ٢٠٠٥ اجتماعها الثاني.

القروض والمال

تم فى سنة ٢٠٠٧ التوقيع على مذكرة التعاون والتفاهم بين فنيش ايكونوم بنك وروس ايكونوم بنك من الجانب الروسى و الصندوق السعودى للتنمية. فى الفترة بين ٢٠ – ٢٤ ديسمبر عام ٢٠٠٨ زار الرياض وفد من رجال مصرف روسيا المركزي و ٥ مصارف روسية. وتم خلال اللقاءات مع ممثلى المصارف السعوديين التباحث حول الازمة المالية العالمية ودور المصارف فى اجتيازها.كما تم التعريف بالمصارف الروسية (فنيش تورغ بنك و غازبروم بنك و بنك موسكو و اك بارس بنك ولانتا– بنك). بمبادرة من فنيش ايكونوم بنك شارك صندوق التنمية السعودى فى المعرض العربى الاول المقام فى موسكو فى الفترة بين ٢٢ –٢٣ اكتوبر عام ٢٠٠٨ .

التعاون فى مجال الفضاء

حملت الصواريخ الروسية فى سبتمبر عام ٢٠٠٠ الى مدارات الفضاء الخارجى ١٣ قمرا صناعيا سعوديا يستخدم فى مجال الاتصالات و سبر سطح الارض عن بعد. ويهتم الجانب السعودى بالمشاركة في مشروع انشاء نظام الملاحة الفضائية «غلوناس ». فى شهر مايو عام ٢٠٠٧ جرت فى الرياض الجولة الاولى للاستشارات حول المشروع وتم التعريف به.

التعاون فى المجال الديني

تتطور بشكل ملحوظ العلاقات الانسانية ومن ضمنها بين المنظمات الاسلامية. وتعمل منذ سنة ٢٠٠٢ اللجنة الروسية للحج، التى من واجبها ابداء المساعدة للحجاج الروس. وفى عام ٢٠٠٦ بلغ عدد الحجاج الروس الى الاماكن المقدسة فى المملكة العربية السعودية ١٨ الف شخص. وفى عام ٢٠٠٧ بلغ عددهم ٢٦،٥ الف شخص. وفى يونيو عام ٢٠٠٨ شارك وفد من مجلس المفتين في روسيا المملكة العربية السعودية للمشاركة فى المؤتمر العلمى حول «تحديات العولمة ومشاكل العصر». فى الفترة بين ٢٧ – ٢٩ اكتوبر عام ٢٠٠٨ انعقد فى مدينة جدة الاجتماع الرابع لمجموعة الرؤية الاستراتيجية «روسيا – والعالم الاسلامى».

العلاقات الثقافية و المعلومات العلمية

ضمن اطار زيارة الرئيس الروسى الى المملكة العربية السعودية فى شهر فبراير عام ٢٠٠٧ تم التوقيع على مذكرة وبرنامج التعاون للسنوات ٢٠٠٧ –٢٠٠٩ بين وزارة الثقافة والاعلام السعودية و الوكالة الاتحادية للثقافة و السينما الروسية . فى سنة ٢٠٠٧ وقعت اتفاقية التعاون بين وكالة انباء«نوفوستى » الروسية و ووكالة الانباء السعودية. فى ٨ يوليو عام ٢٠٠٩ تم فى موسكو التوقيع على برنامج التعاون العلمى بين معهد الاستشراق التابع لاكاديمية العلوم الروسية ومعهد البحوث العلمية للمعلومات التابع لوزارة الخارجية السعودية. فى سنة ٢٠٠٤ ارسل لاول مرة طلاب سعوديون للدراسة على حساب الحكومة الروسية. وفى مارس ٢٠٠٧ شارك وفد من روسيا برئاسة وزير الثقافة الكسندر افدييف فى الذكرى اليوبيلية الـ٢٥ لمهرجان الثقافة الوطنى للعربية السعودية «الجنادرية ».

الفصل الثالث عشر

العلاقات الروسية اليمنية

وقعت اول معاهدة للصداقة والتجارة بين موسكو وصنعاء فى عام ١٩٢٨ ، بينما اقيمت العلاقات الدبلوماسية بينهما فى عام ١٩٥٥. ايد الاتحاد السوفيتى بنشاط الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية وقدم لهما المساعدات بدون مقابل. زار على عبدالله صالح رئيس الجمهورية العربية اليمنية (ومن ثم الجمهورية اليمنية) موسكو اربع مرات – مرتين قبل تفكك الاتحاد السوفيتى فى عامى ١٩٨١ و١٩٨٤ – ومرتين لاحقا فى روسيا الحديثة – فى عامى ٢٠٠٢ و٢٠٠٤ . وتعتبر زيارته اليها فى فبراير عام ٢٠٠٩ الزيارة الخامسة واليوبيلية. ترتكز العلاقات بين الدولتين على قاعدة قانونية واسعة ممثلة بمعاهدتى الصداقة والتعاون مع جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية(عام ١٩٧٩) والجمهورية العربية اليمنية(عام ١٩٨٤) وغيرهما من الوثائق الثنائية.

تأسست الجمهورية اليمنية فى مايو عام ١٩٩٠ بنتيجة الاتحاد الطوعى بين الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية المين الديمقراطية الشعبية ، وأكدت رسميا سريان مفعول كلتا المعاهدتين وجميع الاتفاقيات المعقودة مع الاتحاد السوفيتي. اعلنت الجمهورية اليمنية فى ٣٠ ديسمبر عام ١٩٩١ رسميا اعترافها بروسيا الاتحادية بصفتها الوريثة الشرعية للأتحاد السوفيتى السابق وبضمن ذلك الاعتراف بجميع المعاهدات والاتفاقيات الدولية السارية المفعول. تم فى ديسمبر عام ١٩٩١ فى اثناء الزيارة الرسمية للرئيس على عبدالله صالح الى

موسكو التوقيع على اعلان مبادئ علاقات الصداقة والتعاون بين روسيا واليمن واتفاقية التعاون بين الحكومتين فى مجال العلوم والثقافة والتعليم والرياضة والسياحة والاتفاقية بين الحكومتين حول تشجيع الاستثمارات وحمايتها بصورة متبادلة.

يدور بين البلدين حوار نشيط فى المجال السياسى وزار موسكو وزير الخارجية ووزير دفاع اليمن. وفى عام ٢٠٠٥ زار صنعاء سيرغى لافروف وزير الخارجية الروسى . كما يتطور التعاون بين برلمانى البلدين. فى مايو عام ٢٠٠٤ تم الاتفاق على اجراء تعاون أوثق حول قضايا مكافحة الارهاب ولاسيما فى هيئة الامم المتحدة ولجنة مكافحة الارهاب التابعة لمجلس الامن الدولى ، وكذلك فى اطار المحافل الدولية والاقليمية الأخرى. وتبحث امكانية عقد اتفاقية ثنائية حول التعاون فى مجال مكافحة الارهاب الدولي.

فى نوفبمر عام ٢٠٠٤ منحت اللجنة الدولية الخاصة بجائزة «اندريه بيرفوزفانى » الرئيس على عبدالله صالح الجائزة الدولية تقديرا لخدماته فى تعزيز الصداقة بين شعبى روسيا واليمن. وجرت المراسم الاحتفالية لتسليمه الجائزة وكذلك وسام الشرف لأندريه بيرفوزفانى فى صنعاء فى ٢١ نوفمبر عام ٢٠٠٤ .

التعاون العسكرى – التقنى

تحولت اليمن فى الاعوام الاخيرة الى زبون دائم لشراء مختلف اصناف الاسلحة . وانفقت صنعاء منذ عام ١٩٩٨ مبلغ مليارى دولار لشراء الاسلحة. علما ان حصة السلاح الروسى منها تعادل النصف. وزودت روسيا اليمن بالمقاتلات المتطورة ميج – ٢٩ س م ت والمروحيات مى – ١٧ والعربات القتالية للمشاة ب م ب – ٢ وغير ذلك من المعدات العسكرية. وتضمنت العقود

حول توريد المقاتلات والمروحيات مواصلة المشتريات.ومنذ عدة اعوام قدمت الى الرئيس اليمنى المروحية مى – ١٧١ من طراز VIP . علما ان المصانع الحربية الروسية مستعدة لأعداد برامج تحديث واصلاح الاسلحة المصدرة الى الجيش اليمنى سابقا وكذلك تقديم ارساليات كبيرة من قطع الغيار والمعدات. وفى مارس عام ٢٠٠٧ جرت مكالمة هاتفية بين الرئيس الروسى فلاديمير بوتين والرئيس على عبدالله صالح طلب فيها الاخير تقديم ارساليات عاجلة من المعدات الحربية الى اليمن بأسعار تسهيلية بسبب العمليات القتالية الجارية في محافظة صعدة.

التعاون الاقتصادى والتجارى

تتطور العلاقات الاقتصادية والتجارية مع اليمن منذ عام ١٩٥٦. لكن فى الاعوام الاخيرة التى سبقت توحيد شطرى البلدين وصل التعاون مع اليمن الشمالى الى الصفر عمليا. وبلغ الحجم الاجمالى للألتزامات السوفيتية المنفذة فى فترة الستينيات والسبعينيات بصورة رئيسية حوالى ٦ بالمائة من المساعدات الاقتصادية الخارجية التى تلقتها الجمهورية العربية المينية.وبلغت حصة السلع الواردة من الاتحاد السوفيتى في استيرادات الجمهورية على أساس تجارى أقل من ١ بالمائة.

وبدأ التعاون مع جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية فى عام ١٩٦٩ . وشيد بمعونة الاتحاد السوفيتى قسم كبيرة من المنشآت الصناعية والاجتماعية فى البلاد. وبلغت حصة الاتحاد السوفيتى من القروض الاجنبية التى حصل عليها اليمن الجنوبى لأغراض التنمية الاقتصادية ما يربو على ٥٠ بالمائة. فى فبراير عام ١٩٩١ وقع الاتحاد السوفيتى والجمهورية اليمنية اتفاقية تجارية تنص على تشكيل لجنة حكومية مشتركة حول التعاون الاقتصادى والتجارى والعلمى –

التقنى وكذلك البروتوكول حول الممثلية التجارية فى صنعاء الذى حل محل الاتفاقيتين بهذا الشأن المعقودتين مع الجمهورية العربية المينية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية فى عام ١٩٩٦ وقع بروتوكول التعاون بين اتحاد الغرف التجارية والصناعية فى اليمن والغرفة التجارية والصناعية فى روسيا ، وفى عام ٢٠٠٥ وقع يفغينى بريماكوف رئيس الغرفة التجارية والصناعية الروسية فى اثناء زيارته الى صنعاء اتفاقيتين حول التعاون بين الغرف التجارية والصناعية فى البلدين وحول تأسيس مجلس الاعمال الروسى – اليمني. وفى الوقت الحاضر يجرى تنفيذ الاتفاقات الواردة فى المذكرة الخاصة بالمباحثات حول قضايا تنمية التجارة والتعاون الاقتصادى والتقنى الموقعة فى ١١ ديسمبر عام ٢٠٠٢ بموسكو. وفى ديسمبر عام ٢٠٠٧ عقد فى صنعاء منتدى الاعمال الروسى – اليمنى بلغ حجم التبادل السلعى بين البلدين فى عام ٢٠٠٧ حوالى ١٧٨ر٩ مليون دولار (٩٤ر٨ مليون فى عام ٢٠٠٦). علما ان صادرات اليمن الى روسيا قليلة وتعادل ما قيمته ١ر٠ مليون دولار. اما مجموعة سلع التصدير التقليدية فهى الحبوب (٥٩ر٧ بالمائة) والسيارات والماكينات والمعدات ومنها وسائل النقل ومنتجات الصناعة الحربية (٢٨ر٠ بالمائة) وكذلك اجهزة الرقابة والقياس والاجهزة المنزلية والمعدات الطبية(١٠ر٨).

توجد فى اليمن ممثليات عديدة لبعض الشركات الروسية مثل « تكنوبروم اكسبورت» و» روس ابورون اكسبورت» و» تكنوستروى اكسبورت» ومؤسسة «زدراف اكسبورت» الاتحادية الحكومية وشركة صناعة الطائرات « ميج».

انتجت شركة « تكستيلماش « فى مدينة تشيبوكسارى وتولت تشغيل ٤٠ ماكينة نسيج من اجل معمل النسيج فى صنعاء. وتعتبر شركة « تيخنو بروم اكسبورت» من انشط الاطراف فى التعاون الاقتصادى المدنى بين البلدين. ويرتبط

كثير من العقود المبرمة والجارى تنفيذها بصيانة واصلاح محطة « الحصوة « الكهرحرارية فى عدن. ويعمل الخبراء الروس من شركة « تكنو ستروى اكسبورت» فى مصنع الاسمنت فى باجيل. وفى عام ٢٠٠٧ انجزت الشركة توريد المعدات وقطع الغيار الى المصنع بمبلغ ٨٣٠ ألف دولار. ويعمل فى اليمن عن طريق الشركة ١٢٧ شخصا من ذوى المهن الطبية. كما يعمل هناك عن طريق « زدراف اكسبورت».اكثر من ٢٦٠ طبيبا. وفى ديسمبر عام ٢٠٠٦ وقعت شركة « تكنوستروى اكسبورت» عقدا جديدا مع وزارة الصحة اليمنية حول تمديد التعاون لفترة ٣ أعوام أخرى. كما يلاحظ الاتجاه بأستبدال الاطباء الروس برعايا البلدان الأخرى فى رابطة الدول المستقلة .

شطب ديون اليمن

عقد فى نوفمبر عام ١٩٩٧ اجتماع نادى باريس لبحث اعادة جدولة الديون الخارجية لليمن ووقعت خلاله وثيقة حول إلغاء الديون اليمنية الى روسيا الاتحادية وفق شروط تسهيلية بالنسبة الى صنعاء. وبموجب الاتفاقية الحكومية الروسية – اليمنية الموقعة فى ديبسمبر عام ١٩٩٩ بموسكو تم شطب نسبة حوالى ٨٠ بالمائة من ديون اليمن البالغة ٦٫٤ مليار دولار. ويجرى فى المواعيد المقررة تسديد وخدمة ديون اليمن.

التعاون الانسانى

تم فى الاتحاد السوفيتى (ومن ثم فى روسيا) فى جميع اعوام التعاون الثنائى اعداد حوالى ٥٠ ألف خبير يمنى من ذوى التعليم العالى فى مختلف الاختصاصات. ومنحت وزارة التعليم والعلوم الروسية الى الجانب اليمنى فى عام ٢٠٠٧ سبعين منحة دراسية فى المقرر الدراسى الكامل وكذلك اشكال التأهيل بعد التخرج وأكثرها فى الاختصاصات التقنية والطبية. وفى الوقت الحاضر يدرس

فى المعاهد العالية الروسية ٣٠٥ طلاب وطلاب دراسات عليا يمنيين. ويقوم معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم الروسية بحفريات اثرية فى الاراضى اليمنية. فى عام ١٩٩٩ وقعت اتفاقية تعاون بين وكالة ايتار – تاس ووكالة الانباء اليمنية «سبأ» . فى ابريل عام ١٩٩٧ تأسست فى اليمن رابطة الصداقة اليمنية – الروسية. وفى أغسطس عام ٢٠٠٣ عقد بموسكو المؤتمر التأسيسى لجمعية الصداقة الروسية – اليمنية. ويبلغ عدد الخبراء الروس العاملين فى اليمن عن طريق المؤسسات الحكومية ٢٨١ شخصا (ومع عدد افراد اسرهم ٤١٧ شخصا) ويتراوح العدد الاجمالى للجالية الروسية فى حدود ألف شخص. فى ديسمبر عام ٢٠٠٨ نقلت طائرات وزارة احوال الطوارئ الروسية الى مطار سيئون فى جنوب اليمن حمولة من مواد الاغاثة الى اهالي محافظة حضرموت اليمنية. وقد ارسلت محطات متنقلة لتوليد الكهرباء وخيام واغطية ومواد غذائية الى ابناء هذه المحافظة التى تضررت بسبب الفيضانات الشديدة مما اسفر عن سقوط ضحايا بشرية ووقوع دمار شديد. وتقبل المسئولون اليمنيون بأمتنان هذه المساعدة التى قدمت بأمر الحكومة الروسية ووصفوها بكونها اسهاما فى تعزيز علاقات الصداقة التقليدية بين البلدين.

وماذا بعد ؟:

فيما أراه دائماً ويغفله المحللون بأن بؤرة العلاقة السوفيتية فى الشرق الأوسط تدور فى فلك القرب والبعد من (النظام الشيوعى) تليه المصالح والتوازنات وهى الآفة التى لازمت التواجد الروسى فى الشرق الأوسط ويمكن ملاحظة ذلك أو الاستدلال على ذلك بالعلاقات الروسية اليمنية قبل توحيد شطرى اليمن شمال وجنوبى فمع الجنوب كانت علاقة (حميمية) ومع الشمال مصالح (فى الإطار العادى) وبعد الوحدة مباشرة وصلت العلاقات إلى نقطة (الصفر) مثلا ثم

عادت المصالح المشتركة إلى نقطة التعادل (الطبيعى) طبقاً لإمكانيات البلدين والمواقف السياسية ؟! ويتماثل ذلك مع الموقف الروسى (مثلاً) المخفى من الوحدة بين مصر وسوريا ثم مشروع الوحدة بين العراق و سوريا و بشكل عام تقف السياسة السوفيتية موقف المعارضة من الوحدة (كما أوضح بريما كموف) ولكن فى العمق وكذلك من الجامعة العربية (أيضاً ؟!) .... عزيزى القارئ .. لا يمكن إغفال السياسة الروسية فى المنطقة ولكنها تحتاج إلى مزيد من الفهم والعمق والصراحة أيضاً ؟

الفصل الرابع عشر

العلاقات الروسية السودانية

اقيمت العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفيتي والسودان في ٥ يناير عام ١٩٥٦. شهدت ستينات القرن الماضي تطورا مطردا للعلاقات الثنائية. وتم في تلك الفترة توقيع الاتفاقيات الطويلة الامد التي ساعدت على تطوير التعاون بين البلدين في شتى المجالات.

وفي مطلع السبعينات قامت القيادة السودانية بقطع العلاقات مع الاتحاد السوفيتي من جانب واحد. لكن بعد وقوع الانقلاب العسكرى عام ١٩٨٥ بدأت العلاقات بين البلدين تعود الى مجراها الطبيعي بشكل تدريجي. وفي تاريخ ٢٩ ديسمبر عام ١٩٩١ اعلنت السودان اعترافها الرسمي بروسيا الاتحادية. كما قام وزيرا الخارجية مصطفى عثمان اسماعيل ولام أكول بزيارتي عمل الى موسكو في نوفمبر عام ٢٠٠١ ومايو عام ٢٠٠٦ . كما جرى لقاء وزيرى خارجية البلدين في سبتمبر عام ٢٠٠٦ ، وذلك على هامش الدورة الحادية والستين للجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة. وخلال انعقاد الدورة الثامنة والخمسين للجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة في ٢٩ سبتمبر عام ٢٠٠٣ وقع وزيرا الخارجية للدولتين البروتوكول الخاص باجراء المشاورات واقامة التعاون في مجال رفع كفاءة الكوادر الدبلوماسية. كما تم توقيع بروتوكول التعاون بين الاكاديمية الدبلوماسية لوزارة الخارجية الروسية والمركز الدبلوماسي في الخرطوم. وشهدت الدورة الثالثة والستين للجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة لقاءا بين وزير الخارجية الروسي من جانب ونائب رئيس السودان من جانب آخر.

في ابريل عام ٢٠٠٢ زار وزير الدفاع السوداني بكرى حسن صالح روسيا . وتم اثناء الزيارة اعداد اتفاقية التعاون العسكرى التقنى بين الحكومتين الروسية والسودانية. وتم توقيع هذه الاتفاقية في مارس عام ٢٠٠٣ وذلك خلال الزيارة التى قام بها الى الخرطوم يورى خوزيانينوف نائب رئيس لجنة التعاون العسكرى والتقنى الروسية. وزار عبد الرحيم محمد حسين الممثل الخاص لرئيس السودان في شؤون دارفور موسكو ثلاث مرات كانت المرة الأولى في اكتوبر عام ٢٠٠٤ وكان عندها يتولى منصب وزير الداخلية و في عامى ٢٠٠٦ و٢٠٠٨ وهو يتولى منصب وزير الدفاع ، وهدفت الزيارات الى تسليم رسالة رئيس السودان الى رئيس روسيا في مسألة دارفور. وتتطور ايضا ، العلاقات بين برلمانى البلدين. ففى يونيو عام ٢٠٠٤ قدم الى موسكو في زيارة عمل احمد ابراهيم طاهر رئيس الجمعية الوطنية السودانية ، اما في فبراير عام ٢٠٠٥ فقد زار الخرطوم وفد مجلس الاتحاد الروسى برئاسة سيرغى أنوخين النائب الاول لرئيس لجنة السياسة الاعلامية لمجلس الاتحاد. وفى نوفمبر عام ٢٠٠٦ زار السودان ميخائيل مارغيلوف رئيس لجنة الشؤون الدولية في مجلس الاتحاد الروسي. وفى نوفمبر زار موسكو الوفد البرلمانى السودانى برئاسة عثمان مداوى رئيس لجنة الشؤون الخارجية للجمعية الوطنية السودانية. كما زار مارغيلوف السودان بزيارة رسمية في شهر يناير عام ٢٠٠٩.

في ديسمبر عام ٢٠٠٦ زار موسكو اللواء صلاح الدين عبد الله محمد عثمان رئيس جهاز الامن القومى السوداني. والجدير بالذكر ان لجنة الشؤون الدولية في البرلمان السودانى ايدت بشكل مطلق موقف روسيا بشأن الاحداث في أوسيتيا الجنوبية التى وقعت في أغسطس عام ٢٠٠٨. وانتقد بشدة سلطات جورجيا لقاء الجرائم التى ارتكبتها.

مشاركة روسيا فى عمليات حفظ السلام فى جنوب السودان

تساهم روسيا فى الجهود الدولية الرامية الى التسوية فى جنوب السودان. حيث تعمل مجموعة من المراقبين العسكريين التابعين لوزارة الدفاع الروسية ورجال الشرطة من ضباط وزارة الداخلية الروسية ضمن بعثة حفظ السلام التابعة للامم المتحدة التى ترابط فى جنوب السودان. كما تم ايفاد فريق من القوات الجوية الروسية مؤلف من ٤ مروحيات و١٢٠ طيارا ومهندسا الى السودان للمشاركة في عملية حفظ السلام فى جمهورية السودان الديمقراطية.

التعاون فى المجال التجارى والاقتصادي

يتم تنظيم العلاقات التجارية والاقتصادية مع السودان بموجب اتفاقية التجارة والتعاون الاقتصادى والتقنى التى أبرمت بين الحكومتين الروسية والسودانية فى يناير عام ١٩٩٨ والتى حلت عوضا عن عدد من الاتفاقيات المبرمة سابقا فى هذا المجال. فى اواخر عام ٢٠٠٧ وبتوصية من الرئيس السودانى عمر حسن البشير تم تشكيل لجنة تطوير التعاون الروسى السوداني. وفى لغة الأرقام بلغ التعاون التجارى بين البلدين على مدى السنوات الاخيرة قيمة ٣٠ مليون دولار امريكي. يطغى عليه التصدير الروسى الى السودان حيث يبلغ قيمة ٢٨-٢٩ مليار دولار مقابل ٠,٣ - ٠,٥ مليون دولار قيمة التصدير السودانى الى روسيا.

قد تم فى سبتمبر عام ٢٠٠٥ تأسيس مجلس الاعمال الروسى السودانى الذى من شأنه ان يساهم فى توسيع التعاون التجارى الاقتصادى مع الخرطوم. وتتطور ايضا علاقات السودان مع بعض جمهوريات روسيا الاتحادية ، وبينها جمهورية تتارستان الروسية التى تمكنت بعض شركاتها مثل «كاماز» و مصنع المروحيات وشركة «ألناس» وغيرها من الشركات التتارية الروسية التى تمكنت من تثبيت

قدمها فى السوق السودانية. وتضم الصادرات الروسية الى السودان الماكنات والتقنيات والاجهزة الكهربائية ومواد البناء. كما توجد امكانات لتنظيم تصدير منتجات شركات الطائرات والسيارات الروسية والبصريات والسلع الاستهلاكية والحبوب. ويتم تصدير جزء من السلع الروسية الى السودان عن طريق شركات الوساطة المصرية والسعودية والاماراتية. اما الواردات الروسية من السودان فتحتوى اساسا على المنتجات الزراعية كالقطن والشاى الاحمر (كركداي) والسمسم والفول السوداني. تدرس شركة «السكك الحديد» الروسية امكانات مشاركتها فى تحقيق مشروع واسع النطاق وهو تطوير شبكة السكك الحديدية فى السودان بما فى ذلك توريد عربات القطار والقاطرات الروسية الصنع. كما توجد بعض الخطوات الرامية الى إقامة الشراكة الروسية السودانية فى مجال الطاقة. وقد زار رئيس الوزراء التتارستانى فى يونيو عام ٢٠٠١ الخرطوم حيث وقع مذكرة التفاهم فى مجال النفط بين شركة «تات نفط» الروسية ووزارة الطاقة السودانية. وكانت شركتا «لوكويل» و«روس نفط» الروسيتان قد ابدتا اهتمامهما بالعمل فى السوق السودانية.

على النقيض فقد تم فى صيف عام ٢٠٠٢ الغاء الاتفاقية التى وقعتها شركة «سلاف نفط» الروسية فى يناير والتى كانت تخص تقاسم المنتجات فى احد مكامن النفط الواعدة الواقعة فى السودان. فى يوليو عام ٢٠٠٤ فازت شركة «ستروى ترانس غاز» الروسية والشركة الخاضعة لها «STG – International Gmbh" بمناقصة انشاء قسم من خط انابيب النفط يربط بين مكمن النفط "ميلوت" وبور سودان الواقع على ساحل البحر الاحمر بطول ٣٦٦ كيلومترا و قدرته على تمرير النفط بمقدار ٢٠٠ الف برميل يوميا. وتبلغ كلفة العقد الاجمالية ١٠٠ مليون دولار. وتم انجاز هذا القسم من خط انابيب النفط فى مطلع عام ٢٠٠٨.

وتعمل الشركات الروسية بنجاح فى قطاع النقل الجوى السوداني. وتقوم قرابة ٣٥ طائرة ومروحية روسية برحلات جوية فى اطار البرامج الانسانية لهيئة الامم المتحدة. وتعد مجموعة الطائرات الروسية هذه اكبر مجموعات الطيران الروسية المرابطة خارج روسيا.

التعاون الثقافى والعلمي

يحمل التعاون فى مجال العلم والثقافة والتعليم طابعا محدودا. ومن اهم اتجاهاته اعداد الخبراء السودانيين فى مؤسسات التعليم العالى الروسية. وقد تم منذ عام ١٩٥٦ تخريج ٥ آلاف خبير فى شتى المجالات. وبدءا من عام ١٩٩٦ بدأت الحكومة الروسية بتخصيص المنح الدراسية للطلبة السودانيين. بما فيها ٥ منح للبكالوريوس والماجستير و١٠ منح للدراسات العليا .

الصورة والأصل:

ما سبق عزيزى القارئ كان هو الصورة الظاهرة على المستوى الإعلامى والدبلوماسى فى العلاقات الروسية السودانية ولكن أيضاً كما وضح فى الموقف مع العراق كان هناك أشياء فى العمق أو فى البؤرة حاول الطرف الروسى كما قلت والطرف العربى أيضاً الالتفاف حولها لإمكانية التلاقى فى منتصف الطريق ؟! ولكنها أيضاً كانت لا تزال باقية ومؤثرة إلى الحد البعيد ذاته حيث ظهر الثأر أيضاً من النظام السودانى والسودان نفسه لما فعله الرئيس السودانى الأسبق جعفر نميرى عندما قضى على الأنظمة الشيوعية فى بلاده بالاعتقال والإعدام والتصفية ليقضى عليها نهائياً ؟! وترك الاتحاد السوفيتى السودان أيضاً بلا ظهر أو مساندة أمام الغرب وحتى فى المواقف الدبلوماسية والسياسية فى الأمم المتحدة ورهن التصعيد الدبلوماسى والسياسى والإعلامى اليومى والمتصاعد والذى كان أشبه وإلى حد بعيد بالتصعيد مع النظام العراقى بأدوات وآلة

إعلامية ضخمة استطاعت أن تجند كل الأبواق والقرارات الدولية فى الأمم المتحدة وأمام تخاذل عربى واضح ونائم عمداً أو مستعيناً فى الغالب بمنومات كيميائية قوية حتى لا يستيقظ أمام فاجعة التدخل الغربى والأمريكى خاصة فى بلد عربى كانت الجامعة العربية أشبه بالسيدة التى يسحب زوجها من منزله أمام عينيها ليسحل فى الشارع ولا تستطيع إلا البكاء والعويل ولكن بصوت منخفض خشية أن يسمع صوتها وتركت السودان لتتمزق شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً فى وقت لاحق ؟! فهل كان الموقف الروسى طبقاً لمصالح إستراتيجية عليا كما قال جيمس بيكر فى مذكراته أم كان ثأراً قديماً روسياً تجاه السودان أم اعتماداً أيضاً على موقف عربى متخاذل وسوف يعود بعد حين أيضاً ناسياً أو متناسياً .. ترى معى عزيزى القارئ هل استحق العرب أن يدفعوا ثمناً للتقارب الروسى الغربى وهل تلك المكافئة بعد أن أوجدوا لروسيا أرضاً رحبة وموقع سياسى مرتفع وقوى فى أرض هى قلب الأحداث والمصالح فى العالم؟!.

الفصل الخامس عشر

العلاقات الروسية الموريتانية

اقيمت العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفيتى و جمهورية موريتانيا الاسلامية فى ١٢ يوليو ١٩٦٤. ارسل الرئيس الروسى دميترى مدفيديف برقية تهنئة الى محمد ولد عبدالعزيز بمناسبة انتخابه فى ١٨ يوليو٢٠٠٩ رئيسا جديدا لموريتانيا.

فى مايو ١٩٩١ زار موسكو وزير الخارجية والتعاون الموريتانى حيث اجريت معه مشاورات سياسية. وفى يوليو ٢٠٠٤ قام السكرتير العام لوزارة الخارجية الموريتانية بزيارة موسكو. وأثناء انعقاد اجتماعات الجمعية العمومية لهيئة الامم التحدة فى ١٨سبتمبر ٢٠٠٥ التقى نائب وزير الخارجية الروسى الكسندر ياكوفينكو بوزير الخارجية الموريتانى احمد ولد احمد. ويستمر الحوار بين برلمانيى البلدين، ففى فبراير ١٩٩٣ زار نواكشوط وفد برلمانى روسى برئاسة نائب رئيس المجلس الاعلى لروسيا الاتحادية . وفى اغسطس ١٩٩٣ قام رئيس مجلس الاعيان الموريتانى بزيارة موسكو. وفى اكتوبر ٢٠٠٤ زار وفد مشترك من مجلس الدوما الروسى ومجلس الاتحاد نواكشوط للاشتراك فى الاجتماع الخاص لمجموعة البحر الابيض المتوسط التابعة للجمعية البرلمانية للناتو.

العلاقات الاقتصادية

بلغ حجم التبادل التجارى بين البلدين فى ٢٠٠٨ حسب المعطيات الموريتانية ٥٠ مليون دولار (بشكل اساسى تصدير السمك و المنتجات السمكية

من موريتانيا). ويعتبر موضوع صيد الاسماك فى البحر من المواضيع الحيوية القابلة للتطور بين روسيا و موريتانيا. فى ١٢ مايو ٢٠٠٣ تم فى موسكو التوقيع على اتفاقية جديدة للتعاون فى مجال صيد الاسماك البحرية والانتاج السمكي. فى سنوات ٢٠٠٣ و٢٠٠٥ و٢٠٠٨ انعقدت ثلاث دورات للجنة الروسية – الموريتانية المشتركة فى مجال صيد الاسماك. تم بالاشتراك مع المصارف التجارية الروسية فى مدينة نواديب بناء مصنع لتعليب الاسماك والذى بدأ بالانتاج فى صيف عام ٢٠٠٢ .

فى سنة ١٩٩٩ ظهرت افآق للتعاون وتطويرها فى مجال الجيولوجيا، حيث ساهمت شركة «باشنيفت » الروسية فى عمليات التنقيب عن النفط . وتمكن الخبراء الروس فى شهر فبراير ٢٠٠١ من اكتشاف مكمن للنفط . وتعمل فى هذه المنطقة حاليا مجموعة للتنقيب الجيولوجى من شركة «تومين نيفت جيوفيزيكا » حيث تجرى عمليات البحث الزلزالى وعمليات تفجير والتى كانت نتائجها ايجابية.

وتبقى مسألة مساهمة الشركة الروسية المساهمة «ستروى ترانس غاز» فى مناقصة بناء ومد انبوب لتزويد العاصمة نواكشوط بمياه الشرب، وتبلغ كلفة انشائه ٢٠٠ مليون دولار.

الفصل السادس عشر

العلاقات الروسية البحرينية

يعود تاريخ إقامة العلاقات الدبلوماسية بين مملكة البحرين وروسيا الاتحادية إلى بداية تسعينيات القرن الماضى ، حينما قررت دولة البحرين وإتحاد الجمهوريات الإشتراكية السوفيتية إعتباراً من ٢٨ سبتمبر عام ١٩٩٠ إقامة علاقات دبلوماسية بينهما وتبادل التمثيل الدبلوماسى على مستوى السفراء . وقد تم الإعلان عن ذلك فى البيـان البحرينى السوفيـتى المشترك الذى صدر فى أعقاب الإجتماع الذى عقد فى نيويورك يوم ٢٨ سبتمبر عام ١٩٩٠ بين معالى الشيخ محمد بن مبارك آل خليفة وزير الخارجية البحرينى والسيد أدوارد شيفارنادزه وزير خارجية الاتحاد السوفيتى آنذاك . وفى الحقيقة كان الاتحاد السوفيتى السابق قد قام قبل ذلك بحوالى عقدين بمبادرة لإقامة العلاقات الدبلوماسية مع البحرين ، حيث أعلن الإتحاد السوفيتى فى عام ١٩٧١ الإعتراف بالبحرين كدولة مستقلة ذات سيادة والإستعداد لإقامة العلاقات الدبلوماسية معها وتبادل السفراء . إلى أن نضجت الظروف المناسبة فى كليهما بإتجاه الإنـفـتـاح المتبادل . وقد كانت البحرين فى عداد الدول الأولى التى اعترفت بروسيا الإتحادية وبرابطة الدول المستقلة ، وتم ذلك فى ٢٨ ديسمبر عام ١٩٩١ م . وفى أبريل عام ١٩٩١ تم إفتتاح السفارة الروسية فى المنامة ، وفى نوفمبر عام ١٩٩١ افتتحت السفارة البحرينية فى موسكو .

العلاقات السياسية ممتازة بين مملكة البحرين وروسيا الاتحادية . وقد

تبلورت هذه العلاقات على إمتداد الـ ٢٠ سنة الماضية عبر الحرص المتبادل لدى البلدين على مواصلة الحوار السياسى المكثف والتفاعل حول القضايا الدولية والإقليمية الرئيسية ، والتى تعكس تقارب وتطابق مواقف البلدين من معظم المسائل المطروحة ، خاصة على المستوى الإقليمى . إضافة إلى ذلك فهما يتطلعان إلى تفعيل التعاون فى مختلف المجالات الإقتصادية والتجارية والإستثمارية الثقافية والسياحية وغيرها . ويتجسد الإهتمام المشترك فى تطوير العلاقات الثنائية البحرينية الروسية فى تبادل الزيارات لكبار المسؤولين فى البلدين ، وقد زار موسكو فى عام ٢٠٠٠ وفد مجلس الشورى لمملكة البحرين برئاسة السيد ابراهيم حميدان رئيس مجلس الشورى فى المملكة. وفى ابريل عام ٢٠٠١ زار المنامة الوفد البرلمانى الروسى برئاسة فلاديمير بلاتونوف نائب رئيس مجلس الاتحاد الروسى ورئيس مجلس الدوما لمدينة موسكو. وكان من المقرر ان تتم زيارة لصاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة الى روسيا آنذاك. غير انها تأجلت بطلب منه.

وكان الكسندر سلطانوف نائب وزير الخارجية الروسى قد شارك فى نوفمبر عام ٢٠٠٥ بأعمال «منتدى المستقبل» الذى عقد جلسته الثانية فى المنامة. وفى يونيو عام ٢٠٠٦ أجرى سيرغى فرشينين رئيس ادارة الشرق الاوسط وشمال افريقيا فى وزارة الخارجية الروسية مشاورات فى البحرين حول العلاقات الثنائية والقضايا الاقليمية.وفى نوفمبر عام ٢٠٠٦ زار موسكو معالى الشيخ خالد بن أحمد بن محمد آل خليفة وزير الخارجية فى مملكة البحرين. وشكلت تلك الزيارة محطة اساسية فى تفعيل العلاقات الثنائية البحرينية الروسية ، حيث تم خلالها توقيع مذكرة تفاهم بين وزارتى خارجية البلدين . وأجمع الجانبان خلال المحادثات على وجود إمكانية كبيرة غير مستغلة لتطوير التعاون بين

البلدين ، خاصة فى مجال الإستثمار وقطاعات النفط والغاز والطاقة ، وكذلك فى مجال تكنولوجيات إنتاج الألمنيوم والزراعة ، سيما وأن الآلية أصبحت متوفرة لدى أوساط رجال الأعمال فى البلدين من خلال مجلس الأعمال الروسى البحرينى الذى تم تشكيله فى شهر سبتمبر من عام ٢٠٠٦ ، ثم تعززت هذه الآلية مع إنعقاد المؤتمر التأسيسى الأول للمجلس فى إطار الإجتماع المشترك السابع لمجلس الأعمال العربى الروسى الذى عقد بالمنامة فى الفترة من ٢١ الى ٢٢ مايو عام ٢٠٠٧ .

كما جرت لقاءات بين معالى الشيخ خالد بن أحمد بن محمد آل خليفة وبين ايغور ايفانوف سكرتير مجلس الامن القومي فى روسيا ويفغينى بريماكوف رئيس غرفة التجارة والصناعة . وكان الكسندر سلطانوف نائب وزير الخارجية الروسى قد شارك فى يناير عام ٢٠٠٨ بأعمال منتدى «حوار الحضارات» الاجتماعى العالمى الذى عقد فى المنامة.

وعلى رأس تلك الزيارات تأتى الزيارة التاريخية لحضرة صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة إلى روسيا الاتحادية فى الفترة من ١ الى ٢ ديسمبر عام ٢٠٠٨ ، ومحادثات جلالته فى الكريملين مع فخامة الرئيس دميترى ميدفيديف حيث تبنيا بياناً مشتركاً حول دعم العلاقات الثنائية بين البلدين . وقد شكلت زيارة جلالته محطة هامة فى تاريخ العلاقات الثنائية بين مملكة البحرين وروسيا الاتحادية ، حيث أعطت دفعاً قوياً لتلك العلاقات فى كافة المجالات ورسمت « خارطة طريق » لآفاق ومستقبل تلك العلاقات . وقد تكللت الزيارة ، بالتوقيع على ٥ مذكرات تفاهم حول التعاون بين مملكة البحرين وروسيا الاتحادية فى مجال الاستخدام السلمى للطاقة النووية ، والتعاون فى مجالات الطاقة والثقافة والقطاع المصرفي.

و قام معالى الشيخ عبدالـلـه بن خالد آل خليفة رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، الرئيس الفخرى لمنتـدى البحرين لحوار الحضارات إلى بالزيارة الى موسكو فى الفترة من ١٠ الى ١٤ يوليو عام ٢٠٠٨ ، والتى تم خلالها التباحث مع الجانب الروسى فى سبل تعزيز العلاقات الاقتصادية والتجارية والمالية والمصرفية والثـقافية والسياحية بين البحرين وروسيا .

وقد تجلى إهتمام حكومة المملكة بدعم كافة أشكال التعاون مع روسيا فى دعوة صاحب السمو الملكى الأمير خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء لرجال الأعمال الروس خلال لقائه مع وفد منهم بالمنامة بتاريخ ١٧ يونيو عام ٢٠٠٨ ، الى الاستثمار فى مملكة البحرين .

وفى إطار الرغبة المتبادلة لتفعيل التعاون بين البلدين ، تم دعوة معالى فيكتور زوبكوف النائب الأول لرئيس الوزراء الروسى من قبل سمو الشيخ محمد بن مبارك آل خليفة نائب رئيس الوزراء لزيارة المملكة والتى تمت خلال الفترة من ٢٠ الى٢١ يناير عام ٢٠١٠ ، حيث تركزت محادثاته مع حضرة صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة على إجراء مناقشات حول الاتجاهات التى تمثل أولوية فى تنمية التجارة بين روسيا والبحريـن . وقبل ذلك قام السيد سيرغى لافروف وزير الخارجية الروسى بتاريخ ١٩ فبراير عام ٢٠٠٩ ، بزيارة مملكة البحرين ، وذلك فى إطار جولة له إلى منطقة الشرق الأوسط إستهدفت التأكيد مجدداً على حرص روسيا على تعزيز علاقات التعاون مع دول مجلس التعاون الخليجى بما فيها مملكة البحرين ، والتأكيد على النهج الروسى الهادف إلى ضمان الأمن فى منطقة الخليج وضرورة بذل الجهود الرامية إلى إبعاد مخاطر المجابهة عن هذه المنطقة التى تتميز بأهمية إقتصادية وسياسية كبيرة .

قاعدة الاتفاقيات القانونية الجدير بالذكر أن العلاقات الثنائية بين مملكة البحرين وروسيا الاتحادية قطعت منذ بداية التسعينيات وحتى اليوم شوطاً لا بأس به ، وأن البلدين يرتبطان بعدد من إتفاقيات التعاون ، منها على سبيل المثال لا الحصر ،اتفاقية التعاون بين غرفتى التجارة والصناعة النموقعة عام ١٩٩٤ ، وإتفاقية التعاون التجارى والاقتصادى والتقنى بين حكومتى البلدين ، الموقعة فى المنامة بتاريخ ١٢ أبريل عام ١٩٩٩ ، وهناك إتفاقيتان تم التوقيع عليهما بالأحرف الأولى وهما إتفاقية تجنب الازدواج الضريبى بتاريخ ٢١ فبراير عام ٢٠٠١ ، وإتفاقية تشجيع وحماية الإستثمار بتاريخ ٢٧ أبريل عام ٢٠٠٥ . كما يوجد مشروع إتفاق للتعاون الثقافى والعلمى والتربوى بين مملكة البحرين وروسيا الاتحادية وهو من الإتفاقيات الجاهزة للتوقيع . إضافة إلى أن الجانبين يدرسان عدداً من مشاريع الاتفاقيات فى مجال السياحة والمجال المصرفى وتعديل إتفاقية النقل الجوى . وتم فى عام ١٩٩٤ التوقيع على اتفاقية التعاون بين غرفتى التجارة والصناعة للدولتين.

العلاقات فى مجال التجارة والاقتصاد والاستثمار

بلغ حجم التبادل السلعى مع البحرين عام ٢٠٠٧ حوالى ٥ ملايين دولار. وتورد روسيا الى البحرين ما يزيد عن ٣٠ صنفا من السلع ، ومنها الورق (نسبة ٢٠٪) والصفائح الفولاذية (نسبة ٦٠٪) من مجموع السلع المصدرة. ويهتم البحرينيون بالخامات لصناعة المصوغات والمجوهرات الروسية وصناعة الاخشاب و صناعة بناء السفن الروسية.

وتقدم شركة «روس اوبورون اكسبورت» بشكل منتظم معلومات للجانب البحرينى عن معارض الاسلحة المقامة التى تشارك فيها. وعقدت فى عام ٢٠٠٣ اتفاقية توريد ٤٠ شاحنة « كاماز» روسية الى القوات المسلحة البحرينية. وقد تم تنفيذ تلك الاتفاقية.

وقد ظهرت في عام ٢٠٠٥ في البحرين عدة مؤسسات بمشاركة روسية ، وهي مؤسسة تصنيع الاسمدة المشتركة والشركة الانشائية «ريد سكوير اندستريز» وشركة تنقيب النفط «غولف اوفرسيز كومباني» . وفي عام ٢٠٠٥ وصل الى روسيا وفد وزارة الزراعة البحرينية للمشاركة في الندوة الاكاديمية والاطلاع على نشاط معهد الابحاث في مجال فيزيولوجيا النباتات وزار الوفد مدينة سانت بطرسبورغ واكاديمية العلوم الزراعية الروسية ومدينة سوتشي حيث اطلع على خبرة زراعة النباتات الاستوائية. وقد وقع في ختام الزيارة بروتوكول التعاون. وتتم حاليا دراسة امكانية عقد اتفاقية بين وزارتي الزراعة في البلدين. وتبدى دوائر الاعمال في موسكو وبطرسبورغ وتتارستان ومقاطعة كراسنويارسك بعض النشاط بغية التسرب الى السوق البحرينية آخذة بالحسبان النظام الضريبي الملائم السائد فيها. وقد ابدت شركة «روسال» الروسية اهتمامها بالمشاركة في عمل مجمع الالومنيوم «البا». وفي شهر سبتمبر عام ٢٠٠٦ زار موسكو وسانت بطرسبورغ وفد غرفة التجارة والصناعة البحرينية للمشاركة في اجتماع مجلس الاعمال الروسي العربي. وفي نتيجة المباحثات تم توقيع مذكرة التفاهم التي تقضي بتأسيس مجلس الاعمال الروسي البحريني. وفي ابريل عام ٢٠٠٧ عقدت في المنامة بمبادرة من الجانب البحريني الدورة السابعة لمجلس الاعمال الروسي العربي.

فيما يتعلق بالتبادل التجارى بين مملكة البحرين وروسيا الاتحادية ، فقد بلغ حجمه في عام ٢٠٠٩ حوالى ٢ مليون دولار وهو لا يتناسب بالطبع مع المستوى الجيد للعلاقات السياسية القائم بين البلدين .

التعاون في مجال الثقافة والعلوم والسياحة

قدمت في ديسمبر عام ٢٠٠٥ الفرقة الشعبية للرقص والغناء من مدينة ياروسلافل الروسية عروضها على خشبة المجمع التجارى في المنامة. وقد اقيم بالبحرين في مارس عام ٢٠٠٥ معرض اعمال ذوى الحاجات الخاصة ،

وذلك بمساهمة وزارة الضمان الاجتماعى البحرينية. و فى عام ٢٠٠٦ قدم فنانو السيرك الروسى عروضهم فى المهرجان التجارى البحريني.

وقد اتخذت وزارة التعليم فى روسيا قرارا باعادة تقديم منح دراسية للطلبة البحرينيين بمن فيهم طلبة الدراسات العليا.

تجدر الإشارة بصورة خاصة إلى أن آفـاق التعاون بين البحرين وروسيا فى المجال السياحى واعـدة للغايـة وهناك إهتمام مشترك لدى الجانبين البحرينى والروسى بتطوير التعاون فى هذا المجال ، حيث تجرى حالياً مناقشة جملة مشاريع لا تزال قيـد الدراسة ، منها مشروع بناء فندق بخمسة نجوم ، مشروع بناء سفينـة سياحية ، ومشروع بناء فـندق عائم . إضافة إلى أن الجانبـين إتـفـقـا خلال الإجتماع الأول لمجلس الأعمال البحرينى الروسى فى المنامة على زيادة التـنسيق فى المرحلة القادمة لتبادل المزيد من السياح بينهما ، خاصة بفصل الشتاء، وهو الفصل السياحى الأمثل فى البلديـن . وقد صدر فى مملكة البحرين، بناء على توجيهات من حضرة صاحب الجلالة ، فى شهر يوليو عام ٢٠٠٨ ، قرار يقضى بمنح مواطنى روسيا الاتحادية تأشيرات زيارة من المنافذ أى لدى وصولهم إلى المملكة بدلاً من إضطرارهم إلى طلب التأشيرة مسبقاً والحصول على كفالة ، وبالتالى لن يحتاجوا سوى جواز سفر صحيح وتذكرة عودة وحجز فندق أو بـيـانات أحد أفراد عائلتهم فى البحرين

الفصل السابع عشر

العلاقات الروسية الاردنية

اقيمت العلاقات الدبلوماسية بين الاردن والاتحاد السوفيتى يوم ٢١ اغسطس عام ١٩٦٣ بمبادرة من الجانب الاردنى . وفى يوم ١٦ فبراير عام ١٩٩٢ اعترفت الاردن بروسيا كوريثة للاتحاد السوفيتي.

وتربط البلدين علاقات الصداقة والتعاون على امتداد سنين طويلة ، وكانت اسس تلك العلاقات قد ارسيت في عهد ملك الاردن الراحل حسين. وتتسم العلاقات السياسية بين الاردن وروسيا بتطابق المواقف فى معظم القضايا الدولية ، وخاصة فى قضية التسوية للازمتين فى الشرق الاوسط والعراق.

واعتبارا من اغسطس عام ٢٠٠١ يزور الملك الاردنى عبد الله الثانى روسيا سنويا ، واقيمت علاقات شخصية جيدة بينه وبين الرئيس الروسى الثانى فلاديمير بوتين. وبدأت المرحلة الجديدة فى توطيد العلاقات الثنائية بين البلدين فى فبراير عام ٢٠٠٧ أثناء الزيارة الرسمية التى قام بها الى الاردن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين.

وتعارف الملك الاردنى مع الرئيس الروسى الثالث دميترى مدفيديف أثناء زيارته الاخيرة الى موسكو فى ٢١-٢٤ فبراير عام ٢٠٠٨. واعرب الملك حينذاك للرئيس مدفيديف ورئيس الوزراء فلاديمير بوتين تأييده لاعمال روسيا فى أثناء النزاع الجورجى الاوسيتى ووصف روسيا بانها طرف يضمن الاستقرار والامن فى القوقاز. وفى ٢٥ اغسطس عام ٢٠٠٨ اصدر الملك الاردنى تعليمات بارسال امدادات انسانية للاوسيتيين الجنوبيين اللاجئين الى مدينة فلاديقوقاز

عاصمة جمهورية اوسيتيا الشمالية الروسية. ووجه اسحاق مولا رئيس الجمعية الخيرية الشركسية فى الاردن التى تضم حوالى ١٠٠ الف ممثل عن الجاليات القوقازية وجه رسالة الى دميترى مدفيديف اعرب فيها عن ارتياحه من اعتراف روسيا باستقلال ابخازيا واوسيتيا الجنوبية . كما وجه برقية تهنئة الى كل من سيرغى باغابش رئيس جمهورية ابخازيا وادوارد كوكويتى رئيس جمهورية أوسيتيا الجنوبية.

فى عام ٢٠٠٨ قام نائب وزير الخارجية الروسية ألكسندر سلطانوف بثلاث زيارات عمل للاردن. وفى مايو عام ٢٠٠٩ عقد سلطانوف لقاء مع وزير الخارجية الاردنى الجديد ناصر جودة ، وذلك على هامش المنتدى الدولى الاقتصادي الخاص بالشرق الاوسط الذي جرى على شاطئ البحر الميت فى الاردن.

التعاون فى المجال الاقتصادي

فى يوم ٢٠ اغسطس ١٩٨٨ تم التوقيع على الاتفاقية الخاصة بتشكيل لجنة التعاون الاقتصادى والعلمى والتقنى الثنائية بين الحكومتين السوفيتية والاردنية ، اما فى نوفمبر عام ١٩٩٣ فاتخذ قرار بتشكيل اللجنة الروسية – الاردنية المماثلة.

وفى فبراير عام ٢٠٠٤ وقعت اتفاقية التعاون فى مجال السياحة بين الحكومتين الروسية والاردنية. ولا ترقى العلاقات الاقتصادية بين روسيا والاردن فى هذه المرحلة الى مستوى العلاقات السياسية بينهما ، رغم انها بدأت فى النمو مؤخراً . وكان التبادل التجارى بين البلدين فى عام ٢٠٠٢ يعادل مبلغ ٣٢,٧ مليون دولار، وفى عام ٢٠٠٣ مبلغ ٥٠ مليون دولار، وفى عام ٢٠٠٦ مبلغ ١٤٠ مليون دولار. اما فى عام ٢٠٠٨ فبلغ التبادل السلعي بين روسيا

والاردن ما قيمته ٤١٠ ملايين دولار ،بما فيه صادرات روسية الى المملكة الاردنية الهاشمية بمقدار ٤٠٦,٥ مليون دولار ، وواردات روسية من المملكة بمقدار ٣,٥ مليون دولار.

وقد قام ممثلو دوائر العمل للبلدين بتأسيس المنتدى الاقتصادى الروسى الاردنى بصفته اول مؤسسة اجتماعية من هذا النوع. وقد تم توقيع مذكرة التفاهم بهذا الصدد يوم ١٨ اغسطس عام ٢٠٠٥ فى موسكو.

وخلال السنوات العشر المنصرمة استقطبت الى الاردن من روسيا استثمارات بمبلغ ٢ مليون دولار بصفتها رأسمالا اساسيا للشركات الاردنية.

ويعمل فى روسيا بنجاح عدد من الشركات الروسية – الاردنية المشتركة ،وذلك فى مدينتي سانت بطرسبورغ وموسكو وجمهورية اديغا فى شمال القوقاز .

وقد اقيم تعاون وثيق بين ادارة المنطقة الاقتصادية الحرة فى ميناء العقبة الاردني وممثلية شركة النفط الروسية « تات نفط» فى الاردن .

وفى يوم ٣ سبتمر عام ٢٠٠٤ انعقد فى موسكو مؤتمر الاعمال الروسي– الاردنى الذى شارك فيه ملك الاردن عبد الله الثاني.

وفى ١٨ اغسطس عام ٢٠٠٥ تم تأسيس مجلس الاعمال الروسى الاردنى الذي عقد جلسته الاولى . فى اكتوبر عام ٢٠٠٨ شارك الوفد الاردنى الذى ضم ممثلين عن ٢٠ شركة اردنية برئاسة عامر الحديدي وزير الصناعة والتجارة فى الاردن شارك فى معرض التجارة والصناعة « آراب – اكسبو – ٢٠٠٨ » الذى اقيم فى موسكو. وقامت الشركات الروسية «ستروى ترانس غاز» و«تيخنو بروم اكسبورت» و«اورال تيخنو ستروي» الروسية بافتتاح ممثليات لها فى عمان. اقيم فى شهر مارس عام ٢٠٠٩ فى عمان معرض «اكسبو – روسيا» الثامن السنوى

الروسى الذى ينظم هناك ابتداءا من سنة ٢٠٠٢.

وقد تم فى الاردن بمساهمة المؤسسات الروسية مد ٢٫٤ الف كيلومتر من الخطوط الكهربائية ، وتأسيس مراكز للتدريب فى مدن اربد ومعشر والسلط بمساهمة روسية . وتعمل فى الاردن بنجاح خلال السنوات العشر المنصرمة شركة التجارة الخارجية الروسية – الاردنية المشتركة « كاماز» التى تقوم ببيع وصيانة سيارات «كاماز» الروسية.

عقدت فى عمان عام ٢٠٠٧ اتفاقية التعاون بين شركة «افتوفاز» الروسية وشركة «يوردانين كومبانى جنرال اوتوموبيل اندستري» الاردنية التى قضتع بإنشاء معمل تجميع سيارات «لادا» تبلغ قدرته الانتاجية ٣٠ الف سيارة كل سنة.

تم فى ١٢ مايو عام ٢٠٠٩ فى موسكو توقيع مذكرة التفاهم حول تنقيب واستغلال مكمن النفط فى اراضى الاردن. وتولت شركة «انتر راو يا أس» الروسية مسؤولية اجراء هذه الاعمال.

فى ٢٢ مايو عام ٢٠٠٩ تم فى موسكو بين الجانبين توقيع اتفاقية التعاون فى مجال استخدام الطاقة الذرية للاغراض السلمية. وتشارك مؤسسة «روس آتوم» الروسية استنادا الى هذه الاتفاقية فى المناقصات الخاصة بإنشاء المفاعلين النووين الصناعى والتجريبى فى الاردن. وفى يونيو عام ٢٠٠٩ سرى مفعول اتفاقية الحماية المتبادلة وتشجيع الاستثمارات .

ووافق الجانب الاردنى فى اغسطس عام ٢٠٠٨ على اعتماد شركتى الطيران الروسيتين «ترانس ايرو» و«سيبير» لاستخدام الخطين الجويين «موسكو– عمان» و«موسكو – العقبة». وفى ١١ مارس عام ٢٠٠٩ تم التوقيع فى موسكو على اتفاقية النقل الجوي.

التعاون العسكرى التقنى بين روسيا والاردن

يوم ١٩ اكتوبر عام ٢٠٠٢ تم التوقيع على الاتفاقية الخاصة بتوريد مسدسات وبنادق قنص كاتمة الصوت روسية الصنع الى الاردن ، وذلك بين شركة « روس اوبورون اكسبورت» والقيادة الاردنية. وفى يوم ١٧ اغسطس ٢٠٠٥ وقع الملك الاردنى عبد الله الثانى ، عندما كان يزور المعرض الفضائى الدولى بموسكو ، وقع مع شركة « روس اوبورون اكسبورت» اتفاقية توريد طائرتى نقل عسكري روسية من طراز « ايل – ٧٦ – م ف» الى الاردن.

وفى يوم ٢٨ مارس عام ٢٠٠٦ تم التوقيع فى عمان على اتفاقية انشاء المؤسسة الروسية – الاردنية المشتركة الخاصة بصنع المروحيات من طراز « كا – ٢٢٦» ، وذلك اثناء اقامة معرض القوات الخاصة «سوفيكس» . وفى فبراير عام ٢٠٠٧ تم توقيع اتفاقية الاقتراض المتواصل الخاصة بشراء الاردن للاسلحة الروسية ، وذلك اثناء الزيارة الرسمية للرئيس بوتين الى الاردن . وفى اطار المرحلة الاولى لتنفيذ هذه الاتفاقية يتم توريد طائرات النقل العسكرى الروسية الى الاردن بمبلغ قدره ٣٥٠ مليون دولار. كما عقدت بين شركتى «روس اوبورون بروم» الروسية ومؤسسة « كينغ عبد الله الثاني» الاردنية اتفاقية لبيع المروحيات « كا – ٢٢٦» . وقد قامت المؤسسة الروسية – الاردنية المشتركة بصنع قاذف قنابل متعدد الأعيرة يعتبر الأول من نوعه فى العالم من طراز «ر ب ج – ٣٢» الذى تجسدت فيه افضل نماذج الاسلحة الاحادية المفعول والمتعددة المفعول.

ويجري فى الاردن إنشاء دار الحجاج الروس ، وذلك فى قطعة الارض الواقعة على ضفة نهر الاردن بمساحة ٩١٠٠ متر مربع فى مكان تعميد سيدنا يسوع المسيح من اجل استخدامها من قبل روسيا للاغراض الدينية ، دون تحديد سقف زمنى لهذا الاستخدام.

الفصل الثامن عشر

العلاقات الروسية التونسية

اقيمت العلاقات بين الاتحاد السوفيتى وتونس فى ١١ يوليو عام ١٩٥٦. واعلنت تونس اعترافها بروسيا فى ٢٥ ديسمبر الاول عام ١٩٩١. وعقد اول لقاء فى تاريخ العلاقات الروسية التونسية بين رئيسى روسيا وتونس على هامش مؤتمر قمة الالفية الذى عقد فى نيو يورك عام ٢٠٠٠.

وجرت فى مايو عام ٢٠٠١ وابريل عام ٢٠٠٢ أول زيارتين لوزيرى الخارجية الروسى والتونسى فى تاريخ العلاقات الروسية التونسية الى كل من تونس وموسكو.

وفى نوفمبر عام ٢٠٠٥ قام وزير خارجية روسيا الاتحادية سيرغى لافروف بزيارة تونس فى اطار جولته فى المغرب العربي. وفى اكتوبر عام ٢٠٠٨ زار موسكو وزير الخارجية التونسى عبد الوهاب عبد الله .

فى ابريل عام ٢٠٠٥ ونوفمبر ديسمبر زار تونس سيرغى ستيباشين رئيس غرفة الرقابة المالية الروسية. وتم فى اعقاب الزيارة توقيع اتفاقية بين هيئتى الرقابة المالية فى كل من الدولتين.

التعاون الاقتصادي

كان التعاون فى مجال إنشاء المجمعات الكهرمائية فى تونس طيلة سنوات من اهم الاتجاهات للتعاون الاقتصادى التقنى وبينها سدود على انهر كساب وجومين وغزالة وسجنان. وقامت شركة «سيلخوز بروم أكسبورك» الروسية عام ١٩٩٩

بانجاز اكبر المجمعات المائية التونسية «سيدى البراق». وفى عام ٢٠٠٦ تم انجاز خط ثانى لانابيب الماء سجنان – جومين و جومين – مجردة. كما تم اعداد الوثائق التقنية بغرض استغلال مياه انهر تونس الشمالية.

فى عام ١٩٩٣ تم توقيع اتفاقية التعاون فى المجال التجارى والاقتصادى ومجال انشاء المشاريع المائية التقنية. عقد ت فى اعوام ١٩٩٩ و٢٠٠٣ و٢٠٠٨ اجتماعات اللجنة الحكومية الثنائية الخاصة بالتعاون الاقتصادى والعلمى والتقني. التى اسفرت عن توقيع اتفاقية لحكومية والبرنامج الحكومى فى مجال التعاون الثقافى والعلمي، واتفاقية وزارية حول التعاون فى مجال التأهيل المهني.

بلغ التداول السلعى بين الدولتين فى عام ٢٠٠٨ ١،٧١ مليار دولار (٨٠٥ مليون دولار فى عام ٢٠٠٧) وازداد بمقدار مرتين، مقارنة مع عام ٢٠٠٧، وذلك على حساب تصدير النفط ومشتقاته بمبلغ ٥٥٠ مليون دولار، والكبريت والامونيا بمبلغ ٥٠٠ مليون دولار الى تونس. وبحسب المعلومات الواردة من الجانب التونسى فان روسيا اصبحت فى عام ٢٠٠٨ شريكا ثالثا على الصعيد التجارى الخارجى بالنسبة لتونس، علما ان التصدير الروسى الى تونس يشكل نسبة ٩٥٪ من التداول السلعى التونسى الاجمالي. فيما بلغ التصدير التونسى الى روسيا ٢٥ مليون دولار فقط.

ومن الصادرات الروسية الاخرى يمكن ذكر الاخشاب والورق والسبائك الفولاذية والاسبستوس. اما تونس فتصدر الى روسيا زيت الزيتون والمنتجات الزراعية ومنتجات النسيج. وفى عام ٢٠٠٨ تم أنشاء اول مؤسسة روسية تونسية مشتركة تعمل على تعبيد الطرق فى تونس. وفى عام ٢٠٠٨ حصلت المؤسسة الروسية الفيتنامية المشتركة على ترخيص بتنقيب النفط فى تونس.

تم بموسكو فى مارس عام ٢٠٠٦ توقيع اتفاقية تأسيس مجلس الاعمال الروسى التونسي. واعلن التونسيون رغبتهم فى البدء بانشاء محطة كهرذرية بقدرة ٩٠٠ ميغاواط فى عام ٢٠١٠. فيما اعربت شركة « روس آتوم» الروسية عن استعدادها للحوار حول اقامة التعاون مع تونس فى هذا المجال.

التعاون فى مجال الصحة والسياحة والتعليم

تتطور بنجاح العلاقات الروسية التونسية فى مجال الرعاية الصحية. ويعمل حاليا فى تونس فريق من الاطباء يضم ١٥٠ طبيبا، وبينهم ٤٠ طبيبا روسيا يمثلون مؤسسة «زدراف اكسبورت» الحكومية الروسية . تم فى موسكو عام ١٩٩٨ عقد اتفاقية حكومية فى مجال السياحة. وزار تونس فى عام ٢٠٠٨ حوالى ١٨٠ الف ساح روسى (١٣٠ الف سائح عام ٢٠٠٧ و ١٠٧ الف سائح عام ٢٠٠٦) يعمل فى تونس ٢٤ مدرسا روسيا، وذلك فى مجال التأهيل المهنى - التقني. وتم بمساعدة روسيا انشاء مدرسة هندسية وطنية وهي اول مؤسسة تكنولوجية للتعليم العالى فى تونس.

الفصل التاسع عشر

العلاقات بين روسيا ودولة الامارات العربية المتحدة

أقيمت العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفيتي ودولة الامارات العربية المتحدة فى ٨ ديسمبر عام ١٩٧١. وتم فى عام ١٩٨٦ فتح سفارة الاتحاد السوفيتى فى أبو ظبي.وافتتحت سفارة الامارات بموسكو عام ١٩٨٧ . وأعلنت دولة الامارات العربية المتحدة رسميا فى ديسمبر عام ١٩٩١ بانها تعترف بروسيا كونها وارثة لحقوق الاتحاد الوسوفيتى السابق. وتعمل فى مدينة دبى منذ عام ٢٠٠٢ القنصلية العامة لروسيا الاتحادية. وشكلت زيارة سيرغى لافروف الى ابو ظبى فى فبراير عام ٢٠٠٧ حدثا هاما فى العلاقات الثنائية بين البلدين .

وفى ١٠ سبتمبر عام ٢٠٠٧ تمت اول زيارة رسمية لرئيس روسيا الاتحادية الى دولة الامارات العربية المتحدة فى تاريخ العلاقات الروسية الاماراتية.

وزار اليكسى كودرين نائب رئيس الوزراء الروسى ابو ظبى فى ابريل عام ٢٠٠٨ . وتم خلال هذه الزيارة توقيع البروتوكول الخاص باختتام المباحثات الثنائية فى إطار انضمام روسيا الاتحادية الى منظمة التجارة العالمية. وزار ابو ظبى فى اكتوبر٢٠٠٨ الكسندر سلطانوف نائب وزير الخارجية الروسى والمندوب الخاص لرئيس روسيا الاتحادية الذى شارك فى أعمال الجلسة الخامسة ل«المنتدى من اجل المستقبل». وقد زار موسكو فى سبتمبر عام ٢٠٠٦ محمد بن زايد آل نهيان ولى عهد امارة ابو ظبى نائب القائد الاعلى للقوات المسلحة فى دولة الامارات العربية المتحدة

وعبد الله بن زايد آل نهيان وزير الخارجية في دولة الامارات العربية المتحدة. كما زار وزير الخارجية الاماراتي موسكو مجددا للمشاركة في لقاء العمل بين رئيسي اللجنة المشتركة للحكومتين الروسية والاماراتية والذى انعقد في اكتوبر عام ٢٠٠٦. وشارك محمد بن ظاعن الهاملي وزير الطاقة الاماراتي في أعمال المنتدى الاقتصادي الدولي بمدينة بطرسبورغ الذى جرى في يونيو ٢٠٠٧ .

قد زار أبو ظبي في شهر مارس عام ٢٠٠٨ وفد مجلس الفدرالية الروسية برئاسة إلياس أوماخانوف نائب رئيس لجنة الشؤون الدولية.

وفي مايو عام ٢٠٠٨ زار موسكو بدعوة من مجلس الدوما الروسي عبدالله الغرير رئيس المجلس الوطني الاتحادي في الامارات العربية.

التعاون الاقتصادى التجاري

ازداد التبادل السلعي بين روسيا ودولة الامارات العربية المتحدة في عام ٢٠٠٧ بنسبة ٢٧٪، وبلغت قيمته نحو ٨٢١ مليون دولار (الصادرات الروسية – ٧٧١ مليون دولار، والصادرات الاماراتية – ٥٠ مليون دولار) . وقد بلغ التبادل السلعي خلال الفترة بين شهري يناير واكتوبر عام ٢٠٠٨ قيمة ٦٩٢.٨ مليون دولار امريكي. وتصدّر روسيا الى الامارات العربية المكائن والمعدات والذهب والصفائح الحديدية والاخشاب والورق والمواد الكيمياوية. وانعقدت في مارس عام ١٩٩٧ في أبوظبي اول جلسة للجنة الروسية الاماراتية الحكومية المشتركة في موضوع التعاون الاقتصادى والتقني (تم تأسيس اللجنة في عام ١٩٩٤).

تم في سبتمبر عام ٢٠٠٥ تأسيس مجلس الاعمال الروسي الاماراتي. وشارك وفد رجال الاعمال من الامارات العربية في سبتمبر عام ٢٠٠٦ في الجلسة

المشتركة السادسة لمجلس الاعمال الروسى الاماراتى التى انعقدت فى مدينة بطرسبورغ. كما نظم مجلس الاعمال الروسى الاماراتي منتدى البزنس الذى صادف انعقاده مع اول زيارة للرئيس الروسى الى دولة الامارات العربية المتحدة فى عام ٢٠٠٧ .

عقد بمدينة دبى فى الفترة ما بين ١٠-١١ نوفمبر عام ٢٠٠٨ المؤتمر الاستثمارى « "Russia Investment Roadshow" الذى نظمه اتحاد الصناعيين ورجال الاعمال الروس. يرسخ رجال الاعمال الروس أقدامهم فى السوق الاماراتية. وقد فتحت الشركات الروسية الكبرى مثل "لوكويل اوفيرسيز" و"فولغا-دنيبر" و"كورغان ماش زافود" و"أمتيل" و "ستروى ترانس غاز" و"شركة التعدين والانابيب" و"انتر كوم هولدينغ" و"الروسا" و" ميتال انفيست". وقعت شركتا " ستروى ترانس غاز" و" دولفين انرجي" فى يوليو عام ٢٠٠٨ عقد انشاء خط انابيب الغاز "طويلة- فجيرة" الذى تقدر قيمته ب ٤١٨ مليون دولار، والذى يعد اول مشروع واسع النطاق فى مجال الطاقة ينجزه الجانب الروسى فى أراضى الامارات العربية.

وتقوم بعض كيانات روسيا الاتحادية وبالدرجة الاولى موسكو وبطرسبورغ ومقاطعة موسكو ومقاطعة تشيليابينسك ومقاطعة كراسنودار وجمهوريتا تتارستان وكالميكيا ،تقوم بالعمل على اقامة العلاقات المباشرة مع الشركاء الاماراتيين.

التعاون فى مجال الثقافة والتعليم

تنظم فى دولة الامارات العربية المتحدة بشكل منتظم الفعاليات الثقافية والرياضية التى يشارك فيها ممثلون روس. وتتطور العلاقات فى مجال التعليم. ووقعت فى شهر اغسطس عام ٢٠٠٧ جامعة تشيليابينسك الروسية والجامعة الوطنية فى دولة

الامارات العربية المتحدة (جامعة العين) اتفاقية التعاون العلمي– التكنيكي. وبلغ تعداد الجالية الروسية فى دولة الامارات العربية المتحدة ما يقارب ١٠ الاف شخص.

وفى ٩ سبتمبر عام ٢٠٠٧ جرت فى الشارقة عشية زيارة الرئيس الروسى الى الامارات مراسم وضع حجر الاساس لأول كنيسة ارثوذكسية روسية فى شبه الجزيرة العربية.

الفصل العشرون

عُمان وعلاقاتها مع روسيا

تحتفل سلطنة عمان في ١٨ نوفمبركل عام بعيدها الوطني. وشهدت السلطنة فى غضون ٣٨ عاما من اطلاق برنامج النهضة تجربة تنموية متميزة استندت الى فكر استراتيجى أحاط بمعطيات الواقع العمانى المحلى والاقليمى والدولي. وادت النهضة التنموية التى قادها السلطان قابوس بن سعيد منذ عام ١٩٧٠ الى تغيرات عميقة فى البلاد لتصبح الآن فى عداد دول المنطقة النامية بشكل ديناميكي. لقد حققت عمان خلال ٣٨ عاما طفرة نوعية فى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية تجسدت بنتائج ملموسة سواء فى تنامى معدلات حجم الناتج القومى والاعتماد على فروع الإنتاج الحديثة، او الانفتاح الاستثمارى والسياحى المتوازن الذى تشهده السلطنة، وتطور القطاع الخاص. وتسعى خطة التمنية الخمسية السابعة ٢٠٠٦ الى ٢٠١٠ الى ترسيخ التحولات التى يشهدها الاقتصاد العماني. وواصلت السلطنة خلال الفترة الماضية السير على طريق اشاعة الديمقراطية بخطى متدرجة، بما يتوافق مع طبيعة المجتمع العمانى والمرحلة التى يمر بها فى مسيرة تطوره المتواصل. ووضعت القاعدة القانونية لهذه المسيرة التى قام عليها انتخاب اعضاء مجلس الشورى فى اكتوبر ٢٠٠٧. وتلعب المراة العمانية دورها السياسى فى الترشيح والانتخاب لعضوية المجلس كحق اساسي. واولت القيادة العمانية اهمية خاصة للتطوير العلمى والثقافى وتقديم الخدمات الصحية وتوفير الضمانات الاجتماعية.

ولعبت عمان على صعيد السياسة الخارجية دورا نشيطا فى محيطها الاقليمى والدولي. وحدد السلطان قابوس اولويات السياسية الخارجية للسلطنة فى التنمية المستدامة فى الداخل والصداقة والسلام والتفاهم والحوار الايجابى فى الخارج.

العلاقات الروسية العمانية

اقيمت العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفيتى وسلطنة عمان فى ٢٦ سبتمبر عام ١٩٨٥ . وتم فى عام ١٩٨٧ فتح السفارة السوفيتية فى مسقط. وفى عام ١٩٩١ اعترفت سلطنة عمان رسميا بروسيا الاتحادية بصفتها وريثة لحقوق الاتحاد السوفيتي. ويتم بين الدولتين تبادل الوفود الرسمية. وزار موسكو فى اعوام ١٩٨٩ و١٩٩٣ و١٩٩٥ وزير النفط العمانى سعيد الشنفري. وفى يناير عام ١٩٩٧ ويوليو عام ١٩٩٨ زار موسكو يوسف بن علوى وزير الخارجية العماني. وشارك الشنفرى فى اعمال مؤتمر التسوية بالشرق الاوسط الذى عقد بموسكو عام ١٩٩٢ . وفى عام ١٩٩٤ قام وزير الثقافة والتراث الوطنى العمانى فيصل بن على بزياراة الى موسكو . فى عام ١٩٩٢ زار روسيا قيس الزواوى الممثل الشخصي للسلطان قابوس ونائب رئيس الوزراء للشؤون الاقتصادية والمالية. وفى مارس عام ١٩٩٦ زار موسكو وفد حكومى عمانى برئاسة مقبول بن سلطان وزير التجارة والاقتصاد واحمد مكى وزير الاقتصاد الوطني.

فى نوفمبر ١٩٩٤ قام فيكتور تشيرنوميردين رئيس الوزراء الروسى حينذاك بزيارة رسمية لعمان، وقع خلالها اتفاقية التجارة والتعاون الاقتصادى والعلمى بين الحكومتين. زار عمان فى نوفمبر عام ١٩٩٥ الامين العام لوكالة انباء «ايتار – تاس» الروسية ووقع اتفاقية التعاون مع وكالة الانباء العمانية. فى يناير عام ٢٠٠٣ زار عمان رئيس غرفة التجارة والصناعة الروسية يفغينى بريماكوف. وفى فبراير للعام نفسه زار عمان ايغور يوسوبوف وزير الطاقة الروسي.

وفى عام ٢٠٠٤ جرت الزيارة الجوابية لرئيس غرفة التجارة العمانية الى روسيا.

تتعاون روسيا وعمان فى اطار الامم المتحدة، بما فى ذلك فى مسألة دعم ترشيح موظفين روس ليشغلوا مناصب في مؤسسات الامم المتحدة. فى ربيع عام ٢٠٠٧ زار عمان وفد مجمع الطاقة والوقود الروسى برئاسة سيرغى اوغانيسيان . خلال زيارة قام بها الى موسكو يوسف بن علوى وزير الشؤون الخارجية فى سلطنة عمان سلم اليه سيرغى لافروف وزير الخارجية الروسى وسام حامى العلوم والفنون ليمنحه للسلطان قابوس. فى يوليو عام ٢٠٠٨ قام بزيارة عمل لموسكو وزير الاقتصاد الوطنى العمانى احمد مكي وزير التجارة والاقتصاد العمانى ورئيس شركة النفط الوطنية مقبول بن على بن سلطان.

فى فبراير عام ٢٠٠٩ تمت اول زيارة فى تاريخ العلاقات الثنائية لوزير الخارجية الروسى الى عمان. والتقى سيرغى لافروف خلال زيارته بالسلطان قابوس.

تتطور بنشاط العلاقات بين سلطنة عمان واقاليم روسية مثل تتارستان ومحافظة استرخان. ففى اكتوبر عام ٢٠٠٨ زار عمان رئيس بلدية موسكو يورى لوجكوف وعقدت لقاءت بينه وبين السلطان قابوس واحمد عبد النبى مكي وزير الاقتصاد الوطنى والمعتصم البوسعيد محافظ مسقط ووزير الدولة. فى يونيو عام ٢٠٠٩ زار المعتصم البوسعيد روسيا بدعوة من يورى لوجكوف. كما زار المعتصم البوسعيد مدينة بطرسبورغ، حيث التقى برئيسة بلديتها فالنتينا ماتفيينكو.

وتولى القيادة العمانية اهمية خاصة لتطوير علاقاتها مع روسيا فى كافة المجالات، وتفعيل الحوار فى القضايا ذات الاهتمام المشترك وتطوير التعاون

الاقتصادى والاستثماري. وتربطهما اليوم علاقات متنوعة. وهناك تبادل نشيط للوفود بين البلدين، بما فى ذلك التبادل البرلماني، ويجرى حوار سياسى بينهما. ويرتبط البلدان باتفاقية حول التعاون فى مجال الثقافة والعلوم والتعليم والسياحة والشباب. وضمن هذا السياق قام عمدة موسكو يورى لوجكوف بزيارة السلطنة، حيث حظى بمقابلة السلطان قابوس بن سعيد وعدد اخر من المسؤلين. وتثمن السلطنة كل التثمين موقف روسيا من القضايا العربية ودورها فى تسوية النزاع فى الشرق الاوسط وجهودها الرامية الى تعزيز الامن والاستقرار فى المنطقة.وتتطابق او تتقارب مواقف موسكو ومسقط حول العديد من القضايا الدولية الملحة.

وتجرى مشاورات سياسية على أساس دائم فى إطار البروتوكول الموقع بين وزارتى خارجية البلدين، ويتطور التعاون بين غرفتى التجارة والصناعة.

العلاقات فى مجال الاقتصاد والتجارة

لا يزيد التبادل السلعى بين البلدين عن ٣٠ مليون دولار سنويا. ومن اهم الصادرات الروسية الى سلطنة عمان يمكن ذكر الانابيب والمدلفنات الفولاذية والمنتجات المعدنية ومواد البناء والورق. وتحتوى اهم الواردات من عمان على السيارات والمنتجات الالكترونية التى تستورد من الخارج وتصدر الى روسيا.

وفى مايو عام ١٩٩٤ قام وفد من غرفة التجارة الروسية بزيارة عمان، حيث وقع اتفاقية مع غرفة التجارة العمانية. وفى نوفمبر عام ٢٠٠١ تم توقيع الاتفاقية الخاصة بتفادى الضريبة المزدوجة.

ويبدى العمانيون اهتمامهم بتطبيق التكنولوجيات الروسية فى مجال استخراج النفط. وفى ديسمبر عام ٢٠٠٢ شاركت «مؤسسة «غتزبروم» وشركة «ريتيك» فى

معرض «النفط والغاز – آسيا الغربية – ٢٠٠٢» الذى اقيم فى عمان. وتقوم بعض الشركات الروسية بتقديم الخدمات و اداء دور المقاول فى مجمع النفط والغاز العماني. لكن مساهمتهم فى هذا المجال لا تزال ضئيلة. ونقوم شركة «تات جيو تيخ» الروسية باعداد التحاليل والمعالجات التى من شأنها ان ترفع مردودية الطبقات النفطية عى احد حقول النفط العمانية ، وذلك بطلب من شركة النفط الوطنية العمانية «بى دى او». اما شركة «بوريتس» الروسية فتقدم الخدمات الرامية الى صيانة آبار النفط واصلاح اجهزتها. كما يبدى العمانيون اهتمامهم بتطوير التعاون مع روسيا فى مجال استخدام الطاقة الذرية. واثناء زيارةبدر البوسعيدى الامين العام لوزارة الخارجية العمانية الى موسكو فى يونيو عام ٢٠٠٩ تم توقيع مذكرة التفاهم فى مجال استخدام الطاقة الذرية للاغراض السلمية. وذلك بين مؤسسة « رو آتوم» الروسية ووزارة الخارجية العمانية. عقد بموسكو فى ٣١ اغسطس – ١ سبتمبر الاجتماع الرابع لمجلس الاعمال الروسى العربي، حيث تم توقيع مذكرة التفاهم بين غرفتى التجارة والصناعة الروسية والعمانية حول تشكيل مجلس الاعمال الروسى العماني، الذى عقد اجتماع دورى له فى اكتوبر عام ٢٠٠٨ بموسكو، وذلك فى اطار المعرض العربى الاول «عربية– اكسبو».

التعاون فى مجال الثقافة والتعليم والسياحة.

فى مارس عام ١٩٩٦ زار مسقط وزير الثقافة الروسى الذى وقع مع زميله العمانى مذكرة تفاهم تقتضى بتشجيع العلاقات الثقافية بين البلدين. وفى عام ٢٠٠٠ تم عقد الاتفاقية بين الحكومتين فى مجال الثقافة والعلم والتعليم والسياحة والشباب. ويتطور بنشاط التبادل السياحى بين البلدين. ويزور عمان كل سنة ما يقارب ٥ آلاف سائح روسي. واعتبارا من عام ١٩٩٦ تخصص وزارة التعليم

الروسية كل سنة منح دراسية للطلبة العمانيين الدارسين فى الجامعات والمعاهد الروسية بشتى الاختصاصات. وفى عام ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩ الدراسى خصصت لسلطانة عمان ٣٠ منحة دراسية حكومية على حساب الموازنة الفيدرالية. ووصل عام ٢٠٠٨ الى روسيا ٣٤ طالبا عمانيا، بمن فيهم ١٦ طالب بموجب المنح الدراسية الحكومية. ويعمل الاساتذة الروس فى المؤسسات التعليمية العمانية بعقود خاصة. فى مارس عام ٢٠٠٨ اقيم فى موسكو حفل تقديم كتاب «بوح سلمى» بقلم الكاتب العمانى المعروف محمد الرحبى المترجم الى اللغة الروسية، حيث حضر الحفل سفير سلطنة عمان فى موسكو ومسؤولون من وزارة الخارجية الروسية.

الحوار بين الاديان

قد يصبح التعاون فى مجال تطوير الحوار بين الاديان اتجاها جديدا فى العلاقات بين الدولتين . ففى ابريل عام ٢٠٠٦ زار مسقط نائب وزير الخارجية الروسى الكسندر سلطانوف الذى وقع مع زملائه فى وزارة الخارجية العمانية مذكرة ثنائية خاصة باصدار نشرة «التسامح الديني.. خبرة روسيا وسلطنة عمان».

الفصل الحادى والعشرون

العلاقات الروسية اللبنانية

يعود تاريخ الاتصالات بين لبنان وروسيا الى زمن بعيد، فمنذ عهد القيصر ايفان الرهيب تقرر تقديم مساعدات سخية الى كنيسة انطاكية الارثوذكسية وتخصيص مبالغ من الخزينة لتغطية احتياجات مسيحيي الشرق. في عام ١٧٧٣ عند نهاية الحرب الروسية - التركية تم انزال قوات بحرية ومعها مدفعية في ميناء القديس جيورجيوس وذلك لمساندة انتفاضة الاهالي ضد الباشا. وبعد مرور شهرين استسلم الترك وعلى اثر ذلك رفرفت « راية اندرييف » وهي راية القوات البحرية الروسية فوق بيروت. وعلى شرف هذه الحادثة سميت احدى ساحات بيروت ب « ساحة المدفعية » ولازالت التسمية نفسها حتى يومنا هذا. لقد دفن البحارة الروس الذين سقطوا خلال المعارك مع القوات التركية في مقبرة مار ميتر.

افتتحت في بيروت عام ١٨٣٩ اول قنصلية روسية ترأسها قسطنطين بازيلي وهو دبلوماسي محنك ومستشرق في نفس الوقت. وكان قد درس مع نيقولاي غوغول في مدرسة واحدة، وبقيا يتراسلان بعد الدراسة . لقد ترك الكاتب العظيم ذكريات حميمة عن زيارة الحج الى الاماكن المقدسة. في نهاية القرن ١٩ وبداية القرن ٢٠ نشطت بعثات الجمعية الامبراطورية الارثوذكسية الفلسطينية. في عام ١٩١٠ افتتحت على الاراضي اللبنانية والفلسطينية والسورية اكثر من ١٠٠ مدرسة ومعهدين للتربية ومدرسة مهنية، اضافة الى الملاجئ والمستشفيات والفنادق وورشات تصليح وتم تبليط الطرق واصدار الكتب.

العلاقات السوفيتية - اللبنانية

أقيمت العلاقات الدبلوماسية بين لبنان وروسيا فى اغسطس عام ١٩٤٤، وقبل ذلك فى عام ١٩٤٣ كان الاتحاد السوفيتى من أوائل الدول التى اعترفت باستقلال لبنان وبذل الجهود من اجل انسحاب القوات الانجليزية – الفرنسية من لبنان. واستخدم الاتحاد السوفييتى فى عام ١٩٤٦ لاول مرة فى تاريخ الامم المتحدة حق الفيتو (النقض) دفاعا عن استقلال لبنان وسوريا ، وذلك لدى نظر مجلس الامن الدولى فى مسألة التواجد اللاحق للقوات الاجنبية فى اراضى هاتين الدولتين. افتتحت السفارة السوفيتية عام ١٩٥٦ فى المبنى القديم الذى كانت تشغله البعثات الدينية الروسية فى السابق.

وكانت روسيا الاتحادية ، وقبلها الاتحاد السوفيتى ايضاً ، تتخذ على مدى عقود، ولا تزال موقفا مؤيدا للحفاظ على وحدة اراضى لبنان واستقلاله. وفى ٣٠ ديسمبر عام ١٩٩١ اعلن لبنان اعترافه بروسيا الاتحادية كوريثة للاتحاد السوفيتي.

ويتطور بنشاط الحوار السياسى بين روسيا ولبنان . ففى عام ١٩٩٧ تمت اول زيارة رسمية فى تاريخ العلاقات الثنائية الى روسيا الاتحادية من قبل رئيس الوزراء اللبناني الراحل رفيق الحريرى ، الذى زار روسيا ايضاً فى عامى ٢٠٠١ و٢٠٠٣. وفي عام ١٩٩٨ قام وزير الخارجية اللبنانى فارس بويز بزيارة موسكو. وفى يناير عام ٢٠٠٢ زار روسيا نائب رئيس الوزراء اللبنانى عصام فارس الذي تم تكريمه بجائزة صندوف وحدة الشعوب الارثوذكسية. اما فى اكتوبر ٢٠٠٣ فقد قام وزير الخارجية اللبناني جان عبيد بزيارة عمل الى موسكو. فى الفترة ما بين ١٤ و١٦ ديسمبر ٢٠٠٦ جرت زيارة عمل الى موسكو لرئيس الوزراء اللبنانى فؤاد السنيورة. قام سيرغى لافروف وزير الخارجية الروسى بزيارة لبنان فى ٦–٧

سبتمبر عام ٢٠٠٤ و٧ سبتمبر عام ٢٠٠٦ . فى ١٥-١٧ ديسمبر ٢٠٠٨ قام وزير الدفاع اللبنانى الياس المر بزيارة رسمية لروسيا. تتطور ايضا العلاقات الثنائية بين البرلمانين الروسى واللبناني. وقام وليد جنبلاط رئيس الحزب التقدمى الاشتراكى بزيارة روسيا مرارا .

فى مايو عام ٢٠٠٦ قام بزيارة روسيا وفد نواب البرلمان اللبنانى برئاسة رئيس الاغلبية البرلمانية سعد الحريري، الذى استقبله الرئيس الروسى انذاك فلاديميربوتين. وفيما بعد زار سعد الحريرى موسكو عدة مرات والتقى بكبار المسؤلين الروس .

مساعدة روسيا للبنان بعد الحرب اللبنانية - الاسرائيلية عام ٢٠٠٦

ساعدت روسيا فى وقف الحرب الاهلية بلبنان (اعوام ١٩٧٥ ـ ١٩٩٠) والنزاع اللبنانى الاسرائيلى فى يوليو – اغسطس عام ٢٠٠٦ . وأيدت روسيا الاتحادية الموقف اللبنانى لدى اتخاذ القرار الخاص بالحرب اللبنانية ـ الاسرائيلية عام ٢٠٠٦ فى مجلس الامن الدولي. وقدمت روسيا بعد انتهاء الحرب مساعدة فى إعادة إعمار البنية التحتية اللبنانية المدمرة. ولهذا الغرض ارسلت روسيا الى لبنان كتيبة مهندسين تعدادها ٣٠٨ افراد، قامت باعادة إنشاء ٨ جسور بحمولة ٤٠ ـ ٦٠ طن خلال شهرين من تواجدها فى هذا البلد. كما تم إنشاء ١.٥ كيلومتر من الطرق المعبدة. وقام الخبراء الروس بتدريب ١٠٠ مهندس من الجيش اللبنانى من الذين اتموا تحت رقابتهم تركيب الجسر التاسع . كما قامت روسيا فى اغسطس عام ٢٠٠٦ بتقديم الامدادات الانسانية العاجلة للبنان والتى سلمت مباشرة الى مؤسسات الامم المتحدة لارسالها الى جنوب لبنان الذى دمرته الحرب . اما صندوق الحريرى الخيرى من جهته فقد ساعد وزارة الطوارئ الروسية فى اجلاء الرعايا الروس المقيمين فى لبنان ، حيث تم اجلاء ٢٢٠٨ أشخاص من مواطنى روسيا وبعض بلدان رابطة الدول المستقلة.

العلاقات الاقتصادية بين روسيا ولبنان فى المجال الاقتصادي

بعد تفكك الاتحاد السوفيتى لوحظ انخفاض مستوى الاتصالات الاقتصادية بين روسيا والعالم العربى بشكل عام. وفى النصف الثانى من التسعينات بدأت وتيرة العلاقات بين روسيا والبلدان العربية بالتنامي فى المجالين السياسى والاقتصادي.

وفى مارس عام ١٩٩٥ وقعت بين روسيا ولبنان اتفاقية التجارة والتعاون الاقتصادي. وفى أعقاب الزيارة التى قام بها عام ١٩٩٧ لروسيا الاتحادية رفيق الحريرى رئيس الوزراء اللبنانى انذاك وقع الطرفان عددا من الاتفاقيات فى المجال الاقتصادي، بما فيها اتفاقية تشجيع وحماية الاستثمارات المتبادلة، واتفاقية تلافى الضريبة المزدوجة ، واتفاقية انشاء اللجنة الحكومية الخاصة بالتجارة والتعاون الاقتصادي، واتفاقية التعاون فى مجال الثقافة والعلم والتعليم. وقد اسهمت الاتفاقيات الموقعة بين روسيا ولبنان فى ابريل عام ١٩٩٧ بتطوير الاتصالات الاقتصادية والتجارية وزيادة التبادل السلعى الذى بلغ فى عام ١٩٩٧ ما مقداره ٩٣ مليون دولار.

وانعقدت فى بيروت فى مارس عام ١٩٩٨ الجلسة الاولى للجنة الحكومية الروسية – اللبنانية فى مجال التجارة والتعاون الاقتصادي، الامر الذى اثبت الديناميكية الايجابية لتطور العلاقات الثنائية .

وما زالت التجارة بين البلدين تتطور فى اواخر القرن العشرين واوائل القرن الحادى والعشرين بالرغم من ان الطرفين يقولان دوما انهما ينتظران المزيد من ذلك. وبلغ التبادل التجاري بين روسيا ولبنان فى عام ٢٠٠٠ ما قيمته ٢٥٠ مليون دولار. اما فى عامى ٢٠٠٤ و٢٠٠٥ فبلغ التبادل التجارى بين البلدين ٥٠٠ مليون دولار، ثم تراجع حتى ٣٥٠ مليون دولار فى عامى ٢٠٠٦ و ٢٠٠٧ ، وذلك بسبب تفاقم الاوضاع السياسية فى لبنان. وفى عام ٢٠٠٨ ازداد

التبادل السلعى بين الدولتين حتى ٥٠٤ ملايين دولار. ويتمثل التصدير الروسى اساسا بالنفط ومشتقاته الى جانب الحبوب والخشب والمنتجات المعدنية. وتعول لبنان على زيادة عدد السياح الروس القادمين الى البلد، باعتبارهم ضيوفا تقليديين فى الشرق وموردا ثابتا لإيرادات مالية.

وابتداءا من عام ٢٠٠٠ تعمل جمعية الصداقة والتعاون العملى «روسيا – لبنان» التى يترأسها الدبلوماسى الروسى المخضرم اوليغ بيريسيبكين.

التعاون فى مجال التعليم

لقد تلقى الاف الطلاب اللبنانيين تعليمهم العالى فى الجامعات السوفيتية ومن ثم الروسية. وكان الفقيد رفيق الحريرى رئيس وزراء لبنان قد اشار الى اهمية موضوع تهيأة الكوادر فى الاتحاد السوفيتى وروسيا. وتم فى ٣ فبراير التوقيع على محضر التعاون بين وزارتى التعليم الروسية واللبنانية الذى يقضي بأن تقدم روسيا للمواطنين اللبنانيين فرصة للحصول على التعليم المجاني فى مؤسسات التعليم العالى الروسية، وتخصص لهم منح دراسية حكومية بعدد ٣٥ منحة كل سنة دراسية. كما يقضى هذا المحضر بتبادل الزيارات بين رجال العلم والمتدربين من كلا البلدين. ويصل الى روسيا كل سنة ايضاً ما يزيد عن ١٠٠ طالب لبنانى لتلقى التعليم على حسابهم الخاص.

الفصل الثانى والعشرون

العلاقات الروسية السورية

وضع افتتاح القنصلية الروسية فى دمشق فى اواخر القرن الثامن عشر بداية للعلاقات الرسمية بين روسيا وسورية. وقامت روسيا بعد مرور ١٠٠ سنة بفتح قنصلية لها فى ميناء اللاذقية السوري.

اقيمت العلاقات الدبلوماسية بين روسيا وسورةا فى عام ١٩٤٤ عقب اعلان استقلال سورية. واصرت موسكو بالرغم من مقاومة بريطانيا وغيرها من الدول الغربية اصرت على ادراج هذا البلد العربى فى القائمة بالدول المؤسسة لهيئة الامم المتحدة. وقام الاتحاد السوفيتى بصفته عضوا دائما لمجلس الامن الدولى عام ١٩٤٦ بتأييد مطلب سورية بسحب القوات البريطانية والفرنسية من اراضيها.

وتمارس روسيا اليوم سياسة ترمى الى دعم دمشق، وتتخذ موقفا مضادا لعزلها على الصعيد الدولي. وفى السنوات الاخيرة اقيمت بين البلدين علاقات سياسية نشطة. وفى عام ١٩٩٩ زار سورية ايغور ايفانوف وزير الخارجية الروسى آنذاك، وفى الفترة ما بين عامى ١٩٩٧ و ١٩٩٩ جرت زيارات لوزير الخارجية السورى السابق فاروق الشرع الى موسكو. وفى يوليو عام ١٩٩٩ قام بزيارة رسمية الى موسكو الرئيس السورى الراحل حافظ الاسد . وفى اكتوبر عام ٢٠٠٠ زار ايفانوف سورية مرتين فى اطار مهمة حفظ السلام الخاصة بتسوية النزاع الفلسطينى الاسرائيلي. وقد زار الرئيس السورى الحالى بشار الاسد موسكو فى عام ٢٠٠٥ لحل مسائل المديونية السورية. وفى ختام الزيارة تم توقيع البيان الروسى – السورى المشترك حول تعميق

علاقات الصداقة والعاون بين روسيا الاتحادية والجمهورية العربية السورية واتفاقية تسوية المديونية السورية والقروض التي تم تقديمها الى سورية من قبل الاتحاد السوفيتى السابق. وفى عام ٢٠٠٦ زار بشار الاسد موسكو لبحث الوضع فى الشرق الاوسط. بالاضافة الى زيارته الى روسيا فى اغسطس عام ٢٠٠٨ حين استقبله الرئيس الروسى دميترى مدفيديف فى مديينة سوتشي الروسية. فى مارس عام ٢٠٠٦ جرت زيارة العمل الى موسكو لوزير الخارجية السورى وليد المعلم. وقام سيرغى لافروف وزير الخارجية الروسي ب ٤ زيارات الى سوريا، وذلك فى ٦ سبتمبر عام ٢٠٠٤ و٧ سبتمبر عام ٢٠٠٦ و١٩ - ٢٠ مارس عام ٢٠٠٨ و٢٣-٢٤ مايو عام ٢٠٠٩ فى اطار جولاته فى الشرق الاوسط. وفى اعقاب زيارة عام ٢٠٠٤ تم توقيع اتفاقية السفر دون تأشيرة الدخول للاشخاص الذين يحملون جوازات السفر الدبلوماسية والخاصة بين الحكومتين الروسية والسورية. قدم الجانب السورى فى يوليو/اغسطس عام ٢٠٠٦ عونا فى اجلاء المواطنين الروس من لبنان عن طريق المطارات السورية.

زيارة الرئيس دميترى مدفيديف الى سورية

قام الرئيس مدفيدف يوم ١١ مايو عام ٢٠١٠ بالزيارة الرسمية الى سورية حيث اعلن ان روسيا وسورية اتفقتا على تعزيز « الشراكة الاستراتيجية » بين البلدين.

واشار مدفيديف الى « انه دون النظر الى الازمة فان علاقاتنا التجارية - الاقتصادية فى حالة صعود ».وتناولت المباحثات التى جرت بينه وبين زميله بشار الاسد مسائل تنفيذ بعض المشاريع فى مجالات النفط والغاز والنقل والطاقة الكهربائية والطاقة الذرية » كما ناقش الرئيسان افاق التعاون فى مجالات تكنولوجيا المعلوماتية والفضاء والسياحة والتكنولوجيا المتقدمة.

ورئيس مدفيديف هو اول رئيس روسي قام بزيارة رسمية لسورية، غير ان الحوار السياسى بين البلدين مبنى على الثقة لمتبادلة. وكان الرئيس الاسد قد زار روسيا ثلاث مرات – فى يناير عام ٢٠٠٥ وديسمبر عام ٢٠٠٦ وفى اغسطس عام ٢٠٠٨ .

العلاقات فى مجال التجارة والاقتصاد

بدأ التعاون النشيط بين روسيا وسوريا فى عام ١٩٥٧. و قام الاتحاد السوفيتى بتشييد ٦٣ مشروعا، ومن اهمها سلسلة المحطات الكهرمائية على نهر الفرات والعقدة المائية مع المحطة الكهرمائية « البعث» والمنشأة المائية مع المحطة الكهرمائية « تشرين » والمرحلة الاولى للمحطة الكهرحرارية « تشرين» ومد ١,٥ الف كيلومتر من السكك الحديد و٣,٧ الف كيلومتر من خطوط الكهرباء وبناء عدد من منشآت الري. واكتشف الاتحاد السوفيتي حقول النفط فى شمال شرقى سورية وقام بإنشاء خط انابيب لنقل المشتقات النفطية بين حمص وحلب بطول ١٨٠ كم، ومعمل الاسمدة الكيميائية مما سمح بتوفير نسبة ٢٢ ٪ من الطاقة الكهربائية ونسبة ٢٧ ٪ من النفط ومساحة ٧٠ الف هكتار من الاراضى المروية. وانخفض حجم التجارة المتبادلة الى حد كبير فى مطلع التسعينات. وبدأ التبادل السلعى يزداد باطراد فى السنوات الاخيرة متجاوزا مليار دولار فى عام ٢٠٠٧ ، فى حين كان يعادل فى عام ٢٠٠٥ مبلغ ٤٥٩,٨ مليون دولار وفى عام ٢٠٠٦ مبلغ ٦٣٥ مليون دولار. وبلغ التبادل السلعى بين الدولتين عام ٢٠٠٨ قيمة ٢ مليار دولار. وتبدى الشركات والمؤسسات الروسية اهتماما بالتعاون مع سوريا، وذلك فى مجال النفط والغاز اساسا. وبنتيجة المناقصات تم توقيع العقود من قبل الشركات «تات نيفت» فى مارس عام ٢٠٠٥ و « سيوز نيفت غاز » فى عام ٢٠٠٥ و«ستروى ترانس غاز» فى ديسمبر عام ٢٠٠٥ حيث بلغ التبادل السلعى بين الدولتين عام ٢٠٠٨ قيمة ٢ مليار دولار.

وفى عام ١٩٩٣ تم توقيع اتفاقية التعاون الاقتصادى والتقنى التي تشكلت بموجبها اللجنة الروسية السورية المشتركة، الخاصة بالتعاون فى مجال التجارة والاقتصاد والعلم والتقنيات. وعقد فى موسكو فى نوفمبر عام ٢٠٠٩ الاجتماع السابع لهذه اللجنة. وفى سبتمبر عام ٢٠٠٤ تم تشكيل مجلس الاعمال الروسى السورى برعاية مجلس الاعمال الروسى العربي.

التعاون العسكرى التقني

كان الاتحاد السوفيتى يقدم لسوريا الدعم السياسى والعسكرى فى مواجهتها لاسرائيل. وفى عام ١٩٦٣ اقيم مركز الدعم المادى التقنى للاسطول البحرى السوفييتى فى ميناء طرطوس السوري. وكان الاتحاد السوفييتى يورد الى سوريا اسلحة وغيرها من السلع بكميات كبيرة، مما ادى الى تراكم مديونية كبيرة (فى عام ١٩٩٢ كان دين سوريا لروسيا يتجاوز مبلغ ١٣ مليار دولار). وفى عام ٢٠٠٥ وقعت بين البلدين اتفاقية شطب ٧٣ ٪ من الديون السورية آخذا بالحسبان ان المبلغ المتبقى وقدره ٢.١١ مليار دولار سيتم صرفه لتنفيذ العقود الروسية. وتم ابرام هذه الاتفاقية فى يونيو عام ٢٠٠٨ .

العلاقات فى مجال الثقافة والعلم

لا تزال اتفاقية التعاون الثقافى والعلمى الموقعة عام ١٩٩٥ قاعدة للعلاقات الروسية السورية فى مجال العلم والثقافة. ويعمل فى كونسيرفاتوار دمشق الاساتذة الروس. وتقوم البعثة الآثارية الروسية بتنقيبات فى منطقة مدينة حسك. ويتم تبادل الوفود والخبراء والعلماء بين اكاديميتى العلوم للدولتين. وقد قام وزير الثقافة الروسى ألكسندر افدييف وزميله السورى رياض نعسان آغا بتوقيع برنامج التغتون فى المجتال الثقافى لاعوام ٢٠١٠ –٢٠١٢ . لا يزال الجانب الروسى يخصص منح دراسية حكومية للطلبة السوريين الدارسين فى روسيا.

ويصل الى روسيا كل سنة حوالى ٢٠٠ طالب لتلقى تعليمهم فى الجامعات والمعاهد الروسية على حسابهم الشخصي.

المصالح الروسية فى سوريا

المصالح الروسية فى سوريا ذات طبيعة سياسية إستراتيجية وعسكرية واقتصادية فى جوهرها. ورغم أن من المؤكد أن لدى روسيا مصالح تجارية مع سوريا، إلا أن قيمة هذه المصالح تعتمد على قدرة الحكومة السورية، التى تستمر عوائدها المالية وقدرتها على الدفع فى التناقص.

أهم المصالح الروسية فى سوريا، كما يذهب العديد من المراقبين، هى الاحتفاظ بقاعدتها العسكرية فى ميناء طرطوس. حيث تعد قاعدة طرطوس البحرية العسكرية آخر موقع بحرى لأسطول روسيا بمنطقة البحر الأبيض المتوسط.

وتُعتبر قاعدة طرطوس مرفقا روسيا إستراتيجيا طويل الأمد. فبموجب اتفاقية بين البلدين عام ١٩٧١، يستضيف ميناء طرطوس قاعدة روسية للإمداد والصيانة من الفترة السوفياتية تم تشييدها أثناء فترة الحرب الباردة لدعم الأسطول السوفياتى بالبحر الأبيض المتوسط.

وتسعى روسيا -منذ سنوات قليلة وحتى اليوم- إلى توسيع وتطوير هذه القاعدة حتى تزيد من حضورها فى البحر المتوسط، فى الوقت الذى تخطط فيه واشنطن لنشر درع صاروخية فى بولندا. ووافق الرئيس السوري بشار الأسد عام ٢٠٠٨ على تحويل ميناء طرطوس إلى قاعدة ثابتة للسفن النووية الروسية فى الشرق الأوسط. ومنذ ٢٠٠٩ ظلت روسيا تقوم بتحديث القاعدة وتوسيع الميناء حتى يستطيع استقبال سفن عسكرية أكبر حجما.

مجالات الاستخدام و تدعيمها

مبيعات السلاح

مرت ست سنوات فقط منذ أن اضطرت موسكو إلى شطب أكثر من عشرة مليارات دولار من ديونها على دمشق التى كلنت تبلغ ١٣.٤ مليار دولار من الفترة السوفياتية السابقة. وأصبحت موسكو منذ تاريخ شطب حوالى ثلاثة أرباع دينها على دمشق، المزود الرئيسى لسوريا بالأسلحة. وذهبت سوريا خلال السنوات القلية الماضية إلى روسيا للحصول على أسلحة حديثة تشمل الكثير من نظم الصواريخ المضادة للدبابات والطائرات، والتى من شأنها تحسين قدراتها القتالية. فى عام ٢٠٠٨ وافقت سوريا على شراء طائرات ميج٢٩ إس إم تى المقاتلة، ونظم بانتسير إس١ إى الدفاعية، ونظم صواريخ إسكاندر الدفاعية، وطائرات ياك١٣٠، وغواصتين من طراز آمور١٦٥٠

استقرار الحدود الروسية

وقال وزير الخارجية الروسية سيرغى لافروف إن مبيعات بلاده من الأسلحة لسوريا تهدف إلى تعزيز الاستقرار والحفاظ على الأمن فى المناطق القريبة من الحدود الروسية وبلغت قيمة عقود سوريا مع روسيا عام ٢٠١١ أربعة مليارات دولار. حيث تحتل سوريا المرتبة السابعة فى ترتيب الدول التى تشترى أسلحة من روسيا.

المصالح الاقتصادية

بلغت استثمارات روسيا فى سوريا عام ٢٠٠٩ حوالى عشرين مليار دولار. وأهم المجالات الاقتصادية المدنية التى تخدم المصالح الروسية فى سوريا مجال التنقيب عن النفط والغاز وإنتاجهما، حيث نجد شركتى تاتنفت وسويوزفتغاز

الروسيتين تقومان حاليا باستخراج النفط فى سوريا.

وأبرمت تاتنفت عقدا عام ٢٠٠٣ وتم حفر بئرها الأول عام ٢٠١٠ فى حقل كشما الجنوبية. وشيدت سويوزفتغاز أنبوبا لنقل الغاز الطبيعى ومصنعا لمعالجته، وتقوم حاليا ببناء مصنع آخر بالقرب من الرقة التى تبعد مائتى كيلومتر شرق حمص، يستطيع معالجة ١.٣ مليار متر مكعب من الغاز.

كذلك حصلت مجموعة ذا نورث ويسترن غروب على مناقصة عام ٢٠٠٨ لتشييد مصنع لمعالجة البترول بالقرب من دير الزور. أخيرا تخطط شركة جيوريسرس المتفرعة من شركة غازبروم الروسية العملاقة للمنافسة فى مناقصات للتنقيب عن النفط

مجال الطاقة

وتنخرط الشركات الروسية فى تنفيذ مشروعات أخرى فى مجال الطاقة بما فى ذلك الخطط التى أعلنتها شركة روساتوم الروسية فى ٢٠١٠ لبناء أول مفاعل لإنتاج الطاقة النووية والخدمة المستمرة من شركة تخنوبرومكسبورت الروسية لمرافق إنتاج الطاقة التى أقامتها فى سوريا.

وتشارك شركات روسية أخرى مثل سوفنترفود ورسغيدرو أيضا فى مشروعات للرى بسوريا، فقد وقعت رسغيدرو عقدا لتصميم مجمع للرى على نهر دجلة.

وتلعب شركات التصنيع الروسية أيضا دورا فى الاقتصاد السوري. فشركة أورالماش أبرمت عقدا عام ٢٠١٠ لتزويد شركة سورية بمعدات للتنقيب عن النفط. وفى سبتمبر ٢٠١١ وقعت شركة توبوليف آند أفياستار أس بى مذكرة تفاهم لتزويد الخطوط الجوية السورية بثلاث طائرات ركاب طراز تى يو٢٠٤ إس إم. وبمركز لخدمات هذه الطائرات.

وأعلنت تراكتورنى زافودى خططا لاستثمارات مشتركة مع شركة سورية لبناء

وحدة معدات زراعية، وتقوم مجموعة سينارا غروب الروسية ببناء مجمع فنادق باللاذقية، كما وقعت شركة سيترونيكس عقدا عام ٢٠٠٨ لتشييد شبكة لاسلكية لسوريا. ولشركة رسكى نافيغيسشنى تكنولوجى خطط لتركيب معدات ملاحة معتمدة على نظام غلوناس.

الفيتو الروسى الصينى بشأن سوريا

من هنا نرى ان كلا من روسيا والصين تطيح بمشروع قرار يدين العنف المنسوب للنظام السوري، ويدعم خطة الجامعة العربية دون أن يتضمن دعوة لتغيير هذا النظام بقدر ما يدعو إلى تأييد نهج سياسى يقود البلاد على درب الديمقراطية، نادرا ما تستخدم روسيا والصين حق النقض الفيتو فى آن واحد، لكنهما فعلتا ذلك الآن وللمرة الثانية خلال أربعة أشهر وبشأن سوريا أيضا، وولدتا خيبة أمل كبيرة لدى ثلاثة عشر عضوا فى مجلس الأمن وافقوا على المشروع المقدم من قبل المغرب، الفيتو الروسى فى نيويورك يعتبر إلى حد كبير ترجمة لفشل وزيرة الخارجية الأميركية هيلارى كلينتون ونظيرها الروسى سيرغى لافروف فى الاتفاق فى محادثتها فى مدينة ميونخ الألمانية، لكن موسكو لا تعارض بذلك واشنطن فحسب وإنما تتجاهل كذلك مواقف الجامعة العربية والأغلبية الساحقة من أعضائها، الرئيس الأميركى باراك أوباما قال أن النظام السورى قتل المدنيين فى حمص وبات على بشار الأسد أن يتنحى عن السلطة لتبدأ مرحلة انتقالية وديمقراطية على الفور، وموجها خاطبة للشعب السورى قال أوباما إننا معكم، بدلا من وقف سياساتها القمعية اجتازت السلطات السورية حاجزا جديدا فى همجيتها، التعبير لوزير الخارجية الفرنسى آلان جوبية الذى اعتبر ما سماه مذبحة حمص، جريمة ضد الإنسانية وقال إن المسؤولين عنها سيحاسبون، ولم يتخلف نظيره البريطانى وليام هيغ عن ركب المنتقدين لدمشق

قائلا : أن تصرفات النظام السورى تظهر استهتارا شديدا من الرئيس الأسد فى مواجهة الضغط الدولى المتزايد.

هذا الفيتو كان متوقع ليس فقط من قبل روسيا ولكن من قبل الصين أيضا، والآن منذ وقت قليل طائرة وزير الخارجية الروسى سيد سيرغى لافروف قد هبطت فى مطار فى موسكو بعد عودته من ميونخ وهو تكلم مع الصحافيين، وقال لهم : أن هناك تعديلات بسيطة على مسودة القرار، ولكن للأسف الدول الغربية والدول العربية لم توافق على مثل هذه التعديلات منها أن روسيا كانت تلوم ليس فقط السلطات السورية والجيش على ما يحدث فى سوريا ولكن مثل العادة لموقف روسيا كانت توجه اتهامات ضد المعارضة منها المجموعات المسلحة، وأيضا الوزير لافروف قد تطرق إلى نقطة تنحى الرئيس بشار الأسد وقال أن التنحى الآن هذا الأمر غير مقبول بوجهة نظر موسكو، وإن كانت هناك اتفاقيات داخلية بين الحكومة السورية والمعارضة وأشار إلى أن فى اليمن فى البداية كانت هناك اتفاقيات بين كل الأطراف على موضوع تنحى الرئيس على عبد الله صالح، أما فيما بعد طلع خرج مجلس الأمن بقرار حول ذلك.

دوافع الفيتو الروسى بشأن سوريا

ثمة أسباب عديدة حدت بروسيا والصين لاستخدام حق النقض (الفيتو) لإجهاض قرار من مجلس الأمن الدولى يدين الرئيس السورى بشار الأسد على إجراءاته القمعية ضد المتظاهرين.

فعائلة الأسد –كما يذكر الصحفى فيليب ستيفنز فى مقاله بصحيفة فايننشيال تايمز البريطانية– ظلت حليفا إستراتيجياً لموسكو منذ أيام الاتحاد السوفياتي. كما أن كلا من موسكو وبكين تعتقدان أنهما تعرضتا للخداع لقبول قرار الأمم المتحدة الذى قاد إلى الإطاحة بمعمر القذافى فى ليبيا.

ثم إن ميناء طرطوس السورى يُعد بمثابة قاعدة روسية حيوية. وهناك عقود تسليح ضخمة معرضة للخطر. يُضاف إلى كل تلك العوامل أمر آخر هو مبدأ موسكو المألوف بعدم التدخل.

وعندما أعلن وزير الخارجية الروسى سيرغى لافروف فى مؤتمر الأمن بمدينة ميونيخ الألمانية مؤخرا وقوف حكومته إلى جانب نظام الأسد كان ظهوره ينم عن شيء آخر ألا وهو أن روسيا فى وضع دفاعي.

ولما كان بوتين يواجه صيحات استهجان واحتجاجات كبيرة من الجماهير فى شوارع موسكو التى كانت يوما ما تناصره، فإن الرد العاجز يكون بإلقاء اللوم على عدو خارجي. فكل شيء -بدءاً من حالة الاستياء فى الداخل إلى الانتفاضات الشعبية فى العالم العربي- يُنظر إليه عبر عدسة المؤامرة الغربية.

ويرى الكاتب -فى تعبير لا يخلو من سخرية- أن روسيا تستحق الاحترام الذى سبق أن نالته إبان الحرب الباردة. وفى الواقع فإن بوتين يُشبه (رئيس الاتحاد السوفياتى الأسبق) ليونيد بريجنيف.

و«لعل الحقيقة هى أن الجميع قد أخذتهم الصحوة السياسية فى العالم العربى على حين غرة. وما ينبغى الإشارة إليه هنا هو أن الغرب لم يكن دائما مرتاح البال من تداعيات هذه الصدمة»، .

فقد كان أول رد فعل لفرنسا عقب اندلاع الاحتجاجات الشعبية فى تونس مؤيدا لنظام زين العابدين بن علي. وخسرت الولايات المتحدة حليفا عربيا مهماً بسقوط حسنى مبارك فى مصر. ولا تزال إدارة باراك أوباما حائرة حتى الآن هل تتعامل مع الإسلاميين المنتخبين حديثا كأصدقاء أم كأعداء.

ويرى ستيفنز أن انتهاج معايير مزدوجة ليس حكرا على روسيا وحدها،

فالغرب لا يزال يخشى انتقال عدوى الديمقراطية إلى من سماهم «حكام النفط المستبدين» فى الخليج.

على أن الحقيقة التى لا مفر منها هى أن المشهد الجيوسياسى للمنطقة قد تغير. فقد كانت الولايات المتحدة وروسيا هما اللتان تحددان نطاق نفوذهما فى المنطقة. أما الآن فإن العرب هم من يدعون أن الشرق الأوسط لهم. لقد اختارت روسيا أن تنحاز إلى جانب الباطل فى هذا الظرف الذى يشهد تغيرات هامة، فهى بدعمها الأسد إنما تُنذر بقلب المفاهيم الإقليمية رأساً على عقب.

إن وقوف الولايات المتحدة إلى جانب إسرائيل والطغاة الموالين للغرب منذ أمد طويل جعلها موضع انتقاد من الشارع العربي. الآن وعلى الرغم من البداية المتعثرة، فإن واشنطن انحازت إلى دعاة الإصلاح. أما روسيا فقد آثرت أن تطرح نفسها منافحا عن الاستبداد القائم.



وأخيـــراً :

شاهد الواقعة ورؤية ما بعدها

عزيزى القارئ.. ما أمتع لحظات الكاتب عندما يجد ضالته فى رحلة البحث عن الحقيقة فهى أشبه برؤية الغواص لحبات اللؤلؤ على صفحات الرمال لامعه ساكنه أمام عينيه ؟! هذا من ناحية ومن ناحية أخرى تجد أمانة الكلمة والبحث ظاهرة أمام عين الكاتب ليسع صدره لرؤية كل صاحب دور فى حدث هام يؤثر فى قاعدة عريضة من الناس وربما لأجيال قادمة ... وتكون هنا أهمية الكلمة وصدق المعنى فى وجبه كاملة أمام القارئ .. ويقول « يلتسين » حاضر واقعة التصدع فى دولة بالغة القيمة والتأثير فى العالم حيث ذكر فى مذكراته والتى حققها الكاتب « أند يرز اسلوند » « إننى أنظر إلى إلغاء الاتحاد السوفيتى باعتباره خياراً إيجابياً » وكنت مقتنعاً بأن روسيا تحتاج إلى تخليص نفسها من هذه المهمة الامبريالية وقد كان جورباتشوف يمثل الاتحاد « القوة القديمة » وكنت أمثل روسيا الجمهورية المستقلة .. بلد جديد لم يكن قد قام بعد .. وكان الجميع ينتظرون ظهور هذا البلد بفارغ الصبر ؟! فلم يكن بمقدور الاتحاد السوفيتى ان يقوم بدون صوره الإمبراطورية ولم يكن بمقدور صورة الإمبراطورية أن تقوم بدون صوره القوة .. وقد انتهى إتحاد الجمهورية السوفيتية الاشتراكية فى اللحظة التى ارتطم فيها أول معول بسور « برلين » .. وقد تبوأت الرئاسة وتحاصرنى فكرة فصم روابطنا مع ميراثنا السوفيتى بشكل لا لبس فيه وليس فقط من خلال القيام بإصلاحات شتى وإنما من الناحية الجغرافية السياسية أيضا وذلك من خلال تغيير دور روسيا كأمة قوية وباقية طالت معاناتها ..

وفى ديسمبر سنه ١٩٩١ تم التخلى عن محاولة خلق اتحاد الدول ذات السيادة الفضفاض بدرجة اكبر .. وتم حل الاتحاد السوفيتى وكان الحدث الحاسم فى هذا الصدد الاجتماع الذى عقد بين رؤساء ببلاروس وروسيا وأوكرانيا خلال عطله نهاية الأسبوع فى محمية بيلو فيجسكى الطبيعية فى بيلاروس ووافق الرؤساء على حل الاتحاد للجمهوريات الاشتراكية السوفيتية وتشكيل رابطه الدول المستقلة وهى رابطة فضفاضة – ومن الناحية الفعلية ألغت روسيا الاتحاد السوفيتى بإعلانها الاستقلال .. ويقول يلتسين مضيفا إن روسيا بتوقيعها على هذا الاتفاق تختار مساراً مختلفاً هو مسار التنمية الداخلية بدلاً من مسار الامبريالية ؟! .. وان كان السبب المباشر فى إبرام اتفاق بيلو فيجسكى إن أوكرانيا صوتت فى أول ديسمبر من أجل الاستقلال بأغلبية كاسحة تبلغ ٩٠٪ من الأصوات ..

وبعد تصاعد الاحتجاجات من الجمهوريات الاخرى وافقت الدول الثلاث الأصلية الموقعة على الاتفاق على توسيع رابطه الدول المستقلة وفى ٢١ ديسمبر سنه ١٩٩١ سعت الرابطة فى اجتماع عقد فى الما آتا عاصمة كازاخستان لتنضم احدى عشر جمهورية سوفيتية سابقة .. وكانت جورجيا ودول البلطيق التى كانت قد استقلت بالفعل هى وحدها التى اختارت ألا تنضم إلى الرابطة .. وألغيت معاهدة الاتحاد لعام ١٩٢٢ مخلفه ما تبقى من المؤسسات السوفيتية والرئيس السوفيتى بدون أساس قانونى ..

وتعين أعاده النظر فى العديد من هيئات السلطة السوفيتية واستخدمت فى ذلك أربعه نهوج مختلفة .. فقد ألغيت ببساطه عشرات من الوزارات السوفيتية الفرعية ولجان الدول الزائدة عن الحاجة وبعدئذ أدمجت المؤسسات السوفيتية المركزية الضرورية فى نظيرتها الروسية وأخضعت للوزراء الروس فى الإعلان

الإصلاحى الكبير الذى القيته فى أكتوبر سنه ١٩٩١ بأن روسيا ستتوقف عن تمويل حوالى ٧٠ وزاره اتحاديه وغيرها من الهيئات الحكومية مما يعنى إلغاءها من الناحية الفعلية وفى نهاية عام ١٩٩١ تم حل مصرف الدولة السوفيتى وقسمت أصوله فيما بين المصارف المركزية للجمهوريات الجديدة وبعد ذلك شكلت قيادة جديدة مشتركة وحيده للقوات الإستراتيجية وهى أحدى أفرع التشكيل العسكرى على أن تكون تابعة لرابطة الدول المستقلة وأخيراً لم يبق قائماً سوى مؤسسة سوفيتية مهمة واحده ألا وهى الروبل السوفيتى ولكن بدون مؤسسه لتنظيمها .. وكانت المهمة الحيوية على الصعيد الداخلى هى العمل على بناء دوله ديمقراطية ؟ وذلك يتطلب اتخاذ دستور جديد وإجراء انتخابات برلمانية وإنشاء الأحزاب السياسية وربما العمل على إصلاح النظام الإدارى للدولة وإن كان من المفضل أن يعتمد الدستور وان يرتب لإجراء الانتخابات البرلمانية عندما تكون الغلبة للنزعة المثالية .. وصياغة الدستور سهله من الناحية الفنية ولكن اعتماده يصبح أكثر تعقيداً بمرور الوقت حيث تتعرف القوى السياسية على قوتها الكامنة وكلما تم التكبير باعتماد الدستور كان من المحتمل أن يكون أكثر إنصافاً وفاعليه ..

عزيزى القارئ ... وإلى هنا أكتفى بهذا القدر من رؤية يلتسين شاهد الواقعة ولكن تولى فلاديمير بوتن القريب منه والذى أختاره بعناية فائقة تتواكب مع مصالحه ومصالح الدولة كما قدر لها ؟! وتولى بوتن دفه السفينة الروسية (الاتحاد السوفيتى الذى أصبح سابقاً ؟!) وتنقل فى جنبات السلطة منذ ذلك الحين بين رئاسة الوزراء ورئاسة الدولة ... ولكن بعد مرور تلك السنوات ولا أدرى هل كانت طويلة أم قصيرة .. فهى رهن المعاناة التى شعرت بها القيادة الروسية ذاتها وفق تغيرات عالميه عديدة وقدر تقبل الشعب الروسى ذاته لذلك

وإن اتضح من نقطتين أساسيتين هما علامة ومؤشر أولهما معدلات الهجرة و الوفاة فى هذه الفترة يقبع فى أزمات القلب والشرايين التاجية للقلب ؟! وليس بينها السرطان مثلاً أو التلوث من البيئة ولكنها وليده التوتر والقلق العصبى فى هذه الفترة ؟! .. فماذا يقول وما هى رؤية فلاديمر بوتن كيف يرى روسيا وكيف ينظر إلى العالم ؟!

الخاتمــــة

وتبقى المقوله المحيره محورا لرؤيه كاتب او اعجاب قارئ او باحث فى شئون امبراطوريه (هل العدل اساس الحكم ام الوطن فوق الجميع .... شعارا لحكام الاوطان و يكون الواقع شئ اخر؟؟

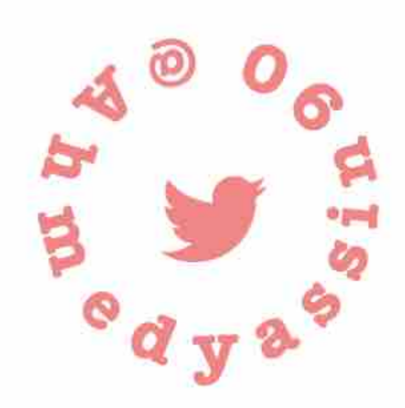
الفهرس

تصوير أحمد ياسين

تصوير أحمد ياسين

تصوير أحمد ياسين

تصوير أحمد ياسين



تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90


روسيا
تنادي بحق العودة على القمة
بقلم
ممدوح عبد المنعم